الحلقة المفقودة في امتداد عربية اللهجات السامية

تأليف

عبد الرحمن الرفاعى

تقديم الأستاذ الدكتور

كمال بشر

دار اللطائف للنشر والتوزيع

الادارة والتوزيع: ١٧ شارع مجلس الشعب - ميدان لاظوغلى - القاهرة

هاتف وفاكس: ٧٩٤٢٣٠٨ - ٧٩٤٢٣٠٨ (٠٢٠٢)

هاتف محمول: ٠١٠١٠٥٥١٥٥ (٠٠٢)

البريد الالكترونى: e-mail: lataaif@hotmail.com

من الدرس اللغوي التاريخي

الحلقة المفقودة في امتداد عربية اللهجات السامية

تأليف
عبد الرحمن الرفاعي

تقديم
الأستاذ الدكتور كمال بشر



منطقة جازان
موقع البحث والدراسة

إهـــــــداء

إليكما : شرف ثواب الإحسان إليكما بعظم ثواب ... حق عبوديته : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً)

إليكما : يا من كنتما السبب في وجودي دنيا ... بعد السبب في جودي من المعبود أزلاً :!!! (وبدأ خلق الإنسان من طين)

إليك : يا من أضناك الشقى ... يا من كنت تكدح لأجلي في الكبد!!!

إليك : يا من أنهك الوهن جسمها حملي ... وفرحت ثدييها طيلة الحولين رضاعتي

إليك : أبي ... إليك : أمي :

أهدي سطور ما خطته يدي

بين دفتي كتابي هذا ..!!!

ابنكما

عبد الرحمن محمد الرفاعي

بسم الله الرحمن الرحيم

إنه لمن دواعي سرورنا أن نقدم إليك أيها القارئ مثل هذا العمل الجاد المتميز الذي يتناول ـــ عبر الزمان والمكان – تاريخ لغتنا العربية الشريفة، ولا غرو أن يصدر عن باحث أصيل صادق، أمضى ما يقارب ربع القرن في إعداده.

إنه الدكتور **عبد الرحمن الرفاعي** الباحث المجاهد المثابر – كما اعتدنا أن نطلق عليه دائمًا، وما كان لمثل هذا العمل أن يخرج ويرى النور لولا إيمانه العميق وحبه الخالص للغة القرآن الكريم اللغة العربية، أس حضارتنا ودليل هويتنا.

انصب اهتمام الباحث في هذا العمل الميداني في الأساس على اللغة العربية الحية المستعملة في جنوب جزيرة العرب (منطقة جازان حاليًا، والمخلاف السليماني في القديم)، وقد تناولها تناولاً وصفيًا تحليلاً ثم تاريخيا، وقد جمع هاهنا بين المنهجين المعروفين في حقل الدراسات اللغوية، المنهج الوصفي والمنهج التاريخي.

وقد ذكرنا صنيع الأستاذ **الرفاعي** بما صنعه أسلافنا من العلماء العرب؛ كالكسائي وأبى عمرو والخليل وأضرابهم؛ حيث دلفوا إلى البادية يجمعون اللغة من الألسنة جمعًا مباشرًا.

جاء هذا البحث في ثمانية فصول مسبوقة بتمهيد، ومتلوة بملحق، يوضح بعضًا من نماذج النطق المستعمل في جنوب الجزيرة العربية ميدان الدراسة، بالإضافة إلى قائمة المراجع الضافية التي استعان بها الباحث.

وقد عرض في التمهيد لبعض المفاهيم المستعملة في التاريخ اللغوي بخاصة، وحاول أن يحدد مدلولها الصحيح – كما يبدو له – ومنها كلمات فينيق، كنعان، بابل، آشور، آكاد، عبري، سرياني... فكلمة فينيق – مثلاً – تعنى المستكشف الذي يخرج لاستكشاف مواطن الخصب والطرق المفضية إليها، ومن ثم فهي صفة وليست نسبا لأقوام بعينهم.

كما تحدث في التمهيد عن تاريخ الهجرات العربية، ولا سيما التي خرجت من جنوب الجزيرة العربية، وعن المناطق التي انتهت إليها تلك الهجرات راميًا من وراء هذا إلى تتبع اللغة واللسان الذي انتقل مع القوم من مواطنهم الأصلية في جنوب الجزيرة إلى أوطانهم الجديدة التي استقروا بها.

وفي نهاية التمهيد أشار المؤلف إلى المصاعب التي واجهته خلال عمله، وليس هذا غريبًا؛ فالكل يدرك أن العمل الميداني عمل شاق يحتاج إلى كثير من الوقت والجهد والمال، ناهيك عما يتصف به جنوب الجزيرة من وعورة معروفة وجبال وأودية، تجعلُ من الصعوبة والمشقة بمكان إنجاز عملٍ كهذا.

تحدث الباحث في الفصل الأول عن وحدة الجنس والموطن الأول، وعن أسباب الهجرات العربية الأولى، وعن عروبة عمليق ومواقع انتشارهم، كما تناول بالحديث "ضمائر الغيبة" استعمالاً ونطقًا، ليثبت من خلالها اتصال السابق باللاحق الباقي في جنوب جزيرة العرب، حيث وُجد في المواقع التي رحل منها أولئك الأقوام، فينيقيون، كنعانيون، آراميون .. وغيرهم، شواهد حية في الاستعمال اللغوي تؤيد اتفاق القبيلين على صيغ موحدة، يقو ل الباحث:" فبطون قبائل الغمر القريبة مواقعها من جبال العبادل وبني معين، نجد الكثير منهم لا يزال يستعمل الاستعمال عينه الذي كان يستعمله أجدادهم في مواقعهم هذه قبل آلاف السنين".

ويأتي الفصل الثاني بعنوان "بين الآرامية والعبرية و يتطرق فيه الباحث إلى أوجه الاتفاق بين كل من اللهجتين الآرامية والعبرية من جانب وبينهما وبين اللغة العربية من جانب آخر.

وينْعى الباحث على مؤرخي العربية الذين رددوا كثيرًا من مقالات مؤرخي التوراة والمستشرقين دونما تمحيص وتحرٍ كامل، وقد حاول الباحث أن يثبت – من خلال ما ساقه من أدلة وبراهين – أن لغة القرآن الكريم هي لسان نبي الله إبراهيم وجميع ذريته.

ويتناول الفصل الثالث عروبة النسب الإبراهيمي وما يتصل به من قضايا، مثل: مدلول إسرائيل وبني إسرائيل، صفات العشيرة الإبراهيمية...لغة القرآن الكريم هي لسان أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

أما الفصل الرابع فتناول الباحث فيه اللغة (اللهجة كما يسميها الباحث) السريانية، ويثير سؤالاً استهلاليًا: هل السريانية لسان عربي؟ وتستغرق إجابة هذا السؤال الفصل الرابع تقريبًا.

ويركز الفصل الخامس على اللهجة الرهاوية من خلال استعراض بعض القضايا اللغوية المتعلقة بضمير المخاطب " أنت" ويقارن بين بعض الألفاظ في كل من اللهجة السريانية والعبرية والرهاوية.

وحديث الفصل السادس عن الخصائص اللغوية المشتركة بين الراحلين والقاطنين في جنوب جزيرة العرب، ويعد هذا الفصل هو لحمة هذا الكتاب وسداه؛ ففيه توضيح وبسط للفكرة الأم(أمومة العربية للغات السامية) التي يُلح عليها الباحث كثيرًا، فتأمله.

أما الفصل السابع فموضوعه "قبائل طيء والمنطقة القديمة" يعرض لقضايا تتصل بطيء وموقع الجرف والجوف، أم بين الاستعمال الطائي والجرفي، طيء السريانية.

ويأتي في النهاية الفصل الثامن ليتحدث فيه الباحث عن تأثير اللسان الجنوبي في اللسان المكي، نطقًا وكتابةً، وقد استدل الباحث على هذا بتشابه الحركات في النطق، وانتهى فيه إلى أن اللسان المكي صورة مستنسخة من اللسان الجنوبي.

وهذا العمل بصورته الحالية يرشح نفسه – في رأينا – أن يكون لبنة صالحة من لبنات نظرية لغوية جديدة، تثبت بوضوح واطمئنان أن اللغة العربية هي الأصل الشرعي للسامية الأم وأن ما أسموه باللغات السامية ليست إلا لهجات تفرعت عن العربية وليست مستقلة عنها بحال من الأحوال.

أضف إلى ذلكم، أن هذا العمل يعد إسهامًا مشكورًا في مجال الدرس التاريخي للغتنا العربية، وسوف يمثل مرجعًا رئيسًا من مراجع المعجم التاريخي للغة العربية، يتعين أن يوضع في الحسبان.

هذا ويسعدنا أن نضم صوتنا إلى صوت الباحث في حسبان هذا العمل "بطاقة دعوة" للمختصين والباحثين في حقل الدراسات اللغوية العربية، لمواصلة السير في هذه السبيل التي تفضي إلى الكشف عن تاريخ لغتنا وما يلفه من قضايا، في ظل احتدام الصراع الحضاري واندلاع نيران العولمة الأمر الذي يتطلب تضافر الجهود والطاقات خدمة لقوميتنا وهويتنا.

والله ولي التوفيق ومنه العون والسداد ،

كمال بشر

نائب رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة

والأمين العام لاتحاد المجامع العلمية اللغوية بالوطن العربي

التمهيـــد:

يا مَنْ أنرت طريقاً كانت ظلماته كثيفة، يا من جعلت السراب أملاً يطمـئن إليه الظمآن بقرب منابع الماء، وفي الأحلام رموزاً تشير إلى الحقيقة، يا من سددت منافذ اليأس، وشددت العزم لإجابة ما النفس عطشى لمعرفته، مـن أمـر قديمـه كجديده ... وواقع ضاعت معالمه، وأضحى ماضيه التليد خرافات سخيفـة!! ... واقع أمة أضحت أمماً متنافرة ... أصولها عليها دخيلة،!!! .... أمة متـشرذمة ... أبدلت أنسابها بصفاتها ... فتمزقت .... وتشتت ... حتى أصبحت ذات ألسنة فيمـا بينها عليها غريبة!!! ... ألم يجعلوا صفة من خرج من شرق جنوب جزيرة العرب –من العماليق– بداية، نسباً لهم؟ ألم يبدلوا نسب العروبة، بتلك الصفة – فينيقيون – ... أتراهم لم يعلموا أن فينيق: هي صفة أطلقت على هذا الفريق – العمليقي – لأمر يرتبط بأسباب خروجه؟! ... وأن من أطلقها على هذا الفريق: هم قومهم الذين بقـوا في مواقعهم؟! ... لأن خروج هذا الفريق كان لقصد اكتـشاف مواقـع الخـصب، واكتشاف الطرق السليمة الموصلة إليه، تمهيداً لخروج من بقي من قومهم ... ولأن مدلول صفة الاكتشاف في لسان قوم هذا الفريق الذي خرج من جنوب شرق جزيرة العرب للاكتشاف يعبر عنها بلفظ: (فينيق)، التي أطلقت على هذا الفريق المكتـشف، ثم عمت هذه الصفة (فينيق) بقية القوم للتغليـب ليـصبح الجميـع تحـت مـسمى (الفينيقيون)، وهذا يعني أن مدلول الفينيقيين(التي تعني المكتشفين) ، ليس نسباً لأمة، بل هو صفة كما نص عليه لسان هذه الأمة نفسها ... لكن مَنْ حرَّف التـاريخ لمـا يريد: هم من جعلوا تلك الصفة نسباً، واستبدلوا بها نسب من كان يعرف بالعماليق .. حتى مدلول عمليق – العماليق – لم تكن هي الأخرى نسباً لتلك القبائل التـي هـي أيضاً صفة، كما يدل عليها مدلولها؛ لأن مدلول [عمليق] في لـسان تلـك القبائـل العربية يعني العملقة: أي الضخامة في الطـول والعـرض – الجـسمي– والقـوة الجسمية، لأنهم جزءٌ من قوم عاد الذين عرفوا واشتهروا بتلك الصفات كما دل عليها

القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً[1]... ﴾، وكتب التاريخ القديم، والآثار التي وجدت في الأماكن التي كانوا - فيها جنوب جزيرة العرب - تدل على ذلك، كما في مقابرهم، وبدليل آخر أن قسماً آخر من هؤلاء القوم - العماليق- الذين خرجوا إلى الشام ومصر، سماهم القرآن الكريم: [قَوْمًا جَبَّارِينَ.][2] .. في حين أطلق عليهم أولئك - المحرفون للتاريخ- اسم الكنعانيين، وهم المجموعة التي خالفت مسار المجموعة الأولى -الفينيقيين- وأخذت لها وجهة أخرى، هي الوجهة الغربية -اتجاه الغرب -، ولأن خروج هذا الفريق - الثاني - كان عن طريق الوجهة الغربية، أطلق عليهم من بقى من قومهم صفة غير الصفة التي أطلقت على الفريق الأول - الفينيقون - وهى صفة الكنعنة؛ لأن لسان الموقع الذي خرجت منه هذه المجموعة يصف من يخالف غيره في متجهه بالكانع، وخاصة إذا كانت تلك الوجهة نحو الغروب، ولأنهم يطلقون على النجم إذ مال نحو الغروب: الكانع؛ فأطلقوا على هذا الفريق صفة الكنعنة ... أي الكنعانيون لتصبح هذه الصفة مع الزمن، عند محرفي التاريخ من التوارتيين، نسباً لهذه المجموعة، فأصبحوا يسمون بالكنعانيين[3]... ولم يتوقف هذا التحريف؛ بل استمر مع كل القبائل العربية الأصلية التي كان خروجها قبل الميلاد بآلاف السنيين[4] ... فالمجموعات الأولى التي خرجت من قبائل [معين] وسكنت في بلاد النهرين وسموا بصفات وأسماء المواقع التي نزلوا بها، فمن نزل في أرض آكاد سموا بالآكاديين، ومن نزل في أرض آشور، سموا بالآشورين وكذلك من نزل بأرض بابل[5] إلخ وأظن أن هذا هو ما جعل المستشرقين يختلفون حول إن كان هناك دولة كانت تدعى باسم دولة معين وحاول بعضهم أن يخفف من حدة تلك السلبية وجعل دولة لمعين، لكنه جعل تاريخها لا يتجاوز الألف

---

(١) سورة الأعراف أية ٦٩

(٢) سورة المائدة، أية (٢٢)

(٣) يراجع هذا في التمهيد: الفصل الأول .

(٤) وهذا ما أكده صموائيل صاحب كتاب الحضارات .

(٥) راجع ولفنسون

سنة ... وبعضهم خرج عن هذه القاعدة ورأى أن (ماعون ... أو معونم ... أو معينيم ...)الواردة في التوراة إنما يقصد بها: (المعينيين)، الذين هم سكان النقب إلى طور سيناء ... أو هم سكان معان الواقعة إلى الجنوب الشرقي من البتراء ... أو هم أهل العلا: (الديدان)(١) ... بل وصل الأمر بأولئك المستشرقين أن يختلفوا حتى في عروبة تلك القبائل المعينية(٢) ... وقد كشفت بعض النقوش -بعضاً مما أظهروه- عن وجود دولة لمعين حقيقية، ولم تكن وهماً كما صورها بعضهم ... وكشفت أيضاً عن وجود حقيقي لقبائلها الأصلية من منبعها الذي انتشرت منه بجنوب جزيرة العرب إلى كل آفاق جزيرة العرب وخارجها ... وأكدت تلك النقوش حقيقة تلك الدولة المعينية وأنها كانت ذات تاريخ موغل في القدم، ولذلك رأينا واحداً منهم وهو (كلاسر) يذهب إلى أن الأبجدية التي استعملها المعينيون في كتاباتهم ترجع إلى الألف الثانية أو الثالثة قبل الميلاد، وهذا يعني أن تاريخ هذا الشعب يرجع إلى ما قبل هذا العهد، وأنهم -المعينيون- كانوا أقدم عهداً من العيرانيين(٣) وهذا يشير إليه ما حققه الباحثون الأثريون، من مؤرخي اليونان والرومان (من أن في الألف الرابع قبل الميلاد وصلت هجرات من جنوب بلاد العرب إلى مصر، وأن أولئك المهاجرين كانوا على قدر غير قليل من الثقافة ... وأنه ابتداءً من حوالي ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، بدأت بعض القبائل الجنوبية – من جزيرة العرب – تهاجر إلى العراق، واستقرت في بلاد بابل، ولم تمض إلا قرون قليلة حتى أصبحت صاحبة الأمر في البلاد ... وليس من المعقول أن يتمكن المهاجرون من فرض أنفسهم إلا إذا كانوا قد وصلوا مرحلة من التقدم تجعلهم يعرفون كيف يستفيدون مما حولهم ... وتظل لغتهم الأصلية وكثير من مظاهر ثقافتهم ملازمة لهم(٤) ... وهذا – أيضاً – ما

---

(١) المفصل – جواد علي – ٧٦

(٢) أخبار الأيام الأولى (الإصحاح) الرابع ... الآية (٤١) ...وأخبار الأيام – الثاني – الإصحاح (٢٦) الآية (٧) .

(٣) المتصل ٢/٧٧

(٤) تاريخ اليمن في الإسلام – محمد يحي الحداد – ص ٢٤ – ٢٥ .

أكده (صموائيل) صاحب كتاب الحضارات ... حينما أشار إلى الدولة المعينية التـــي جاء ذكرها في سفر الأخبار الثاني.. وقد عثر الباحثون على أمة بهذا الاسم – معين – في أقدم آثار بابل سنة: [٣٧٥٠ ق.م] ... وهذا يعنـــي ويؤكد: (أن تقدم هذه الأمة في الحضارة كان مُغرقاً في القدم ... ربما كان زمن تحول العــصر الحجــري ... فتحولوا يومئذ عن الصيد والقنص إلى الزراعة والصناعة[١] ... وإذا كانت آثار بابل التي سكن بها هؤلاء المعينيون، قد أشارت بعض نقوشها التي كـشفت إلـــى الآن – وربما يكون هناك ما هو أبعد لم يكتشف بعد – أشارت إلى وجودهم بـــأرض بابـــل وآكاد في الألف الرابعة قبل الميلاد، إذن فمتي كانت بداية تاريخ حضارتهم بأرضهم بجنوب جزيرة العرب؟!، لأن المعينيين –كما قالوا – ساميون، وأن الساميين هم – عند صموائيل – أصل الأمم، وإنهم – بداية – استوطنوا بلاد العرب[٢]... والمقصود ببلاد العرب – طبعاً– جنوبها، لقولهم: (وتعد بلاد العرب الجنوبية من أقدم مراكـــز الحضارة عند الأمم السامية، إذ كان موقع اليمن الجغرافي من أهم الأسباب التي أدت إلى نشوء الحضارات في ربوعها قبل أن يظهر لها أثر في المناطق الـــشمالية مـــن جزيرة العرب) ووجود حضارات هذه الأمة بأرضها قبل خروجها منها يؤكد أنهـــم كان لهم قلم يسجلون به آثار تلك الحضارة... بدليل نقوشهم التـــي وجـــدت علـــى أرضهم، وإلا كيف استطاعوا أن يدونوا مآثرهم داخل أرضهم في عز حـــضارتهم، ولم يستطيعوا ذلك خارج أرضهم؛ إذن [فكلاسر] ومن هو على مذهبه لـــم يكونـــوا مبالغين حينما قالوا: (إن الأبجدية التي استعملها المعينيون في كتاباتهم ترجـــع إلـــى الألف الثالثة أو الرابعة قبل الميلاد، أو أبعد من ذلك[٣]) وقوله:(أبعـــد مـــن ذلـــك)، يعنـــي أن ما وصـــل إليه من نقوش أمدته بهذا التاريخ عن أبجدية معين، ولكنه لا يعني عدم وجود نقوش تؤكد ذلك البعد بدليل ما أشار إليه صموائيل سابقاً ... أما من عارضوا ما ذهب إليه [كلاسر]، فليس لهم من حجة إلا قولهم: [إن كلاسر] ... يجعل

---

(١) صموائيل أصل الحضارات ... الرافعي: تاريخ آداب العرب: ص ١/٤٨ .

(٢) glaser , yk122e, 2 s ., 110,330

(٣) المرجع السابق ...

تاريخ قلم المسنــد أقدم من استعمال [المعينين (للالقبـاء)]، وهــذا يتعـارض مــع النظريات السابقة عــن قدم الخط عند البشر ... والخط الفينيقي لا يتجاوز عهده ألف سنة قبــل الميلاد، وليــس المسند الذي يعتبر الفينيقي أقدم منه ... وإذا كان الخــط الفينيقــي لا يتجاوز الألف سنة... فيا ترى ما هو أصل الخط الفينيقي؟ فالكثير منهم -المستشرقــون- رأوا أنه اشتق من الأبجديات السامية الشمالية[١]... وذهــب أنــه تفرع من الأبجدية السينائية ... في حين ذهب آخرون إلــى أن الأبجديــة العربيــة الجنوبية تفرعت من الأصل نفسه الذي أوجد الخط الفينيقي... فهي لذلك مــن أقــدم الأبجديات المعروفة[٢]... وإذا كان الخط الفينيقي قد وجد من الأصل نفــسه الــذي وجدت منه الأبجديات الجنوبية .. فيا ترى من أين جاءت الأبجديــة الجنوبيــة؟ ... وفي الإجابة على هذا التساؤل نراهم لا يترددون في أن يقولوا: (إن القلم المسند، هو القلم الرئيسي الذي تولدت منه الأبجدية اللحيانية والثمودية والصفوية[٣] ... وعلــى هذا فالمسند هو الأصل لكل الأبجديات التي وجدت فــي جنــوب جزيــرة العــرب وشمالها.. ويعني أيضاً أن الأبجدية الفينيقية هي من المسند، لأن الفينيقين -كما هــو معلوم- جاءوا من جنوب جزيرة العرب، ... بدليل أن المواقع التــي خــرج منهــا الفينيقيون بجنوب جزيرة العرب لا تزال وإلى الآن حروف أبجديتهم الأصلية التــي تتردد في لهجاتهم الموروثة لا تزيد عن اثنين وعشرين حرفاً، ... وقد تجدها فــي مواقع قريبة منهم أو محاذية لهم،- قد تزيد وقد تنقص - كما ستجد ذلك داخل هــذا البحث - كما في جهات المهرة وهضبة الأحقاف وامتدادها غرباً إلى مواقع جبــال العبادل والغمر وبني معين لا يزال عدد حروفهم اثنين وعشرين حرفاً، أفلا نجد في هذا ربطاً بين عدد حروف أبجدية -ما أسموها بالفينيقية- وأبجدية هذه المواقع بهذه المنطقة -منطقة البحث-؟... وإذا كانت الفينقية عندهم - كما توهموا - لا تتجــاوز الألف سنة قبل الميلاد ... فهذا يؤكد قدم المسند عليها ... ويؤكد أنها مأخوذة منــه

---

(١) boasoor . num .118, a, app11. 50. d.13

(٢) back ground . p.11

(٣) المفصل - جواد علي - ٨/٢١٥

لأنه -كلاسر – جعل الألفباء المعينية ترجع إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد، ومعلوم أن المعينية هي المسند بعينه ...وهذا يؤكده – أيضاً من حاولوا أن ينفوا به قدم المسند بالأبجدية الطورسينائية ... أو أنه قد أخذ منها ... ولست أدري كيف تناسوا ما سبق أن قالوه: من أن مجموعات من قبائل معين قد انتشرت في الألف الثانية قبل الميلاد في أنحاء طور سيناء ... وأن بعضاً منهم قد أقاموا لهم دولة في غزة .. وأن كثيرا من تلك القبائل قد فتحت مصر وحكمتها قروناً كثيرة ... وعرفوا بعد ذلك باسم الشاسو أو الهكسوس[1]... وإذا كانوا كذلك فلم لا تكن تلك الأبجدية – الطور سينائية – هي من أبجدية القبائل المعينية التي خرجت من تلك المواقع التي لازالت حروف لهجتها اثنين وعشرين حرفاً بجنوب جزيرة العرب ... وبذلك تكون الطور سينائية لهجة معينية، شأنها شأن الفينيقية ... بدليل أن الأبجدية الكنعانية والخط الكنعاني قد قالوا عنها: (... إن الخط المسند هو الأصل الذي اشتق منه الخط الكنعاني ...؛ لأن النماذج من الكتابات المعينية التي وصلت إلينا هي أقدم من نماذج الكنعانية ...)[2] وهذا ما سبق أن أكدناه في بحث (الكنعانيون معينيون من جازان) ... وفيه أكدنا أن الكنعانيين هم أصلاً معينيون ..، وقد سبق أن رأينا ما قاله -كلاسر- عن (الألف باء المعينية) وكونها تعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، وقالوا عن نزوح الكنعانيين من جنوب جزيرة العرب، وأنه كان في حدود الألفية الثالثة قبل الميلاد[3] ... وهذا يعني أنهم كانوا من ضمن القبائل المعينية التي خرجت من جنوب جزيرة العرب مبكراً ... وهذا ما سبق أن أشار إليه (ساسي) الذي جعل خروج تلك القبائل في الألف الرابعة قبل الميلاد – كما سبق-، وأكده صموائيل في كتابه (الحضارات) ... كما وجد في نقوش بابل المسمارية (٣٧٥٠ ق.م) ... ولكنهم كانوا من ضمن القبائل المعينية التي جعلت صفاتها نسباً لها – كما سبق –، شأنهم في هذا شأن إخوتهم الذين سموا بالآراميين، وهم في حقيقتهم بطوناً – أصبحت قبائل –

---

(١) ولفنسون: ص ١٥٤ – ١٥٥ .

(٢) ولفنسون: ص ٢١ .

(٣) ولفنسون: ص ٥٥ .

متعددة كان أكثرهم مـن قبائل الأزد الجنوبية الكبيرة، التي كانت تمتد مـن جبال الأحقاف عبر المسرات إلى عُمَان فتهامة، فغامد وزهران وغيرها، وإن كان أكثر تواجدها كان بالمنطقة التي جعلناها ميداناً لتطبيق هـذا البحث ... ومعلـوم أن [الآرام]: هي الأعلام – الجبال – أو الهضبة – الخاصة بقبائل قـوم [عـاد]، أو الأراضي التي كانـت تنتشر حولها مقابـر عاد أو أنها بلد كانت بهذا الاسـم فـي المنطقة العادية[١] ... ويظهر أن أكثر تلك القبائل التي أطلق عليها تلك التسميات كان خروجها من هذه المنطقة[٢] كما سنلاحظ هذا ... وهنا لا أسـتبعد أن تكـون تلـك التسمية التي أطلقت على القبائل التي كانت تسمى بالعماليق – قد سبقت الإشارة إليها –، لا تعدو أن تكون من هذا القبيل؛ أي من باب إبدال الأنساب بالـصفات، بهـدف التحريف والتغيير والتلاعب بالأنساب؛ لأن العملقة تعني في العربية الإفـراط فـي الطول المصاحب بضخامة الأجسام ذات القوة العضلية العالية، ومعظم هذه الصفات كانت من أبرز الصفات التي كانت تتميز بها قبائل قوم عاد، وقد أشار إلى معظمهـا القرآن الكريم في أكثر من آية كقوله تعالى: " وزادكم في الجسم بسطة " وهذا كلـه يؤكد أن كل تلك القبائل التي وجدت خارج جزيرة العـرب، وثبتـت مـع الـزمن عروبتها؛ ووجدت بأسماء غير أسمائهم الأصلية، اتضح أنها لم تكن سوى صـفات أطلقت عليها وليست في حقيقتها أسماء أنسابها الأصلية – كما سبق ذلك – ... بدليل أن الكثير من علماء الآثار – كسايس – وهم كثر، كانوا يتحدثون عن أثر خـروج قبائل العرب من جنوب جزيرتها، على المدنية؛ وقالوا: [إن ثقافـة بـلاد جنـوب العرب، كانت سابقة في تمدنها على مصر وبابل ... وأنها هي البلاد التي هاجر منها أسلاف الفراعنة العظام في مصر ... وأنهم حملوا إليها العلم والحكمـة والزراعـة والصناعة ... وأن الراجح: أن أسلاف البابليين والآشوريين كانوا منها ... والـذي نرجحه في ذلك أنهم كانوا فريقاً من قوم عاد نزحوا من جنوب جزيرة العرب إلـى العراق ... وكوّنوا فيها ما سمي بممالك آكاد وبابل وأشور ... إلخ ... ومعلـوم أن

---

(١) القاموس المحيط: ٤/٧٤ .

(٢) يوجد تفصيل أكثر حول أسباب هذه التسمية داخل البحث .

[عاد] كانت في جنوب جزيرة العرب ... وإذا كان أولئك النازحون هم من قوم [عاد]، فقوم عاد كانوا مجموعات من القبائل، وكل قبيلة منها كان لها أبوها الذي كانت تعتز بانتسابها وانتمائها إليه، وتحب أن تدعى به ... كقبائل طيىء التي ذكر المؤرخون: عن أبيها [جهلمة]، أنه كان من ضمن المجموعة التي خرجت من بلاد [عاد] متجهة إلى مكة المكرمة للاستسقاء بزعامة لقمان، ... ومعلوم أن [جهلمة] هذا هو أب لمجموعات القبائل التي تنتسب إلى أمها وهي [طيىء] ... ومع أن هذه المجموعة القبلية كانت من ضمن القبائل التي عاصرت [عاد] أو كانت منها، إلا أنها ظلت محافظة على الاسم الأصلي الذي كانت تعتز بانتسابها إليه[1] .. وإن كان خروج طيىء الرئيسية من جنوب جزيرة العرب جاء متأخراً، ... وهذا يعني أن تلك القبائل كانت في الغالب تندرج ضمن القبائل التي كانت تحمل اسم معين، ومعلوم أن اسم معين كان يطلق في الغالب على اسم شعب كامل، والشعب يضم مجموعة قبائل، أكثرها وأقواها هم من يحملون اسم الجميع، وربما يكون هذا الشعب – معين- هم من عاصروا [عاد] ومن ثم خلفوهم، مكانة ومكاناً، ومن قبائل هذا الشعب كانت تلك القبائل التي كان خروجها مبكراً من جنوب جزيرة العرب، وأطلقت على بعضها تلك الصفات كمسميات، لتصبح بعد ذلك وكأنها أنساباً لها، ككنعان وفينيق –الفينيقيون- والعماليق وغيرهم ممن أطلقت عليهم تلك الصفات، بدليل أن بعضاً من تلك القبائل- ذات الخروج المبكر- ظلت محافظة على اسمها الأصلي –معين- في المواقع نفسها التي استقرت بها ومن ثم أطلقت عليهم تلك الصفات ... بدليل – أيضاً – عثور بعض الباحثين على أمة بهذا الاسم – معين – في آثار بين أخبار [ترام سين] في حوالي الألف الرابع الميلادي: [٣٧٥٠ ق.م][2] ... وذكروا – أيضاً –أن وجود هذا الشعب ربما يكون أقدم من ذلك ... أي أن قدومهم (إلى بلاد العراق، قد يكون قبل: [٥٠٠٠ عام ق . م])[3]، ولأن جل مجموعات تلك القبائل كان يندرج تحت مسمى

---

(١) الطبري: / ... ابن خلدون: ، /٢ ... خبار طيىء وأشعارها: ، / ١

(٢) التاريخ العربي القديم – فؤاد حسين: ص: ١

(٣) تاريخ اليمن السياسي ص: ٢٥

معين واستغل أولئك الحاخامات المتعصبون؛ الذين كتبوا التاريخ التوراتي وجعلوه تاريخاً لكل الشعوب التي أدرجوها تحت اسم الشعوب السامية ... ومن ثم راحوا يحرقون ويبدلون في أسماء تلك القبائل وأنسابها ... فمن حلوا في [أكاد] آكاديون ... وهكذا ... ثم انثنوا للقبائل الأخرى وأطلقوا عليها مدلولات الصفات التي اشتهرت بها بين القبائل ... وهكذا ... ثم عمموا ذلك عنهم في كل ما كتبوه؛ لتتقطع مع طول الزمن كل أواصر الصلات ووشائج القربى بين أسماء تلك القبائل وأصولها، سواء التي بقيت بجنوب جزيرتها،أو التي لحقت بأخواتها هناك ... وهكذا حتى أصبح الفرع لا يعرف الأصل الذي اشتق منه ... لتصبح بعد ذلك تلك الفروع والبطون مجموعات شتى ... وكل مجموعة كأنها أمة مستقلة لوحدها؛ مستغلين ذاك التمزق والتشرذم، الذي أثر بدوره على ألسنة تلك المجموعات المتشرنمة؛ فتبلبلت ألسنتها وتشعبت حتى أصبحت كل مجموعة منها لها طرقها الخاصة بها في منطق حروف ألفاظها، واستعمال صيغها وتراكيب جملها؛ فضاعت بذلك هويتها، وتقطعت أواصرها، مما ضاعف من عمق توحد الأمة، وزاد في شتاتها ... لكن ما يؤسف له، هو استسلام الكثير من مؤرخي الأمة لتلك التحريفات والتشويهات المتعمدة، بل ضعفوا وهابوا حتى أن يقولوا عن الخطأ أنه خطأ، وهم يعرفون أنه خطأ ... وليتهم اكتفوا بذلك، بل راحوا يرسخون هذا الواقع المخزي بما أضافوه من تقعيد وتبويب لذلك التحريف، فقطعوا بذلك جل ما بقي من ومضات يمكن عن طريقها الوصول لجلاء ما يمكن تجليته من حقائق التاريخ المشوه ... ورغم كل تلك المحاولات السيئة يظل للخير جنده؛ إذ وجدنا طائفة من المؤرخين الذين أدركوا بفطرتهم السليمة أن الكثير من التاريخ المدون لا يمت لحقائق التاريخ بأية صلة، إلا من حيث تسميته؛ لأن حقائقه قد شوهت وحرفت ... فنذرت نفسها لأن تعمل – ما استطاعت – على تجلية بعض تلك الحقائق المشوهة، ولكنها – للأسف – كانت تصطدم بمعوقات كبيرة تحول بينها وبين الكثير مما تريد أن تصل إليه، ومن تلك العقبات الكؤود؛ أنها كانت تدرك أن الكثير مما حُرِّف كان لأهداف خاصة، كان وراءها من صاغوا هذا التاريخ أنفسهم، وتركوها كحقائق مُسلّمة لا يمكن المساس بها، وعلى نهجهم سار تلاميذهم

الذين تتلمذوا على أيديهم أو على ما رسموه لهم، ومن جاءوا بعدهم، سواء أكانوا من أبناء جلدتهم، أو ممن تشيعوا لهم وتعاطفوا معهم جهلاً بما فعلوا .. ثم إن تحريف أساتذتهم الذين لم يدعوا أصلاً من أصول التاريخ أو فروعه إلا وقد حرفوا فيه وبدلوا كل ما كان يرون أنه يتلاءم وأهدافهم، حتى تاريخ الأنساب والسير لم يسلم من الدس والتشويه، أما التاريخ اللغوي–خصوصاً– فقد كان لهم فيه صولات وجولات؛ إذ لم يبقوا حرفاً ولا لفظاً ولا صيغة ولا تركيباً أو نطقاً، إلا كان لهم فيه هدم وتغيير!... فكيف يقتحم المخلصون هذا الخضم الحالك؟!!! ... أو أن يجازفوا بمصائر أمم قد غدت تراباً؟ ... لذلك قررت تلك الطائفة المخلصة– من أهل التاريخ – أن تلتف على هذا الخضم، وتسلك طرقاً أخرى، علها تصل إلى المواقع التي خرج منها أولئك الراحلون قديماً، من جنوب جزيرة العرب ... لكن هيهات!!.. إذ وجدت أولئك الحاقدين قد وصلت لتلك المواقع، وأخذت في نهشها حرفاً وتنقيباً، وراحت تنهب كلما وصلت إليه أيديهم من نقوش وآثار، ومن ثم راحوا يتلاعبون بها حسب ما تريده أهواؤها ويقوي أهدافها التي سعت إليها من ذلك ما عملوه في النقوش التي وجدوها بجنوب جزيرة العرب؛ إذ أخفوها لفترات طويلة ... قاموا خلالها بدراسة وتمحيص كل تلك النقوش، ودراستها دراسة دقيقة؛ ثم قاموا بإخفاء ما رأوا أن في خروجه قد يصطدم وأهدافهم التي سبق أن خطط لها أسلافهم؛ ثم راحوا يخرجون، ما رأوا أن ما في خروجه خدمة لأهدافهم تلك؛ لكن بعد أن قاموا بتحريف ترجماتها على ما يتفق ورغباتهم غير المعلنة ... أما ما ليس له قيمة لرغباتهم فأخرجوه كما هو لما يحمله من تناقضات سلبية على ما دونوه ... ثم راحوا بعد ذلك يتلاعبون في تواريخ حقائق تلك الأمم وشعوبها ... وتصويرها: إما منفية لا وجود لها، أو أنها موجودة ولكنها مشكوك في وجودها ... أو صياغتها صياغة أسطورية، وهكذا في كل ما كتبوا، بدليل ما سبق أن قلناه عن الكنعانيين والفينيقيين والمعينيين؛ انظر مثلاً لأسماء ملوك دولة معين ماذا عملوا فيها بعد أن سلبوها حوالي أربعة آلاف عام من عمقها الحضاري، لكنهم لم يكتفوا بذلك، بل راحوا يتلاعبون في ترتيب أسماء ملوكهم على حسب ما يريدون لذلك تجد لكل واحد من أولئك الرحالة قائمة يرتب فيها تلك

الأسماء على حسب ما يريدون وعلى حسب هواه وما يخدم الهدف الذي بعث لأجله، لذلك تجد بعضهم يعمل قائمة، لكنه سرعان ما تجده يعيد وضعها؛ لأنها لم تعجب من أرسلوه في مهمته ... [فالبرايت] بعد أن عمل قائمته الأولى، ورد عنه أنه: [...أعاد النظر في قائمته السابقة ...] وراح يجـري عليها تعديلات – حسب مـا أعلـن – على ضوء دراسة صور الكتابات وتغيير أسلوبها بمرور العصور ... ثم انتهى إلى وضع قائمة جديدة تتألف من ثلاث مجموعات[1] ... ثم جاء بعده: (ريكمنس) ووضع قائمة جديدة ... وهكذا كان الأمر مع ملوك حضرموت وسبأ وقتبان وأوسان وغيرهم ... وهذا التحريف والتبديل أصاب الكثير من أولئك المخلصين بالإحباط ... ولكنهم ظلوا يبحثون وينقبون هنا وهناك حتى استطاعوا أن يصلوا إلى أن يجلو الكثير مـن حقائق ما سبق تحريفه ... لكنه للأسف لم يجد من يظهره!!! ... ورغم كل ما قالـه هؤلاء المخلصون إلا أنه لا يساوي شيئاً بالنسبة لما هو مدون من ذلك المحرّف، بل هو كقطع تبر صغيرة نثرت بين أكوام من التراب، لكنها مع ذلك كانت تشد الباحثين كلما لمع بريقها ... ولا أخفى– أخي القارئ –، أنني كنت واحداً من أولئك الباحثين عن الحقيقة إن لم أكن أشدهم ولعاً – وذلك لأسباب كثيرة ... منها أن هذا التـاريخ الذي شوّه وحرّف هو تاريخ كل أمة العرب، وجلاء حقائقه أمر يهـم كـل عربـي ومسلم، ثم الأهم من ذلك أنني واحد من أبناء جنوب جزيرة العرب، وهذا يـدفعني أكثر لمعرفه حقائق تلك الأمم الغابرة، لاسيما وأن جل علماء التاريخ مـن عـرب وعجم يؤكدون أن رحيل تلك الأمم كان من هنا – أي جنوب جزيـرة العـرب –، وهذا ما زاد من حيرتي؛ لأني إن رجعت إلى التاريخ أجد غير ما أجد على الطبيعة – على الأقل –حول ما قالوه عن جنوب جزيرة العرب كتابة .. لاسيما مـن حيـث الألسن والآثار ... لأنك إن جئت إلى المواقع التي قالوا برحيلهم منها، تجد أن ألسنة هذه المواقع تكاد تكون هي نفس ألسنة تلك الأمم الراحلة، لاسيما إن قورنت بما جاء في أكثر نقوشهم، خاصة لهجاتهم الخاصة بهم، التي لا يحبون أن يطلع عليها غيـر

(١) المفصل – جواد علي –: ١٢٤ ١٢٨/٢

أبنائهم ... وهذا يجعلني لا أستبعد أن يكون هذا التقارب والتجانس اللسني والآثاري هو ما دعا الكثير من علماء العربية –عرباً وعجماً–، أن يجعلوا الحميرية لساناً غير عربي، لأنهم تناسوا – بناءً على ما ظنوه عجمة فيهم – أن الحميرية، وقبلها السبئية والحضرمية والقتبانية والمعينية التي وجدت مدونة فيما وجد من نقوش، إنما تمثل هذه الألسن في فترة توحدها، ومثلها ما وجد في نقوش أخواتها التي رحلت عنها إلى شمال جزيرتها، ثم خارجها كبلاد النهرين والشام وفلسطين ومصر ... أما النقوش التي تمثل فترة ما قبل توحدها وتبلبلها فلا أستبعد – إن لم أجزم – أنها تلك النقوش التي أخفوها، بل ولا زالوا – باعترافهم هم – يحتفظون بها إلى الآن ويرفضون حتى ترجمتها، بدليل أن بعض النقوش، التي قالوا بنسبتها لمن سموهم، (باللحيانيين والثموديين، والصفويين)، أنها: "... كتابات لا تفيدهم كثيراً من ناحية الدراسات اللغوية "... لأنها: " كانت كتابات قصيرة في الغالب .. بل قد تكون من كلمة واحدة في بعض الأحيان " ... وكانت في مجملها في أمور شخصية: إما في بيان ملكية شيء ... أو في تعيين قبر ... أي أنها كانت كتابات قبورية[1] .. وهنا نقف عند بعض نقاط مما ورد آنفاً، لاستبيانها .. فإذا سلمنا لهم – مثلاً –أن ما قالوه عن اللحيانيين، هو صحيح .. فكيف نسلم لهم به عن الثموديين والصفويين؟! ... إلا إن كان خروجهم من جنوب جزيرة العرب كان في زمن واحد ومن موقع واحد، أو من مواقع متقاربة، حتى وإن كان خروجهم من مكان واحد، لكنهم لم يقولوا بذلك، لأن زمن خروج اللحيانيين كان غير زمن الثموديين وهكذا..... إذن فكيف اتفق ما وجد عنهم جميعا؛ أن يكون ذا جمل قصيرة ... أو من كلمة واحدة؟، وإذا كانت تلك الكتابات القصيرة لم تفدهم من ناحية الدراسات اللغوية من حيث الغالب إذن فأين بقية الكتابات التي لم تدخل – عندهم –في ذلك الغالب؟ ألا يمكن أن تكون ذات فوائد كبيرة في حقل الدراسات اللغوية؟ هذا هو الصحيح!!.. ثم كيف يكون من بين تلك الجمل القصيرة .. جمل صنفت من جمل الخواطر الإنسانية .. ولا تفيد من ناحية

---

(١) المرجع السابق: ص ٣٨/٨

الدراسات اللغوية؟! ... أليست كتابات الخواطر هي من أهم أنواع الكتابات الأدبية؟ ... حتى في عصور الحضارة، رغم آلاف السنين التي تفصل بيننا وبينهم، ما الذي يحول دون دراستها دراسة لغوية؟ أظن لو أنهم أخرجوا كل ما يخفون من نقوش، ودرست دراسات علمية جادة، لجاءت بالكثير من الحقائق التاريخية، ولأكدت الكثير مما أشار إليه المخلصون على استحياء لعدم توفر مثل تلك النقوش المخفية، ولأكدت - أيضاً -ما سبق أن قلناه عن تلك النقوش التي أخرجوها، أنها كانت لا تمثل إلا تلك الفترات التي تذبذبت فيها ألسن أمم تلك النقوش وتبلبلت، ولاسيما الألسن الجنوبية التي خرجت منها تلك الألسن خارج أرض جزيرة العرب في تلك الفترات المتبلبلة، ولذلك تجد أن خير من كان قديماً يمثل تلك الألسن خارج جزيرة العرب هي الألسن الجنوبية، كما تشهد بذلك نقوشها، وخير من يمثل تلك الألسن الجنوبية قديما تمثيلاً حياً، هي ألسن أحفاد مواقع تلك الأمم الجنوبية الآن، لأنها هي المواقع التي خرج منها أولئك الذين رحلوا خارج جزيرتهم ... ترى لما لم يعطونا دراسات لغوية جادة حتى عن نقوش تلك اللهجات التي توفرت لهم أكثر آثارها وكميات كبيرة من نقوشها؟! ... ألم يقولوا عن الآرامية،- خاصة اللهجات التي أسموها بلهجات الكتلة الغربية-: إنها: " وبالرغم من وفرة الآثار - عنها- لم يستطع المستشرقون إلى الآن أن يضعوا لها كتاباً في قواعد اللهجة -الآرامية القديمة-، يوضح كيف كان النطق بألفاظها، وتصريف أفعالها وأسمائها؛ أن المجموع من تلك الآثار ليس فيه المادة الكافية لوضع نظرية وافية لنطق تلك القبائل ... كذلك لا تكفي تلك الآثار لتكوين فكرة صحيحة عن تاريخ تلك القبائل وحوادثها مع من جاورها من الأمم القديمة[١].

ترى: هل فعلاً لم يستطيعوا فعل ذلك؟ وإذا كانوا فعلاً لم يستطيعوا ذلك؟ لما قاموا بدراسة اللهجات التي أسموها لهجات الكتلة الشرقية؟ أليست هذه اللهجات تدخل تحت مصطلح الآرامية؟ لأن اندراجهما تحت هذا المصطلح يجعل لهجتي الكتلتين لاتختلفان كثيراً ... وإن اختلفتا فلن يؤدي ذلك للفصل الكلي بينهما؛ لأن الجميع

---

(١) ولفنسون: ص ١٠٨ .

آرامي ... إذن فالأمر هو غير ما أشاروا إليه؛ لأنه كان بإمكانهم أن يقوموا بدراسة ما لم يستطيعوا دراسته ... من خلال ما أعلنوا أنهم درسوه، لأن الكتلتين تعودان لأصل واحد ... ألا يعني هذا أن هناك أمراً آخر؟!..، ولو فعلوا ذلك لانكشفت أهدافهم، وفسد مشروعهم الذي انطلقوا لتأسيسه . لأن انطلاقته كانت مبنية أسسها على تلك التقسيمات والمسميات الوهمية التي جعلوها ... وإلا كيف استطاعوا أن يقيموا كل تلك الدراسات الضخمة عن ما أسموها بالعبرية؟!! رغم أنها لهجات من مجموع تلك اللهجات... والسؤال الأهم من ذلك كله هو: لم لم يقم العرب أنفسهم بدراسة تلك الآثار والنقوش؟! لم استسلموا لكل ما قيل لهم؟، رغم أن كل مرجعيات أولئك هي من أرضهم نقلت لكنهم ... خافوا!!! ... ولست أدري ما الذي يخيفهم؟ ... ترى: هل فعلاً لم يرد عن بعض العرب بعض دراسات عن مثل تلك النقوش وما سمي بلغات سامية؟ صحيح كانت هناك دراسات عربية عن ذلك كثيرة لكنها للأسف لم تخرج عن منهج من خططوا ورسموا ودونوا ما أسموه تاريخاً؟ لا أظن أن الأعصر قد خلت من بعض الدراسات الجادة ... إذ لا يعقل أن يكون أكبر مؤرخي جنوب جزيرة العرب في وقته –الهمداني– لا يعرف أن يقرأ ويفسر خطوط المسند، وهو قلم قومه وبلده ... بل لا أستبعد أنه عايش بعضاً ممن كان لهم معرفة بذلك الخط، حتى ممن عاصروا الذين كانوا يعرفون المسند إلى بعد الإسلام، ولكنهم ... – التوراتيون وتلاميذهم – نفوا عن الهمداني معرفته بذلك[1]... وإذا كان الواجب القومي والديني يفرض أن يقوم العرب بدراسة تاريخهم بأنفسهم دون وصاية عليهم من أحد، فالواجب–أيضاً – يحتم أن يكون أبناء جنوب بلاد العرب هم الأولى والأجدر بدراسة هذا التاريخ، وذلك لأسباب كثيرة جداً، منها: أن جنوب جزيرة العرب كانت هي الموطن الأصلي الذي رحل منه كل أولئك الذين سموا بالساميين مع تشابه الكثير مما ينسب إلى تلك القبائل التي سميت بالسامية في مواقعها خارج جزيرتها بما ظل موجوداً في مواقعها نفسها في موطنها الأصلي، سواء كان ذلك في

(١) لهجات القبائل العربية الغربية القديمة: ص ٨٠ – لرابين .

العادات والتقاليد أو في الألسن والكتابات والعبادات وغيرها ... بل وفي الكثير من الآثار التي شيدوها هنا وهناك ... وأمور كثيرة غير هذا تدفع المهتم من المختصين لإعادة النظر في تاريخ هذه الأمة ... ولأني واحد من جنوب بلاد العرب قررت أن أحاول فعل شيء عله يكون بطاقة دعوة لأولئك المختصين من علماء التاريخ لزيارة هذا الجنوب من جديد، عل الفتح يكون على أيديهم في هذه المرة ... لذلك سميت الله تعالى، وانطلقت أبحث صامتاً لعشرين عاماً، كثرت فيها زياراتي الميدانية للكثير من المواقع الجبلية بجنوب جزيرة العرب وحزونها القريبة منها، لا سيما جبال منطقة جازان – التي هي منطقتي –... وقد كانت البدايات لا تزيد عن كونها زيارات استكشافية؛ لأن التركيز فيها كان ينصب على طبيعة كثرة تنوع لهجات أهل هذه المواقع – وقد واجهت صعوبة كبيرة في بداية الأمر، بل لم أصل لما كنت أريده، لأسباب كثيرة جداً، منها أن لهجات هذه المواقع – كما قلت آنفاً – هي كثيرة جداً إذ تجد أن أهل كل موقع لهم لهجتهم الخاصة بهم، التي لا يتحدثون بها إلا فيما بينهم، رغم تقاربهم وتداخلهم، لكن ذلك لا يعني أنهم لا يفهمون بعضهم في الكثير مما يتحدثون به فيما بينهم في أكثر قضاياه التي يشتركون فيها، لكن – أيضاً – تبقى لكل موقع خصوصيته اللسانية ... وهذا ما دفعني أكثر لدراسة ألسن لهجات هذه المواقع؛ لأني وجدت من خلال تتبع هذه اللهجات الكثير من الدلائل التي تؤكد وجود علاقة قوية تربط بين لهجات هذه المواقع بجنوب بلاد العرب، وألسن تلك القبائل التي رحلت منها قديماً .. واستمر الأمر بين التتبع والأمل، حتى كانت تلك الليلة التي زارني فيها أحد أبناء فيفا – أحد المواقع المشار إليها – وهو من المثقفين– وكان يعمل في الصحافة، وفي أثناء جلستنا، طلب مني الهاتف وأخذ يتحدث مع أهله، بلسان لم أفهم ماهيته، لأني لم أفهم حتى الحروف التي يكوّن منها كلمه، لطريقة نطقه لتلك الحروف الغريبة على سمعي من حيث إخراجها من مخارجها، وأحياناً تجده يدمج بعض الحروف مع بعضها ونطقها كأنها حرف واحد حاولت أن أفهم، ولكن دون جدوى ... عندها أخذت أسأل نفسي: ترى هل هذا الرجل يتحدث من العالم الآخر؟ لأني لم أشك لحظة في أن الرجل الذي أمامي يتحدث بلسان من تلك

الألسن التي قيل أنها اندثرت، وإذا كان كذلك فإما أن يكون هو فعلاً يتحدث مع من رحلوا بلسانهم ... أو أن لسانه الذي يتحدث به مع الطرف الآخر هو لسان مبتكر لم نسمع عنه؟ .. فصحت مذهولاً!! .. ثم اندفعت نحو الرجل: ما هذا اللسان الذي تتحدث به؟ أجاب: إنه لسان قومي!!! ... لسان قبائل محافظة جبال فيفا .. اللسان الذي توارثوه كابراً عن كابر ... ولسنا وحدنا في هذا ... بل كل موقع من المواقع التي حولنا تجد أن لقبائله لسانهم الخاص بهم، ... بعدها كثر لقاؤنا، وطلبت منه الرفقة فرحب، فانطلق معي تسجيلاً وزيارة لبعض تلك المواقع، لاسيما مواقع جبال فيفا، ... وفي هذه المرة اختلف المردود الإيجابي لزيارتي لتلك الأماكن عما كان عليه الأمر في المرة الأولى، وذلك لأسباب كثيرة، أهمها وجود من كان يترجم لي تلك اللهجات التي حال عدم فهمها في المرة الأولى عما كنت أريد الوصول إليه، وهذه الإيجابية لا تعني أني فهمت كل مداليل وصيغ وألفاظ لهجات هذه المواقع – فيفا فقط – لأني إن قلت هذا أكون مجانباً للصواب،وإنما أقصد فهمي، إن الباب المغلق الذي كانت تختبيء بداخله لهجات هذا الموقع–فيفا–، قد انفتح قليلاً بوجود هذا المترجم من أهله، وأن انفتاحه زاد من شغفي لانفتاح بقية الأبواب التي تختبيء حوله –أيضاً– بقية المواقع الجبلية الأخرى، وهي كثيرة ومتعددة، ورغم تقاربها مكاناً ونطقاً ونسباً، إلا أنها تبقى محكومة بتلك الخصوصية اللسانية التي سبق أن أشرنا إليها لكل موقع، التي لا يمكن أن يفهمها غير أهل هذا الموقع، وهنا تتجلى عناية الله تعالى – سبحانه – التي دفعتني لهذا البحث من البداية، نعم عناية الله هي التي سخرت لي واحداً من أبناء كل موقع من تلك المواقع، فمثلاً مواقع جبال العبادل، أجد صدفة في أحد الفصول التي أقوم بتدريسها في ثانوية معاذ بن جبل بمدينة جيزان، طالباً من جبال العبادل نفسها .. صحيح أن جبال العبادل تشتمل على عدة مواقع نظراً لتعدد بطونها، إلا أن هذا الطالب كان بمثابة المفتاح الذي فتح لي باب سورها الكبير الذي تنضوي بداخله كل مواقعها، هذا الطالب زودني بالكثير من تفسير مدلولات ألفاظ وصيغ أهل العبادل ، سواء كان ذلك عن طريق تسجيل الحوارات التي يعملها مع المسنين من قبائل تلك المواقع، ثم تفسير هذا الحوار، أو كتابة الكثير

من كلام لهجاتهم على أوراق، وإلى جوارها كتابة معانيها، وكذلك عرفني على الكثير من مشايخ قبائلهم، أما مواقع بني معين وقبائلها والجوابر والغمر فقد تم ذلك عن طريق أحد أبنائهم الذي تعرفت عليه عن طريق أحد أقاربي؛ لأنه يعمل هناك، ... وهكذا كانت الانطلاقة في هذه المرة، كانت مثمرة بكل المقاييس، بدليل أن الكثير من مواقع هذه المنطقة كان مشائخها يرفضون أن يتحدثوا معنا بلهجاتهم الخاصة، بل حتى تسجيلها، لكن الوصول إليها كان عن طريق رجل فاضل كانت له – بعد الله سبحانه تعالى – أيادي بيضاء في مساعدتنا رسمياً في الوصول لما نريد؛ إذ كان يكتب لنا خطابات رسمية لمحافظي تلك المواقع ومراكزها، مما سهل لنا الكثير مما نريد، ذلك الرجل هو الوكيل المساعد لإمارة منطقة جازان ... ورغم طول المدة الميدانية التي استغرقها هذا البحث ... ورغم الثمرة التي حصلت، إلا أن المجهود يبقى صغيراً، وذلك لأسباب كثيرة جداً، منها، أولاً العمل الذي قمت به يبقى محصوراً في نطاقه الضيق . وهو الفردية ... وعمل مثل هذا لا يمكن أن يقوم به واحد أو عشرة أو حتى مائة، لأنه مشروع كبير وهذا يحتاج إلى دفع حكومي، أو دفع مؤسسي وهذا ما لم يتوفر لي لأسباب ليس هنا مكانها، وقولي أنه مشروع كبير: نعم هو مشروع كبير، لأن المنطقة التي كان بها هذا العمل، هي منطقة شاسعة وليست كما أشار بعض المستشرقين المعاصرين، والذي لا أظنه وصل إليها بل ولا سمع عنها لأنه لو وصل إليها لكانت إشارته عنها قد اختلفت عما صرح به، نعم هي إقليم ولكنه شاسع جداً لأنه يمتد داخل الحدود السعودية –في وقتنا الحاضر– شاغلاً مساحة واسعة في كل الجهات، شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، بل تمتد بقيته داخل الحدود اليمنية من كل جهاته، بل لا أبالغ إن قلت إني وجدت لهجات قبائله تمتد لتصل شرق وشمال حضرموت، إلى رمال عالج فحدود عمان، حيث تتواجد أكثر قبائل المهرة وعبر –قديماً وحديثاً– إلى جبال منبه وصعدة ورحبان والهجرة، وضحيان ورازح والنظير... أما الجزء الممتد داخل الحدود السعودية،وهو الجزء الأهم، المعني أكثر بهذه الدراسة الصغيرة، فمواقعه تمتد من فيفا ذات مواقع (وادي جرفا –الجرف) أهم موقع ومراكز طيىء قديماً، فمواقع جبال العبادل ذات مواقع

قبائل جذام ولخم وكهلان، ومواقع العر المشهورة، فمواقع قبائل بني معـين، وهـي المواقع التي ارتحل منها من سموا بالكنعانيين[١] .

ومعلوم أن مواقع بني معين التي انطلقت منها تلك القبائـل التـي سـميت بالكنعانيين، هي مواقع جبلية،وهذا يعني أن تلك القبائل التي رحلت منها قد اتخـذت جهات الغرب طريقاً لها عند رحلتها -كما سبق هذا في مكانـه-، ممـا يعنـي أن هبوطها كان نحو سهول مواقعها المرتفعة وهذا ما أكده ساكنو الكثير من تلك القبائل لهذه السهول قبل أن تواصل سيرها نحو الشمال... وقد كانت هذه السهول -قـديماً- منطقة كبيرة وشاسعة جداً وكانت ذات غابات كثيفة، ووديان جارية -كأنهـا أنهـار لعدم انقطاعها-، وتربتها ذات خصوبة عالية جداً، مما يعني أنهـا كانـت تغـري الباحثين عن الحياة الطيبة بالسكنى والاستقرار ... وكانت هذه المنطقة السهلية يطلق عليها اسم بلاد فرسان قبل أن يحدث الفصل المائي بين ما سمي فيمـا بعـد بقـارة أفريقيا وقارة أسيا -شق البحر الأحمر-، -ويصبح الكثير منها- أي هذه المنطقـة- أرخبيلاً من الجزر وسط هذا الشق البحري وليصبـح اسم فرسان يطلق فقط علـى هذا الأرخبيل فيما بعد،أما ما بقى من هذه المنطقة السهلية فأصبح يـسمى بـأرض وادي جازان، ثم مخلاف جازان، فالمخلاف السليماني، فمنطقة جازان حالياً.

وقد خلّفت تلك القبائل الآتية من الشريط الجبلي لسهولها الكثير من الآثار ولا سيما المقابر الشاسعة ذات القبور العملاقة الضخمة الدالة على أصحابها، سواء كان ذلك داخل الأراضي التي أصبحت من الجزر أو في الجزء الذي بقي خارج المـاء سهولاً ... فالقبور الموجودة في أعالي وادي ضمد لا يستطيع الناظر إليها أن يفرق بينها وبين القبور التي خلفوها في جزء الأرخبيل من -جزر فرسان فيما بعد- بـل جل الآثار الموجودة هنا وهناك هي واحدة مما يؤكد وجود تلك القبائل التي مـرت بهذه المنطقة عند هجرتها واستقرت بها زمناً (ما) ثم أصبحت تعرف بعـد رحيلهـا

---

(١) صدرت لنا دراستان حول هذا الموضوع الأولى: بعنوان جدة والكنعانيون – بفرسـان ... والثانية بعنوان: الكنعانيون معينيون من جازان .

خارج جزيرتها بالقبائل الكنعانية، فهذا ما أكدناه في الدراستين السابقتين عن هذه القبائل[١] . ولا سيما الدراسة الثانية التي زودناها بالكثير من الصور الفوتوغرافية التي تشير للكثير من آثار تلك القبائل، سواء أكانت في مواقعها التي استقرت بها في سهول هذه الجبال كالصور التي تشير لأحد معابدها الضخمة وما يوجد بداخله من نصب ونقوش مهمة جداً، وهناك صور أخرى تشير لمقبرة كبيرة للمدينة الأثرية التي لا تبعد كثيراً عن موقع المعبد، وصور كثيرة تجلي الكثير من غوامض هذا الموقع، مع دراسة موجزة لبعض من تلك النقوش، من حيث اللغة التي كتبت بها لهجتها، مع مقارنتها باللهجات الخاصة بأهل المواقع التي وجدنا بها هذه الآثار والنقوش؛ التي يقول عنها أهل هذه المواقع – الآن – أنهم توارثوها كابراً عن كابر، ولا أحد يعرفها غيرهم ... ومواقع بني معين في هذه المنطقة الجبلية، ليست هي وحدها من ارتبط بتلك القبائل الراحلة، سواء سميت بالكنعانية أو غيرها، بل كل هذه المنطقة الجبلية وسهولها، هي مليئة بالمواقع الشاهدة على الكثير ممن رحلوا منها، سواء بقوا على أسمائهم الأصلية التي كانوا يعرفون بها قبل رحيلهم، أو غيرت إلى أسماء أخرى كما سبق ... كمواقع الجوابرة – بني معين – والحشر والقيوس، وبني حريص، والحروب، والريث وهروب ومنجد وبني مالك، وبلغازي وغيرهم كثير في هذا الشريط الجبلي أو في سهوله ... وهنا قد يأتي من يقول: ترى لم كان تركيزك على أجزاء هذه المنطقة الجنوبية – خاصة – دون سواها من كل أنحاء جنوب جزيرة العرب؟ ... مع العلم أن بعضاً من أسماء المواقع التي ذكرت قد وردت في كتب الكثير من الرحالة المستشرقين الذين طافوا – تقريباً – أكثر أجزاء هذا الجنوب؟... وما دام السائل قد أشار أن بعض ما ذكر من مواقع قد أشير إليها ... فجوابنا سيكون – بإذن الله تعالى – من خلال ما أشار إليه ... وإذا كان جل جنوب جزيرة العرب قد وصل إليه وبحث ... ومنها بعض من مواقع المنطقة التي أشرنا إليها ... فهذا يعني أن ما نسبته تسعين بالمائة مما ذكر لم يبحث ولم يصل إليه أحد

---

(١) الأولى: جدة والكنعانيون بفرسان ... والثانية: الكنعانيون معينيون من جازان .

من أولئك الرحالة؛ لأنه لم يذكر في كتبهم وبحوثهم، بل ظلت هذه المنطقة – بالذات – من أجزاء جنوب جزيرة العرب، بجميع مواقعها عبر التاريخ منطقة معزولة من أن يصل إليها أحد، أو يختلط بأهلها غريب، بل لا أبالغ إن قلت إن أكثر مواقعها إلى قبل عشر سنوات من الآن صعبة المنال إلا لأهلها، حتى أن المعلمين الذين كانوا يوجهون إليها للتدريس بها، كانوا لا يستطيعون الصعود إلى أكثر مواقعها إلا بواسطة حبال تدلى إليهم من أعلى الجبل الذي بين الموقع، ومن ثم يسحبونه إلى أعلاه، كجبال ربوعة والحشر – سابقاً – والجبل الأسود وهذه الصعوبة والمشقة في الوصول إلى أكثر مواقع هذه المنطقة وكذلك عزلتها ساعدت –بعد حفظ الله تعالى– أهلها من أن يصلهم أحد، أو يختلط بهم غرباء، لذلك ظل أهلها محافظين على سلامة وفصاحة ألسنتهم نطقاً للفصيح من العربية الأم، وأيضاً على سلامة نطق لهجاتهم الخاصة بهم، والتي لا يزالون يعتزون بها ويحافظون عليها، ويقولون أنها ألسنة أجدادهم الخاصة، التي بقوا ولا زالوا يتوارثونها كابراً عن كابر؛ لذلك بقيت هذه اللهجات الخاصة صامدة عبر كل تلك الأزمنة الغابرة، وإلى الآن، واستطاعت أن تحافظ على خصائصها النطقية من أي زيغ أو تحريف ... نعم بقيت –لحكمة أرادها الله تعالى– لتبقى شواهد تثبّت حلقات مراحل تاريخ العربية وكل ما كان يشوبها من هبوط وصعود، بقيت– أيضا– لتوضح مراحلها التاريخية التي كانت تنشأ بها بعض انحرافاتها، التي سميت فيما بعد باللهجات، وتثبت أصالة عروبة ألسنة أولئك المهاجرين الذين رحلوا إلى خارج جزيرتهم .. لذلك كانت عزلة مواقع هذه المنطقة، وحفظ الله تعالى لها، من أن يصل إليها أحد من أولئك الرحالة المستشرقين وتلاميذهم، كان خيراً لهذه الأمة – العربية – ولسانها؛ إذ لو وصل إليها أولئك الرحالة؛ لضاعت كل معالم الهوية العربية عن أولئك المهاجرين؛ لكن إرادة الله تعالى غالبة!! ..

أما الأجزاء التي وصلوا إليها فقد كان أغلبها: إما صحراوية كثيفة الرمال، يصعب تعمق مسحها كاملة، عدا بعض أطرافها ... وإما سهلية؛ ملامحها لا توحي – لغير أهلها – بأي فائدة تكون ذات أهمية كبيرة لما يريدونه؛ لذلك كان ما أخذ منها

– جميعاً – ليس ذا قيمة كبيرة؛ لكنهم مع ذلك حرّفوا وبدّلوا فيه حتى جعلوا منه هالة كبيرة لما أرادوا؛ لهذا تكون هذه المنطقة – التي أشرنا إليها – هي ذات جذب شديد لدارسي تأصيل العربية وتاريخها الكبير الذي ظل محتكراً بأيدي أولئك الرحالة يظهرون ما يلائمهم، ويخفون ما يريدون إخفاءه، حسب متطلبات أهدافهم .

ولأهمية هذه المنطقة أسباب كثيرة جداً، سبق أن أشرنا إلى الكثير منها في داخل هذا البحث الذي نقدم له ... وقد أكدنا في مجملها على أن هذه المنطقة؛ هي تلك المنطقة التي أشار إليها بعض المخلصين من كتبة التاريخ – طبعاً دون أن يصلوا إليها – وهم يتحدثون عن وجود روابط قوية بين بعض مواقعها التي أسموا أهلها بالقبائل العربية الغربية؛ وبين القبائل التي ارتحلت منها قديماً، وأسموا أهلها بمثل تلك التسميات ... إلخ، وأكدوا – أيضاً – أن هذه المنطقة هي أقدم منطقة جغرافية قديمة في جنوب جزيرة العرب، يمكن أن تؤكد وحدة ألسن كل تلك القبائل داخل جزيرة العرب وخارجها قبل عصر انفصال العربية الغربية عن بقية اللغات الأخت الأخرى ... بل واعتبروا هذه المنطقة موقعاً مهماً للتوزيع الجغرافي الذي يربط بين الكنعانية والآرامية ربطاً قوياً واضحاً داخل جزيرة العرب وخارجها[١] ...؛ ولأن قبيلة طيء – وجل – بطونها كانت قبل أن تهاجر إلى شمال جزيرة العرب وخارجها تتخذ من هذه المنطقة موقعاً رئيسياً لسكناها الذي تفرعت منه في شتى أنحاء جنوب جزيرة العرب، حيث وصلت حتى حضرموت وما حولها[٢] ... ورأينا المستشرق " رابين " ومجموعته يقولون: إن " ذو " اسم موصول في الطائية؛ يربط ربطاً قوياً بين هذه اللهجة وبين عنصر أساسي واحد على الأقل من العناصر الأساسية في العبرية .. ولما كانت " زوو" العبرية بقية قديمة لا تستعمل إلا في لغة الشعر ؛ فإنه من الممكن، أن تشتق من جهة غير كنعانية[٣] ... وهذا يعني: " أن

---

(١) اللهجات العربية الغربية القديمة – رابين -: ص ٣٥٩ / ....

(٢) أخبار طيء وأشعارها ..... / ١

(٣) اللهجات العربية الغربية القديمة – رابين -: ص ٣٥٩

تكون راجعة إلى ما قبل عصر انفصال العربية الغربية عن بقية أخواتها[١] ... ومعلوم أن قبيلة طيء هي من أكبر وأقدم قبائل المنطقة الغربية بجنوب جزيرة العرب وأقدمها، وهذا يدل أن هذه المنطقة هي – أيضاً – من أهم المناطق التي يجب أن يكون التركيز عليها في دراسة التاريخ اللغوي للغة العربية، وخاصة الجزء الغائب – المفقود– في هذا الجانب... خاصة إذا علمنا أن قبائل أزد شنوءة كانت – أيضاً – تسكن هذه المنطقة، وأن رحيلها منها كان قبل رحيل قبائل طيء، بل إن رحيل الأزديين منها كان السبب الرئيسي الذي دعا لرحيل طيء منها لاستوحاشها بعد رحيل طيء[٢] ... وإذا كانت قبائل الأزد – شنوءة – وأزد السراة كانت تشكل مكانة كبيرة في هذه المنطقة؛ فهذا يعني أنها كانت ذات أهمية كبيرة في تشكيل اللسان العربي القديم لهذه المنطقة إلى جانب بقية ألسنة أخواتها من قبائل هذه المنطقة؛ كطيء ولخم وجذام وسهار وقضاعة، وغيرها من القبائل الأخرى، وهذه الأقدمية لهذه القبائل جميعاً، جعلت الكثير من المستشرقين: " يعتبرون لهجة الأزد أنها كانت ممثلة لمرحلة أقدم مما هو متداول بين علماء تاريخ اللغة[٣] ولذلك نراهم يربطون ما سبق أن اعتبروه يمثل الطبقة التحتية للعربية الأقدم ... والمشخص في اللهجة النبطية، ولغة الملك أمرىء القيس المدونة في نقش النمارة؛ هو بقية من اللهجات العربية الأقدم، شأنها في ذلك شأن لغة الثموديين الذين كتبوا نقش الحجر . وهذا ما يجعلنا نستنتج أن خصائصها – أي لهجة الأزد – تعود للعربية الأقدم[٤] ... وربط خصائص لهجة الأزد بلهجة الثموديين وجعلهما يمثلان العربية الأقدم يعطينا معطيات كثيرة جداً ... منها: أهمية هذه المنطقة من حيث جعلها ميداناً لإعادة دراسة الكثير من نظيرات العربية وتاريخها اللغوي، وكل ما يرتبط بذلك ... دراسة نشأة اللهجات في اللسان العربي، ومصدرها الرئيسي ... تأكيد ما ذهبنا إليه في جعل لهجات هذه المنطقة: هي الحلقة المفقودة في امتداد عربية اللغات السامية – اللهجات السامية –، وجعلها لهجات ترتبط بلهجات هذه المنطقة، وأنها رحلت من هذه المنطقة

---

(١) المرجع السابق .

(٢) ابن خلدون: ، / ٢

(٣) اللهجات العربية الغربية – رابين – ص ١١١ .

(٤) اللهجات العربية الغربية القديمة – رابين –: ص ١١١ .

في الفترة –الفترات– التي تردى فيها اللسان العربي، وأخذ يتبلبل ويتشعب إلى عدة ألسن – لهجات– بسبب التوحد الذي أصاب الأمة العربية، ويؤكد – أيضاً – رأي من يذهب إلى أن الثموديين رحلوا من جنوب جزيرة العرب، ولكنهم اختلفوا في تحديد الموقع الذي رحلوا منه في جنوب الجزيرة العربية، ولذلك نجد (ولفنسون) لا يستقر على رأي محدد حول منطلقهم؛ فحيناً يذهب إلى أن مواطن قوم ثمود كانت في جنوب مكة إلى تهامة عسير، في المنطقة التي أطلق عليها [بعطان] ... وحيناً آخر يقول: يحتمل أنهم من اليمن؛ لأن اليمن كانت الموطن الأصلي لكثير من القبائل العربية التي رحلت شمال الجزيرة وخارجها، كبني [معين] و [كندة] و [الخزرج]، ... وفي الأخير يحسم أمره فيقول: (والذي نلاحظه أن الثموديين في حركاتهم وتنقلاتهم كانوا دائماً يتجهون من الجنوب إلى الشمال ... فقد نزحوا من عسير إلى الحجاز، ثم من جنوب الحجاز إلى مواطن بني لحيان ... فيظهر من هذا أن موطنهم الأصلي هو عسير)(١) ... والحقيقة لو أن (ولفنسون) كان قد زار المنطقة الجنوبية لجنوب جزيرة العرب، لما تردد في تحديد موطنهم الأصلي؛ لأن الجزء الذي يقع في الجنوب الغربي من عسير؛ هو جزء خارج حدود عسير، وإن كان يلتصق بحدوده الغربية لأنه جزء من المنطقة التي نتحدث عنها؛ فجبل بني مالك هو أحد أهم مواقع هذه المنطقة – المتحدث عنها – من جهتها الشرقية، أي الجهة المواجهة لحدودها –هذه المنطقة– مع عسير، أما جهته الغربية فتسكنه قبائل بني مالك، وعلى هذا تكون قبائل ثمود كانت قد رحلت من أجزاء هذه المنطقة بالذات؛ لأسباب كثيرة جداً منها مثلاً: أن الكثير من خصائص القلم الثمودي واللحياني وما سمي بالصفوي هي نفس خصائص الأقلام التي وجدت منقوشة – الآن – في أسفل مواقع جبال بني مالك وجبال فيفا، ولم يُشار إلى مثل هذا في الجزء المسمى بعسير ... ومن خلال توافق خصائص تلك النقوش التي دونت بها، والنقوش التي نسبت إلى أولئك الثموديين وإخوتهم داخل جزيرة العرب أو خارجها: وجدنا أن من دونوا بتلك النقوش – داخل جزيرة العرب وخارجها – كانوا يعرّفون نكراتهم [بالهاء]؛ ووجدنا – القبائل التي تسكن – الآن – في المواقع التي نسبت لسكنى من سموا بالثموديين، لا زالوا يعرِّفون [بالهاء]، ومنهم –مثلاً– بني حريص والحروب، وبعضاً

---

(١) ولفنسون: ص ١٥٢ – ١٥٤

ممن حولهم؛ فجملة [هذه الدار لمحمد] ينطقونها هكذا: [هدار لمحمد] وكلمة [الملك] ينطقونها [هملك] .

وإذا كان الثموديون – كما يشير ولفنسون – قد استقروا في المنطقة التي استقر بها من سموا باللحيانيين في شمال الحجاز وخارج جزيرة العرب؛ أفلا يدل ذلك على قوة الترابط النسبي والمكاني والروحي؟ ألا يدل على وحدة المكان الذي كانوا يسكنونه في جنوب جزيرة العرب، وهي التي قادت الثموديين واللحيانيين لوحدة السكنى شمال الجزيرة وخارجها، بدليل وحدة اللسان والقلم ... وإلا لم اختار الثموديون سكنى مواقع اللحيانيين خاصة؛ لأن قوة الرابطة النفسية؛ تعني قوة – قدم– الوحدة المكانية؛ بدليل وجود تشابه خصائص الوحدة القلمية لكل هذه الجماعات القبلية[1] ... وتشابه خصائص أقلام هذه المجموعات القبلية في كل الأماكن التي تنقلوا بينها هو عين ما وجدناه في مواقع هذه المنطقة التي نتحدث عنها في جنوب جزيرة العرب – خاصة مواقع القبائل الذين وسموا لسانهم بالعربية الغربية – خصوصاً الجزء الجبلي منها، ... فالنقوش – التي سميت – اللحيانية والثمودية والصفوية؛ قالوا عنها: إن بها صعوبات تواجه قارئها: " ... فكلمة "بت" – مثلاً –قد تقرأ بأوجه متعددة ... كأن تقرأ: بيت وبات و كلمة: "زد": هي زيد ... وكلمة " بنت " تجدها تكتب بدون "نون"[2] ... (والتاء) المربوطة، تكتب دائماً (تاء) مفتوحة ... مثل: "سنة " في (سنت) ... و"عمرت" في "عمرة"[3] ... وكل هذه الكتابات وغيرها نجدها بعينها فيما هو موجود من نقوش حول جبال فيفا وبني مالك وبني معين من هذه المنطقة، بل مما يزيد هذا الأمر تأكيداً أن هذه الخصائص: – القلمية – نجدها بعينها في نطق قبائل هذه المنطقة إلى الآن ... وتوافق خصائص اللهجات التي كتبت بها تلك الأقلام؛ مع [ما] وجد من نقوش في المنطقة المقصودة، ومع نطق أهلها الآن يؤكد تواجد أهل تلك النقوش قديماً بهذه المنطقة قبل هجرتهم؛ بدليل توافق

---

(١) المفصل – جواد علي –: ٨/٢٢١ ... ٢١١ – ٨/٢١٢ .

(٢) غويدي: ص ٤ .

(٣) المفصل ....: ٢١٩، ٢٢١، ٢٣٥، ٢٣٦، ٨/٢٣٧

ضمائر الخطاب والغيبة والتكلم وغيرها، منفصلة ومتصلة[1] في لهجات هذه المنطقة مع ما قيل بكنعنته ولحينته وثموديته قديماً ... حتى في الكثير من الألفاظ – كما هو موجود داخل البحث – التي وجدناها تتفق نطقاً وكتابةً مع الكثير من ألفاظ تلك اللهجات، فكلمة " ماء " نجدها في النقوش الثمودية مكتوبة هكذا: " مو " ... وهذا النطق " مو " لكلمة [ماء] في الثمودية، نجده بعينه – الآن – في لهجات بعض البطون من اللغوب من قبائل جبال العبادل؛ يقولوا لكلمة (ماء) "مو"، في حين نجد آخرين من البطون الأخرى ينطقون كلمة: [ماء] هكذا: "ماو"[2] ... وليس هذا فحسب؛ بل هناك أمر آخر – مهم جداً – نجده في هذه المنطقة، ونجده أيضاً – في الثمودية – خصوصاً – كما سبق أن وجدناه في لهجات بني معين – والمعينيين عموماً – الذين أسموهم بالكنعانيين وغيرهم؛ ألا وهو: " فن الاختزال " .... وإذا كنا قد تحدثنا عن هذا الفن بإسهاب في داخل هذا البحث، وفي كتابنا الآخر [الكنعانيون معينيون من جازان] ... وهنا سنضيف – بعضاً – مما قاله التاريخ اللغوي من خصائص اللهجة الثمودية؛ من ذلك قولهم: " ... ونجد الكتابات الثمودية تحذف بعض حروف الكلمات – أحياناً – وتختزلها؛ كما في كلمة [ابن] التي يشيرون إليها بحرف [الباء .. ب ...] فقط ... وتختزل حرفي: [الألف ... والنون ..] وتكتفي [بالباء] .. وكتابة حرف [ل] تعني في نقوشهم – مثلاً –: [لنا] أو [لي] .. و [ب] تعني – أيضاً – [بني] .. أي – أنهم يقطعون الضمير اللاحق بحرف الجر في بعض الأحيان[3].

وهذا النوع من الحذف والاستقطاع والإبدال، ثم الاختزال في نقوش الثموديين، التي تمثل ألسن من نقشوها فيمن سموا بالثموديين؛ هو ما نجده شاخصاً بعينه في لهجات منطقتنا التي نتحدث عنها؛ بل ونجد له أنواعاً كثيرة .. ففي بعض مواقع جبال فيفاء، وهي من المواقع المهمة في هذه المنطقة؛ نجد الكثير من أهلها –

---

(١) تفصيل هذا نجده داخل البحث .

(٢) محمد قاسم اللغبي العبدلي / أحمد أبناء وجبال العبادل .

(٣) المفصل – جواد علي –: ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧ / ٨ .

إلى الآن – تعاف بعض الحروف، فتبدلها بحروف أخرى، ثم تختزل ما بعدها –أو ما قبلها– في حرف واحد أو حرفين؛ لذلك نجدهم يُحِلّون: [الباء] محل الهمزة في بعض الضمائر المنفصلة؛ للدلالة على التأكيد، بدل استعمال "إنّ" ... فجملة: [إنني راجع] – مثلاً – يختزلونها في قولهم: "بنا"، جواباً لجملة [هل أنت راجع؟] فتكون الإجابة [بنا] ... وجملة: [إنهم كرماء]، يختزلونها في قولهم: [بهم] ... وجملة: [إنها جميلة] في قولهم – أيضاً –[بها][١]...

أما جهات بني معين [الجوابرة] وبني حريص، نجدهم يختزلون – مثلاً – جملة[من هو أبوك؟] في قولهم: [لَنّك ابن] .. وتجد بالقرب منهم مواقع الغمريين ينطقون الجملة السابقة هكذا: [مِنّك عَيْهَو][٢]...

وإذا كان اللحيانيون والثموديون، كانوا ينطقون كلمة [بيت]: [بت][٣] .. فقد وجدنا في النقوش المكتوبة على صخور الكثير من مواقع هذه المنطقة – التي نتحدث عنها – هذا النطق نفسه [بت] في هذه النقوش القديمة، بل وجدناه – الآن– في نطق الكثير من أهل هذه المواقع، لا سيما في لهجات مواقع الغمريين، ومواقع بني معين – الجوابرة – ومواقع العبادل، خاصة اللغويين[٤] ... وهذا لا يعني أن حرف [الياء] محذوف من الكلمة، أو هو غير موجود في أصل النطق، بل هو موجود؛ لأن الحقيقة تقول – أي حقيقة لهجات هذه المواقع – إن حرف [الياء] موجود في الكلمة وفي نطقها؛ لكنه مدغوم مدمج بين حرفي: [الباء.. والتاء..]، وسرعة النطق التي يمتاز بها نطق أهل هذه المواقع؛ هو ما يجعل السامع لا يستطيع أن يميز سماعها عند نطق المتكلم؛ وهذا الدمغ والدمج لبعض الحروف عند النطق

---

(١) لهجات فيفا – مخطوط – محمد الفيفي: ص ٨٨ – ٨٩ .

(٢) مقابلة شخصية مع الشيخ / علي بن يحي بن جابر اللغبي العبدلي / أحد مشايخ جبال العبادل.

(٣) المفصل – جواد علي – ٨/٢٩

(٤) تسجيل أحمد الجابري: أحد أبناء الجوابرة بني معني، والشيخ علي بن يحي اللغبي العبدلي.

تجده في الكثير من كلام أهل هذه المواقع؛ قديماً وحديثاً، فكلمة [سنبلة] هي في نطقهم السريع: [سبلة]، وكلمة [عنب] هي: [عِبْ] وكلمة: [أنف .. وأنفس ...] هـي: [أفْ ... وأفّس ...]، وهذا ما سبق أن تحدثنا عنه – داخل هذا البحث – حول نطق ضمير الخطاب في هذه المواقع؛ لا سيما مواقع الريث وهروب والحشر ومنجد وجل المواقع التي تقع حولها، تجدهم ينطقون ضمير الخطاب: [أنت] نطقاً مدغماً مدمجاً، أي أنهم يدغمون حرف: [النون] عند النطق، بحيث تدمج حرف النون بين [الهمزة والتاء]، فيتبادر إلى ذهن السامع أن المتحدث نطقها هكذا: [أتّ] بالتشديد، في حين نجد بعضهم ينطقونها النطق نفسه: [أت] ولكن بدون تشديد، مع أن الكثير من بطون قبائلهم ينطونها نطقاً سليماً، مما يؤكد أن هذه النون موجودة في الكلمة وليست محذوفة – لاسيما في فيفا منها؛ وإنما سرعة النطق هي التي أدت إلى عدم سماعها، وهذا يجعلني أقول إن طريقة هذا النطق هي التي أدت إلى عدم سماعها، وهذا يجعلني أقول إن طريقة هذا النطق لبعض الحروف في كلام أهل هذه المنطقة، سواء من رحلوا منهم قديماً وسموا بتلك التسميات؛ كالأكاديين والكنعانيين، أو اللحيانيين والثموديين وغيرهم، أو من بقوا منهم في مواقعهم قديماً، أو في نطق أحفادهم الذين تعاقبوا منهم إلى الآن في هذه المواقع، هذه الطريقة يمكننا أن نجعلها قاعدة لنطق كل حرف [نون أو باء] ساكنة تقع بين حرفين متحركين كما سبق (وكبنت) – التي تنطق في هذه المواقع: [بت] بدون نون ... بل – أظنها – كانت قاعدة في أكثر اللهجات التي نقشت بقلم المسند قديماً، سواء كانوا يسمون بالمعنيين أو السبئيين أو الأوسانيين، أو القتبانيين، أو الحميريين، أو من رحلوا وسموا بتلك التسميات السابقة ... وأظن – أيضاً – أن التاريخ اللغوي قد أشار إلى مثل هذا عند الحديث عن أقلام المسند بقوله: [وقد يتحد حرف النون الساكن مع الحرف الذي يليه فلا يظهر في الكتابة ... ففي كلمة: [بنت] أسقط – أدمج – الكتاب حرف [النون] من الكلمة، واكتفوا بهذا الشكل [بت][1] ... وقد نعذر من قال وكتب هذا الكلام؛ لبعده عن ألسنة

---

(١) المفصل – جواد علي – ٢١٨، ٨/٢١٩ .

من تعاقبوا من تلك القبائل في مواقعهم الأصلية بجنوب جزيرة العرب ، والحقيقة هي ما سبق آنفاً أن أشرنا إليه، من خلال تسجيل الكثير من المحادثات التي كنا نجريها مع أهل هذه المواقع،... أما لم كتبت بهذا النطق؟؛ فلأننا نعلم أن الذين كانوا ينقشون –يكتبون– بالمسند، كانوا يكتبون ما ينطقون في تلك الأزمنة الغابرة، الذي استمر يتناقل في ألسنة – لهجات– قبائل هذه المواقع كابراً عن كابر، كما يقول أهل هذه المواقع أنفسهم –الآن– ولازالوا ينطقون ذلك النطق إلى الآن وهذه كلها من الأمور التي تؤكد –إضافة لما سبق– أن تلك القبائل التي كانت تكتب نقوشها بهذه اللهجات كانت قبل رحيلها إلى خارج جزيرتها بهذه المواقع في هذه المنطقة، بدليل أن التاريخ القديم يقول إن المنطقة التي تواجدت بها فيما بعد قبائل من همدان، وقد وجدت نصوص قديمة تشير إلى أن هناك قبيلة كانت تعرف: [بدن ... دادان ... ددان ... وكانت تسكن بمدينة: [أكانط][1] ... وإذا كانت نقوش هذه المنطقة القديمة تشير إلى أن هناك قبيلة كانت تعرف باسم [بدون] أو [ددان] ... أفلا يؤكد هذا أن تلك المملكة التي أقامت حضارة في شمال جزيرة العرب في منطقة [العلا] باسم مملكة [ددان] أي باسم القبيلة التي رحلت من مدينة [أكانط] بجنوب جزيرة العرب، ومعلوم أن تلك المملكة – مملكة ددان – كان أهلها من مجموعة القبائل التي كانت تدعى بقبائل لحيان ... وإذا كانت قبيلة [ددان] من مجموعة القبائل اللحيانية نفسها؛ وأنها كانت قبل رحيلها تسكن بهذه المنطقة؛ إذن فمجموعة القبائل اللحيانية كانت تسكن بهذه المنطقة قبل رحيلها، شأنها في هذا شأن القبائل الثمودية، بدليل ما نجده من تشابه كبير في جوانب الحياة التي كانت تسلكها تلك القبائل في مواقع سكنها في شمال جزيرة العرب أو خارجها مع مواقعها التي رحلت منها بجنوب جزيرتها، غير توافقهم في النطق اللساني، كتشابههم في الحياة السكنية والمعمارية؛ من حيث طرق بناء المنازل، وتقسيم طبيعة البناء المتوائم مع طبيعة حياتهم الاجتماعية ... فإذا كان التاريخ قديماً وحديثاً قد حدثنا عن العرب الذين استقروا في شمال جزيرة العرب،

---

(١) المفصل – جواد علي – ٨/٤٠

وبلاد النهرين والشام وفلسطين، وخصوصاً من سموا باللحيانيين والثموديين والصفويين، كانوا يجعلون غرف الطابق الأرضي من قصورهم لتخزين الميرة وكل ما يختص بشئون المعيشة ... وكذلك ماشيتهم وكل ما يختص بها؛ ولحفظ كل ما يختص بشئون الزراعة وأدواتها ... أما الطابق الثاني فيتخذ مسكناً لأهل القصر أنفسهم .. وفي الأعلى يجعلون منافذ صغيرة يتمترسون وراءها أثناء الحروب(١)

... وهذا الوصف التاريخي لتقسيمات بيوت من استقروا بشمال جزيرة العرب وخارجها، هذا الوصف المعماري نجده بعينه في المنطقة المتحدث عنها إلى الآن؛ بل في أكثر مواقع جنوب جزيرة العرب ... ففي بيوتهم القديمة نجد –مثلاً–: [...أن الطابق الأول يكون لشؤون المعيشة وبعض لوازم الفلاح وأدواته الزراعية، والماشية ... أما الطابق الثاني فهو –كان– لاجتماع الأسرة واستقبال الضيوف(٢) ... وليست قبائل لحيان وثمود هم وحدهم من رحل من هذه المنطقة، بل هناك الكثير من القبائل رحلت من هنا، سبق أن أشرنا إليها سواء كان ذلك في هذه المقدمة: أو في داخل هذا البحث الذي نقدم له؛ لأن هناك قبائل كبيرة لازال ذكرها يتردد في هذه المنطقة؛ سواء كان ذلك من حيث المواقع التي لا زالت تحمل الكثير مما يرتبط بذكرها، أو من خلال البطون والفروع التي ظلت تتعاقب وتتكاثر حتى أصبحت قبائل كبيرة تحمل أسماء أجدادها الأُول الذين رحلوا قبل التاريخ أو بعده إلى خارج جزيرتهم العربية، وظلت ألسنتهم حلقة وصل بين من سبقوهم إلى هناك، وبين من بقي بمواطنهم الأصلية بجنوب جزيرة العرب، كقبيلة جذام ذات التأثير الكبير في القبائل العربية خارج جزيرتها؛ هذه القبيلة –جذام– نجد لها بطوناً أصبحت قبائل كبيرة تحتل عدة مواقع – بمنطقتنا التي نتحدث عنها –من جبال العبادل التي ظل أهلها يتشبثون بألسنة أجدادهم الأُول؛ أي ألسنة الأقوام الذين يمثلون الفترة الأولى لبداية التوحد اللغوي الذي أصاب لسانهم الأصيل، في تلك الفترة، فترة التشرد والتمزق

---

(١) المفصل – جواد علي – ٨/٣٥ .

(٢) لهجات فيفا – محمد الفيفي – مخطوط .

لأمة العرب، فترة البدايات الأولى لميلاد تـردي اللسان العربـي وتمزقـه إلـى مجموعات لهجية؛ كل مجموعة لها لسانها الخاص الذي يمثلها، إنهـا فتـرة مـيلاد لهجات اللسان العربي؛ تلك اللهجات التي رحلت مع مجموعاتها المتمزقـة خـارج جزيرتها، لتصبح مع الزمن وتباعدها عن أصولها، وعن بعضها؛ كأنها لغات أمـم مختلفة عن بعضها، لا يجمعها جنس واحد، ولا تربطها روابط الدم واللسان الواحد، بل هذا هو واقعها الذي عرفت به في كتب تاريخ أعدائها – للأسف – ... وليست قبيلة جذام وحدها في هذا، بل هناك قبائل أخرى كسحار وجماعة والحروب وغيرهم كثيرة كقضاعة التي امتدت فروعها من بطن مواقع هذه المنطقة حتى قرب المهـرة وليس هذا فحسب، بل نجد بهذه المنطقة الكثير من أسماء المدن والقُبُل – القبائـل- التي نجد أهل التاريخ لا يعرفون عنها من أين جاءت من جنوب جزيـرة العـرب، كقبائل يرسم – مرسم – وسمعي التي تعودان لقبائل خولان الهمدانية؛ ومعلـوم أن هذه المنطقة –التي نتحدث عنها– هي من أهم مراكز خولان همدان، فالمدينة التـي وردت في كتب التاريخ باسم: [خيوان] وأشاروا إلى تحديد موقعها بجنوب جزيـرة العرب؛ نجد من خلال الوصف الذي وصفوا به موقع تلك المدينة؛ نجد أنه لا يخرج عن طبيعة أرض المنطقة التي نتحدث عنها وجعلناها ميداناً لبحثنا هذا ... بدليل أن بهذه المنطقة – إلى الآن – مدينة تعرف باسم مدينة [خيران] ... ورب قائل يقـول: إن المدينة التي جاءت في كتب التاريخ كانت تعرف باسم [خيوان] وما أشرت إليهـا هي: [خيران]، أي أن الحرف الثالث باسم تلك المدينة هو: [الواو] والثانيـة حرفهـا الثالث هو: (الراء)، وهناك فرق بين الحرفين ... فكيف توفق بين ذلك؟... وجوابي: لا أستبعد أن هناك تحريفاً قد وقع من قبل النساخ ولم يتنبه له أحد لبعد هذه المنطقة عن المؤرخين أنفسهم ... فكيف بأمر أولئك النساخ الذين لا يعرفون شيئاً غير النسخ .. هذه ناحية .. وهناك ناحية ثانية تتمحور فيمن نقل عنه رواة التاريخ اسـم تلـك المدينة، إذ ربما الذي نقل عنه الرواة كان لسانه – لهجته – تنطق حـرف [الـراء] [واواً]، وهذا كثير في بعض مواقع هذه المنطقة: نتيجة سرعة النطق ... إلخ وعلى حسب ما سمعت عنه دونته ....، وهذا كثير جداً، بل قد أشار التاريخ إلى مثل هـذا

التبديل في ألسنة الكثير من القبائل التي رحلت من هذه المنطقة قديماً، وربما كان العكس؛ أي أن الأصل هو [الراء] – [خيران] والنساخ عكسوا ذلك ... بدليل أن في هذه المنطقة – وإلى الآن – مدينتان تعرفان بهذه التسمية –خيران–، والثالثة موجودة داخل جنوب اليمن بهذه التسمية نفسها... كذلك مدينة [خيابة] التي أشار إليها التاريخ بأنها في جنوب جزيرة العرب، ولم يحدد مكاناها؛ هي في الحقيقة مدينة [الخوية] والتي تقع في حزون هذه المنطقة –أي أسفل جبل رازح – داخل الحدود السعودية، والأخرى على ساحل البحر الأحمر التابع لهذه المنطقة – داخل حدود اليمن، وتلاحظ أنها تنطق الآن – الخوبة – بالواو –، وأوردها التاريخ –خيابة– بالياء والألف، وهذا لا يعني – عندي – أن هناك اختلافاً بين الاسمين أدى إلى اختلاف المسميين؛ لأن قلب [الواو] إلى [ياء] موجود في لسان العرب وبكثرة، وهذا يعني أن النساخ هم من فعل ذلك حسب نطقهم اللساني، ولذلك أسباب كثيرة من أهمها: أن هذه المنطقة لم تلق أي عناية من قبل الرحالة والمؤرخين القدماء، لأسباب سبقت الإشارة إليها... أضف إلى ذلك أن المتأخرين من أهل التاريخ كانوا –ولا زالوا– يسيرون على الخطى نفسها التي رسمها لهم من سبقوهم، والمصيبة أن مؤرخي العرب قديماً وحديثاً – ترسموا خطاهم ولم يحيدوا عنها، وكان المأمل أن يأتوا بالجديد الذي يدحض كل الافتراءات التي دست في التاريخ العربي والإسلامي؛ لأنهم هم أصحاب هذا التاريخ والمعنيون به أكثر من غيرهم بل كان من المفترض بهم أن يكونوا هم من جمع نقوشها وهم من قاموا بقراءتها لا أن ينتظروا من يأتيهم بتاريخهم محرفاً. لكن للأسف ظلوا اتكاليين حتى أصبحوا لا يعرفون من هم؟ ... وما تاريخهم؟ إلا من خلال من شوهوا وحرفوا تاريخهم، بل لا أبالغ إن قلت إن الكثير ممن نالوا درجات علمية في علم التاريخ من أبناء هذه الأمة لا يعرفون عن هذه المنطقة – المتحدث عنها – بجنوب جزيرة العرب – أي علم – وكان المأمل أن يكونوا هم أدرى وأعلم الناس بها من غيرهم؛ لأنها أرض عربية، وهم عرب، تحتضن الكثير الكثير من الأسرار التاريخية واللسانية والنقوشية والآثارية لأقدم فترات – حتى – ما قبل التاريخ وبعده، بل قد يكون ما يوجد بها لا يوجد بغيرها، حتى وإن وجد فلن يكون

في مستوى ما بها، من تنوع لهجي وتنوع نقشي وكثرة معالم آثارها، وكثرة مدنها التاريخية القديمة جداً؛ بل في كثرة المقابر التاريخية المنتشرة منذ القدم، حول مدنها التاريخية الشاخصة المتلهفة لمن يزورها ... إنها تنتظر قدوم المختصين الذين يزيحون عنها غبارها، وينقبون عن آثارها ... فهل من مجيب؟! ... ولكن أني ذلك لمن نال تلك الدرجات العلمية ممن لا يعرف عن هذه المنطقة شيئاً!!. .

وهنا أعود وأقول إن في هذه البيئة الخصبة ... وجدت الكثير من الأدلة والبراهين التي إن لقيت العناية القوية من المختصين سيكون لها شأن كبير جداً؛ شأن قد يدفع كتبة التاريخ لإعادة صياغة نظريات التاريخ من جديد ... فياليت قومي يسمعون!!..

ومن خلال زياراتي الميدانية وترددي على مواقع هذه المنطقة الجميلة، التي استمرت عشرون عاماً؛ وما عانيت خلالها من صعوبات ومصاعب خطيرة واجهتني خلال تلك الزيارات الميدانية؛ سواء أكانت في وعورة الطرق الموصلة لتلك المواقع التي كنت – في كثير منها – لا أتوقع رجوعي إلى أسرتي سالماً؛ وإما لارتفاع الموقع المراد ارتفاعاً قد يكون خيالياً ؛ إضافة لضيق الخط الموصل إليه ورداءته وخطورته ... وإما لصعوبة التحدث مع أهلها لعدم فهمنا لكلامهم؛ عند حديثهم لاختلاف طريقة نطقهم سرعة ودمجاً أو دمغاً كما سبق أن أشرنا، بل قد نجد أن لكل موقع منها طرقه الخاصة لنطق لهجته، لكنهم يفهمون بعضهم مهما كانت درجات الاختلاف في النطق بينهم؛ لكن التوفيق كان أكبر، بتذليله كل تلك الصعاب، حينما هيأ لنا الكثير من أبناء تلك المواقع – خاصة المتعلمين منهم– لمرافقتنا، فكانوا نعم المرشدين، ترجمة، وإرشاداً، وتعريفاً، ومن تلك الصعوبات التي واجهتني وأرهقتني كثيراً، هي الصعوبات المادية؛ لأن مثل هذه المشاريع الكبيرة جداً لا يقوم بها إلا الحكومات الموسرة، والمؤسسات الأهلية ذات الدخل الكبير، أما الأفراد فلا يمكن أن يقوموا بذلك؛ قد لا يصدق أخي القارىء أني كنت أستدين على راتبي في الكثير من المرات، فقد كنت أعطي من يسجل لي شريطاً من لهجة قومه جهاز التسجيل الذي يسجل عليه ومكافأة، إلى جانب نفقات التنقلات والزيارات الميدانية، أما التعب والإرهاق الجسدي والذهني وما رافقه من معاناة خلال هذه المدة الطويلة ... ومع ذلك استطعنا أن نجمع الكثير، ولكن لم أقدم منه إلا القليل كبطاقة دعوة مني

للمختصين عسى ان تدعوهم وترغبهم للمجيء إلى هذه المنطقة وفتح كنوزها، وأنا على أتم الاستعداد لتقديم كل ما لدي من معلومات وخبرات، بل ومرافقتهم في كل زياراتهم الميدانية التي قد يحتاجونها لمواقع هذه المنطقة، وبدون أي مقابل، وأشهد الله -تعالى- على ذلك ...

والله التوفيق والعون والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

الباحث

عبد الرحمن محمد يحيى الرفاعي

الفصـــــل الأول

التاريخ يعيد نفسه

تمهيــد

فكرة عن وحدة الجنس والموطن الأول

إن الحديث عن بدايات الجنس البشري وموطنه الأول أمر يصعب الخــوض فيه، لما يكتنف ذلك من متاهات تحول والوصول إلى حقائق يطمئن إليها الباحــث، ولا نحب أن نعيد ما سبق أن خاض فيه الباحثون قبلنــا، ســواء كــانوا قــدامى أو معاصرين، حول تحديد الموطن الأول لبدايات الجنس البشري، لكن لا يعني هذا أن نيأس، بل يجب أن نحاول الخوض فيما خاضوا فيه لعلنا نصل إلى شيء يستفيد منه من يأتي بعدنا، ولتكن بداياتنا من خلال هذه التساؤلات السريعة: هل كان اللسان الذي كانت تتحدث به البشرية في بداياتها – قبل تفرقها –، هو لسان موحد بصرف النظر عن كونها سامية، أو غير سامية؟ هل التفرق الذي حصل للبشرية بعد الطوفان، هو التفرق الذي أدى للتفرق اللساني؛ الذي أدى بدوره للتفرق في الجنس أو كان هنــاك تفرق آخر كان هو السبب في كل ما حصل؟... وإذا قلنا بوحدة اللــسان بدايــة، ألا يعني ذلك وحدة الأمة التي كانت تتحدث بذلك اللسان؟ وأسئلة أخرى كثيرة لا حصر لها؛... أما الإجابات لمثل تلك التساؤلات وغيرها؛ ولاسيما الأخير منها، فأظن أنه لا يوجد هناك مصدر يقيني يمكن الركون إلى إجابته والوثوق بما فيه؛ لأن ذلــك يعــد ركوناً إلى الخيال والوهم... ولكن لا يعني هذا النفي؛ أنه نفي مطلــق؛ لأن هنــاك مصدراً واحداً يمكن الركون لما سيقوله؛ لأن ما فيه يعتبر قطعي الدلالة لفظاً ومعناً لكونه آت من خالق هذه البشرية نفسها، وعلى لسان مبلغ لا ينطق عن الهوى، لكونه رسول ممن خلقه أيضاً... وهذا المصدر هو كتاب القرآن الكريم،... الذي ورد فيــه ما يشير إلى أن الناس كانت أمة واحدة قبل أن تتفرق؛ كقوله عز من قائــل: { **كَــانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِــالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِــنْ بَعْــدِ مَــا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِــهِ**

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (١)... وعند هذه الآية الكريمة نقف لنوجز شيئاً مما ورد عنها في أمهات كتب التفسير؛ لتتضح لنا بعض إشارات ما توحي به هذه الآية الكريمة، ومما جاء:"... اعلم أنه تعالى لما بين في هذه الآية... أن سبب إصرار هؤلاء الكفار على كفرهم؛ هو حب الدنيا... بين في هذه الآية؛ أن هذا المعنى غير مختص بهذا الزمان، بل كان حاصلاً في الأزمنة المتقادمة؛ لأن الناس كانوا أمة واحدة قائمة على الحق؛ ثم اختلفوا، وما كان اختلافهم إلا بسبب البغي والتحاسد والتنازع في طلب الدنيا... فهذا هو الكلام في ترتيب النظم... وفي هذه الآية مسائل كثيرة منها، قال القفال: الأمة هي القوم المجتمعون على الشيء الواحد يقتدي بعضهم ببعض، وهو مأخوذ من الائتمام.

ومنها:أن الآية دلت على أن الناس كانوا أمة واحدة... وأنهم كانوا على دين واحد، وهو الإيمان والحق... وهذا قول أكثر المحققين؛ ويدل عليه وجوه، منها:ما ذكره القفال، حيث قال:الدليل عليه قوله تعالى بعد الآية السابقة قوله:" فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق؛ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه" فهذا يدل على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما بعثوا حين اختلاف... ويتأكد هذا بقوله تعالى:" وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا... " ويتأكد أيضاً – بما نقل عن ابن مسعود –رضي الله تعالى عنه – أنه قرأ: (كان الناس أمة واحدة فاختلفوا، فبعث الله النبيين)... إلى قوله تعالى " ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ".. وإذا عرفت هذا، نقول:الفاء في قوله تعالى:" فبعث الله النبيين ".. تقضي أن يكون بعثهم بعد الاختلاف... ولو كانوا قبل ذلك أمة واحدة في الكفر، لكانت بعثة الرسل قبل هذا الاختلاف أولى وهذا يدل على أن الاتفاق الذي كان حاصلاً قبل حصول هذا الاختلاف إنما كان في الحق لا في الباطل؛ فثبت أن الناس كانوا أمة واحدة في الدين الحق لا في الدين الباطل... ومنها أن آدم – عليه السلام – لما بعثه الله تعالى رسولاً إلى أولاده كان الكل مسلمين مطيعين لله تعالى، ولم يحدث فيما بينهم اختلاف في

---

(١) سورة البقرة، آية:٢١٣

الدين، إلى ان قتل قابيل هابيل بسبب الحسد والبغي... وهذا المعنى ثابت بالنقل المتواتر؛ والآية منطبقة عليه؛ لأن الناس هم آدم وأولاده من الذكور والإناث؛ كانوا أمة واحدة على الحق... ثم اختلفوا بسبب البغي والحسد، كما حكى الله تعالى عن بني آدم:" إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر "؛ فلم يكن ذلك القتل والكفر بالله إلا بسبب البغي والحسد.

ومنها:أنه لما غرقت الأرض بالطوفان لم يبق إلا أهل السفينة... وهذه القصة مما عرف ثبوتها بالدلائل القطعية والنقل المتواتر.. فثبت أن الناس كانوا أمة واحدة على الحق، ثم اختلفوا بعد ذلك.. ولم يثبت ألبتة بشيء من الدلائل أنهم كانوا مطبقين على الباطل والكفر؛ وإذا كان – الأمر – كذلك وجب حمل اللفظ على ما ثبت بالدليل؛ وأن لا يحمل على ما لم يثبت بشيء من الدلائل... بدليل قوله عليه الصلاة السلام:(كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه).. وقد دل الحديث على أن المولود لو ترك مع فطرته الأصلية لما كان على شيء من الأديان الباطلة... وأنه إنما يقدم على الأديان الباطلة لأسباب خارجية؛ وهي سعي الأبوين في ذلك، وحصول الأغراض الفاسدة والبغي والحسد... ومنها:أن الله تعالى لما قال:" ألست بربكم؟.. قالوا بلى " فذلك اليوم كان الناس أمة واحدة، على الدين الحق... إلخ)(١).

هذا موجز ما أشارت إليه كتب التفسير حول الآية السابقة... وفيه نرى أن الناس كانوا أمة واحدة، وعلى دين واحد... وإذا كانوا – الناس – على قلب واحد ديناً واعتقاداً؛ فحتماً سيكون الجميع لساناً واحداً؛ لأن اللسان – كما عهد – هو ترجمان القلب والعقل؛ والأداة الناطقة المعبرة عن مشاعر وخوالج صاحبها، وإذا كان الجميع أمة واحدة عقلاً وقلباً ولساناً؛ فإنهم لا يحتاجون لآخرين يترجمون لهم خوالجهم؛ لذلك رأينا أن الرسول الذي كان يبعث للأمة الواحدة يكون لسانه من جنس لسانهم ليفهموا عنه ويفهم عنهم... لذلك تواتر النقل أن آدم – عليه السلام– بعثه الله

---

(١) تفسير الرازي:١١-٦/١٣

إلى جميع أولاده ذكوراً وإناثاً؛ لأن الجميع كان مسلماً ومطيعاً ولسانهم كان كـذلك؛ حتى لما اختلفوا فيما بينهم ابتداءً من قتل قابيل لهابيل إلى أن بعث الله تعالى إلـيهم نوحاً – عليه السلام – نبياً ورسولاً، ولم يبعث معه غيره إليهم؛ لأن الكل يفهم عنـه وهو يفهم عنهم... حتى لما غرقت الأرض وأُغرق معها من أراد منهم الاخـتلاف والتفرق، لم يبق إلا أهل السفينة؛ وكلهم كانوا على الحـق والـدين الـصحيح؛ لأن رسولهم بينهم لا يزال واحداً، وهو نوح عليه السلام، لكنهم لما أخذوا – مع الزمن – يختلفون ويتباعدون بسبب البغي والحسد فيما بينهم، أخذ الأمر يختلف عما كان عليه قبل؛ إذ أخذ الحسد والبغي يفرقهم ويباعدهم عن بعضهم حتى اتسعت رقعة البعـد، وأخذت تلك الأمة الواحدة تتشتت وتتباعد من وعن مهدها الأصلي الذي كان يجمعهم ويوحد لسانهم، كما كان الدين الواحد يوحد قلوبهم ومشاعرهم؛ عندها بدأت – مـع الزمن – تأثيرات البيئة تأخذ طريقها إلى ألسنة من بَعْد شيئاً فشيئاً، إلـى أن أخـذت الاختلافات اللسانية تبرز وتنمو حتى أصبح لسان كل فريق منهم كأنه لساناً مغـايراً للسانه الأصلي –ظاهراً– عندها احتاج كل فريق من تلك الفرق المختلفة إلـى مـن يدعوه لأن يعود إلى ما كان عليه من الحق في الدين؛ عند ذلك بعث الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين... وهذا يقتضي أن يكون داعي كل فريق من قومه، لتكون رابطة الفهم بينه وبينهم قوية واضحة: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ...} [1] وهذا لا يعنـي أن تعـدد الأنبياء المرسلين دليلاً على أن كل قوم يبعث إليهم نبي؛ أنهم كانوا أمة مستقلة جنساً ولساناً؛ بمعنى أن لسانها يخصها وحدها، ولا يشاركها في فهمه غيرها ممن قـرب مكانهم منهم أو بعد، بل ذلك دليل على التفرق والبعد المكاني اللساني، بدليل ما كان يحصل في أزمنة تلك الأمم من بعث نبيين في مكانين مختلفين وإن توحد زمنهم؛ ألم يبعث إبراهيم الخليل عليه السلام نبياً فيمن هو بينهم، ويبعث ابن أخيه لوط – عليـه السلام – نبياً فيمن هو بينهم وفي زمن واحد؟ فهل يعني ذلك أن لسان لوط كان لساناً غير لسان عمه إبراهيم عليهما السلام أم أن لسانهم كان واحداً؟ ومعلوم أن ما حمله التاريخ لنا عن ذلك يؤكد أن اللسان كان واحداً، وأن البعد المكاني هو ما أدى إلـى

ذلك؛ بدليل أن نبي الله موسى وأخيه هارون كانا رسولين في زمن واحد، وهما أخوان من أم واحدة، فهل يعني ذلك أن لسان موسى هو غير لسان هارون – عليهما السلام؟ – كيف يكون ذلك والأم الملقنة للغة لهما واحدة؟ وذلك لا يكون – أبواه يهودانه إلخ... إذن تعدد الرسل لا يدل على الاستقلال اللساني ألبته؛ لأن علاقة الأصل اللساني بقيت متينة وقوية إن اجتمعوا؛ لأن أصالة الجذر – الأم – لم يذهب كلياً؛ بل بقي حبله المتين يربط الجميع مهما تباعدت تلك الفروع الراحلة عن الأصل، وهذه الإشارة تؤكد الحقيقة التي ستتضح لنا جميعاً في نهاية هذا البحث – الصغير بإذن الله تعالى – وهي أن هذه الأمم كما كانت عند بدايتها[أمة واحدة]، ستكون عند نهاياتها [أمة واحدة]؛ أي أنها كما كانت في بدايتها جنسها واحد، ذات لسان واحد، وبرسول واحد عندما أخذت بعض الانحرافات تتسرب إلى فطرتها التي فطرت عليها نحو خالقها، كذلك ستكون عند قرب نهايتها، أي برسول واحد خاتم، وبرسالة واحدة خاتمة؛ وبلسان واحد به يخاطب الجميع وإن اختلفوا – ظاهراً – لما سيسبق ذلك الرسول من توحد لكل الألسن المختلفة لتصبح لساناً واحداً يكون لساناً لذلك الرسول، الذي سيصبح لسانه لساناً لكل من سيتبع رسالته؛ لأن لسان هذا الرسول هو في الحقيقة، اللسان نفسه الأصل الذي كانت عليه كل تلك الأمم عندما كانت واحدة؛ وقد حصل هذا بمحمد صلى الله عليه وسلم ورسالته – الإسلام –.

من أسباب الهجرات:

ومن خلال كل الإشارات التي سبقت نلاحظ أنها تؤكد رأي الفريق الذي ذهب إلى أن الهجرات التي حدثت عبر آلاف السنين؛ لم تكن لسبب واحد، وإنما كان لكل هجرة سببها الذي أدى إليها في وقتها؛ ولذلك أرى أن الرحلات الأولى التي حصلت بعد الطوفان كان التباغض والتحاسد سببها الرئيسي؛ أي أن هذا التحاسد والتباغض أدى لنشوء الاختلافات بين الكثير من تلك الأمة الواحدة؛ مما جعل الكثير منهم –أيضاً– يؤثر الرحيل والبعد عمن كان ينافره ويباغضه من قومه، ولاسيما الضعفاء منهم، ثم أخذ الأمر يستشري بين الكل حتى كانت الفرقة والاختلافات هي سيدة الموقف بين تلك الأمة الواحدة؛ لتتفرق بعد أن: (كان الناس أمة واحدة...

فاختلفت)... ومن هذه الإشارة نلمح أن هجرة البداية كانت داخليـة؛ أي أن بعـض قبائل من تلك الأمم، قد اختلفت مع من كان يقيم معهم في مواقعهم؛ فآثر الـضعيف منهم الرحيل إلى موقع آخر في الموطن الأصلي نفسه، قرب ذلك الموقع أو أبعـد، لتنتشر بعد ذلك في شتى السهول والتهيم والجبال، وهكذا... لتنطلق بعد ذلك إلـى خارج موطنها الأصلي، في موجات كثيرة جـداً، وهـي مـا سـميت بـالهجرات الشمالية،... وأول تلك الرحلات، هي هجرات من اصطلح على تسميتهم بـالفينقيين، والكنعانيين، والعماليق وغيرهم، ثم أخذت الهجرات بعد ذلك تتوالى... وحينما نعود ونستقرىء التاريخ نجد – فعلاً – أن لخروج كل طائفة سبباً رئيسياً قـد حـصل... فمثلاً من سموا بالفينيقيين أو الكنعانيين؛ نلمح من كل ما ورد عنهم أن خروجهم قـد كان عقب الضربة العنيفة التي حصلت للكثير من إخوتهم قبائل عاد، أو قبيلها؛ وأن من أطلق عليهم اسم الآراميين، كان عقب العقوبة الساحقة التي حصلت لأصولهم من قبائل وبار وأميم إلى آخر ما حصل بعد ذلك.

سؤال مهم:

وإذا كانت هناك هجرات، وأسباب متعددة لتلك الهجرات... فمن أين كانـت الانطلاقة الأولى لتلك الهجرات؟... وهذه الأسئلة وغيرها، أنشأت صراعات شـديدة بين علماء التاريخ، لدرجة جعلت بعضهم يقول:(والحق أن هذه مشكلة دقيقة جداً بذل فيها العلماء والمستشرقون جهداً كبيراً، ولكنهم لم يتفقوا على حل لها حتى الآن... بل تشعبت آراؤهم واختلفت أقوالهم اختلافاً عظيماً:منهم من زعـم أن ذلـك المهـد – الموطن الأصلي – كان أرض أرمينية؛ بالقرب من حدود كردستان... أمـا علمـاء التوراة وأحبارهم فيزعمون أن أقدم ناحية عمرها بنو نوح – عليه الـسلام – فهـي أرض بابل[١] وقد انجرف علماء كثر حول نظرية أهل التوراة، وراحـوا يكتبـون البحوث التاريخية حول تأييدها كالعالم (جويدي) الذي كتب رسالة مطولة تأييداً لهـا بقوله:(إن المهد الأصلي للأمم السامية كان في نواحي جنوب العراق، علـى نهـر

---

(١) ولفنسون:١١ –١٣.

الفرات، وقد سرد عدداً من الكلمات المألوفة في جميع اللغات السامية عن العمـران والحيوان والنبات، وقال إن أول من استعملها هي أمم تلك المنطقة، ثم أخذها منهم جميع الساميين[٢].. ورغم هذا التأييد الكبير لنظرية التوراة تجد من يعارض هذه النظرية، ومن المستشرقين أنفسهم؛(كنولدكه) الذي راح يعارضها معارضة شديدة بقوله:(...من العبث أن تعتمد في إثبات حقيقة كهذه على جملة كلمات وليس هناك ما يثبت لنا أن جميع الساميين أخذوها عن أهل العراق...) إذن فأين كان ذلك الموطن إذا كانت الآراء السابقة بعيدة عن الحقيقة؟ والحقيقة أن المهد الأول الذي انطلقت منه تلك الهجرات هي في قول من ذهب أنها أرض جزيرة العرب، وخصوصاً جنوبها؛ لأسباب كثيرة تدور حولها هذه الدراسة المصغرة – بإذن الله تعالى – منها ما ذهب إليه الكثير من مؤرخي التاريخ وعلى رأسهم الكثير من المستشرقين الذين لخصوا مذهبهم هذا بقولهم: (والذي يمكننا أن نجزم به هو أن أكثر الحركات والهجرات عند أغلب تلك الأمم التي علمنا أخبارها وأسماءها، كانت من نزوح جموع الساميين من أرض الجزيرة العربية، إلى بلدان المعمورة الدانية والقاصية في عصور مختلفة... إن أقدم هجرة اتجهت نحو بابل كانت من الجزيرة العربية، وقد أسست تلك الجموع ملكاً عظيماً في بقعة الفرات... وكذلك هاجرت البطون الكنعانية والآرامية تاركة بلاد العرب، وكان لحوادثها أثر عظيم في حياة العالم القديم... ثم كانت هجرة الإسرائيليين... من جزيرة العرب... ولم تقف هذه الهجرات عند العراق، بل تجاوزتها إلى مصر أيضاً، وتوغلت قبائل سامية جاءت من ناحية الجزيرة العربية في بلاد النيل وبسطت سلطانها على مصر وكونت في تاريخها – الأسر الحاكمة لمصر – والمعروفة بالهكسوس... وكذلك كانت الهجرات العربية بعد الإسلام من الجزيرة العربية إلى جميع أطراف العالم القديم وآخر موجة عظيمة عمرت وجه الأرض وهزت العالم بأسره، وكان من نتيجتها أن تغيرت أحوال أمم كثيرة في أسيا وإفريقيا وأوروبا، وانقلبت فيها كل جوانب الحياة السياسية والاجتماعية

---

(١) المرجع السابق.

والدينيــة والعمرانية... بل لا تزال الهجرة من الصحراء العربية إلى البلدان الدانية مستمــرة بأخطارها الشديدة وعواقبها العظيمة فالتاريخ دائماً يعيد نفسه...)[1].

وإذا كان زمن الهجرات لم ينقطع من أرض جزيرة العرب إلى خارجها وما يحدثه ذلك من تأثيرات عظيمة في المواقع – وأهلها – التي تستقر بهــا أمــم تلــك الهجرات، أفلا يؤكد ذلك حقيقة كون الانطلاقة الأولى لتلك الأمم أنهــا كانــت مــن أرض الجزيرة العربية، ألا تتأكد هذه الحقيقة حتى في أقــوال المخــالفين؟!! ألــم يجعل(جويدي) قمة براهينه في مجموع الكلمات المألوفة التي جعلها دليلاً علــى أن الموطن الأول هو أرض بابل؟!!... فلم لا تكون تلك الكلمات نفسها جاء بها أول من جاء من أرض جزيرة العرب إلى بابل وغيرها، ولذلك كانت هي هى لدى الجميــع؟ أليس في الحاضر دليل يشهد بارتباطه بالماضي؟ ألم يقل المخالفون:(أن كل ما تــدل عليه العلاقة المتينة بين الهجرات والجزيرة العربية؛إنما هو تأثر الأمم السامية بلغات الجزيرة العربية... وكذلك ما يلاحظ في مظاهر أغلب هذه الأمم؛ أنها مظاهر تكــاد تكون صحراوية؛ فعواطف هذه الأمم وأفكارها تكاد تكون واحدة، مما يشعرنا بروح الصحراء) وإذا كانوا – يؤكدون – أن الرابطة اللغوية بقيت قويــة متينة بين تلــك الأمم المهاجرة والأرض التي هاجرت منها داخل جزيرة العــرب... فلم لا يكــون الموطن الأول هو أرض الجزيرة العربية؟ وليس هذا فحسب؛ بل حتى فــي توحــد عواطفها وأفكارها وكل مظاهر حياتها هي واحدة لدى من في الداخل والخــارج،... أفلا يؤكد ذلك كله حقيقة وحدة الموطن وهو جزيرة العرب؟!!!... ولكي تتضح هذه الحقيقة أكثر يستحسن أن نمضي مع مسمى كل مجموعة من تلك المجموعات التــي انطلقت إلى خارج جزيرة العرب، لنرى هل فعلاً تتوفر في كــل مجموعــة تلــك المظاهر – الآنفة الذكر –؟ لنرى ذلك.

---

(١) المرجع السابق.

١ـ مع الفينيقيين:

وقبل أن نوجز القول عمن هم الفينيقيون وموطنهم وبعض المظاهر التي تشير إلى ذلك وغيره... نود أن نسأل هذا السؤال؛ وهو هل الفينيقيون هم أول الأفواج التي خرجت من جزيرة العرب؟... وعندي أن البحث عن أول من خرج، هو أمر لا يفيد القارئ، كفائدة هل هم فعلاً نزحوا من جزيرة العرب؟..ورأينا أن أكبر شاهد يشير إلى هذه الحقيقة هو لسان تلك الأمم، ومدى حقيقة ارتباطه بأهل الجزيرة – الذين بقوا فيها – قديمهم وحاضرهم، ولعلنا ننطلق بداية من مدلول لفظ [فينق...وفينيقيين] لنرى هل في مدلوله اللغوي دلالة تربطه بلسان أرض جزيرة العرب؟ وأين؟ ومنهم أصحاب ذلك اللسان؟ وحول هذا يشير أحد الباحثين في لهجات جنوب جزيرة العرب، وخصوصاً الجبالية والمهرية منها... بقوله:(... إن لفظة [فينيق] تعني في اللهجة الجبالية [مستكشف... ومستكشفين] ولذلك يرى أن الأفواج الأولى التي خرجت من جزيرة العرب عندما أرادوا أن يعرّفوا بأنفسهم قالوا:[نحن فينيقيون]، أي مستكشفون للأماكن... بدليل أن كلمة [فينيق] في الجبالية تعني أيضاً:[الشخص الذي يذهب لاستكشاف المراعي الجيدة] وهذا يعني أن الأفواج الأولى التي خرجت كانت ذات مهمة رئيسة، وتلك المهمة هي استكشاف مواقع الكلأ والماء، أي المواقع الصالحة للسكنى والحياة.. وعلى هذا فهناك علاقة لغوية قوية ومتينة بين لفظة [فينيقيون] التي إذا أطلقت لا يتبادر إلى الذهن إلا اسم تلك الأمة المشهورة قبل التاريخ وبعده، وبين لفظة أخرى تحمل الحروف نفسها في لهجة أمة لا زالت تتناسل أعقابها الآن في جنوب جزيرة العرب، وهاتان اللفظتان هنا وهناك تحملان مدلولاً لغوياً واحداً هو:[الاستكشاف... والمستكشف]... وعلى هذا فالرابطة اللسانية بين المدلولين واحدة... فهل يعني ذلك أن أولئك القوم الذي كانوا يسمون بالفينيقيين، كانوا قد خرجوا – هاجروا –، من بقعة القوم الذين لا تزال لغتهم تحمل المدلول نفسه إلى الآن في مواقعهم... وهذا يتضح أمره من خلال معرفة الموقع الذي لا يزال لسانه يحمل هذا المدلول... وقد رأينا أن لهجة أصحاب هذا المدلول يطلق عليهم إلى الآن اسم الجباليين والمهريين... فمن هم؟ وأين يسكنون؟... وعنهم

يقول صاحب كتاب العربية القديمة:[... والجبالية هي اللهجة التي يتكلمها سكان محافظة ظفار جنوب سلطنة عمان –حالياً–، وهي التي تنتشر – على وجه الخصوص– على سفوح هضبة الأحقاف، التي تمتد عبر جبال سمحان، وجبال القراء، وجبال القمر... وأختها اللهجة المهرية، وهي التي تنتشر في منطقة مهرة شرقي اليمن، وتحدها محافظة ظفار العمانية من ناحية الشرق، وحضرموت من ناحية الغرب...].

إذن فالمنطقة التي لا تزال سكانها يتداولون – عبر التاريخ – مدلول لفظه [فينيق] بنفس مفهومه القديم إلى الآن هي منطقة عربية؛ ولا يشكك في عروبتها أحد، وتقع في جنوب جزيرة العرب؛ أفلا يعني هذا أن الأفواج التي أطلق عليهم مسمى هذا اللفظ – فينيق – هم من هذه المنطقة نفسها، وأنهم منها قد رحلوا؟!... لأن مدلول اللفظ الذي أطلقوه على أنفسهم قديماً لا يزال بمفهومه يتداول بين أحفادهم عبر التاريخ؛ وهذا يؤكد أن هذه الجماعة الإنسانية لم تكن أمة بشرية مستقلة جنساً ونسباً؛ لأن موقعهم قد علم، ولسان أحفادهم يؤكد جنسهم ومنسبهم، ويؤكد أيضاً أن مصطلح – فينيقيون – لا يعدو كونه صفة تطلق على كل من لا يزال يزاول مهنتها – الاستكشاف، ولأن تلك المجموعات التي خرجت من مواقعها الأصلية، كان خروجها لمهمة يحمل مدلولها مسمى تلك الصفة – فينيق – أي الاستكشاف، ومع الزمن أصبحت تلك الصفة علماً على الجيل الذي زاولها وخرج لأجلها،... بدليل أن الفوج الثاني من إخوتهم الذين رحلوا بعدهم، أطلقت عليهم صفة أخرى – الكنعانيون–، أصبحت عند ذلك علماً عليهم – سيأتي الحديث عنها بمشيئة الله تعالى –، وإذا كان المدلول اللغوي قد حدد لنا جنس القوم والموقع الذي انطلقت منه هجرتهم... فهل التاريخ الإنساني بكل أقسامه:الجغرافي والنقشي والآثاري وحتى السياسي يوافق ويؤيد ما قاله التاريخ اللغوي حول الفينيقيين؟ وبتقليب سجلاته وجدناه يقول) ولعل من أشهر تلك الهجرات، – هي – الهجرة التي قام بها الفينيقيون بحثاً عن أماكن جديدة... ولعلهم خرجوا من عمان أو من صور تحديداً وابتنوا مدينتهم الشهيرة التي أسموها على اسم مدينتهم القديمة [صور] العمانية... ومما يؤكد هذا القول ما أورده

[هيرودوت] من أن الفينقيين كانوا يقولون: إن أسلافهم قدموا من الخليج العربي(١)... وإذا عدنا إلى الألف الثالث قبل الميلاد نرى أفواجاً من القبائل العربية تهاجر من شبه الجزيرة العربية إلى الشمال تحت ضغط القحط وقسوة الصحراء.. وأن الفينقيين كانوا أسبق هذه الجماعات المهاجرة)(٢) ، هذا ما قاله التاريخ المروي، ونلاحظ أن رواته يؤكدون أن خروج الفينقيين كان من جنوب جزيرة العرب، بل ويحددون المدن التي خرجوا منها كعمان وصور، وهذا لا يعني أنهم لم يخرجوا من الأحقاف والمهرة لتجعل اللغة دليلاً عليهم، طبعاً وهذا ليس صحيحاً؛ لأن عمان وصور لم تكن دولة بعيدة ومستقلة عن الأحقاف والمهرة، فالجميع كانوا موقعاً واحداً تشملهم أرض واحدة، وأن هذا التفريق لم يكن يعرفه أولئك الراوة لولاداته على أيدي التاريخ السياسي فيما بعد.... بل ربما يكون من خرج عن طريق مدينتي عمان وصور كانوا أفواجاً غير من خرج عن طريق مواقع المهرة والجبالية – وهي جزء من الأحقاف – ومع هذا كله رأينا فيما سبق أن جزءًا من الجبالية والمهرة يتبع محافظة ظفار في الوقت الحالي، وأن الجميع كان تحت مسمى الأحقاف والمهرة... وهذا ما يؤكده التاريخ الأثري، كما أشار فليبي – مستشرق – الذي تحدث عن مقابر عثر عليها في موضع [الموية] الواقع على بعد [١٤٣] ميلاً شرقي مكة المكرمة... وفي الرويق... وفي مرتفعات العلم الأبيض والأسود... ويرجع (فليبي) هذه المقابر إلى أيام الفينقيين... ويرى أيضاً أنهم وجدوا في الأفلاج والخرج والسلمية، والدلم ثم هاجروا بعدئذ إلى البحرين(٣) ... إذن فقد كان الفينيقيون أفواجاً متعددة، وتعددهم يعني أن خروجهم لم يكن دفعة واحدة، وهذا يعني أيضاً أنهم كانوا من مواقع متعددة، ولم يكن بداية منطلقهم من عمان وصور وحدها...؛ لأن التاريخ يقول – أيضاً – :[... إن اليمن وعدن كانتا مأهولتين بالسكان في العصور القديمة] ثم هاجر قسم من الناس إلى عمان والخليج، ومن ثم إلى البحرين... وهاجر قسم آخر بطريق باب

---

(١) العربية القديمة، ص ٦٤

(٢) مقارنة الأديان – أحمد شلبي – اليهود:ص ٤٣.

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ١/٥٣٩.

المندب إلى الصومال وكينيا وتنجانيقا... وهاجر فريق آخر بطريق مأرب ونجـران إلى شبه جزيرة سيناء وفلسطين والأردن[1].

إذن فالانطلاقة الأولى لم تكن من عمان وصور، بل كانت من بلاد الـيمن لأن عمان نفسها من مجموع بلاد اليمن، ولذلك كان خروج المجموعة الأولى مـن اليمن – المهرة والأحقاف – إلى عمان فالخليج العربي، ثم إن عمان نفسها لم تكـن هي الطريق الوحيد التي عبر الخارجون منها، بل كانت الطرق متعددة، لأن أمـاكن الخروج من داخل اليمن متعددة أيضاً، فمنهم من خرج عن طريق باب المندب وهم إحدى المجموعات التي أطلق عليها اسم الكنعانيين، ومنهم من لزم طريـق نجـران عبر وسط الجزيرة إلى الأردن فسيناء، وعلى هذا فطرق الخروج متعددة، وإن كانت الانطلاقة الأولى من هضبة الأحقاف والمهرة، ثم انتشرت في أماكن متعددة داخـل اليمن، ثم منها انتشرت عبر طرق متعددة إلى الشمال، بدليل أن بعض الـسياح قـد عثروا على قبور جاهلية في حضرموت وفي مواقع كثيرة من جزيـرة العـرب... كتلك التي وجدت على مقربة من مدينة كوكبان في وسط اليمن، ولا يستبعد أن يكون أولئك الناس قد توارثوا هذا النوع من القبور عن أسلاف لهم... وقد عثـر –أيـضاً– على آثار من تلك العصور القديمة جداً في مواقع متعددة من الـسعودية تمتـد مـن الإحساء[الهفوف] إلى الحجاز... ومن مدائن صالح إلى نجران... وعثر على أدوات بحرية في تل [الهبر]... مما يؤكد أن أولئك الأقوام كانوا في عصور ما قبل التاريخ يتنقلون باتجاه الأودية من مكان إلى مكان حيث كانت الأحوال فيها غير ممـا هـي عليه فيما بعد... بدليل أنهم قد عثروا على كهوف قد صورت على جدرانها صـور حيوانات، وصور الشمس والهلال، وذلك على طريق التجارة القديمة فـي العربيـة الجنوبية، بين وادي العرمة – وادي العرم – في اليمن – ووادي بعيث، وهي تـشبه في أهميتها من دراسة الناحية الأثرية الصور المتقدمة التي عثر عليها في قلوة فـي الأردن... وقد قدر أنها ترجع إلى آلاف السنين قبل المـيلاد... إذن فـالفينيقيون –

---

(١) المرجع السابق: ١/٥٣٢

ومن تبعهم – لم يسلكوا طريقاً واحداً عند خروجهم من موقعهم الأول بجنوب جزيرة العرب، بل كان انتقالهم عبر خطوط برية متعددة، كما أنه لم يكن من منفذ بحـري واحد كما رأينا ذلك سابقاً... ولهذا نستطيع أن نقول لأولئك الذين قالوا إنهم:[يـرون] أن [هيرودت]:حينما قال:[إن المشهور في أيامه أن أصـل الفينيقيـين مـن البحـر الأحمر... إنما كان يقصد أنهم من الخليج العربي لا البحر الأحمر... والحقيقة بنـاءً على ما سبق هي أن [هيرودوتس] لم يكن مخطئاً فيما قال:لأننا رأينا الفينقيين هم كما قدموا عن طريق الخليج العربي، قدموا –أيضاً– عن طريق باب المندب الواقع على البحر الأحمر، كالذين جاءوا من عدن وما حولها... وإذا كان التاريخ – بكل أقسامه – قد شهد بالعروبة لمن سمي بالفينقيين، شهد لعروبة الموطن الذي انطلقـوا منـه بداية، بل وما نطق به لسانهم؛ حينما نطق:[نحن قوم فينيقيون]، ورأينا لسان موطنهم الأصلي يقول:نعم لقد كان القوم الذين خرجوا من عندي – قبل التاريخ – واسـموا أنفسهم – بفينيقيين – هم مستكشفون كما اطلقوا ذلك على أنفسهم؛ لأنهـم خرجـوا لمهمة استكشاف المواقع التي تصلح للسكن والاستقرار، وذلك لأن [فينيق] تعني في لسان أرضهم –الأحقاف والمهرة– تعني تلك المهمة التي خرجوا من أجلها، ومعلوم أن كل قبائل أرض الأحقاف والمهرة هم عرب من يوم ولادتهم على أرضـهم فـي جنوب جزيرة العرب إلى الآن، وهم بالعروبة يتصفون سواء من رحل مـنهم إلـى خارج جزيرتهم ومن بقي، سواء كان أولئك الخارجون هم من قبيلـة المهـرة –الأم– التي أبيدت[١]أو كانوا هم من قبيلة مهرة الثانية التي ولدت من قبيلة أم وجدت بنفس بمواقع قبيلة – المهرة – البائدة نفسها، قد تكون من نسل المهرة البائدة، ومن نـسلها كانت المهرة الثانية...، وكذلك قبائل الجبالية القدماء جداً، وهي قبيلة قـضاعة[٢]... وذلك إنا قد وجدنا أن هذه القبيلة وأكثر بطونها قد رحلت إلى بلاد الشام؛ لأن هـذه القبيلة وفروعها حينما وصلت إلى بلاد الشام نزلت في المواقع نفسها التي قالوا إنها

---

(١) الطبري: / ١... ابن خلدون: / ٢... جمهرة أنساب العرب ابن حزم: / ٢

(٢) الإكليل: / ٣

كانت قد نزلت بها من سموا أنفسهم بالفينيقيين؛ كبطون بهراء الــذين قــال عــنهم الهمداني:[إن تياسرت من [حمص] عن البحر الكبير -بحر القلزم- وقعت في أرض بهراء...] [1]وإذا كانت بطون بهراء الراحلة من أرض الأحقاف والمهرة قد اختارت جميعاً المواقع على شواطىء البحر الأبيض المتوسط... لتنزل بها، ورأينا التــاريخ يقول:إن من تسموا:[بالفينيقيين كانوا قد وجدوا على شواطىء البحر الأبيض المتوسط مستقراً لهم] [2]ترى هل كان ذلك الاختيار من البهرانيين... أم أن هناك أموراً كانت وراء ذلك الاختيار؟ ألا يدل ذلك أن هناك رابطة قوية شدت أولئــك المهــرين لأن يكون نزولهم بتلك المواقع الفينقية، كرابطة اللسان – اللهجــة –، والأرض؟... لأن لسان البهريين هو لسان المهريين عينه، والبهرة هي أخت المهرة نسباً؟!!!... ورأينا أن من تسموا بالفينيقيين – هم أيضاً –، من الأجداد الأوائل لقــضاعة أم المهــريين والبهريين؛ بدليل أن الأفواج التي تلت من سموا بالفينيقيين في الرحيل، وكانوا إخوة – نسباً وموقعاً – لهم نراهم – كما يقول التاريخ:[وإلى الجنوب من منازل الفينيقيين نزلت قبائل عربية أخرى أشهرها قبائل الكنعانيين حوالي [٢٥٠٠ق.م]، واســتقرت على ضفة الأردن الغربية منسابة نحو البحر المتوسط، وسميت هذه المنطقة باسمهم؛ فأصبحت تدعى [أرض كنعان] وهو الاسم الذي يكثر وروده في التــوراة[3]... ولأن الكنعانيين هم من الفينقيين – أي أن الأب واحد – لم يسكنوا بعيداً عن إخوتهم؛ وما قاله التاريخ عن سكنى الفينيقيين والكنعانيين، نراه يقوله عن قبيلة قضاعة وبطونهــا حينما هاجرت إلى الشام؛ كبطون كلــب التي كانت:[مساكنها السماوة،... ولم يخالط بطونها أحد في مكنى السماوة... ويذكر -أيضاً- من قراها[تدمر، سلمية، العاصمية، وحمص، وحماه وغيرها...][4] ويذكر ابن خلدون: دومة الجندل وتبوك[5].. وكــذلك

---

(١) صفة جزيرة العرب، ص ٢٧٤

(٢) مقارنة الأديان – اليهود – أحمد شلبي:١/٤٣

(٣) مقارنة الأديان:١/٤٣

(٤) صفه جزيرة العرب:٢٧٢ – ٢٧٥

(٥) ابن خلدون ٢/٢٤٩

بطون القين – الجرين القين – التي كانت ديارها بين تيماء ومعان[1]... وإذا كانت كل هذه المواقع قد سكنها من سموا بالفينقيين كما سكنها من سموا بالكنعانيين، ثم كل بطون القضاعيين حتى أصبحت تعرف بديار[القضاعيين من كلب وبهراء وبني القين وغيرهم، ألا يعني أن كل هؤلاء القوم قد كانوا يسكنون منطقة واحدة بجنوب جزيرتهم، ليكونوا كذلك في شمالها؟ بدليل أن لسانهم جميعاً كان واحداً، في جنوبها كما كان في شمالها، بل إن أهل عمان والشحر وصور إلى حضرموت وكل ذلك المحيط، كانوا جميعاً يتحدثون بلسان واحد، سواء من باد منهم، أو بقي، أو من ارتحل منهم بعد ذلك... وعلى ذلك رأينا أن لسان من كان في البحرين هو نفسه لسان من كان في عمان والشحر إلى حضرموت، وكثير من عرب وسط الجزيرة وأطرافها الشرقية كانوا جميعاً يتفقون مع كل المنطقة التي كان يطلق على قبائلها المهرة والأحقاف، وهذا يعني أنهم جميعاً كانوا عرباً؛ لأن:[كل أهل عمان والبحرين كانوا يعرفون بجاسم، وجاسم هو من نسل عمليق...] [2] وعمليق هو ابن لاوذ بن نوح – عليه السلام – فهل كان عمليق ونسله وإخوته عرباً؟ يقول التاريخ:

عروبة عمليق ومواقع انتشارهم:

(إن عمليق ونسله:هم عرب أصلاً، ومن أقدم العرب زماناً، لسانهم هو اللسان المضري، الذي هو لسان كل العرب البائدة... وهم أمم كثيرة تفرقت في البلاد... وكان أهل المشرق وعمان، وأهل الحجاز، وأهل الشام، وأهل مصر منهم، ومنهم – أيضاً كانت الجبابرة – الذين يقال لهم الكنعانيون – بالشام، ومنهم كانت الفراعنة بمصر... وكان من أهل عمان أمة يسمون جاسم، ومنهم ساكنو المدينة، وكان منهم:بنو هيف وسعد بن هزان، وبنو مطر، وبنو الأزرق، ومنهم أهل نجد، ومنهم بديل وراحل، وغفار، وأهل تيماء،... وكان ملك الحجاز منهم بتيماء واسمه

---

(١) ابن خلدون ٢/٢٤٨

(٢) المفصل / جواد علي:١/٣٤٦

الأرمم، وكان بنو أميم بن لاوذ بن سام بن نوح – عليه السلام – منهم، وهم – أهل وبار بأرض الرمل – رمل عالج – وقد هلكوا وبقيت منهم بقية... وكان طسم بن لاوذ ساكن اليمامة وما حولها منهم، وقد كثروا إلى البحرين، وأميم وجاسم قوماً عرباً، لسانهم الذي جبلوا عليه لسان عربي[١]... وولد إرم بن سام بن نوح عوص بن إرم... وغاثر بن إرم... وحويل بن إرم... فولد عوض ابن إرم عاد بن عوص بن إرم... وولد غاثر:ثمود بن غاثر، وجديس بن غاثر؛ وكلهم كانوا قوماً عرباً يتكلمون بهذا اللسان العربي، فكانت العرب تقول لهذه الأمم:العرب العاربة، لأن هذا اللسان هو اللسان الذي جبلوا عليه، فعاد وثمود والعماليق وأميم وجاسم وجديس هم العرب... فكانت عاد بهذا الرمل – الأحقاف – إلى حضرموت واليمن كله وكانت ثمود بالحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله... ولحقت جديس وطسم فكانوا معهم باليمامة وما حولها إلى البحرين، وسكنت جاسم عمان فكانوا بها ومنهم قسم بالبحرين، وقبل لحقت عاد بالشحر وعليه هلكوا بواد يقال له مغيث[٢].. فلحقتهم من بعد مهرة بالشحر... ولحقت عبيل بموضع يثرب... ولحقت العماليق بصنعاء قبل أن تسمى صنعاء، ثم انحدر بعضهم إلى يثرب فأخرجوا منها عبيل... ولحقت أميم بأرض آبار – وبار... عبار... عبر – وبها هلكوا، وهي بين اليمامة والشمر، ولا يصل إليها اليوم أحد.. ولحقت بنو يقطن – قحطان – باليمن، لحقت قوم من بني كنعان بالشام... ثم جاءت بنو إسرائيل فقتلوهم وأجلوهم إلى العراق إلا قليلاً منهم[٣].

وبتأمل ما سبق نلاحظ أن رواة التاريخ كان يركزون على أمرين رئيسيين، وإن كان هناك أمور أخرى كثيرة وردت إلى جانب ذلك... وذلك الأمران هما:**الأول**:النسب اللساني،الذي يرتبط به النسب الجنسي... **والثاني**:هو النسب المكاني، المرتبط أصلاً بالنسب الجنسي واللساني أيضاً،...(فالعماليق وإخوتهم:هم

---

(١) الطبري:٢٠٣-١/٢٠٤

(٢) الطبري:١/٢٠٦

(٣) الطبري:٢٠٨-١/٢٠٩

عرب صرحاء ومن أقدم العرب زماناً؛ لأن لسانهم هو أصل العروبة، لـذلك كـان لسان كل العرب الذين تناسلوا منهم وسموا بالعرب العاربة، بعد أن بادت أصولهم – آباؤهم –، الذين هلك أكثرهم في مواقعهم الأصلية؛ في جنوب جزيرتهم، التي نسبت إليهم؛ لميلاد أصول تلك الألسن على أرضها فعرفت بنسبها إليهم، فـسميت لـذلك بجزيرة العرب، وهذا يعني أن أي أرض يتواجدون عليها، يعني أنها أرض عربية، أي أن عروبة الأرض تتبع عروبة لسان من سكن عليها؛ ولذلك نلاحـظ أن الحيـز الذي شغلته تلك الأصول – التي سميت بالبائدة – في بداية وجودها نسب إلـيهم، – جنوب جزيرة العرب –، وهي تلك الهضبة – المطيرة –التي تقع في شرق جنـوب جزيرة العرب، التي تسمى عند مفسري التاريخ والجغرافيا:[بالأحقـاف... ومنهـا تدافعت قبائل العرب إلى حضرموت، ومن ثم إلى الهضبة اليمنية... ومن ثـم إلـى تهائم وسروات الحجاز وباقي جزيرة العرب، وسائر أرجاء الوطن العربي][(١)] وتلاحظ أيضاً أن خروج تلك القبائل العربية التي منها كانت قبائل عمليق وكل أخوتها ومـا تفرع منهم من تلك الهضبة – الأحقاف – موطنهم الأول كان عبر مرحلتين زمنيتين مختلفتين، الأولى:وهي تلك التي اتجهت شرقاً:[صوب عُمـان، وهـي أقـدم كـل الرحلات، ولذلك ذهب بعض المؤرخين إلى أن أصول سكان عمـان قديمـة جـداً، وتعود إلى العرب البائدة التي كانت مساكنهم بالأحقاف قبل خروجهم منها فيما بعد، ولعل مما يؤيد قولهم هذا وجود بعض القبائل العربية التي لا زالت تحتفظ لهجاتهـا بالكثير من الصيغ القديمة التي كانت سائدة في العربية القديمة، وهي قبائل الـشموح التي تستوطن الجبال في كل من عمان والإمارات، أما الخط الآخر فقد اتجه صوب الغرب، أي صوب التهايم وسروات الحجاز]... وهذا يعني أن الخروج الأول لتلـك القبائل العربية لم يكن منطلق بدايته من عمان – كما زعم بعضهم –، وإنما كان من هضبة الأحقاف، ثم تفرقوا في اتجاهات مختلفة، منهم من اتجه نحو الهضبة اليمنية، ومنهم من اتجه نحو حضرموت، وآخرون لزموا السروات والتهايم والحجاز، ومنهم

(١) العربية القديمة ولهجاتها:ص ٦٤.

من اندفع نحو عمان وهم الفوج الأول، الذين أطلق عليهم مصطلح الفينيقيين، سواء كانوا هم الذين أطلقوا على أنفسهم ذلك المصطلح أم غيرهم، وعلى هذا يكون الفوج - الأول - الذي سمي بالفينيقيين هم أول من استقر بعمان لأنهم:(كانوا أشهر الهجرات التي سلكت الخط الشرقي... ولأن مهمتهم كانت للاستكشاف، فطبيعي أن يكونوا هم أقدم من خرج... حتى إن الكثير من مؤرخي العرب لم يوردوا لهم ذكراً - إن صح ذلك - وهم الوحيدون الذين استطاعوا الخروج خارج جزيرة العرب - بداية - من تلك الأفواج التي خرجت وانتشرت من موقعها الأصلي الذي كان يضمها... أما البقية فقد كان انتشارهم داخل الجزيرة العربية... ومما يؤكد أن من استقر بعمان هم من سموا بالفينيقيين، وكانوا يسمون قبل بجاسم، وقد أورد التاريخ أن سكان عمان هم من جاسم ومنهم الفروع التي استقرت بالبحرين، حتى أن بعض المؤرخين قد ذهب إلى أن أصل الفينقيين هم من البحرين، ومنها هاجروا إلى أرض فينيقية وسواحلها بلبنان) [١]ومعلوم أن جاسم فرع من العماليق، والعماليق هم عرب صرحاء؛ سواء سكنوا في عمان أو البحرين أو خرجوا إلى خارج جزيرتهم، فذلك لا يخرجهم عن عروبتهم، بدليل أن[الجماعات التي خرجت فيها وأوجدت لها مستقراً على سواحل البحر المتوسط... وامتهنوا التجارة حتى أصبحوا سادتها عبر البحار في العالم القديم[٢]، هم أنفسهم الذين قال عنهم التاريخ:(إن أهل العربية الشرقية، كانوا قد كونوا لهم حكومات مدن قبل الألف الثالثة قبل الميلاد؛ صرفت جل عنايتها نحو التجارة... وركوب البحار للاتجار[٣]... والواقع أن أهل الساحل الشرقي لجزيرة العرب قد عرفوا بناء السفن منذ القديم، وتاجروا وتوسطوا في نقل التجارة من مختلف السواحل... ولا تزال صناعة بناء السفن الشراعية معروفة عندهم حتى اليوم)[٤]... وإذا كان التاريخ النقشي والمروي يشهد أن كل الأفواج التي خرجت عن

---

(١) المفصل - جواد علي:٥٦٦/١

(٢) مقارنة الأديان - اليهودية:٤٣/١

(٣) المفصل - جواد علي:٥٦٩/١

(٤) المفصل:٥٥٦/١

طريق السواحل الشرقية وانتشرت على سواحل المتوسط أو حولها هم مــن ســمو بالفينيقيين، وهم من أهل العربية الشرقية... لأن الأنشطة التي مارسوها لــم تكــن غريبة عليهم لكونهم هم أهلها، وهي ممارسة التجارة وبناء السفن، ولأن نسبه مــن قبائل جاسم العمليقية التي تسكن عمان والبحرين، ولم يقف الأمر عند هذا بل رأينـــا التاريخ اللغوي يزكي ما قالته بقية فرعون التاريخ، وذلك حينما قال لنا إن لفظ[فينيق] تعني في ألسنة أهل العربية الشرقية[مستكـشف] وإلـــى الآن إذن فـــالفينيقيون هــم مستكشفون عرب؛ لأن العقل لا يقبل أن تكون الأفواج التي سلكت عند خروجها من جزيرة العرب عبر الخطوط والسواحل الشرقية غير عرب؛ وإخوتهم الذين خالفوهم في خروجهم عرب رغم أنهم منهم نسباً ودماً، سواء كان انتشارهم داخلياً – داخــل جزيرتهم كلها – عبر السروات الجبلية:كمن لحق بصنعاء قبل أن تسمى بذلك،... أو من انحدر منهم عبر التهايم الغربية كأولئك الذين استقروا بيثرب وتيماء والطـــائف، كبني هيف وسعد وهزان وبنوعطر والأزرق، أو واصلوا مـــسيرتهم عبـــر التهـــايم الغربية إلى خارج جزيرتهم كالجبابرة الذين لحقوا بالشام وكانوا يسمون بالكنعانيين، أو من لحق بمصر كالفراعنة، وكلهم من العماليق، أو كانوا من غيرهم كقبائل ثمود ولحيان، وكل هؤلاء قد شهد لهم التاريخ بالعروبة، فلم لا يكـــون الفينيقيـــون عربـــاً مثلهم؟ فالكنعانيون وهم إخوة للفينيقيين في الدم والنسب؛ إذا عدنا لفـــروع التـــاريخ، سنجدها جميعاً تشهد بعروبتهم الجنوبية – جنوب جزيرة العـــرب – كمـــا شـــهدت للفينيقيين... وإذا كان التاريخ اللغوي قد أثبت أن لفظة فينيق في ألسنة أهل العربيـــة الجنوبية الشرقية – وإلى الآن – تعني الوصفية لا النسبية، ولا تعني أن من يتسمون بهذه التسمية هم أمة وجنس مستقل بذاته، كما سبق أن رأينا ذلك... كذلك الأمر مـــع الكنعانيين الذين أثبت التاريخ اللغوي أن لفظة كنعان في ألسنة أهل عربية السروات الجنوبية الغربية – وإلى الآن – تعني – أيضاً – الوصفية، ولا تعني أن من يتسمون بها أنهم أمة مستقلة بذاتها، حتى في لغة القرآن الكريم – اللغة الأم – تجدها تقول:

الكنعانيون:

(كنع النجم:مال ناحية الغروب والكنيع:العادل عن الطريق إلى غيره.. وعن الأمر هرب.. وأنوف كانعة:أي لازقة بالوجه.. واكتنع:اجتمع، وعليه تعطف.. والليل حضر ودنا..وكنع: أي عدل ومال.. والكنعانيون: أمــة تكلمت باللغة التي تــضارع العربية...) (١) وبوقفة قصيرة عند هذا الموجز لما أشارت إليه لغة القرآن – الكريم – عن مادة[كنع] نجد أن هذه المادة اللغوية ذات دلالات كثيرة؛ ولكنها تكاد تنحـصر في عموم مدلولين اثنين، **الأول**:هو الميل والعدول عموماً عن طريق إلى غيـره – مادياً كان ذلك الميل أو معنوياً – وخصوصاً الميـل والاتجـاه ناحيـة الغـرب... **والثاني**:الاجتماع والانضمام... ومنه الالتزاق والالتصاق؛ وفي هذا يدخل أمر آخر يختصر بمدلول جمالي تشخيصي... ولذلك قالوا:(أنوف كانعة:أي لازق بالوجــه... وأظن أن من خلال هذه المداليل جاءت تسمية الأفواج التي خالفت إخوتها في خطوط سيرهم – بالكنعانيين –، فقد رأينا أن الأفواج الأولى التي خرجــت للاستكـشاف – الفينيقيون – قد كان خروجهم عن طريق خطوط جهة المشرق، بعكس الأفواج التالية لهم في الخروج، فقد خالفوهم، إذ جعلوا خطوط سيرهم عن طريق الجهة الغربيــة، أي أنهم كنعوا عن طريق من سبقهم في الخروج، ولميلهم في طرقهم عمن سـبقهم سموا بالكنعانيين وجائز – أيضاً – أن تسميتهم بالكنعانيين لكنــوع أنــوفهم علـــى وجوههم؛ ولذلك قالوا:(أنوف مكنعة، أي لازقة بالوجه...)، إذن فالتسمية عربية، لأن جذور الكلمة التي وصفوا بها هي جذور عربية، سواء كانت في نطق اللسان الفصيح كما وردت في المعاجم، أو في نطق اللهجات التي انبثقت مــن الفـصيح وسـيمت بتسميات أخرى، كما رأينا ذلك في نطق مواقع فيفا وما حولها؛ أو كان ذلك بـشهادة التاريخ اللساني المروي – المدون – الذي شهد:(أن الكنعانيين أمة عربية(٢)... وإذا كان التاريخ المروي قد شهد بتلك العروبة، فهل لسان مكانهم وزمانهم الذي انتقلـوا

---

(١) القاموس المحيط:٣/٨٠، لسان العرب: ٨/٣١٦

(٢) القاموس المحيط

منه قديماً، وكذلك زمان مكانهم الباقي إلى الآن يشهدان بتلك العروبة؟ وبالعودة وجدنا هذه الأمكنة تقول:إن جل الأقوام الذين كانوا في تلك المواقع ورحل منهم الكثير؛ تشهد أن لسان أولئك الراحلين كان واحداً – زماناً ومكاناً –، وتشهد – كذلك – بعروبة هؤلاء الكنعانيين؛ كما شهد اللسان المهري وما حوله بعروبة إخوتهم الذين سموا بالفينيقيين.

ضمائر الغيبة المنفصلة:

بدليل أن نطق منطقة اللسان المهري وجل ما حولها لضمير الغائب المنفصل يتنوع من موقع لآخر، وإن حوتهم منطقة شاسعة،... فمثلاً مواقع الجبالية، نجد منهم وإلى الآن – من ينطق ضمير الغيبة المنفصل – هو، بهذه الصورة:[ش، هـ][شـه] وهذا النطق يختص بأهل الأحقاف،... أما أهل المهرة فينطقون – هو – هكذا:(هه)، أما في الحضرمية فهي:[ش] [1]وقد بقي الاستعمال نفسه مستمراً بين القبائل التي بقيت محافظة على أسمائها الأصلية التي كانت تعرف بها هي ومن خرج منهم إلى خارج جزيرة العرب، كالمعينيين والقتبانيين وجل المواقع التي حولهم، وإن أشبعوا حركة ضمته فبدا نطقهم لهذا الضمير هكذا:[شو]، ومثلهم – أيضاً – كان يطلق عليهم اسم الأوسانيين، حتى جاء من سمي بالسبئيين، فكان نطقهم له هكذا [هاء]، وربما كان نطقهم له بهذه الصورة أقرب إلى النطق الفصيح؛ لأن اللهجة الفصيحة جائز فيها قلب الواو إلى ألف، بدليل أن بعضاً من المواقع التي حولهم وجدناها ظلت محافظة على بقاء الواو وإن فصلت بينها وبين الهاء بالألف كما في بعض جهات العبادل وما حولها الذين ينطقونها هكذا:(هاو) وهذا النطق هو النطق السابق نفسه[هاء] الذي قلبت فيه الواو همزة، وهذا جائز أيضاً،... وهذا كله في حالة ما إذا كان الضمير [هو] منكراً، أما في حالة التأنيث[هي]... فعند الجبالية والمهرية بهذه الصورة[سه – س هـ]؛ مع ملاحظة إمالة نطق[السين] فهي ممالة عند المهرية... في حين نجد عند الحضرمية نطقين لهذا الضمير –هي– وهما[س أو(ث)]... أما القتبانيون والأوسانيون فيكتفون بنطقها سيناً، هكذا(س)... وهذا

---

(١) العربية القديمة:١١٠ – ١١١... نقوش يمنية:ص ٨٣... لهجات اليمن لشرف الدين: ص ١٥.

الاستعمال عند من بقي من تلك القبائل في مواقعهم الأصلية بجنوب جزيرة العرب قديماً... نجده بعينه عند أولئك الذين خرجوا إلى خارج جزيرة العرب وتسموا بأسماء أخرى، كالكنعانين والفينقين والآكاديين – بابليين وأشوريين – وغيرهم، فقد ورد أن:[شا – شو – شي –... قد عرفتها الآكادية بفرعيها البابلي والأشوري... كما عرفتها بعض اللهجات الكنعانينة... إلا أن الآكادية أخذت [شا] فقط لتعني بها:[ذا... ذو... ذي...أ ما[شو – شي] فقد أخذتها لتعطي بها مدلولين آخرين، إذ إن [شو] تعني بها مدلول:[هو]، و [شي] تعني بها مدلول [هي][1] كذلك ورد أن بعض المعينيين والأوسانيين والقتبانيين كانوا يستعملون للإشارة [سا، سو، سيت][2]... وورد كذلك أن الكنعانيه.. – بعضها – قد عرفت:[سا، سو، سي] أدوات للإشارة، وتعني:[ذا، ذو، ذي][3]... وهنا قد يأتي من يقول:إن ما أوردته لم يكن دليلاً يؤكد أن أولئك من هؤلاء، فقد رأينا أن هناك بعض الاختلاف في الاستعمال والنطق أيضاً، إذ هناك من كان يستعمل تلك الأدوات للإشارة وبعضهم يشتملها ضمائر للغيبة، ومنهم كان ينطقها[سيناً، لا شيناً... فكيف تعتبرها دليل اتفاق، حتى أن بعض المؤرخين قال:[إن كل تلك الأدوات ذات معنى واحد وإبدالات صوتية شائعة... لدرجة أصبحت[شا] في الأكادية تنوب مناب[شي.. شو.. أي أن[شا] تساوي [ذا، ذو، ذي][4]... ولهذا المفترض نقول:إن القول بوحدة مدلول هذه الأدوات؛ هو قول فيه الكثير من الخلط التاريخي، بل هو مجانب للصواب، وإذا كان ذلك وأمثاله، قد قال به بعض الدارسين لبعدهم عن المنابع الأصلية لتلك الأدوات ونطقها واستخدامها عند أهلها الأصليين ومن تفرع عنهم، فإنا لا نقبل ذلك؛ لأسباب كثيرة؛ أولاً:لأنها جاءت من طرق لا تملك معرفة طرق نطق تلك الأدوات، لأنها لا تعرف حقيقة اللهجات التي تنطقها وتجهل مواقعها الأصلية؛ لأنهم لو كانوا يعرفونها حقيقة ما اعتبروا كل تلك الأدوات ذات مدلول واحد؛ لأنها ليست كذلك في مواقعها الأصلية التي رحلت منها قديماً – ولا حتى بعد رحيلهم–، ولا هي إبدالات صوتية شائعة، كما اعتبرها

---

(١) فقه اللهجات القديمة للقبيسي:ص ١٥٥ – ١٥٦

(٢) لهجات اليمن لشرف الدين:ص ١٩

(٣) فقه اللهجات العربية القديمة:ص ١٥٦

(٤) فقه اللهجات العربية القديمة:ص ١٥٣

بعضهم الآخر منهـــم، بل الحقيقة تقول إن كل أداة منها لها مدلولها الخاص بهـــا، و إن اشتركت في العمـــوم الدلالي مع غيرها، والإبدالات الصوتية لا تجعلها بمعنـــى واحد؛ لأن ما يستعمـــل منها لضمير الغيبة هو غير ما يستعمل للإشارة، واختـــلاف النطـــق لبعض الحروف لا يعني وحدتها، بل إن اختلاف النطق لـــبعض الحـــروف كالشيـــن سيناً والعكس، فقد جاء من ناحيتين؛ **الأولـــى**:اختـــــلاف المواقـــع التـــي رحلـــت منها وتعددها، هو الذي أدى إلى الاختلافات الطفيفـــة في ألسنة أصـــحابها من:الآكاديين – من بابل وأشور – أو من سمى منهم بالكنعانيين أو الآراميين؛ لأننا وجدنا في المواقع التي رحلوا منها – وكانوا معاصريـــن لهم، أو حتى بعد رحـــيلهم في أزمنة مختلفة إلى وقتنا الحاضر– شواهد حية، علـــى تلك الاختلافات الـــصوتية التي وجدت في نطق أولئك الراحلين... فإذا كان من سمى بالآكاديين ينطقـــون تلك الأدوات بالشين، ومن سمى بالكنعانيين ينقطونهـــا بالسين، فهـــذا دليـــل أن المواقع التي خرج منها من سمى بالآكاديين كانـــوا ينطقون بالشين، فطبيعي أن ينطق مـــن خرج منهم بالشين، كذلك المواقع التـــي كانت تنطق بالسين، بقى مـــن خـــرج مـــن عندهم ينطقها مثل أصوله الذين خرج من عندهم، أي ينطقها بالسين، كذلك كان من سمي بالكنعانيين أو غيرهم... إذن فالمعني واحد وإن اختلف النطـــق بـــين الـــشين والسين، بدليل أن من بقى منهم في مواقعهم الأصلية وكانوا معاصرين لهم، وظلـــوا على أسمائهـــم الأصلية كالمعنيين والقتبانيين والأوسانيين والحـــضارمة، وجـــدناهم ينطقون بنفـــس النطق الذي وجد من رحل عنهم ينطق به،... وإذا كـــان الحاضـــر شاهد للماضـــي – كما يقولون –، فقد وجدنا بين القبائل التي تناسلت من تلك القبائل الغابرة، في المواقع الأصلية التي رحلوا منها قديماً بجنوب جزيرة العـــرب – فـــي وقتنـــا الحاضـــر – شواهـــد تطبيقية حية، تؤكد ما أشرنا إليه آنفاً... فبطون قبائل الغمر القريبة مواقعها من جبال العبادل وبني معين؛ نجد الكثير منهم لايزال يستعمل الاستعمال عينه الذي كان يستعمله أجدادهم في مواقعهم هذه قبل آلاف الـــسنين، أي استعمـــال [الشين.. أو السين...] في حين نجد في جهات الريث ومنجد وهـــروب، وفي الكثير من المواقع التي تمتد حولهم شرقـــاً وشمالاً وجنوبـــاً، نجـــد من يستعمل استعمـــال الشين، ومنهم من يستعمل(السين) وإلى الآن[1]... وليس هذا فحسب بـــل

---

(١) تسجيلات صوتية وخطية من أهل تلك المواقع ميدانياً

هناك من التأكيدات التي تؤكد أن أولئك الراحلين هم من هـذه المواقـع – بجنـوب جزيرة العرب – ومنها كان انطلاقهم؛ بدليل أنا وجدنا الكثير من بطون قبائل هـذه المواقع لا يزالون – إلى الآن –، يستعملون ضمير المتكلم [نحن] على عدة صـور، فمنهم من يستعمله على صورة [انحن]، ومنهم من يستعمله على صـورة [انحـا] أو [نحنا]، في حين الكثير يستعملها كما هي في النطق الفصيح[نحى] وهنـاك صـور أخرى لاستعمال هذا الضمير سوف تأتي في أماكنها –بإذن الله تعالى– وهذه الصور لاستعمال هذا الضمير، نجد رواة التاريخ اللغـوي يقولـون إن الكنعـانيين كـانوا يستعملون([illegible])[1]– [إنحني] بمعنى [نحن] فـي الكـلام للتنبيـه... ووردت أيضاً:[[illegible]] بمعنى نحن بدون ألف للتنبيه[2]... وسوف يأتي لذلك تفصيل – بـإذن الله تعالى –... أما ضمير المتكلم للمفرد [أنا]؛ فقد وجدناه في هذه المواقع كما هو في الآكادية التي ترجمها بعض المؤرخين – للأسف –[أنكه] –[أناكه]... وهذا الاستعمال نجده في بعض قبائل بني معين – الآن –، أفلا يعني هذا الاستعمال أن أولئك رحلوا من هنا.

الآكادية بين الكنعانية والفينيقية:

وهنا قد يعترض من يقول:إن حديثك كان أصلاً عـن الكنعانيـة والفينيقيـة ففوجئنا بك تدخل الآكادية في حديثك... فهل يدل ذلك على وجود روابـط حميمـة تربط بينهن جميعاً؟ والذي ورد أن:(بين اللغة الكنعانية والبابلية قرب عظيم وشـبه شديد حمل طائفة من المستشرقين على أن تؤلف هاتين اللغتين كتلة لغويـة واحـدة تماثل تلك الكتلة السامية التي كانت مكونة من اللغات الجنوبية في الجزيرة العربيـة والحبشية... وسبب ذلك أن ذلك الشبه يعود إلى أن كل تلك القبائل الـسامية التـي خرجت إلى العراق وسورية؛ وأسست فيها الحضارة والعمران كانت (قبل نزوحهـا تقطن منطقة واحدة... وتتكلم بلغة سامية واحدة ذات لهجات متقاربة جـداً) [3] وإذا كانت الآكادية بقسميها – البابلي والآشوري – لا تخرج عن نسيج اللسان الكنعـاني،

---

(١) فقه اللهجات العربية:ص ١٥٠

(٢) المرجع السابق

(٣) تاريخ اللغات السامية:ص ٥٣.

بل هم في خصائصهم كيان واحد، كيان يؤكد أن متكلميه يؤلفون كتلة لغوية واحدة تؤكد أنهم كانوا يقطنون منطقة واحدة في جنوب جزيرة العرب؛ لأن أهل تلك المنطقة وجدوا أنهم كانوا يتكلمون باللسان نفسه الذي كان أولئك يتكلمون به، وإن كانوا – المستشرقون – لم يصرحوا بتلك المنطقة؛ إلا أنني – بفضل الله – قد هديت إليها، وهي ما أقوم بتسجيله هنا بحمد الله تعالى، وهي منطقة هذا البحث المصغر،...

وإذا كانت اللغة الكنعانية هي نفسها اللغة الآكادية، كما شهد بذلك التاريخ اللغوي، أفلا يكون اللسان الفينيقي هو نفسه اللسان الآكادي الكنعاني، لاسيما وهما – الكنعاني والفينيقي – من أب واحد، ومكان واحد، وهذا ما صرح به أهل التاريخ اللغوي وأكدوه – إضافة لما أوردناه حول هذا –، بقولهم،(إن الإغريق هم الذين كانوا يسمون الكنعانيين بالفينيقيين...) [1]وعلى هذا فالآكادية هي بعينها الفينيقية، كما أن الفينيقية هي عينها الكنعانية؛ لأن الجميع شعب واحد، لساناً ودماً وعنصراً، خرجوا من بقعة واحدة وإن تفرقت أجزاؤها، كما أن خروجهم كان أصلاً من أب واحد؛ لأننا نعلم أن من سموا بالآكاديين، هم عرب، وإن سموا بذلك لأن هذه التسمية لم تكن تسميه نسبيه؛ بل جاءتهم تلك التسمية من الأرض التي استقروا عليها، لأنها تسمى بأرض آكاد، وهذا ما قاله من سماهم بذلك، ألم يقولوا:(إن المستشرقين المحدثين قد استخلصوا من النقوش المسمارية أن أهل بابل أطلقوا على لغتهم كلمة الآكادية، لأن منطقة بابل كانت تعرف بأرض آكاد؛ كما يوجد بيان ذلك في النقوش؛ حيث تقرأ فيها أن عدداً من ملوك بابل قد لقبوا باسم ملوك آكاد وشومر... ويدل هذا اللفظ – آكاد – في التوراة على مدينة أو منطقة في بلاد شنعار [2]... ولعل هذه المنطقة المسماة آكاد كانت نسبة لأقدم القبائل السامية التي استوطنت في أرض جنوب العراق)؟ [3]...

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٧.

(٢) سفر التكوين[إصحاح ٢٠، آية(١٠)].

(٣) تاريخ اللغات السامية ص ٥٧.

إذن فالنسبة – آكادية – تعود إلى موقع سكنته إحدى القبائل النازحة من جنوب جزيرة العرب منذ أزمنة قديمة جداً غلب على اسمها اسم الموقع الذي استوطنته فنسبت لسانها الذي كانت تتحدث به إليه، إذن فليس هناك أمة لها جنس وعنصر آكادي، إلا من حيث نسبتها للموقع الذي سكنته، أفلا يعني هذا أن تلك القبائل –الآكادية–[1] هي عربية كانت قد نزحت من المواقع نفسها التي نزحت منها قبائل كانت تدعى عربية معينية مثلها مثل من سمي بالكنعانيين والفينيقيين، ولم لا تكون هي من نفس القبائل التي سميت بالفينيقية، أي من بطون قبائل جاسم التي استقرت في عمان فالبحرين، ثم اتجهت إلى أرض جنوب العراق – أرض آكاد – لأن روابط القربى لم تنقطع بينهم وبين أصولهم في البحرين وعمان وما بينهما قبل التاريخ وبعده، بدليل أن الباحثين في التاريخ القديم قالوا:[... إن أصل الفينيقيين الساكنين في فينيقية بلبنان هم من هذه المنطقة – البحرين – والساحل المقابل له...] ويذكرون أيضاً أن الفينيقيين تركوا ديارهم هذه وهاجروا منها سالكين الساحل، ثم وادي الفرات، ومن وادي الفرات يمموا لبنان حيث استقروا[2]... وليس هذا فحسب، بل هناك من يقول إن:[السومرين، إنما جاءوا إلى أرض العراق من البحرين حوالي سنة[٣١٠٠ق.م) [3]وأن الرأي الغالب اليوم بين علماء التاريخ القديم:(أن الكلدانيين الذين سكنوا الأقسام الجنوبية من العراق، إنما جاءوا إلى هذه الأرض من البقعة العربية الشرقية من ساحل الخليج، وذلك في أواخر الألف الثانية قبل الميلاد من ساحل الخليج، ثم زحفوا نحو الشمال حتى وصلوا إلى بابل وقد وجد بعض الباحثين كتابات كلدانية تشبه حروفها الحروف العربية الجنوبية القديمة؛ أي حروف المسند، واستدلوا من ذلك على أن أولئك المهاجرين كان أصلهم من عمان وهاجروا إلى ساحل الخليج، ثم انتقلوا منه إلى العراق، –كانوا قد– نقلوا معهم خطهم القديم، الذي تركوه بعد ذلك؛ حينما استقروا في العراق... والنماذج القديمة من كتاباتهم التي

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٧.

(٢) Herodotus , VII , 89. Hasings , p.725

(٣) Grohm mann , s255

عثر عليها الباحثون؛ وإن لم تتحدث عن أصل أصحابها إلا أن أصل خطها المذكور يشير إلى أنه من العربية الشرقية...

أول مجمع لغوي وتاريخ بداية اللهجات:

وإذا كان جل من استقروا بالعراق من المهاجرين هم من أهل العربية الشرقية كما شهد لسانهم وخطهم القديم الذي جاءوا به معهم، وهو وثيقة تحكي حقيقة لسانهم، ومعلوم أن أهل العربية الشرقية هم من بطون جاسم؛ وجاسم هم من العماليق، والكنعانييون والفينيقييون هم من بطون العماليق، إذن فلسان أهل آكاد – بابليون وأشوريون – هو نفسه لسان الكنعانيين والفينيقيين، أي أن الجميع شعب واحد وإن أطلقت عليهم أسماء لإنفصالهم عن أرومتهم العربية... بدليل أن:[سترابو] ذهب إلى أن[gerrha] التي تقع عند[العقير] كانت في الأصل موضعاً للكلدانين، وكانت ذات تجارة مع أهل بابل مزدهرة[1]... ومعلوم أن العقير؛ وهي قرية على شاطئ البحر بحذاء هجر باليمامة.. والعقير- أيضاً – باليمامة نخل لبني ذهل[2]... ومعلوم أيضاً أن العماليق أمم قد تفرقت في البلاد؛ ومنهم كان أهل المشرق وأهل عمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر منهم، ومنهم أيضاً – الجبابرة الذين كان يقال لهم الكنعانييون، وفراعنة مصر وأهل البحرين وعمان – أي جاسم – ومنهم أيضاً كانت طسم، وهم أشقاء العماليق، وكانوا قد سكنوا اليمامة وما حولها، وقد كثروا بها ورحلوا إلى البحرين، وجميعهم كانوا عرباً[3]... إذن فجل ساكني العراق هم من عرب العماليق، ولذلك كانوا على صلات وثيقة بأصولهم، سواء كان ذلك من كان منهم بالبحرين أو بعمان، حتى وإن تسموا بأسماء مواقعهم التي استقروا بها، فقد رأينا أن من كان منهم يطلق عليهم السومريين أو الآكاديين كانوا:يستوردون الذهب والحجارة الصالحة لصنع التماثيل والأخشاب لبناء المعابد والأشياء النفيسة الأخرى

---

(١) المفصل:١/٥٦٩

(٢) معجم البلدان:٤/١٣٨

(٣) الطبري:٢٠٣ – ١/٢٠٤

من [المدن] – البحرين، ومن [ملوخا] ومن:[مكان – مجان]... وهذه كلها أماكن يرى كثير من الباحثين والعلماء أنها في العربية الشرقية][1]... وإذا كانوا هم من العربية الشرقية، فهذا يعني أنهم عماليق، وعمليق هو من عرب جنوب جزيرة العرب، بل هناك إشارة تاريخية تقول:[... إن عمليق هو أول من تعلم بالعربية حين ظعنوا من بابل، فكان يقال لهم ولجرهم العرب العاربة...][2] وحينما تتأمل هذه الإشارة التاريخية تخرج منها بعدة ملاحظات مهمة تؤكد ما نحن بصدده، وأشياء أخرى قد تكون مما سبق... منها أن من كان يسكن بلاد بابل وآشور وغيرها من أرض جنوب العراق هم من العماليق؛ لأن من ظعن منها حينما تبلبلت الألسن كان عمليقاً – عربيا –، وظعون عريب العميلق من بابل إلى جزيرة العرب لا يعني أن العماليق كان منشأهم بداية أرض بابل – على رأي من يقول ذلك – بل كان هذا الظعون ظعوناً رجوعياً، بعد زمنٍ طويل من خروج العماليق الأجداد من جنوب جزيرة العرب إلى أرض العراق... بدليل إن الإشارة السابقة تقول:(إن هذا العلميق – عريب – كان هو أول من تكلم بالعربية)... لأن أولية نطقة بالعربية لا تعني أنه أول من انفتق لسانه بالعربية في الحياة، بل تعني أنه كان من أوائل من حافظ لسانه على سلامة النطق العربي الفصيح في بلاد بابل حينما تبلبلت الألسن هناك؛ لأن الإشارة نفسها قالت[حينما ظعنوا من بابل...] أي أنه كان محافظاً على النطق الفصيح في بابل، بدليل أن هذه الأولية التي كانت لعريب العمليقي في بلاد بابل، كانت تقال لشخص آخر في مكان آخر تبلبلت فيه الألسن كما كانت في بابل، ولذلك قالت الإشارة:[فكان يقال لهم ولجرهم:العرب العاربة...] أي أن جرهم كان في جنوب جزيرة العرب كعريب في بلاد بابل من حيث محافظة لسانه على سلامة النطق الفصيح، وهنا نقف ونسأل هل جرهم الوارد ذكره في هذه الإشارة هو جرهم الأول، أم هو جرهم الثاني ؟، والذي يتضح عند تأمل الإشارة السابقة أنه جرهم الثاني لا

---

(٤) المفصل:١/٥٦٩

(١) الطبري:١/٢٠٧

الأول، لأن العمليق الذي ذكر معه هو عريب لا العمليق الأب، وعريب العمليقي كان معاصراً لجرهم الثانية كما كان العمليق الأول معاصراً لجرهم الأول، وجرهم الثاني وعريب وجيله الذي معه من العماليق هم أيضاً من العرب العاربة – كما قالت – الإشارة، والكل عرب عاربة، لكنهم ليسوا من الطبقة الأولى، لأن التاريخ حينما ذكر الطبقة الأولى من العرب لم يذكر جرهم هذا، بل ذكر عمليق الأب معهم، ألم يرد أن:(عاد وثمود والعماليق وأميم وجاسم وطسم وجدس:هم العرب العاربة، ويتكلمون بهذا اللسان المضري، لكونه لسانهم الذي جبلوا عليه[1]... إذن فجرهم هذا لم يرد ذكره في مجموعة الصف الأول من العرب العاربة... وهذا يؤكده – أيضاً – الفارق الزمني بينه وبين عمليق الطبقة الأولى من العرب العاربة، وهذا الفارق الزمني يتبين من خلال سلسلة النسب – الزمنية – لكل واحد منهما،... فعمليق الصف الأول:هو عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح– عليه السلام – أما جرهم الثاني فهو ابن عابر بن سبأ بن يقطن بن عابر بن شامخ بن أرفخشدين سام بن نوح – عليه السلام – إذن فهناك ما يقرب من خمسه أجيال زمنية بين الاثنين... ورأينا – أيضاً – أن الاسم الأساسي لعمليق الذي كان معاصراً لجرهم هذا – هو – كما ورد عريب[2] .. بعكس العمليق الأول –الأب لهذا– فقد كان اسمه الأساسي هو عمليق، كذلك ورد أن عريب العمليقي، هو الذي كان معاصراً لجرهم سكناً في مكة بعد ظعونه من بابل، حتى أن بعض المؤرخين قد سايروا مؤرخي التوراة وأطلقوا على لسان جماعة هذا العمليق – عريب – في مكة عبري؛ لأنه حينما ظعن إليهم من بين قومه الذين كانوا في بابل؛ بلسانه الفصيح كان بينهم كمن ينطق العربية السليمة لأول مرة، وعلى هذا يكون ظعون هذا العمليق من بابل إلى مكة ظعوناً رجوعياً، أي أنه رجع إلى الجزيرة العربية، ليكون مع جرهم، وبقية رؤساء القبائل الذين كانوا بمكة كخزاعة وغيرهم، الدعامة الأساسية لإصلاح ما بدأ يفسد من الألسن العربية في

---

(١) الطبري:٢٠٤/١

(٢) الطبري:٢٠٤، ٢٠٧/١

وسط الجزيرة العربية، وفي مكة خصوصاً، التي ستكون منطلقاً لرسالة أبي الأنبياء – إبراهيم عليه السلام –، وهذا أمر طبيعي، فالمكان الذي سيكون منطلقاً لما يصلح القلوب والعقول الإنسانية؛ يجب أن يكون قبل ذلك منطلقاً لما يصلح الألسن – الأداة – التي ستخاطب العقول والقلوب كي تفهم ما يصلحها؛ فإذا صلحت ألسن من سيحملون ما يصلح قلوب الآخرين، سهل التبليغ للمتلقين الذين سيجبرون لإصلاح أدوات استقبالهم لفهم ما سيبلغونه، وأظن أن اجتماع أولئك الرؤساء بمكة، وما سبقه من اجتماعات يعتبر أول الإشارات للمجامع والمؤتمرات اللغوية قبل التاريخ وبعده، كما سيأتي الحديث عن هذا بإذن الله تعالى، وأظن أيضاً أن ما نتج عن تلك الاجتماعات تعد من الأسباب الرئيسية التي دعت بعض المؤرخين من مستشرقين وغيرهم لأن يقولوا:إن لغة الحجاز كانت أكثر تأثراً بلسان الشمال من تأثرها بلسان أهل اليمن وهم الأقرب إليهم، وهذا طبعاً غير صحيح لأن العماليق جميعهم، هم من اليمن ومن منهم كان بشمال الجزيرة -خارجها- كانوا قد انطلقوا من اليمن استقر منهم من استقر بالحجاز ومنها مكة وما حولها، ومنهم من خرج خارج الجزيرة؛ إذن فالتأثير الذي حدث في الحجاز، هو تأثير يمني، وسيأتي تفصيل لذلك أكثر – بإذن الله تعالى – وهذه الحقيقة يؤكدها رجوع هذا العمليق من بلاد بابل؛ فقد رأينا أنه من كان ببابل هم من هؤلاء العماليق؛ وإن أطلق عليهم تسمية بابليين، لأن هذه التسمية لم تكن نسبية، وإنما سموا بذلك لتبلبل ألسنتهم واختلافها نظراً لتجمعهم من بطون قبائل مختلفة كما قالوا:(والحق أن بابل كما يدل عليها لفظها العربي والعبري، هي خليط من أمم مختلفة متبلبلة الألسن، متباينة النزعات والميول...) والحقيقة أن هذا التبلبل لا يدل على أن تلك التجمعات كانت ناتجة عن ألسنة أجناس بشرية مختلفة الأصول والجذور والآباء، بل إن حصوله كان ناتجاً لاجتماع مجموعات قبلية مختلفة في زمن قد تبلبلت ألسنتها وتباينت. إلا أنه يجمعهم أصل واحد، وهو الأصل العربي، بل تجد أن أكثر تلك البطون المتباينة الألسن المتبلبلة آتية من أب واحد كالقبائل الفينيقية والكنعانية وفروعهم الذين يعودون جميعاً للعماليق وإن اختلفت أسماؤهم، أو كانوا من البطون الأخرى الذين يعودون لأبناء عمومتهم الفينيقيين

والكنعانيين، وكانوا منتشرين عبر اليمامة وما حولها، وسموا – في أرض آكـاد – بالكلدانيين، والسومورين، وهم أصلاً من فروع طسم وجديس شـقيقي العمـاليق، كالكنعانيين الذين:[عظمت شوكتهم في نواحي بابل، وتدخلوا في كل الشؤون، وجعل نفوذهم يزداد شيئاً فشيئاً إلى أن تمكنت إحدى أسرهم من أن تغتصـب عرش بابـل لنفسها، وهي أسرة حمورابي حوالي (٢٣٠٠ق.م)[١].

إذن فأمر ذلك التبلبل مرجعه – أغلبه – أسري، والأسر يرتبط أمرها بـأمر المواقع التي خرجت منها، وطبيعة المواقع لها تأثيرها على الألسن قوة وضعفاً، ألم يرد:(إن الطباع العربية مختلفة قوة وضعفاً، فمنها المتوقح الجافي، ومنهـا الرخـو المضطرب...)[٢] أي أن لسان الصحراء غير لسان السواحل، والحزون غير الجبال، وهذا مما قد يظنه البعض اختلاف ألسن أجناس مختلفة، بدليل أن (العلاقـة اللغويـة كانت قوية ومتينة بين اللغة الكنعانية، واللغة البابلية)[٣]... فلو كانت البابلية هي غير الكنعانية لما كان ذلك، بل كان لابد من أن تفني الكنعانية الغالبة البابليـة المغلوبـة، ولكن ذلك لم يحصل مما يعني أن لسان المجموعتين واحد وإن اختلفت نطقاها فـي بعض الحروف والمخارج، فذاك أمر راجع لاختلاف المكانين اللذين قدما منهمـا ؛ لأن كليهما عمليقي، أي أن من سمي بالبابليين هم أصلاً من الأفواج العربية العمليقية التي رحلت إلى بلاد النهرين واتخذت بعد ذلك أسماء مختلفة، فالتـسمية بالبابليـة، كانت لتبلبل ألسنة أصحابها[٤]، لكن هل كانت هي معروفة لدى تلك الأمم التي سميت بها؟ والحقيقة هي تسمية استشراقية؛ وهذا ما أعلنوه هم أنفسهم حينما قـالوا:(كـان المستشرقون في القرن الماضي، لما بدأوا في التنقيب والفحص عـن آثـار الأمـم الغابرة في العراق، قد أطلقوا على لغة تلك البلاد اسم اللغة الآشـورية، لأن أغلـب

---

(١) اللغات السامية:٢٩ – ٣٠

(٢) تاريخ آداب العرب... الرافعي:٢٣٦ – ١/٢٣٧

(٣) تاريخ الساميات ولفنسون:ص ٣٠.

(٤) المرجع السابق.

الكتابات المسمارية كشفت في نواحي نينوي عاصمة آشور القديمة... ثم اتضح بعد أن انجلت آثار جنوب العـــــراق أن لفظ آشور لا يفي بالمراد؛ فأطلقوا على كتلة اللهجات السامية في بلاد العراق اسم اللغة البابلية...) [1] إذن فالكل آت من منطقـة واحدة، ويتكلم بلهجات واحدة — أيضاً — وإن تباينت وتعددت؛ لكنها متقاربة، وهنـا نصل إلى الحقيقة التي أشرنا إليها في بداية هذا الفصل، وهـي أن الكنعـانيين مـن الفينقيين والفينقيين — أيضاً — من الكنعانيين، لأن الجميع بطون أو قبائل تفرعت من أب واحد هو عمليق، وإن اختلفوا في الهجرة زماناً واتجاهاً، وأن بعضاً مـن هـذه البطون من كان يطلق عليهم في أرض آكاد تسمية الآكـاديين أو الأشـوريين، ثـم البابليين... ومن هنا — أيضاً — كان استدلالنا ببعض الإشارات اللغوية التـي وردت في اللسان الذي سمي بالآكادي على حقيقة كون الفينيقيين والكنعـانيين إخـوة مـن بعض... ويستمر حبل الهجرة موصولاً من المنطقة التي اعتبرناها المـوطن الأول لتلك الأمم التي كان أهلها يمثلون أهل العربية الأولى —العاربة—، ولكنه تمثيل للفترة التي أخذ فيها اللسان العربي يتجزأ إلى ألسنة متعددة متباينة في نطقها، نتيجة لاتساع أمر التفرق والشتات الذي أخذ يقسم الأمة ويُبعد بعضها عن بعض، بل هذا التمثيـل هو للفترة التي أخذ فيها هذا الشتات بعداً وصلوا فيه للترجمة عن بعـضهم بعـضاً؛ وعندي أن هذه الفترة تعد من البدايات التاريخية الأولى لمـيلاد ونـشوء اللهجـات العربية قبل التاريخ — إن صح هذا — في هذا النشوء الذي أخذ يتبلور ويظهر بشكل أوضح على أرض بابل، حينما تدافعت أكثر تلك القبائل والبطون إلى أرضها، رغم أنهم أمة واحدة، الأمر الذي جعل كبراء القوم ورؤساء القبائل يتداعون للنظر في أمر هذا الخطر وإيقافه، لذلك كان هذا التبلبل الشرارة الأولى لميلاد وحدة اللسان العربي الأم من جديد، الشرارة التي أوقدت وفود عريب — العمليقي — لأن يطير إلى بطحاء مكة، الأرض التي ستولد على أديمها العربية الفصحى من جديد...وإذا عـدنا إلـى التاريخ الجغرافي والتاريخ اللغوي فسنجد أنهما يشيران بطريق غير مباشر، إلى أن

---

١) المرجع السابق، ص ٢٧.

بابلاً لم تكن واحدة في تلك الفترات القديمة، وإن اختصت وشهرت بذلك بابل العراق، أي أنه لم تكن هناك أرض واحدة قد تبلبلت فيها الألسن، بل كانت هناك ثلاثة مواقع يمكن أن يطلق عليها بابل، وهي أرض العراق والشام وما حولهما، وإن كانت مشخصة في الموقع الذي سمي بأرض بابل – جنوب العراق – والموقع الثاني كان كل أرض اليمن ما ارتبط بها كأرض حضرموت وعاد والمهرة وعمان وغيرها... أما الموقع الثالث فكل أرض الحجاز وما ارتبط بها، مشخصة في أم القرى –مكة المكرمة– الأرض التي ستشهد الميلاد الثاني – قبل الأخير – أي البلد الذي ستمتزج بداخله الألسن وتنصهر لتخرج لساناً عربياً مبيناً؛ لذلك رأينا التاريخ اللغوي – يقول كما سبق – إن عريب العمليقي كان أول من تكلم بالعربية في بابل حين كانت الألسن(١) متبلبلة، أي أنه كان الوحيد – تقريباً الذي ظل محافظاً على النطق باللسان الفصيح عند ذلك التبلبل؛ لأنه كان رئيس القوم هناك، ومثل هذا القول قالوه عن أبي جرهم الأول وعن قحطان... بدليل أن ابن خلدون يعلق على هذا بقوله:(ولا يعني هذا أن قحطان كان أول من نطق لسانه بالعربية المبينة، وإنما أخذها من أجداده العرب العاربة سليمة، وظل لسانه محافظاً عليها حينما تبلبلت ألسن أجياله...)(٢) أي حينما تباعد بهم الزمن عن أسلافهم، وأدى بهم ذلك التباعد الزمني للتفرق والشتات، مما كان لذلك أثره على ألسنتهم، حتى قالوا: (إن قحطان كان من أول الجيل الذين– عرفوا– بالعرب المستعربة من اليمنيين)(٣) وإذا كانت تبلبلت اللغة بأرض العراق، ففي أرض اليمن كادت أن تستعجم، حتى صار من ينطقها غير صحيحة يطلق عليه مستعرباً... ولم تطلق هذه الصفة على أهل اليمن وحدهم، بل رأيناها تطلق على الكثير ممن كان يسكن بمكة وما حولها من أرض الحجاز، حتى سموا أولاد نبي الله إسماعيل – عليه الصلاة والسلام – بالعرب المستعربة؛ وما قالوه عن قحطان والد اليمنية التي بقيت باليمن قالوه عن نبي الله إسماعيل – عليه

---

(١) الطبري:١/٢٠٦

(٢) ابن خلدون:٢/٨٦

(٣) ابن خلدون:٢/٨٦

السلام، بل قالوا:(إن إسماعيل عليه الصلاة والسلام – تعلم العربية من جرهم...)[1] وهنا نلاحظ أنهم ينسبون تعلمه للعربية إلى جرهم؛ ولذلك جعلوا جرهم أمتين؛ أي جرهم التي كانت معاصرة لعاد، وجرهم أخرى من نسل قحطان أي أنه كان أحد أولاده، ومهما يكن فهذا دليل على شدة تخبطهم في حقائق التاريخ، وهي كثيرة جداً؛ كقولهم بوجود عرب عاربة وعرب مستعربة، في حين تقول الحقيقة:(إنما سمي أهل هذه الطبقة من العرب – بهذا الاسم – المستعربة –؛ لأن السمات والشعائر العربية لما انتقلت إليهم ممن قبلهم؛ اعتبرت فيها الصيرورة؛ بمعنى أنهم صاروا إلى حال لم يكن عليها أهل نسبهم، وهي اللغة العربية التي تكلموا بها؛ فهو من استفعل بمعنى الصيرورة؛ من قولهم استنوق الجمل، واستحجر الطين.) [2].

... إذن فالاستعراب لا يعني أن العرب كانوا عجماً فتحولوا عرباً، وإنما يعني – كما سبق – أن أهل ذلك الجيل – من العرب –تحولوا إلى حال لم يكن عليها أهل نسبهم اللساني؛ وذلك لتباعدهم عن أصولهم زمنياً، وتفرقهم مكانياً عن بعضهم، مما أدى إلى التأثير على ألسنتهم، تأثيراً أفزع سادة القوم، فزعاً جعلهم يتوافدون سراعاً إلى ذلك الموقع الذي جعله الله تعالى رمزاً لتوحيد القلوب، لأجل توحيد ألسنة الأنبياء بعد الشتات، المكان الذي سيولد فيه لسان العروبة بعد أن كادت تذوب في الآفاق حتى أصبح أهلها غرباء على أنفسهم، فسبحان من جعل القلوب تهوي إليه لتوحيد القلوب إيذاناً بتوحيد اللسان بعد التبلبل والشتات.. ومعلوم أن هذا التبلبل كانت بدايته قد حصلت في ألسنة الأصول الذين أطلق عليهم العرب العاربة؛ وذلك إبان تفرقها الأول الذي حصل عقب انتشارها من الأرض الأولى التي كانوا يسكنونها بعد الطوفان، وهي عقبة الأحقاف – كما سبق –، ولذلك رأينا علماء التاريخ اللغوي يقولون: (إن نبي الله هود – عليه الصلاة والسلام – كان هو أول من تكلم

---

(١) فتح الباري:٦/٤٦٤

(٢) ابن خلدون:٢/٨٤

بالعربية)[1] ... إذن فنبي الله هود -عليه الصلاة والسلام- كان رمزاً للذين كانت ألسنتهم تمثل دعامة اللسان الفصيح بين الأجيال التي تبلبلت ألسنتهم في أزمنتهم، ولا يعني أنه أول من نطقها، بل يعني أنه كان رمزاً لمن ظلوا محافظين عليها عند التبلبل، كلما ازداد التفرق والشتات، ألم يرد مثل هذا عند بداية انتشار اللحن بعد الإسلام، وبعد نزول القرآن رمز الفصاحة حتى جعلوا عبد الملك بن مروان والشعبي، والحسن البصري وأيوب بن القرية ملوك الفصاحة؛ بين جيلهم في زمنهم لأنهم لم يلحنوا؟[2] إذن فهم بين جيلهم في البيان والفصاحة، كقحطان وعريب في سادة القوم، وكذلك كنبي الله هود وإسماعيل بين قومه، وهذا بعد الإسلام بعد توحيد اللسان العربي وحفظه بالقرآن الكريم فكيف بأولئك الذين لم يكن لهم قرآن يحفظ لسانهم، بل مما يؤكد لنا هذه الحقيقة، ما وصل إليه الأمر من غربة في اللسان العربي – وبعد التوحيد اللساني بالإسلام –، حينما بعد الزمن قليلاً عن عصر عبد الملك وأمثاله، أي بعد أن فسدت سلائق الأعراب؛ باضطراب الفتن واستعجام الدول، وانقطاع حاجة العلماء إلى عربيتهم الفطرية، ونشوء الاختلاط بين العرب وعامة الأمصار[3] ، الذي أدى لنشوء العامية لغلبة التبلبل على ألسنة جل الجيل:(لم يعد الأعراب الفصحاء يفهمون إلا عن أهل البصرة بسؤالهم من الرواة والعلماء.. لذلك كانوا لا يخاطبون العامة إلا بمحضرهم ومساعفتهم في[الترجمة]... والآثار من ذلك كثيرة جداً نكتفي منها بما رواه الجاحظ في البيان والتبيين، قال:رأيت عبداً أسوداً لبني أسد، قدم عليهم من شق اليمامة، فبعثوه ناطوراً، وكان وحشياً لطول تغربه في الإبل، وكان لا يلقي إلا الأكرة [الحراثين]، فكان لا يفهم عنهم ولا يستطيع إفهامهم، فلما رآني سكن إلي، وسمعته يقول:لعن الله بلاداً ليس فيها عرب... أبا عثمان؛ إن هذه العريب في جميع الناس كمقدار القرة في جميع جلد الفرس؛ فلولا أن الله رق

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير:٩٣

(٢) الرافعي، تاريخ آداب العرب:١/٢٤٠

(٣) المرجع السابق:١/٢٤٦

عليهم فجعلهم في حاشية لطمست هذه العجمان آثارهم!!) [١]... إذن فكما كانت الغرة في جبهة الفرس رمزاً للبياض والصفاء كان الإعراب رمزاً لنقاء اللغة وفصاحة اللسان، حينما تبلبلت الألسن، وهذا ما تعنيه تلك العبارة التي نراها تتردد دائماً في كتب التاريخ اللغوي، وهي قولهم:(إن أول من نطق العربية إلخ...)، فإذا كان الأعراب كانوا كذلك عند التبلبل، وهم مجموعات متناثرة متقاربة هنا وهناك رأيناهم يصبحون أربعة فأقل عند انتشار اللحن، إذن فالمحافظ الواحد في خضم التبلبل الزاخر، هو نفسه الناطق الواحد باللسان الفصيح بين متبلبلي اللسان.. إذن فكل ذلك التبلبل الذي حصل في الأصل الفصيح، كان يعاصره أيضاً من بقي يحافظ عليه فصيحاً، وإذا عدت لبعض سجلات التاريخ اللغوي عبر عصوره السحيقة، فإنك واجد ما يمثل كل ذلك؛ والحاضر خير شاهد ودليل.. وهذا يعني أننا سنقف عند بعض النماذج، لنرى كيف كان استعمالها، وتعدد صيغها في ألسنة تلك الأمم، سواء كان ذلك في مواقع هجرتها، أو في مواقعها التي كانت تقيم بها في موطنها الأصلي قبل هجرتها، قديماً كان ذلك أو حديثاً، وكيف كان استعمال تلك الصيغ يتكرر بالصوره نفسها عند كل تبلبل... وما هو الفصيح الأصل منها؟... وما هو المتبلبل؟... لنرى كيف أصبحت تلك الاستعمالات المتعددة المتنوعة أسساً لنشوء اللهجات وتعددها... ولنأخذ مثلاً لذلك ضمير الخطاب[أنت]..

بداية نشوء التاريخ اللهجي:

ضمير الخطاب شاهد للتبلبل والفصيح:

وذلك أن هذا الضمير[أنت] إذا رجعت إلى التاريخ اللغوي وجدته يقول:إن هذا الضمير كان ينطق في الآكادية القديمة النطق نفسه الذي كان ينطق به في العربية الفصحى – أنت – أي عربية القرآن الكريم –، في حين كان نطقه في الآكادية الوسيطة هكذا – [آتّ]، وكذلك كان في الكنعانية... وهذا ما أكده المستشرق ريتشارد كابلس؛ الذي عمل كتاباً في الآكادية... ذهب فيه إلى أن:[أتّ] أساسها في

---

(١) المرجع السابق:٢٥١ / ١

اللغة الأم [أنت]، ولذلك يقول:[أنت] آكادي الأصل [آكادي مبكـــر ٣٢٠٠ق.م] و[أتّ] آكادي قديم وسيط(١)... واستعمال[أتّ] نجده بهذه الصيغة نفسها، مع تغير طفيف في أت وهو تخفيف التاء نجده في اللهجة الآرامية، وهذه الإشـــارة يؤكـدها ولفنسون بقوله:[وفي الآرامية نجد[ante .., at].. وإذا كانت اللغة – اللهجة – الآكادية كانـت في الألف الرابعة قبل الميلاد، أي عند بداية التاريخ، وما قبله كانت تستعمل بلسانها ضمير الخطاب[أنت] فصيحة كما وجدت في لسان القرآن الكريم[أنت]، ألا يعنـي أن لسانها كان هو نفسه لسان –لهجة– القرآن، أي اللغة الفصحى، ولكنها بعد أن بعدت عن مواقع أصولها وتطاول زمن بعدها وتفرقها، أخذ لسانها يتبلبل فتحول نطقها لهذا الضمير بعد التبلبل إلى [أتّ] بدليل أن ما وجد فيما سميت بالآكادية وجد في ألـسنة إخوانهم الذين سموا بالآراميين تماماً، إذن فقد كان الفصيح –أنت– موجـودا قبـل المتبلبل، ووجود الفصيح إلى جانب وجود المتبلبل، الذي كان يمثل مراحل الاختلاف نتيجة للاختلاط والتباعد، يعني أن الأصل كان واحد للجميع ولم يكن هـذا قاصـراً على الآكادية والآرامية فحسب، بل وجد في كل اللهجات التي سميت بأسماء أبعدتها عن أسماء أصولها الحقيقية... بدليل أن هذا الفساد والتبلبل في الألـسنة، لـم يكـن وجوده قاصراً على شمال الجزيرة العربية وخارجها؛ بل وجد أيـضاً فـي جنـوب الجزيرة، لأن ما كان يحصل في الشمال كان يحصل قبل ذلك في الجنوب؛ مما يؤكد أن أولئك –هم– من هؤلاء، لأن ما حصل في الشمال وجدناه بعينـه حاصـلاً فـي جنوب جزيرة العرب في نفس الفترة الزمنية التي كان يحصل فيها في الشمال، فلـو رجعنا مثلاً لمن كانوا معاصرين لمن سموا بالآكـاديين والآراميـين والكنعـانيين والعبرانين وغيرهم في الشمال، ورجعنا لمعاصريهم في جنـوب جزيـرة العـرب ولكنهم ظلوا محافظين على أسمائهم الأصلية كالمعنيين والقتبانيين السبئيين والمهريين في جنوب جزيرتهم لوجدنا التاريخ اللغوي يقول لنا:أن[أنت] كانـت تـستعمل فـي المعينية صيغتها الأصلية[أنت]، في حين وجدت وريثتهم الـسبئية تـستعمل[أنـت]

---

(١) راجع كابلس [١١٥].

هكذا[أت] [(١)]... أما في لهجات الأحقاف – مهرية وجبالية – فقد وجدت أنها كانت تستعملها هكذا:[هـ ت – هت – أت] [(٢)]... ومعلوم أن [هـ ت] هي [أت] نفسها؛ لأن الهمزة تقلب[هاء] في هذه اللهجات المعينية والسبئية[(٣)]... أفلا يؤكد هذا أن أولئك هم من هؤلاء، بدليل أن النقوش تقول إن التسمية المعينية نفسها وجدت في النقوش المسمارية، بل وفي فترة زمنية سابقة للفترة التي وجدت فيها الآكادية تستعمل ضمير الخطاب الفصيح [أنت]، أي فترة التاريخ المبكر [٣٢٠٠ق.م] أما اسم الدولة المعينية فقد وجد هناك في فترة ما قبل التاريخ كما يقول الباحثون الذين:(عثروا على أمة بهذا الاسم – الدولة المعينية –، في أقدم آثار بابل سنة[٣٧٥٠ ق. م] على نصب من أنصاب النقوش المسمارية) [(٤)]... مما يؤكد أن تلك القبائل التي كانت في شمال جزيرة العرب هي من القبائل نفسها التي ظلت محافظة على أسمائها في مواقعها الأصلية-الجنوب- أو بعضها ممن رحلوا إلى هناك وظلوا محافظين، كما رأينا ذلك آنفاً، بدليل أن النقوش أشارت إلى أن قبائل معين ظلوا محافظين على استعمال -أنت- كما هي، إذن فمن كان يستعمل الضمير -أنت- هناك في فترة[٣٢٠٠ق.م] وسموا بالآكاديين كانوا معينيين؛ لأن التسمية المعينية وجدت هناك قبل هذا التاريخ بحوالي ستة قرون تقريباً [٣٧٥٠ق.م]، إذن فتسمية من سموا بالآكاديين في تلك الفترة وما بعدها غير صحيحة، وبدليل آخر أن من وُجد ممن سمي بالآكاديين في التاريخ الوسيط يستعمل(أنت) – [أت] وجد في جنوب جزيرة العرب من كان يستعمل [أنت] على [أت] وجد نظراء لهم في جنوب جزيرة العرب يستعمل [أنت] على [أت] وفي الفترة عينها وهم وارثو المعينيين ممن سموا بالسبئيين، أفلا يؤكد هذا التوافق والتطابق أن من سموا بالآكاديين والآراميين

---

(١) مختارات من نقوش يمانية:ص ٨٣.

(٢) العربية القديمة ولهجاتها:ص ١٠٧.

(٣) تاريخ اللهجات السامية:ص ١٥

(٤) تاريخ آداب العرب – الرافعي:٤٨ / ١، كتاب الكنعانيون معينيون من جازان – عبد الرحمن محمد الرفاعي.

وغيرهم هم من هؤلاء المعينيين والسبئيين والقتبانيين إذن فهذا التطابق والتوافق في استعمال الفصيح والمتبلبل، يجلي لنا أمراً خطيراً ومهماً جداً وهو أن زمن هذا التبلبل يُعد تاريخاً لبداية نشوء اختلاف الألسن وتباينها، وهو ما سمي فيما بعد باللهجات...ولذلك نرى هذا التباين والاختلاف يحصل كلما عادت وتجددت أسبابه التي حصلت في بداية أمره بل يؤكد –أيضاً – أن الأصل في استعمال هذا الضمير هو [أنت]، وأن:أتّ وأت، وأكّ، وهت؛ هي أصول ميلاد تلك اللهجات... وهذا ما يؤكده الحاضر الذي قالوا عنه أنه شاهد وبرهان للماضي.

من شواهد التوافق في المواقع الأصلية للراحلين بجنوب الجزيرة العربية:

وذلك أن في جنوب جزيرة العرب حفظها الله تعالى، وحفظ من يتعاقبون – تناسلاً – عليها، من أن يختلط بهم غريب، أو يداخلهم دخيل، وهي المواقع التي اعتبرنا ألسنة أهلها هي الحلقة المفقودة في امتداد عربية من رحل عنها قديماً إلى خارج جزيرة العرب؛ إذ وجدنا أن كل ما كان يوجد على ألسنة أولئك الراحلين من صيغ وخصائص وصفات لغوية، وجدناها بعينها موجودة على ألسنة هؤلاء المعاصرين لنا في هذه المواقع، بل وجدنا أنهم لا يقبلون غريباً بينهم وإلى الآن، فمثلاً استعمال الضمير السابق [أنت] نجده ماثلاً بعينه في هذه المواقع؛ فجهات القيوس وسلى نجدهم ينطقون ضمير الخطاب السابق هكذا [أتّ]، بعكس قبائل الغمر وامتدادهم فينطقونها مخففة [أت]، أي بدون تشديد، أما مواقع العبادل وقبائلهم، وهم على مقربة من سابقيهم، فينطقونها هكذا:[أكّ]، أي أنهم ينطقون التاء المشددة نطقاً مفخماً، نطقاً هو أقرب إلى نطق حرف الكاف لتقاربهما مخرجاً، لكن المنصت المدقق يدرك أنها تاء مفخمة(١)، أما الريث وهروب ومنجد، وهم من يطلق عليهم جهات الشام، فسنجد منهم من ينطق –أنت– كما هي فصيحة، ونجد منهم من ينطقها[أتّ]، بعكس قبائل فيفا الذين ينطقونها هكذا [أنت] أي نطقاً فصيحاً – أيضاً –

---

(١) تسجيل صوتي عن علي بن جابر اللغبي، ومحمد قاسم اللغبي، وسلمان اللغبي.

... لكنك سرعان ما تفاجأ بقبائل من بني معين وبني ودعان، ينطقون [أنت] هكذا [أنكه]... ونطقهم هذا يجعلنا نجزم أن [أنكه] في البابلية والأشورية التي ترجمها المستشرقون من نقوشهم، أنها تعني ضمير المتكلم [أنا]، وهذا يعني أن ترجمتهم هذه ليست صحيحة، لأن المواقع التي خرج منها أولئك الراحلون تقول أنها ضمير خطاب مفرد؛ لأن صيغة نطقها تؤكد أنها إلى الخطاب أقرب، بل هي لا زالت تنطق في مواقع خروجهم ضميراً للخطاب.

ومن خلال هذا التباين لنطق هذا الضمير [أنت] بين أنت فصيحة، ثم أتّ، أكَ، أت، هت، أنكه، نجد أن الأمر في ذلك لم يكن تطوراً زمنياً له حتى أصبح في نهاية المطاف أنت؛ وذلك لأن هذا التطور يكون إذا كانت[أنت] غير موجودة أصلاً، ثم أخذ أمرها يتدرج إلى أن توقف بها المطاف عند[أنت]، لكننا رأينا أن[أنت] التي يعدها اللغويون رمزاً للفصيح، كانت موجودة بين ذلك الكم اللهجي الهائل، والمتأرجح بين البعد الخالص [هت] أو البعد المتوسط [أك] أو القرب المتوسط [أتّ] أو القرب الخالص [أنك] من الفصيح [أنت]، وعلى هذا فليس هناك تطوراً لهذا الضمير؛ لأن الفصيح ذاته [أنت] كان موجوداً بين ذلك التباين، وكان هناك من كان ينطقه؛ إلا أن النون في أنت قد أدغمت عند النطق وهذا ما أكده لنا أحد أبناء الريث[1]حينما سألناه عن سبب نطقهم [أنت] بـ[أت]، فقال إن –أت- هي –أنت- بذاتها عندهم، لأنهم يدغمون النون في التاء إدغاماً أنفياً –بغنة- فيظن السامع أن ليس هناك نون، بينما هي موجودة، والمنصت المدقق يجد ذلك واضحاً؛ وليس ذلك في [أتّ] وحدها، بل هناك كلمات كثيرة تجد أبناء مواقع هذا البحث ينطقونها مدغمة النون، فيسمعها السامع وكأنه ليس بها نوناً، مثل كلمة [أفّ] التي ينطقها أبناء موقع جبال العبادل – إلى الآن – بهذه الصورة [أفّ] والمقصود بها [أنف].

إذن فلا نغالي حينما نقول إن الآكادية وأخواتها كانت هجرتها من هذه المواقع؛ لأن هذا الإدغام بعينه وجدنا علماء التاريخ اللغوي يقولون:[إنهم وجدوا أن

---

(١) مفرح الريثي أحد أبناء الريث المصلين...

كلمة أنف؛ هي في الآكادية الوسيطة [أفّ] بينما هي في الآكادية القديمة [أنف][1] وهذا ما قالوه عن الضمير -أنت- وكونها بالآكادية الوسيطة [أتّ] وبالقديمة [أنت]،... إذن فالأمر لا يعدو كونه تباين لهجات واختلاف قبائل وبطون، سواء كانت هي في مواقعها كما سبق آنفاً، أو من كان منهم هناك منتقلاً أصلاً من مواقعه الأصلية... وإذا كنا قد رأينا ذلك هنا في العبادل والغمر وبني معين والريث وفيفا والقيوس وغيرهم؛ فالأمر هناك لم يقتصر على الآكادية وحدها في هذا التصريح بالنون وإدغامها، فقد وجدنا أن:كلمة [بنت] هي في التدمرية القديمة، والمصرية الدارجة اليوم هي [بتّ]... ومنها بت رباي[2]... إذن فهو تنوع في النطق، عائد لاختلاف تعدد الناطقين بذلك، لاختلاف تعدد مواقعهم التي انتقلوا منها... لأن -أتّ- هي -أنت- نفسها، أما اختفاء النون في أتّ، إنما هو اختفاء إدغام مع وجودها في الكلمة؛ لكونها حرف أصلي بالكلمة، بدليل أنا وجدنا في بطون القبائل التي بقي بعض أحفادها بها في مواقعها التي هاجرت منها أصولها، من يصرح بنطق هذه النون في نطقه لأنت متبلبلة كما في [أنكه] كما لدى بطون بني معين وبني دعان وكذلك من كان يصرح بها من بعض الآشوريين؛ مما يؤكد أصالة هذه النون في الكلمة وإن أدغمت، لأن إدغامها لا يعني سقوطها منها وعدم صحة زيادتها لدى من زعم بذلك؛ لبعده عن معرفة طبيعة ألسنة أهل مواقعها الأصلية بجنوب جزيرة العرب، كصاحب كتاب ملامح فقه اللهجات العربيات القديمة، الذي قال(وقد ذهب كابلس إلى اعتبار أن أصل الكلمة [أنت]،... ونحن نشك في ذلك ونعتبر [أنت] تطوراً لـ[أتّ] بعد إدخال الحاشية النون لإظهار الهمزة والتاء حين توسطها] [3]إذن مما دعاه للقول بالتطور وجعل الأصل أتّ؛ هو أن النون في أنت زيدت لإظهار الهمزة لتوسطها بينها وبين التاء، لكن الواقع الميداني والمشافهة مع أحفاد أهل المواقع التي رحل منها أصولها قديماً إلى خارج جزيرة العرب تقول بغير

---

(١) ملامح في فقه اللهجات العربيات:ص ١٩٣... وولفنسون:ص ٢٨٨.

(٢) ولفنسون:ص ٢٨٨.

(٣) ملامح في فقه العربيات:ص ١٩٣.

ذلك، لأننا وجدنا بعضاً من هذه المواقع يصرحون بهذه النون عند نطقهم لضمير الخطاب رغم تبلبله على ألسنتهم وهم بنو معين وبني ودعان الذين ينطقون(أنت)(أنكه)، وهذا يعني أن هذه النون حرف أصيل في بنية الكلمة وأصالتها في بنائها، يعني أن الأصل لها هو(أنت) لا(أتّ) المتبلبلة؛ وأيضاً بدليل ما قاله بعض أهل هذه المواقع السابق ذكرها، من أن النون في أتّ، هي مدغمة في الحرف التالي لها... بل إن استقراءنا للهجات هذه المواقع قديماً عن طريق نقوشها التي عثر عليها هنا وهناك، وحديثاً عن طريق مشافهة من ظلوا من أعقابهم يتوارثونها في مواقعهم التي رحلوا منها هنا، جعلنا نقول بوجود ما يشبه القاعدة لإدغام هذه النون إذا توسطت بين حرفين، أو تلاها حرفان أو ثلاثة، وذلك لوجودها في كلمات كثيرة غير الضمير(أتّ) فمنها – وإن كان سيأتي هذا بتفصيل أكثر – كلمة [أف] في البابلية الآكادية، والعبادلية؛ أي لهجة أهل موقع العبادل حديثاً، أو كلمة(أفّس) في [أنفس] في العبادل والمعينية هنا والآكادية هناك،... بل وجدنا كلمات كثيرة في المعينية المعاصرة التى سميت بالآكادية قديماً، وفي ألسنة بني معين المعاصرين لنا، وفي لهجة الريث، أقول وجدنا كلمات تدغم فيها النون دون أن تسبقها همزة لنقول بزيادتها بين الهمزة وتاليها، كما قال صاحب كتاب الملامح السابق ذكره، مثل كلمة[سبلة.. في سنبلة]، وغيرها كثير جداً... وهنا نقف ونسأل:ترى ما الذي دعا صاحب كتاب الملامح ليقول بزيادتها – النون – في أنت؟... والذي يظهر من قراءة ما كتبه نجد أسباباً كثيرة دعته لذلك، لكن أهمها أنه راح يقارن مباشرةً بين تلك العربيات القديمة، وبين عربية القرآن الكريم، بانياً رأيه على الطريقة الكلاسيكية التي تعتبر تلك العربيات القديمة لغات مستقلة لأجناس مختلفة أكثرهم على أنها غير عربية، حتى أن أكثرهم ذهبوا – بناءً على ذلك – لإخراج عربية جنوب جزيرة العرب من مسمى العربية، لأنهم لم يكونوا معترفين بوجود لهجات للعربية القديمة على الأقل،... ومن هنا جاء بُعده عن الواقع؛ لبُعده عن المواقع التي اعتبرنا ألسنتها لهجات نشأت عن أمها لتفرق أهلها وشتاتهم وبعدهم عن أصولها، حتى وإن أشار في كتابه بما يشير لكون تلك اللغات لهجات من أم مفقودة؛ إلا أنه لم تكن إشارته تلك

عملية، بل كانت إشارة لفظية، لبعده عن الرابط الذي يجعل قوله عملياً؛ لذلك لم يكن واقعياً في منطقه، شأنه شأن الكثير ممن كتبوا في هذا الباب، وعلى ذلك يكون الضمير[أنتَ] هي الأصل، وليست هي متطورة عن [أتَ]، وأخواتها [أت، أك، أنكه، هت] اللاتي نشأن عنها لتبلبل الألسن وتباينها نتيجة للتباعد والتفرق الذي كان ينتاب تلك الأمم بين الحين والآخر، لوجود من كان ينطق أنت قبل وجود أت، ولوجود من كان ينطقه مع وجود أت وأخواتها... ووجود تلك الصيغ المتباينة في نطقها مع وجود أنت – الفصيحة بينها، وكون أنت سابقة لها جميعاً –كما ورد– نستطيع القول أن[أنت] هي الأصل، وأن تلك الصيغ[أت، أك، هت، أنكه] انبثقت منها نتيجة لفساد وتبلبل ألسنة ناطقيها، بل ونعتبر بداية وجودها – أت أك أنك – تأريخاً لبداية نشوء ما اعتبر لغات سميت بأسماء مختلفة كالكنعانية والآرامية والعبرية والآكادية والبابلية الخ... في حين تقول حقيقتها أنها لهجات انبثقت من أمها العربية حينما بعدت عنها إلخ...لذلك رأينا أن كل ما كان لتلك الصيغ المتباينة لما تفرع عن الضمير[أنت] كانت خصائصها واحدة شمالاً وجنوباً، سواء كان في بنيتها أو في نطقها.

شيء من خاصية نطق الحروف أو عدمها:

وإذا كانت خصائص ضمير الخطاب قد أكدت لنا حقيقة الربط بين ما كان بشمال جزيرة العرب من لغات – لهجات – وبين ما كان بجنوبها، بل وجعلتنا – نحن على الأقل – نقتنع إن ما كان خارج جزيرة العرب من لغات؛ إنما هي لهجات انبثقت من أمها العربية... لذلك نقول:إن خصائص الربط لا تقتصر على خاصية ضمير الخطاب وحدها، بل هناك من الخصائص المشتركة الكثير الكثير والدارس الأريب المتمكن يجد ذلك واضحاً نصب عينيه... فإذا كان التاريخ اللغوي يقول لنا إن:ما سميت بالبابلية:[كانت لا تمتلك أبجديتها الكثير من الحروف، كحرف[ع، ح، غ، هـ] وهي حروف حلقية... ولا[الطاء، والظاء، والصاد، والقاف] وهي من أحرف التفخيم والتضخيم..) [1].

---

(١) تاريخ اللغات الساميات:٤٢، ٢١١... المفصل – جواد علي:١/٣٥

فهل يعني فقدان البابلية وأخواتها لنطق تلك الحروف أو غيرها؛ أنها ليست عربية؟ إن القول بمثل ذلك يدخل في باب الرجم بالغيب لمجانبته الصواب؛ لأن الحقيقة تقول إن الأمر لم يكن كما تصوره أولئك المستشرقون – القائلون به – ومن سار على نهجهم، لأسباب كثيرة جداً، **أولاً**:لأنه بني على استقراء ناقص، وما بني على نقص لا يعتد به في الحكم؛ لأن القائلين به لم يصلوا إلى المواقع التي خرج منها من حكموا على ألسنتهم ليعرفوا كيف كان نطق أهل تلك المواقع قديماً وحديثاً، **ثانياً**:إن تلك الألسن هناك لم تكن في حقيقتها لغات مستقلة في كيانها، كما تصوروها، بل هي لهجات نشأت متباينة قرباً وبعداً من لسانها الأم الذي كان قديماً في موطنها، قبل التبلبل الذي حصل لها – كما سبق –... **ثالثاً**:-وهو الأهم- لم تكن تلك اللهجات تفتقد لتلك الحروف التي أشاروا لعدم وجودها فيها، كما هي في العربية الفصيحة – الأم –، بل الحقيقة تقول بوجودها فيها، لكن طرق وأساليب نطقها في تلك اللهجات القديمة، هو ما يجعل الباحث البعيد عن تلك الطرق والأساليب -كما هي على ألسنة أهل مواقع أصولها-، يقول بعدم وجودها بها... وهذا أمر لا يعرفه ويجيده إلا أهله من أبناء مواقع أصول تلك اللهجات في جنوب جزيرة العرب.. وهذا ما قاله وصرح به بعض أبناء تلك المواقع – المعاصرون – والذين لا زالوا يحافظون على ذلك النطق المتبلبل، كما حصل في عهوده الغابرة – لحكمة أرادها خالق هذه اللغة- ولذلك قالوا:

[إن نطق الأحرف بالأسلوب القديم هو الذي يحول بين المتلقي وبين فهم المعنى المراد من تلك الكلمة التي يشوبها ذلك الأسلوب؛ إذ قد يعتقد المتلقي أن في الكلمة حرفاً غريباً لا يعرفه؛ مما يبعد الكلمة عن الفهم،... ولو تم تذوق تلك الأحرف بشكل صحيح لما أبعد المستمع النجعة...][1] إذن فهناك أسلوب خاص لنطق مثل تلك الحروف التي ظن أنها مفقودة... وأظن أن ذلك الأسلوب يتمثل في القلب أو الإبدال، أو الدمج، أو الدمغ، أي دمغ بعض الحروف في النون الأنفية... إلخ كما قالوا:[إن

---

(١) العربية القديمة ولهجاتها:ص ٧٥.

هناك أحرف تنطق بطريقتين؛ حديثة وقديمة، ومن ذلك حرف الراء المفخمة، والشين والسين المدمجة، واللام الثقيلة، والميم الأنفية أو المدغمة، والنون الأنفية المدغمـــة، وهذه ليست حروفاً مستقلة بكيانها؛ بل هي صورة قديمة للحـــروف التـــي نعرفهـــا الآن...][1].

إذن فتلك اللهجات لم تكن تفتقد لبعض تلك الحروف كما ظنوها، بـــل هـــي موجودة فيها ولكن هناك طرق وأساليب لكيفية نطقها، وهذا ما سبق تأكيده من قبـــل أحد أبناء المواقع التي غادر منها، من قالوا بنقصان ألسنتهم لنطق بعض الحـــروف الأبجدية... ولذلك نجد بعض من قالوا بعدم وجود تلك الأحرف فيما سميت بالبابلية وأخواتها يتراجع قليلاً عما سبق قد ذهب إليه، ويحاول أن يجد لنفسه مخرجـــاً ممـــا قال، لكن لأن الأمر لم يكن لديه واضحاً لفقدانه الدليل الذي يثبت ما يريد قوله، لبعده عن مواقع ذلك الدليل، فيقف لذلك متردداً، فيقول معترفاً بما يشبه رجوعه عما سبق قوله:[ومن المحتمل أن هذه الحروف كانت موجودة في هذه اللغة – البابلية – قـــديماً ثم فقدت بالتدريج لعدم استعمالها...][2] إذن فتلك الحروف هي موجودة في البابلية وأخواتها، ولم تحذف لعدم استعمالها؛ وإنما تبلبل الألسن وفسادها؛ هو الذي أدى لأن يكون هناك أكثر من أسلوب وطريقة لنطق تلك الحروف وغيرها في تلك اللهجـــات في تلك الفترات، لذلك رأينا من كان ينطقها صريحة في لهجته، ومنهم مـــن كـــان ينطقها بالطريقة التي يرى أنها تلائم لسانه خفة وضعفاً وبالأسلوب المتفق عليه بين قبيلته وقومه، فينطق لذلك من لا علم له بتلك الأساليب والطرق أنها غير موجـــودة، بعكس أهل بيئتها فقد كانوا على علم بتلك الطرق والأساليب؛ لأنهم منها، سواء كان ذلك قديماً أو حديثاً، وقد رأينا – آنفاً – ما الذي قاله أحد أبنائها المعاصـــرين، أمـــا قديماً فنجد أحد عباقرة التاريخ وعلم الاجتماع يعبر عن ذلك صراحة حينما يتحـــدث عن إحدى تلك اللهجات فيقول:[... والتوراة ولغتها عبرانية، ومخارج حروفها فـــي

(١) المرجع السابق:ص ٧٤

(٢) تاريخ اللغات السامية:ص ٢٤.

الغالب مغايرة لمخارج الحروف العربية، وقد يجيء الحرف منها بين حرفين من العربية – طبعاً الفصحى –، فترده العرب إلى أحد ذينك الحرفين، وفي مخرجه فيتغير عن أصله، ولذلك تكون فيها:إمالة متوسطة أو محضة، فيصير إلى حرف العلة الذي بعده من ياء أو واو، فلذلك تنقل الكلمة منها على اختلاف...][١] .. إذن فالأمر يعود للنطق والناطق نفسه والمرتبط بتلك الطرق التي أشرنا إليها سابقاً ومنها ما قاله ابن خلدون الذي أعاد الأمر إلى مخارج الحروف عند الناطقين، وكيف كانوا يخرجونها في لهجاتهم تلك، فهو حينما ينطق الحرف من بين مخرجي حرفين متغايرين فيظن السامع الذي لا علم له بذلك أن ذلك الحرف هو حرف جديد، والحرف الذي كان يجب أن يكون هو ليس موجوداً في تلك اللهجة وسوف يأتي تفصيل أكثر في الفصول التالية بإذن الله تعالى.

نماذج وبراهين لتباين النطق بتلك الأساليب والطرق:

وإذا أردنا نماذج وبراهين لذلك التباين من قلب وإبدال، ودمج ودمغ وغيره فالسجل التاريخي يحمل الكثير والكثير من تلك النماذج المتباينة، وسنورد هنا بعضاً من تلك النماذج كبراهين قد توضح ما سبق الإشارة إليه، وإن كان تفصيل ذلك سوف يتأتى في مواقعه بإذن الله تعالى... فمثلاً:

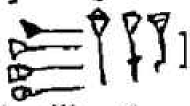
<u>القلب</u>:لو رجعنا إلى ما قيل عن الآكادية – بقسميها – وكيف أن أهلها يقلبون الفاء باءً[ف – ب] أو العكس، كقولهم[أ ب] في[أ ف] بمعنى[أنف][٢] ، والأصل[أنب – وأنف]... وإذا عدنا إلى جنوب جزيرة العرب الآن وقديماً، لأن الموجود الآن يمثل أهل القديم في مواقع هذا البحث؛ إذا عدنا إليهم فسنجدهم يعملون ما كان يعمله أولئك هناك وهنا قديماً، فمثلاً قلب الفاء باءً، تجد الكثير من أهل جبال فيفا وما حولها يقولون:[البرج] ويقصدون[الفرج]، يقول شاعرهم:

---

(١) ابن خلدون:٥٨ – ٢/٥٩

(٢) كابلس:ص ١١٥.

يا ها الفقير واقنع بما جاء من الله   والبرج يأتي راية بعد راية[١]

وهنا نلاحظ أن الشاعر قلب حرف الفاء في كلمة الفرج إلى حرف باء:فقاله البرج، وإذا كانت بعض الآرامية ورد عنها أنها كانت تقلب [التاء] إلى [دال] كقولهم في [القدر]:[القتر] و [الجليت] في [الجليد] بل قالوا:إن آرامية معلول تبدل ٩٠% من كلماتها الدالية إلى تاء كما في [بلوتا] ويقصدون [بلودا] [٢]وهذا القلب والإبدال بين الدال والتاء نجده ماثلاً بعينه في جهات فيفا والعبادل، وأيضاً في صنعاء وما حولها، فيقولون في:[متكي... مدكي...] [٣] كذلك الأمر مع التاء والطاء، ألم يقولوا إن في الآكادية:[قطروم، ويعنون بها قطر... أي قطر المقطورة، بمعنى جر المقطورة... علماً أن المقطع المسماري:[].

يقرأ تاء أو طا[٤]... وكذلك بالمصرية القديمة -الهيروغليفية- ((=(ت + ط...) [٥]... وهذا ما نجده في الفيفية والعبادلية؛ الذين يقلبون الطاء إلى تاء، فيقولون في:[وسط:وست...]، كذلك قلبهم الثاء سيناً:فيقولون:في[عاث...: عاس... بمعنى:أفسد...] [٦]وليس هذا فحسب، في قلب الحروف وإبدالها، بل تجدهم أحياناً يعملون ما سبق أن أشار إليه ابن خلدون في نطق الحرف من بين مخرجين مختلفين، فتظن ذلك الحرف حرفاً آخر، فالفيفيون تجد لهم عدة طرق في نطق حرف الضاد، فبعضهم ينطقها[فاء] فيقولون في[ضرب... فرب] وفي:ضفدعة... ففدعة... في حين تجد بعضهم يقلب الضاد[ثاء] فيقولون في:ضرب:ثرب... [صورة مغايرة – نطقاً – لا هي ثاء، ولا هي [ظاء] [٧].. لكنك إذا انتقلت إلى جبال العبادل

---

(١) لهجات فيفا، لمحمد بن مسعود الفيفي – مخطوط....

(٢) ملامح من فقه اللهجات:ص ٢٠٢.

(٣) لهجات فيفا، محمد الفيفي:ص ٨٥، مخطوط.

(٤) كابلس:ص ١١٥

(٥) زكريا انطون، مفتاح اللغة المصرية القديمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٧م.

(٦) لهجات فيفا:ص ٨٥ مخطوط

(٧) الفيفي:ص ٨٥.

على بعد ثلاثين إلى أربعين كيلو متر عن فيفا، فستجد لهم نطقاً مغايراً تماماً لنطق الفيفيين لحرف الضاد، فحين تسمعهم ينطقون كلمة فيها حرف الضاد لا يمكنك أن تفهم تلك الكلمة التي بها هذا الحرف بصورة تظن أنهم أخرجوها من مخرجين لحرفين مختلفين؛ فمثلاً كلمة[ضلع] تجدهم ينطقونها هكذا:[شتلع] إذن فقد أخرج هذا الحرف[الضاد] من مخرجي [الشين والتاء]، لكن هذا ليس دائماً، إذ تجدهم في حين آخر ينطقونها نطقاً أقرب إلى الكاف فيقولون في[ضرس][كرس]، وليس هذا فقط، بل تجدهم في حين آخر ينطقونها[شيناً] فيقولون في[ضفدعة]:[شفدغة] أي أنهم قلبوا الضاد شيناً، والعين غيناً[1].. ورغم هذا الذي سبق، جمعياً... نجد في فيفا من ينطق حرف الضاد نطقاً سليماً، فينطقون كلمة:[إيضان] هي عندهم تعني الامتنان والشكر، كذلك يقولون:[ضاها.. وضاوي] كما هي سليمة[2]... إذن فالأمر تعدد ألسن كانت تختلف وتتباين وتختلط كلما عاد وحصل التبلبل وفساد الألسن، كلما حصلت أسبابه هنا كان ذلك أو هناك؛ بدليل أن ما سميت بالكنعانية – وأخواتها مثلها – كانت ألسنة بطونها، هكذا متعددة متباينة؛ ولذلك كانت بعض تلك البطون تنطق حرف الضاد كما كان ينطقها إخوتهم في جنوب جزيرتهم، سواء كان ذلك دمجاً أو دمغا أو قلباً، أو كان نطقاً سليماً إلخ....، فظن من ليسوا من أهلها أنها مفقودة منها، كذلك كان الأمر مع أختها الآكادية...، ألم يقولوا أن الكنعانية كان فيها صوت الضاد صريحاً، كما وجد متمثلاً في اسم:[إيبض ملك] [3]، كذلك كان في اللهجة الإملائية؛ كما في كلمتي:[وضاؤهم:بمعنى وضوء... وحامضو:بمعنى حامض][4].. وغير هذا كثير جداً؟... بل لا أكون مبالغاً إن قلت إن أي قلب أو إبدال، أو أي طريقة أو أسلوب من أساليب هذا النطق وطرقه كان يحصل في لهجات جنوب جزيرة العرب قديماً أو حديثاً، كان يحصل مثله في لهجات شمال جزيرتهم وخارجها، لأن بعضهم من

---

(١) محمد قاسم اللغبي العبدلي:تسجيل لقاء [صوتي].

(٢) الفيفي:ص ٨٥ مخطوط.

(٣) ملامح في فقه العربيات:ص ٣٤٣ – ٣٤٤.

(٤) المرجع السابق:ص ٣٤٤

بعض،... إذن فقد كانت هناك أساليب وطرق تحكم كلامهم؛ على حسب ما يريدونه من دلالات لنطق تلك الحروف وصيغها بطرق وأساليب اصطلحوا هم على كيفية التخاطب بها فيما بينهم، وهذا لا يعني أن هناك حروفاً لا توجد في لهجاتهم، بل هي موجودة، ولكن طرق نطقهم تلك تجعل الغريب عنها يظن عدم وجودها، لأنك حينما تختلط بهم وتعايشهم وتتأمل في طرق نطقهم عن قرب منهم؛ تجد أن قلباً أو إبدالاً أو دمغاً أو دمجاً قد أحدثوه في تحادثهم مع بعضهم؛ لأن طرق تخاطبهم مع بعضهم يغلب عليها طابع السرعة الشديدة والدمج الشديد جداً، بل نستطيع القول إن خاصية الاختزال التي يشيرون إلي أنها إحدى خواص فن الكتابة الهيروغليفية، تجدها ماثلة في نطقهم وتحادثهم مع بعضهم.

خاصية الاختزال في طرق كلامهم:

ووجود هذه الخاصية في طرق تخاطبهم، جعلتنا مع غيرها من الخواص نؤكد أن الكنعانيين الذين كانوا في مصر، هم من هذه المواقع التي نتحدث عن لهجاتها أي أنهم كانوا معينيين–كما سبق الإشارة إليه– أي أن المعينيين كانوا هم أصحاب هذه الخاصية؛ لأن الاختزال في الكتابة، يعني أن الاختزال في النطق سابق عليه، لأن الإنسان ينطق ثم يكتب ما ينطقه، وما يختزله في نطقه من حروف لا يعني أن ما اختزله هو محذوف أصلاً من لغته، هذا غير صحيح، لأن ما يختزله في الكتابة لا يعني أنه محذوف من حروفها، وإذا كانت ألسنة المواقع التي نتحدث عنها قديماً وحديثاً تؤكد وجود فن الاختزال في تخاطب أهلها، وأن من أهلها كان الراحلون قديماً إلى بلاد النهرين ومصر، وأن ذلك الاختزال وجد في تخاطبهم الذي دلت عليه نقوشهم، فهذا يعني أن أولئك فعلاً كانوا من هؤلاء... وإذا صدقت النظرية التي قدمها سعد عبد المطلب العدل في كتابه المعنون [بالهيروغليفية] تفسر القرآن الكريم، – ونحن نبيض بحثنا هذا –؛ فهذا تأكيد لنا فيما ذهبنا إليه من أن الهيروغليفية عربية، لأنها وجدت في نقوش الكنعانية في مصر، والكنعانية عربية،

وهذا يؤكده قوله تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] [١]... وقوله تعالى – أيضاً – " بلسان عربي مبين"[٢]... فإذا صدقت نظريته التي تقول إن الحروف المقطعة في أوائل السور، هي رموز هيروغليفية، فالهيروغليفية عربية لنص القرآن على عروبته، وهذا يؤكد أيضاً عروبة الكنعانيين وأنهم معينيون من نفس المواقع التي تتحدث عن ألسنتها، بدليل أن علماء التاريخ اللغوي يقولون:[إن من أهم ملامح المصريات العربية-القديمة- أنها عرفت الاختزال(الترخيم) في الكتابة؛ فكتبت:(عمو) لتعني بها العمورين.. وكتبت:(أب... EB) لتعني بها:(لب) أي(قلب)... ولا نعلم كيف كانت تنطق... وكتبت – أيضاً –(فنحو = بنكو = بن كو) لتعني بها:(بني كنعان) [٣]... وإذا كان الاختزال يقوم أساساً على السرعة المبنية على الإيجاز في اختصار الحروف المعلومة سلفاً عند المخاطب المتلقي، وإن اختلف المسمى له، لأنه في الكلام له تسمية تختلف عن مسماه في الكتابة، فهو في الكلام يسمى بفن القطعة لا الترخيم، كما غلط صاحب كتاب ملامح في فقه العربيات؛ لأن هناك فرقاً بين فن الترخيم الذي تحكمه قواعد أسلوب النداء، بل هو أسلوب من أساليبه، أما فن القطعة فليس له قواعد تحكمه، بل يكون في الكلام دون اختصاصه بنوع دون آخر، ثم الترخيم لا يكون إلا في آخر الكلمات، بعكس فن القطعة الذي لا يحد بمكان خاص في الكلمة بل قد يكون في العبارة، وقد قالوا إن قبائل طيىء قد اختصت به إبان وجودها في مواقعها الأصلية بجنوب جزيرة العرب... بدليل أننا وجدنا هذا متوفر بكثرة في المواقع التي نحن بصدد اعتبار لهجاتها هي الحلقة المفقودة لعروبة اللهجات السامية، وقد وجدنا هذا النوع من الكلام – الاختزال- في لهجات بني معين وبني ودعان وبعض قبائل فيفا والعبادل، فمثلاً لو أراد شخص أن يسألك عن شخص بعبارة:[أين هو؟] فما أظنك أن تستطيع إدراك ما يريد إذا لم تكن عارفاً للسانه؛ لأنه سوف ينطق العبارة السابقة هكذا:[يها؟] إذن فهناك اختصار

---

(١) سورة يوسف:آية ٢.

(٢) ملامح في فقه اللهجات العربيات:ص ٣٤٥.

(٣) الرافعي، تاريخ آداب العرب.

واختزال في الحروف دعت إليه سرعته الشديدة في النطق بأسلوبه الخاص بلسان قبيلته، ولا يعني ذلك أن هناك حروفاً غير موجودة في هذه اللهجة، بل هي موجودة ومستعملة، ولكنه نوع من الدمج والدمغ في الحروف – اختزال – لا يعرفه إلا من كان من أهله. وهذا النوع من النطق – الاختزال – نجده بكثرة على طول مواقع المنطقة القديمة التي احتفظت بهذه اللهجات على ألسنه المتعاقبين عليها؛ فمثلاً لو اتجهنا صوب جهات جبال العبادل التي تضم كثيراً من بقايا ألسنة تلك القبائل الراحلة قديماً، فسنجد أحد بطونهم المسمون باللغابية ينطقون عبارة[من هو أبوك؟] هكذا:(منهو أبيك]؟ في حين نجد بعضاً من العبادليين وبني معين ينطقون العبارة السابقة هكذا:[لنك إين]؟... وعلى مقربة منهم نجد جيرانهم وهم قبائل الغمر، ينطقون العبارة السابقة على هذه الصورة:[منك عيهو]؟... إذن فهناك تنوع في النطق وإن تباين إلا أنه لا يعني أن هناك حروفاً تنطق عند هؤلاء ولا تنطق عند أولئك، وإنما هو اختزال ونوع من القطعة في الكلام، فلو سمعت مثلاً أحد أبناء تلك المواقع وهو يصرخ[ياح] فأعلم أنه يقصد:[يا يحي] فأختزل الياء الأولى والياء الأخيرة ونطق الاسم بحاء مشددة فقط... ومثل هذا كثير جداً جدا... وإذ كان هذا الاختزال الذي وجد في جنوب جزيرة العرب، هو بعينه قد وجد لدى أولئك الذين كانوا في مصر أو غيرها، فذلك يعني أن من كان قد استقر هناك منهم، هو من هذه المواقع قد رحل؛ لأن من رحلوا إلى هناك، كانوا من العماليق، الذين سموا بالكنعانيين باختلافهم عموريين، أو أجاريتيين، أو حوثيين، أو هكسوس، أو غيرهم، ومعلوم أن العماليق، كانوا قد خرجوا من هذه المنطقة الشاسعة... إذن فما ظن من الحروف أنه مفقود، اتضح أنه موجود عند العودة إلى جنوب جزيرة العرب أصول أولئك الراحلين.

إذن فلهجات قبائل هذه المنطقة القديمة لا زالت تمتلك الكثير من الخصائص التي قيل إن اللغة الفصحى تفتقدها، وتوجد في اللهجات التي أسماها المستشرقون بلغات سامية كالبابلية والكنعانية وغيرها، بل رأينا – وسترى بإذن الله تعالى– أن كل تلك الخصائص هي موجودة في لهجات هذه القبائل التي حددناها –ومواقعها – ميداناً لبحثنا هذا – بحمد الله تعالى – فإذا كانت جميع اللهجات – اللغات – السامية، ومنها

الفصحى، من خصائصها أنها تعتمد علي الحروف الصامتة ولا تعتمد علي الأصوات كما زعم المستشرقون... فإنا نقول لهم إن دراساتهم واستقراءهم كان ناقصاً؛ لأنها لم تكن شاملة لكل مواقع تلك الأمم التي كانت بجنوب جزيرة العرب واستمر بها بعض أصولهم، وجل من تعاقبوا منهم بعد ذلك عبر أزمنتها الغابرة، كما كان يجب أن يكون علمياً، فمن تلك النواقص – مثلاً – هذه المنطقة الشاسعة التي نحوم حولها بجنوب جزيرة العرب، والتي وصل بعض أطرافها من جهة عمان بعض منهم لا يتجاوزون بعض أصابع اليد عداً، وحديثاً ألم يكن حري بهم أن يصلوها، وقد علموا أن كل أولئك الراحلين كانوا من جنوب جزيرة العرب...، لأننا عندما عدنا لهذه المنطقة وجدنا الأمر واحداً هنا وهناك؛ بل إن ما وجدناه عبر امتداد هذه المنطقة الشاسعة ينسف ويدحض كل تلك القاعدة وأسسها؛ فقد رأينا كيف أن قبائل هذه المنطقة عبر امتداد مواقعها المتعددة في فيفا والعبادل وبني معين وبني ودعان والغمريين والقيوس وبني مالك وبلغازي وهروب ومنجد والريث والحشر وسلي، كيف يتفقون وإخوانهم هناك في كل الخصائص التي سبق أن أشرنا إليها وما سيأتي بعد بإذن الله تعالى –... ففي الحروف – إضافة لما سبق – رأيناهم كما هم يعتمدون في نطقهم على الحروف الصامتة، كذلك يعتمدون على الأصوات في نطقهم، وأن لهجاتهم لا تفتقد لأي حرف أو صوت مما قيل بافتقاده هناك – أو هنا –، بل إن لهجات هذه المنطقة تعتبر ميداناً تطبيقياً لدراسة جميع ما قيل أنه لغات سامية وهي في حقيقتها لهجات تفرعت عن أمها العربية التي هي أصل كل ما سميت بلغات سامية؛ لأن كل ما أشاروا لافتقاده في اللسان الفصيح – وهو غير صحيح – هو موجود في ألسنة هذه المنطقة التي اعتبرناها الحلقة المفقودة التي تربطها بأمها –العربية– لأن ألسنة هذه المنطقة الكل يشهد أنها لهجات عربية، وإن قال من لا علم له بمواقعها ولا بأهلها، إنها لهجات شاذة إلا أن ذلك لا يخرجها عن عروبتها، ووجود كل ما قيل بفقدانه من خصائص في الفصحى، في هذه اللهجات يؤكد حقيقة كون تلك من هذه ويحل الكثير مما وقف عنده علماء الساميات لحله أو تجلية غموضه، كأمر العبرية وهل هي لهجة من الكنعانية؟... أو هل هي من الآرامية؟، أو

هل هي لغة مستقلة؟ أو مزيج من البابلية والكنعانية؟... وما ذلك كله إلا لبعدهم وتجاهلهم للحقيقة التي يعلمونها يقيناً؛ وهي كون كل من سموا بالساميين قد رحلوا من هنا، وهم بذلك عرب لا مراء فيه في ذلك، وأن أولئك الراحلين كانوا ينطقون بلسان هذه المنطقة ذات المواقع المتعددة، ومن هنا تعددت ألسنتهم، وتنوعت خصائصهم اللسانية، اللهم إلا في بعض الفروق الطفيفة التي قد يظن أنها تباينت فيها، بينما هي في حقيقتها عائدة لاختلاف وتعدد مواقعها، التي أدت لأن تكون النواة الأولى لنشوء تلك اللهجات وتعدد استعمالاتها في الضمائر وصيغها، واستعمال الحروف والأصوات وتعددها واختلاف نطق مخارجها؛ حتى رأينا أحد أبناء جبال فيفا يقول:[تكاد تكون لهجة قبائل فيفا من أندر وأغرب اللهجات المنتشرة في شتى أنحاء جزيرة العرب على الإطلاق، وذلك لأنها ما زالت تحتفظ بطابعها العربي القديم في كثير من مفرداتها وصيغها ويعود سبب بقائها على هذا النحو إلى عدم اختلاط سكان الجبل بغيرهم من سكان المدن... وهي تختلف – أيضاً – عن لهجات القبائل المجاورة لها، كبني الغازي وبني مالك، وغيرها مع أن المسافة الجغرافية الفاصلة بينهما لا تتجاوز بضع الكيلومترات من الأمتار... وفي هذه اللهجة الكثير من القلب والإبدال، والدمج والدمغ، وإخراج بعض الحروف من غير مخارجها الأصيلة... تختص بالإمالة في جل مفرداتها، كما أنها ليس لها قاعدة لغوية محددة... شأنها في ذلك شأن اللهجات الأخرى التي حولها... ولذلك إذا أردت أن تحصر حروف أبجديتها مع الأصوات التي تنتج عند نطقهم تجدها قد تتجاوز الثلاثين صوتاً، إن لم تقترب من الأربعين، وذلك لما يدخل من اختلاف على بعض الحروف عند النطق؛ كما في حرف[ش، ظ، ك، ق، ج، ض فحرف الصاد – مثلاً – تجدهم عند نطقهم له؛ ينطقونه نطقاً يجمع بين حرفين؛ هما السين والتاء، بحيث لا يعطي السين كامل صوته عند النطق، لينتقل مباشرةً لمخرج حرف التاء، ولا يمكن كتابة هذا النطق، إلا سماعاً، فمثلاً كلمة(صوم):حينما تسمعها، تظن أن الناطق، ينطق هكذا: (ستوم)، – وكلمة(نصف) تنطق(نستف)... وتجدهم ينطقون العين خاءً، فصفع:تسمعها:صفخ... كذلك حرف القاف تجد له صوتاً يختلف عما نعرف؛ فلا هو

قاف، ولا هو كاف، بل لا أستطيع التمثيل له كتابة إلا نطقاً... مثله حـرف الكـاف الذي يأتي في الأكثر شديد التعطيش، فلا هو جيم، ولا هو شين ويصعب التمثيل لـه كتابة إلا نطقاً، كذلك الضاد الذي سبق أن رأينا له عدة أصوات عند نطقه، فحيناً هو فاء(فضرب:فرب) وحيناً هو ثاء:(ثرب)، وحيناً هو في العبادلة وما حولها شيناً وثاءً أو شيناً فقط أو كافاً – كما سبق التمثيل له – وكذلك الدال التي تراهم ينطقونها حيناً [لاماً وياءً] في كلمة [إذا] فيقولون [إيلا] وحيناً تاء، وكذلك الطاء... أما الجيم، فـلا هي جيماً صريحة، ولا هي زاياً[1]وكثير غير هذا، قد يمر بنا عن مواقـع العبـادل وبني معين والغمر وسلى والريث والحقو والجوابرة وغيرهم في مواقع هذه المنطقة الشاسعة، إذن فأمر الأصوات ليس حجة لفصل تلك اللهجات خارج جزيرة العـرب عن عروبتها، ولا أي خاصية من الخصائص قد يتندنون حولها؛ لأن كل مـا كـان هناك من خصائص وجدت في ألسنة أولئك، هي أصلاً منبثقة مـن هـذه اللهجـات الموجودة في هذه المواقع، التي هي أصلاً منها كان رحيلهم؛ لأن كل ما كان يحصل هنا تجده يحصل هناك مباشرةً:[ولا سيما إذا علمنا أن تلك الأمـم اسـتمرت علـى اتصال وثيق بجذورها في موطنها الأصلي، ولم تنقطع عنها لدرجة أن كل ما كـان يسير في ذلك الموطن الأصلي، سرعان ما تجده يسري بين تلك الفروع المهـاجرة من الجزيرة العربية، بل تجد مميزات الحياة الصحراوية والجبلية بارزة جـداً فـي المادة اللغوية على ألسنة تلك الفروع) والشواهد كثيرة جداً ومتنوعة، وقد رأينا بعضاً من صور ما كان يحدث من تبيان واختلافات لتلك الاستعمالات، كلما توسـع أمـر التبلبل، وازدادت الألسن فساداً، كما رأينا ذلك فيما مر مـن اسـتعمالات الـضمائر والحروف والأصوات، وغيرها من الخصائص التي تؤكد قوة الرابطة بـين أولئـك وهؤلاء، كخاصية تباين استعمالات تلك القبائل لأداة التعريف، وتوافق كل من كـان هناك مع كل من كان هنا سواء بسواء.

---

(١) لهجات فيفا – مخطوط:ص ٨٤ – ٨٥، محمد الفيفي، ومثله سلمان العبدلي ومحمـد قاسـم اللغبي، وعلي جابر اللغبي، وأحمد جبران الجابري:الجوابرة بني معـين والغمـر وجبـل سلى... تسجيل.

خاصية أداة التعريف:

وهذه الأداة – التعريف[أل] – وإن تباينت استعمالاتها، وتعددت أشكالها إلا أنك تجد أن كل تلك الأشكال وإن تباينت؛ لا تخرج عن دائرة[أل]، لأنها جميعاً منها انبثقت، وأخذت عند التفرق والتباعد صوراً مختلفة – شكلاً – بحيث أخذ لسان كل قبيلة مع بعض بطونها جزءاً من الأداة الأصل[أل]، وراحت بعد ذلك تنطقه بصورة تتلاءم وطبيعة الموقع الذي استقرت به وأصبح ينسب إليها، أو هي تنسب إليه، وأخذت مع الزمن تبعد شيئاً فشيئاً حتى كاد أكثر بطون تلك القبيلة أن تنسى الاستعمال الأصلي للأداة التي هي تستعمل جزءاً منها بطريقة لا يحس من تناسلوا منها الأصل لذلك الجزء الذي يستعملونه، وإن كان بعض من بطون تلك القبيلة ظل على الاستعمال الأصلي للأداة[أل]، بدليل أن ذلك الأصل [أل] ظل موجوداً نطقه على ألسنة الكثير من القبائل وبطونها بين تلك الصور الكثيرة التي انبثقت من ذلك الأصل، سواء كان ذلك هنا أو هناك... وسيأتي تفصيلاً لكل جزء في مكانه – بإذن الله تعالى – ومع ذلك نحاول أن نورد هنا بعض نماذج لتباين واختلاف استعمال التعريف بين تلك القبائل نتيجة لذلك التبلبل والفساد اللساني فقد ورد أن الكنعانية، والآرامية كانت تعَرّف بالألف في آخرها[١]... وإذا عدنا إلى جنوب جزيرة العرب، الموطن الأصلي الذي انطلقت منه تلك القبائل إلى خارج جزيرتها، سنجد أن بعضاً من القبائل التي بقيت بجنوب جزيرتها كانت تعرف بالأداة:[ن – إن] في آخر كلماتها كالسبئيين، والحميريين وبعضاً من المعينيين – كما قيل – في حين تجد آخر من تلك القبائل وبطونها؛ كان يعرف بالأداة:[هـ – ها] كما في بني حريص والحروب جهات العارضة والعبادل... ومنهم من كان يعرف بالأداة[أم] كما في جهات فيفا، ومنبه، وصعدة، وأكثر تهامة، وطيىء – كما سيأتي في موضعه بإذن الله تعالى – وإذا أردنا أن نقف قليلاً عند هذا التنوع في الاستعمال لأداة التعريف، وقفة تحليلية، فسنجد في النهاية أن كل هذا التنوع يصب في معين الأصل لهذه الأداة وهو [أل] فإذا

---

(١) ملامح في فقه العربيات:ص ٥٣، ١٦٤.

أخذنا مثلاً، الأوجاريتية الكنعانية في شمال – خارج – جزيرة العرب، فستجد أنها كانت تعرف بالألف – بالهمزة – في بداية الكلمة كما ورد[1] وهذا التعريف بعينه، تجده، قديماً في لهجات كل المواقع التي كانت – ولا زالت – تعرف بالأحقاف والأمهرية؛ وكذلك تجد هذا الاستعمال شاسعاً وبكثرة إلى الآن في كل لهجات العبادل وكل المواقع التي تقع حولها، كجهات الغمر وبني معين والقيوس وغيرها، وهذه المواقع وما حولها هي امتداد لما بين مواقع المهرة والجبالية، وهي المواقع التي كانت تسكنها تلك القبائل قبل رحيلها، كما سبق الحديث عنه وبالتدقيق في التعريف بالألف، تجد أن التعريف هنا ليس بالألف وحدها بل التعريف في هذه الطريقة هو(بأل) كاملة، وإن لم تظهر اللام صريحة، ألم نقل في أثناء حديثنا عن الحروف أن هناك عدة أساليب وطرق كانت تلك القبائل – في جنوب جزيرة العرب ومن رحل منهم – تستخدمها عند النطق لها، كالدمج والدمغ والاختزال والقلب والإبدال، وأداة التعريف هي مبنية من تلك الحروف التي ترتبط بتلك الأساليب والطرق عند النطق، وقد رأينا في بعض المواقع التي نتحدث عن لهجاتها الآن وقديماً، أن منهم من كان يقلب الألف لاماً، أو ياءً كما في [إذا] عند بعض الفينيقين فقد رأيناهم ينطقونها [إيلا]، وهناك من كان ينطقها – الألف – هاءً كما هي عند بعض الحروبيين وبني حريص وبعض بني معين غيرهم كثير، وهذه الأساليب والطرق تجدها بعينها مطبقة على نطق أداة التعرف فمثلاً لو جئنا بأحد أبناء العبادل وقلت له أنطق لي كلمة[البيت]، فستجده ينطقها هكذا:[أبّيت]، وحينما تدقق في نطقه لهذه الكلمة تجد أن هناك حرفاً آخر موجود في نطقه، ولكن طريقة نطقه لها تجعل السامع لا يستبين ذلك الحرف، خصوصاً إذا كان ذلك السامع غريباً عن تلك المواقع، أو أنه لم يختلط بأهلها، وعدم استبانته وتمييزه –السامع– لذلك الحرف، تجد أنه يعود لأسلوب الدمغ والدمج عند النطق، أي أنه عند نطقه أدغم حرف اللام في الحرف الذي يليه، بسبب سرعة النطق التي يسلكها عند حديثه، وقد رأينا هذا الأسلوب بعينه في نطق كلمة[أنت] التي

---

(١) تسجيل من الموقع ميدانياً.

ينطقونها[أتَ أكَ، أنكه، هتَ]، وكذلك في كلمة [أف– أي أنف، وأفس، أي أنفس، سبلة، أي سنبلة...]– كما سبق –، وهو ما نراه بعينه مع الأداة[أل] وكيف ينطقها العبدلي[أبيب]، إذن فهو أسلوب لهجي اختصت به القبائل والبطون التي كانت تسكن في هذه المواقع قديماً، ورحلت ورحل منها الكثير إلى شمال جزيرة العرب وخارجها، أو من بقي منهم بها قديماً وظلوا يتعاقبون فيها إلى الآن، ومن ثم ظل هذا الأسلوب المتبلبل متوارثاً بين أجيالها... وهذا – أيضاً – ما يمكن قوله عن اللهجات التي كانت تعرف[بالنون – ن– أن] كما في[انقشم... انحلم... ربع انخالي]... كما في جهات صعدة وما حولها حتى الربع الخالي، بل قد يكون الأمر هنا أوضح من سابقه؛ لأن حرف النون يشترك مع حرف اللام في بعض مخارجه، لذلك يسهل قلب اللام نوناً والعكس، وقد ورد في اللغة:حطب جزل، وحطب جزن، وهو الغليظ اليابس[1]... وقال أسود حنبوب، وأسوحيلوب[2]... وعلى هذا لا يستبعد أن أصل [أن] التعريفية، هي:[أل]، لأن القلب والإبدال والدمغ والدمج، هي من أهم الأساليب والطرق الواردة – كما رأينا – في نطق تلك اللهجات القديمة... وهذا القلب والإبدال في نطق حروف [أل] التعريفية، يوضحه أكثر التعريف بالأداة [أم]، لورود أن أصلها:[أل]؛ لأن اللام والميم حرفان متجانسان، متجاوران... وعلى الموجز السريع، ترى أن الأصل لكل تلك الأدوات التعريفية، هي [أل]، ومنها انبثقت تلك الأدوات، التي نطقت ألسن تلك اللهجات سواء ما كان منها بجنوب جزيرة العرب، أو ما كان منها بشمالها وخارجها، في فترات التبلبل والتباين، بدليل أنك إذا عدت لكل تلك اللهجات تجدها جميعاً لا تخرج أصواتها عن دائرة مخارج أصوات [أل]، لأن أصوات كل الأدوات لا تخرج عن قانون القلب والإبدال والدمج والدمغ... إلخ ومما سبق نخرج ببرهان قوي يؤكد أن ذلك التباين والاختلاف الذي كان يجري على ألسن تلك الأمم، أنها كانت لهجات انبثقت من لسان واحد اسمه اللسان العربي؛ بدليل أن

---

(١) القاموس المحيط: / ٤.

(٢) ملامح في فقه اللهجات العربيات – القديمة:ص٢٢٢.

ذلك التباين التبلبلي الذي اتصفت به تلك الألسن خارج جزيرتها؛ وجدناه بعينه شاخصاً يجري على ألسنة أصولها أو بقية بطونها التي بقيت على أرض موطنها الأصلي، بل رأينا ذلك التبلبل يتكرر بذاته هنا وهناك كلما تكررت أسبابه عبر التاريخ – كما سيتضح ذلك أكثر فيما سيأتي – بإذن الله تعالى –، لذلك رأينا التاريخ اللغوي يؤكد لنا هذه الحقيقة، ويخبرنا في الوقت نفسه أن من كان في جنوب جزيرة العرب أو وسطها لا يجد صعوبة إن هو رحل إلى شمال جزيرته أو إلى أي بلد من البلدان التي كانت تحيط بجزيرته، أو كان ذلك بالعكس، فقد كانت أشهر اللغات السامية وأشيعها في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ثلاثاً بين جنوب الجزيرة العربية وشرقها إلى الشمال، وغربها إلى الشمال، وهي:اليمنية... والآرامية... والكنعانية... مما يدل على أنها نبتت في الجزيرة العربية من الجنوب إلى مواطن الهجرة التي درجت إليها القبائل منذ فجر التاريخ، وفي طريق بحر العرب شرقاً إلى وادي النهرين.. أو طريق البحر الأحمر غرباً إلى فلسطين..

ثم شاعت الآرامية وغلبت على سائر هذه اللهجات، وتفرعت منها النبطية (التي اتفقت الروايات على أنها أم لهجات الحجاز... ولم تكن الآرامية بعد شيوعها غريبة عن المتكلمين بالكنعانية، أو الحميرية، أو عن الكتابة بالحروف النبطية، أو حروف المسند، فكان المقيمون والراحلون بين هذه الأرجاء يتخاطبون بها كما يتخاطب أبناء الإقليم الواحد، في القطر الواحد، كما يتخاطب أبناء وادي النيل اليوم، من الإسكندرية إلى الخرطوم، مع اختلاف اللهجات والألفاظ في بعض المفردات...).

إذن فالتاريخ اللغوي يؤكد لهجية ما ظن أنه لغات، لأن لهجات من بقي من أولئك الراحلين بجنوب جزيرة العرب، واستمرت على ما كانت تعرف به وهو اليمنية، ترى التاريخ يؤكد أن من سميت لسانه في شمال جزيرة العرب أو خارجها بالكنعانية أو الآرامية أو البابلية – لأن البابلية كنعانية –، كان لا يجد صعوبة إذا تخاطب معه من بقي على يمنيته والعكس، أفلا يعني أن لسان ذاك هو من نفس لسان هذا، بل يصل التأكيد من التاريخ اللغوي بأن الألسن التي سميت بالكنعانية والآرامية،

هي أصلاً نبتت مع أمها الأصل الذي انبثقت منه، وهو ما سمي باليمنية... وهنا يبرز سؤال مهم جداً... وهو:

كيف جعلت تلك اللهجات لغات؟:

أظن أن إجابة هذا السؤال قد سبق الكثير منها، وأن الكثير – أيضاً – سيأتي... ومن ذلك نلاحظ أن تلك اللغات؛ هي عبارة عن ألسنة ثلاثة إخوة، جميعهم – في الأصل – أب واحد، ومكان واحد، قبل الهجرة الكبرى والتباعد والتشتت الذي حصل لأتباعهم بعد ذلك؛ وتلك الألسن الثلاثة؛ هي – كما سماها الإخباريون – اليمنية والآرامية، والكنعانية، واليمنية هي أصلاً لسان جرهم وقحطان اللذان يعودان – كما قالوا لأرفخشد بن سام بن نوح – عليه السلام – والآرامية، وهي لسان إرم بن سام بن نوح – عليه السلام –، وأرى أن الآرامية هي أصلاً لسان من بقي من قبائل عاد بعد الخسف الذي لحق بهم بالصرصر –نجانا الله تعالى منها – أما اللسان الذي أطلق عليه الكنعانية؛ فهي لسان عمليق بن لاوذ – أولاذي – بن سام ابن نوح – عليه السلام – إن صح ذلك كله، إذن فهي ألسن تعود في الأصل لإخوة ثلاثة، وقد رأينا أن هؤلاء الإخوة كان يجمعهم مكان واحد، شاسعة أطرافه، ثم تفرقوا كما هو معلوم... وتشتت شمل نسل هؤلاء الإخوة وتباعدهم في سكناهم، يجعل وكأن لهجات ألسنتهم تلك كأنها ألسنة غريبة عن بعضها على الغرباء عنها، أما هم إن اجتمعوا أو تقابلوا في مكان واحد، فهم شيء واحد، يأخذ بعضهم عن بعض، ويفهم بعضه بعضاً، وهذه الحقيقة هي ما سبق أن أشار إليها العقاد آنفاً، بقوله:[... حتى إن اللغة الآرامية بعد شيوعها وانتشارها في بلدان مهاجرها لم تكن غريبة عن المتكلمين بالكنعانية، أو الحميرية اليمنية... ولا عن الكاتبين بحروف المسند، أو النبطية،... فكان الراحلون في كل تلك الأرجاء يتخاطبون بها تخاطب أبناء الإقليم الواحد في القطر الواحد...] بل رأيناه يؤكد لهجية تلك اللغات، بقوله:[... ثم شاعت الآرامية وغلبت على سائر هذه اللهجات...] ولم يكن العقاد وحيداً فيما أشار إليه، بل هناك مصطفى الرافعي في كتابه تاريخ آداب العربية ولم يكن كتّاب العرب وحدهم الذين ذهبوا في تسميه تلك اللغات، لهجات، بل نجد من المستشرقين من يذهب إلى هذا

بقوله[... إن اللهجات السامية الأصلية كانت فيها فروق جوهرية واختلافات أساسية، ولكنها في بادئ أمرها كانت غير ظاهرة للعيان، ثم برزت بروزاً واضحاً بعد أن انقطع بعضها عن بعض...] بل هناك من المستشرقين من يذهب أكثر من هذا ويؤلف كتاباً كاملاً يسميه اللهجات الغربية العربية القديمة، وحينما تقرأ الكتاب تجده يتحدث عن الكنعانية والآرامية والعبرية والبابلية واليمنية والحيمرية والهذيلية والطائية والقضاعية والجذامية وغيرها وهو المستشرق [chaim - rabin] جامعة اكسفورد، وغيرهم كثير من المستشرقين والعرب... إذن فتلك الساميات التي سميت لغات، هي في حقيقتها لا تعدو أن تكون لهجات تفرعت من أمها العربية، بل حتى ما تفرعت من لهجات بطون تلك القبائل هناك، لم يخرج عن تسمية لهجات، ألم يكتب ولفنسون في كتابه تاريخ الساميات تحت هذا العنوان:[الكتلة الشرقية من اللهجات الآرامية...] بقوله:[قسم المستشرقون هذه اللهجات ثلاث مناطق، تشتمل الأولى على اللهجة التي كان يستعملها اليهود في جنوب بلاد العراق في بابل ونواحيها، والثانية في شمال العراق... أما المنطقة الثالثة للهجات الكتلة الآرامية الشرقية فتعرف باللهجة السريانية ومركزها الرهاء...] وإذا كانت النبطية وهي لهجة آرامية كما رأينا، باتفاق جميع الروايات أنها أم لهجات الحجاز، ولهجات الحجاز، الجميع مجمعون ومتفقون على عربيتها، إذن فالآرامية هي لهجة عربية أصيلة بل:[هي عربية تلك الأيام في مواطنها... وأنها كانت قريبة جداً من العربية الفصحى التي أخذت تعود إليها تلك اللهجات التي تفرعت عنها بعد نحو ثلاثة آلاف عام[1]... بدليل أن العربية الفصحى حينما ذهبت إلى مواطن تلك اللهجات رأينا أهلها لم يجدوا صعوبة في التحدث مع أهل هذه الفصحى... بل رأينا ألسنتهم تذوب في ألسنة القادمين إليهم، ذوبان الفرع في أصله، ذوباناً جعل بعض المستشرقين يقول عن ذلك:[... إنه قد حصل تطور لتلك اللهجة) والحقيقة، هي رجوع الفرع إلى أصله... وإذا كانت اللهجة الآرامية هي عربية أيام شيوعها وتسيد أصحابها في مواطنها...

(١) الثقافة العربية، ص ١٥١.

كذلك كان الأمر مع اليمنية أيام شيوعها وتسيد أصحابها في مواطنها، كـذلك كـان الأمر مع الكنعانية أيام تسيدهم، حتى إن أسماء القبائل والبطون التي كانت تنـضوي تحت هذا المسمى - الكنعانيين - كانت لا تزال تحتفظ بأسماء آبائها العربية الأصيلة بعد - هجرتها - وتفرقها في شتى الأقطار والبلدان والأقاليم، وكما كانت تسمى بها في مواقعها في جنوب جزيرة العرب، والتي لا تزال أكثر جذورها باقية بها وبتلـك المسميات أيضاً، والتاريخ سجل للماضي ومنه:[أن السيدة سارة - رضي الله عنها - زوج نبي الله إبراهيم - عليه السلام - توفيت في قرية ببلاد الشام تدعى جيرون من بلاد بني حبيب الكنعانيين[1]... ومعلوم أن بني حبيب هم بطن من بطون الكنعانيين، وهي كما ترى تسمية عربية شكلاً ومضموناً، ولحماً ودماً، بل إذا عدت إلى جنـوب جزيرة العرب الآن، وخاصة الأجزاء الجبلية، الشرقية منها والغربية، لوجدت بطوناً وقبائل تسمى بنفس تلك التسمية، أي قبائل بني حبيب، وآل حبيب، ووائلة، والجهرة، وتجد أنهم يمتدون من جهة شمال الحقو الشرقية[2]شرق جيزان - إلى جهة قحطـان وسراة عبيده - في جبال السراة -ومثلهم بطون قبائل الجويين من شعوب كنعان؛ فقد ورد أن نبي الله لوط - عليه السلام - حينما خرج مع عساكر كنعان وفلسطين للقاء ملوك الشرق الذين زحفوا إلى أرض الشام... وأنه - عليه الصلاة والسلام - وقف أمام المهاجمين الذين:[أصابوا من أهل يسعين إلى فاران التي في البرية، وكان بهـا الجويون من شعوب كنعان] وبالرجوع إلى المواقع التي نتحدث عنها بجنوب جزيرة العرب وجدنا أن هناك أكثر من موقع في هذه المنطقة - السابقة الـذكر - يحمـل ساكنوه هذه التسمية فمثلاً هناك جوة بني شراحيل جهة الحقو، وبني مالك، وهنـاك جوة آل أمشيخ -الشيخ- جهة فيفا، الناحية الشرقية، أي أنها في الوسط بين فيفا وبني مالك جهة جماعة وعاصمتها [منبة]، وهناك جوة الخبراية شرق العارضة - جازان -، وهناك جوة قحطان [سراة عبيدة]... إذن فالحبل موصول، ولذلك لا نـستبعد أن

---

(١) ابن خلدون:٢/٦٩.

(٢) ابن خلدون:٢/٦٩.

يكون أولئك الجويين وآل حبيب من الكنعانيين، هم فعلاً من أصول هذه المواقع في جنوب جزيرة العرب، شأنهم في ذلك شأن البونيين الذين خرجوا من مواقع آل البوني في جبال القشم بين صنعاء وجبال ريمة وحجة، والتي لا زالت تدعى بهذه التسمية إلى الآن... أفلا يكون أصحاب تلك الأسماء هم امتداد لهؤلاء، وقد حافظوا على أسماء أسرهم ولم يغيروها؛ كما هي عادة العرب الأصلاء، ولذلك وجدنا ألسنتهم نسخاً من ألسنة هؤلاء، بدليل – كما سبق أنا رأينا – أن لغة الكنعانيين هي لغة عمليق، وقد رأينا أن أحفاد العماليق، كان خروجهم من جنوب جزيرة العرب وكان من جهتين، **الأولى**:كانت من جهة الشرق والشمال الشرقي كالذين سموا بالفينيقيين ومن تبعهم في الخروج من هذا الخط... والجهة **الثانية**:وهي جهة الغرب والشمال الغربي، وقد خرج منها من سموا بالكنعانيين... وقد رأينا أن هذا الفرع الذي سمي بالكنعانيين، كان قبل خروجه من جنوب جزيرة العرب ينتشر في المواقع التي كانت تمتد من صنعاء قبل أن تسمى بهذه التسمية، إلى جهات العبادل وبني ودعان والغمر، وآل معين وآل حرب، والقيوس والريث والحشر ومنبه وفيفا وصعدة والنظير وكل جبال رازح فنزولاً إلى فرسان فعدن إلى مكة فالمدينة فتيماء والبلقاء وفلسطين والشام وسيناء ومصر... وهذا يعني أنهم جميعاً كانوا عرباً، سواء من خرج من الشرق أو من الغرب... وليس هذا القول منا بدعة في التاريخ، بل رأينا الكثير – إن لم يكن جلهم – من المستشرقين يذهبون إلى هذا في جل ما كتبوا، سواء كان ذلك صراحة، أو تعميماً عبر أساليب متعددة، كالمقارنات التي كانوا يسلكونها لإثبات ما يريدون إثباته، كقولهم:[قد ثبت لدينا أن اليمن كانت الموطن الأصلي لكثير من القبائل العربية التي رحلت منها إلى الشمال... وعلى العموم فإننا نلاحظ أن هناك شبهاً كبيراً بين أقوام جنوب الجزيرة العربية، وبين الكنعانيين... فقد رأينا أن بلاد كنعان – في الشام – كانت جبلية على أطراف البحر، وقد أنبتت حضارة مادية عملية تعتمد على الفلاحة والتجارة... وكذلك كانت أرض أقوام جنوب الجزيرة العربية:أرض جبلية، وعلى أطراف البحار، وهم قوم يقبلون إقبالاً شديداً على الحضارة العملية المادية، مع العناية بالتجارة، وكما كانت تتجه نحو الآراء الحقيقية

البعيدة عن الخيال والعواطف والشعر... كذلك كانت نقوش معين وسبأ مصبوغة بصيغة مادية أكثر منها خيالية، وتظهر العقلية العملية لدى أهل معين وسبأ...] وليس هذا فحسب، بل حتى الكتابة والحروف الكنعانية نرى المستشرقين يقولون:[إن الخط المسند هو الأصل الذي منه اشتق الخط الكنعاني ودليلهم على ذلك:أن نماذج من الكتابات المعينية التي وصلت إليهم هي عندهم أقدم من النماذج الكنعانية وسوف نفصل لهذا – بإذن الله تعالى–(١)... وعلى هذا يكون الكنعانيون هم من عرب جنوب جزيرة العرب ومن نفس المنطقة التي استمرت القبائل التي بقيت بها تدعى بالمعينية(٢)... أو السبئية أو غيرهم من القبائل الأخرى التي كانت تسكن بها ورحلت قبلهم أو بعدهم، وكانت هناك تدعى بالبابلية في فترة تسيد التبلبل لألسنة القبائل العربية، سواءً كانت هنا أو هناك، لأننا رأيناهم في فترة تسيّد الفرع الذي سمي بالكنعانيين، يطلقون عليهم – جميعاً – الكنعانيين، ثم الآراميين في فترة تسيد الآرامية –هناك– إلا أن الكل واحد، وإن تباينت في بعض الأمور، إلا أنها تبقى جميعاً واحدة؛ لأنها من أصل واحد، وإن تفرقت إلى أي مكان في الدنيا، ألم يقولوا:[إن أقدم اللغة الكنعانية – التي وجدوها – كانت ألفاظ واصطلاحات وردت في رسائل مسمارية موجهة من بعض الأمراء الكنعانيين في نواحي فلسطين، إلى الملك آمون حوطب المصري، في القرن الرابع عشر ق.م... وقد وجدت تلك الرسائل مكتوبة باللغة البابلية، ومشوبة ببعض الكلمات الكنعانية(٣)... إذن حتى في فترة التسيد الكنعاني وفي أرض بعيدة عن الأرض البابلية؛ نرى اللغة والكتابة البابلية واحدة هي والكنعانية أفلا يدل هذا أن الأصل واحد، والأرض الأم واحدة، وإن حصل بعض التباين والتباعد فيما بعد... وقد سبق أن رأينا في بعض المقارنات اللغوية السريعة التي أجريناها مع البابلية الآكادية وغيرها، مع بعض لهجات المنطق

---

(١) ولفنسون:ص٢١٠.

(٢) وقد عملت كتاباً في هذا بعنوان:[الكنعانيون معينيون من جازان] صدر عن جمعية التراث والثقافة فرع جازان [١٧/١٠/١٤٢٤هـ] – ديسمبر ٢٠٠٣.

(٣) ولفنسون:ص٦٠.

التي جعلناها الحلقة المفقودة لتلك اللهجات خارج جزيرة العرب، سواء كان ذلك قديماً أو حديثاً... رأينا أن الجميع واحد، وأن تلك التي هناك، هي من هذه التي هنا؛ لأن الجميع من شجرة واحدة اسمها العربية، ومن تلك اللهجات هناك -خارج جزيرة العرب- اللهجة التي أطلق عليها مصطلح الآرامية... فما هي هذه الآرامية؟ وهل هي خرجت من جنوب جزيرة العرب؟ ومن أين؟... وهذا ما سنراه في الفصل الآتي، الذي سيكون الحديث فيه مشتركاً عن الآرامية وجزء من العربية...وإن كان سيكون الحديث من الآن إلى النهاية تقريباً وبصورة عامة هو عن الآرامية والعبرية، وإن تعددت عناوين الفصول... فمع الفصل الثاني بإذن الله تعالى...

الفصـــل الثانـــــي
الآراميــــة والعبريـــــة

١) الكل عرب وإنْ اختلفت المصطلحات.

٢) ماذا يعني مصطلح الآرامية في اللغة؟

٣) العبريةُ كنعانية .

٤) من أدلّة كنعنة العبرية .

٥) قرب العبرية من البربرية .

٦) من أسباب اتفاق العبرية ولسان المهرة والشحر .

٧) شعب وبار والعبرين [تحليل] .

٨) من شواهد الربط بينهما : القلب، الهمزة، الواو، قديم في تلك المنقطـــة قديم، وحاضر، وحديث لمحمد بن مسعود الفيفي .

٩) فكرة سريعة عن مؤاب وعمون .

١٠) عروبة قبيلة عبرة.

١١) من مداليل اليهودية: في العبرية، والعربية العربية .

١٢) لم حاولوا إخفاء النسب العربي؟ .

تمهيـــــد:

الكل عرب وإن اختلفت المصطلحات :

رأينا أن جميع من كانوا هناك هم عرباً ومن جنوب جزيرة العــرب كــان رحيلهم، وإذا كان الأمر مع الآكاديين والكنعانيين قد كان كما أشــير، فــالأراميون شأنهم في ذلك لن يخرج عن شأن من سبقوهم في الرحلة، بل قد قيــل :[إن أصــل الآراميين والآكاديين هم جميعاً من جنوب جزيرة العرب[1] ... ولا فرق بينهم وبين الآكاديين والكنعانيين، لأن الجميع كما كان يضمهم في جنوب جزيرة العرب مكــان واحد وإن تعددت مواقعه، كذلك كانوا في مرتحلهم، وسبق أن رأينا أن إحدى كتــل اللهجات التي سميت بالآرامية، كان يتحدث بها من سموا بالبابليين في مواقعهم إبان تسيد الآرامية، وكذلك كانت الكنعانية، بل وصل الأمر ببعضهم وهو يتحــدث عــن الآرامية أن يسميها بالبابلية : [ثم انظر فيما يكون من التشابه الظاهر بين العربيــة والبابلية، ولا سيما في الإعراب وحركاته، كالنون مثلاً ... فهو في البابلية ميم، وفي العربية نون ... وهذان الحرفان من أحرف الإبدال ... ونحن نعرف أن من العرب من يجيز إبدال أحداهما بالآخر ... ومنها علامة الجمع؛ فهي فــي البابليــة (الــواو والنون)، كما أنها في العربية (الواو والنون) ... وفي السريانية (الياء والنون)، كما أنها في العبرية (الياء والميم) ... ومنها أن جميع الأفعال في البابلية هي أقرب إلــى صيغتها في العربية ... (فصيغ الأفعال التي وجدوها في هذه اللغة تبلغ اثنتا عــشرة صيغة، أكثر هذه الصيغ مشهور ومعروف في العربية والعبرية والسريانية ...)[2] ... ومعلوم أن السريانية هي إحدى اللهجات الآرامية[3] ... بل إن تمازج اللهجــات الثلاث: -الآرامية والكنعانية والبابلية- وكونها واحدة من أصل وموطن واحد؛ جعل الخلاف شديداً بين مؤرخي الساميات، الذين يذهب كل واحد مــنهم مــذهباً يخــالف الآخر فيما ذهب إليه، فمنهم من يجعل البابلية هي الآرامية كما رأينــا آنفــاً عنــد

---

(١) لغة آدم : ص ٨٢ .

(٢) كتاب الكنز / محمد بدر ... نقلاً عن كتاب الثقافة العربية للعقاد : ص ١٥٠ – ١٥١

(٣) تاريخ اللغات السامية : ص ١٢٩ – ١٣١ .

صاحب الكنز، ومنهم من يجعل الكنعانية آرامية كصاحب كتاب سني الملوك الذي أشار إلى هذا وهو يتحدث عن الآراميين بقوله : [وقد هاجروا إلى وادي النهرين – أي الآراميين – في تاريخ مجهول؛ ولكن تاريخهم المعلوم يرجع إلى عهد دولتهم التي حكمت بابل، وقام منها بالأمر حمورابي صاحب التشريع المشهور [سنة ٢٤٦٠ق.م] حيث سادت اللغة الآرامية وادي النهرين وبادية الشام وأرض كنعان وبلاد الأنباط، وظهرت لهجتها العامة – كلاماً وكتاباً – في كل قطر من هذه الأقطار) ... وقد وافقه في رأيه هذا عباس العقاد في كتابة الثقافة العربية[١] ... في حين نجد أن حمورابي هذا هو عند الكثير من المستشرقين زعيم لإحدى الأسر الكنعانية الكبيرة التي : (كان لها تأثير عظيم في حياة بابل العقائدية ... وكان للغتهم نفوذ كبير في لغة تلك البلاد ... وهذا يدل على العلاقة المتينة بين اللغة البابلية واللغة الكنعانية ... ورأس وأساس هذه الأسرة هو حمورابي ... الذي وضع شريعة ثابتة في بابل ... ولذلك كان لشريعة حموارابي هذه قيمة تاريخية عظيمة فوق قيمتها الحقيقية، لأنها تمثل لنا عقلية بابل وشومر من ناحية، وتدل على الروح التي كانت للكنعانيين ..)[٢] وهذا الخلاف في حمورابي وأسرته عند مؤرخي الساميات كان الأجدر بهم أن لا يوجد بينهم ذلك، وأن يقف بهم الأمر عند كون الجميع عرباً : لساناً ودماً وجنساً لأن مصطلحات الكنعنه والبلبلة والأرمنة، ليست أصيلة في تلك القبائل، التي خرجت من موطنها الأصلي بجنوب جزيرة العرب، ولكل مجموعة منها لها أسماؤها وأنسابها التي لم تكن تجهلها ولا كل من يرتبط بها، وقد رأينا أن تلك المصطلحات إن صحت فيهم فقد كانت ذات مداليل ليست كما أرادها من ضخمها فيهم؛ لأهداف كانت ذات قصد لديهم، لجعلهم أمماً ذات استقلال في كيانها ولسانها، بل هدفهم الرئيسي هو أن يصلوا لجعل اللهجة العبرية لغة مستقلة قائمة بنفسها، لا تربطها وأخواتها سوى النسب السامي، في حين وجدنا الحقيقة في تلك المصطلحات تقول: – إن صحت فيهم – بغير ما ذهبوا إليه وقد رأينا ذلك في مصطلح الكنعانية.

---

(١) كتاب الثقافة العربية – العقاد – : ص ١٤٩ .

(٢) تاريخ اللغات السامية – ولفنسون : ص ٣٠ .

وإذا كان حمورابي قد أذكى جذوة الخلاف بينهم؛ لأن كل واحد منهم يـراه شـاهداً لوصله بحب ليلى، في نجد ليلي لا تقر لهم بذاك، ولو أنهم جعلوا حمورابي قاسـماً مشتركاً في عروبة اللهجات الثلاث – الآكادية بقسميها والكنعانية والآرامية بأقسامها كذلك – وأصالة عربيتها الجنوبية لكان أجدى لهم؛ لأن التاريخ اللغوي المكتـوب – منقوشاً– منه والمروي المشافه يؤكد هذه الحقيقة، وقد سبق أن أوردنا بعـضاً مـن شواهد التاريخ عند الحديث الموجز عن البابليين والكنعانيين، وإن كان سيأتي الكثير بإذن الله تعالي في الفصول التالية، فما الذي يحملـه هـذا التـاريخ عمـن سـموا بالآراميين؟ وكعادتنا – دائماً – تكون بدايتنا من أمهات متون اللغة ومراجعها ... فما الذي في جعبتها عن ذلك يا ترى؟

اللغة ومدلول آرام وآرامي :

... وبالرجوع إليها وجدنا عندها الكثير الكثير من الشواهد اللسانية والمكانية التي تنطلق بدايتها من تجذير موادها اللغوية كقولهـا: [منـه ... أرض مأرومـة، وأرماء : أي لم يترك فيها أصل ولا فرع. والآرام : أي الأعـلام – الجبـال – أو خاص بعاد، الواحد إرم كعنب ... والأروم : الأعلام وقبور عاد ... ومـن الـرأس حروفه ... وكعنب وسحاب : والد عاد الأولى أو الأخيرة ... أو اسم بلـدتهم ... أو أمهم ... أو قبيلتهم ... وإرم الكلبة: علم بين البصرة ومكة ... وآرام : جبـل بـين الحرمين ... وذو آرام: حزن به آرام جمعتها عاد] (1) .هذا مـوجز مـا اسـتطعنا اختصاره من مداليل مادة (أرم) ذات المعاني الكثيرة جداً، وفيه نلاحـظ أن تركيـز التاريخ اللغوي، كان على مدلولين رئيسيين: **الأول** : هو مدلول مكاني، **والثـاني** : يرتبط بالمدلول المكاني، وهذا هو مدلول إنساني، والمكاني يتجلى في قوله : الآرام : أعلام خاصة بعاد، الواحد منها : أرم، وقوله : الآروم : أعلام بها قبور عاد،وقوله: ذو أروم :أحزان به آرام جمعتها عاد، وأروم الكلبة : علم بين البـصرة ومكـة ... وآرام : جبل بين الحرمين ... وكصبور جبل لبني سليم ... وبئر آرمي : هي قرب المدينة ... وغير ذلك من المواقع سواء كانت داخل جزيرة العرب أو خارجها .

---

(1) القاموس المحيط : ٤/٧٤، ومثله لسان العرب؛ وتاج العروس ... الخ .

وهذا هو موجز ما يتجلى فيه المدلول المكاني، وترى أنه يتفرع في ثلاثة أقسام متباعدة، ولكنها مربوطة برابطين وثيقي الربط بالرابط الدلالي العام للمادة [أرم – آرام] وبرابط خاص، وهو من يرتبط بهم المدلول المكاني؛ لأن القسم الأول تجده لا يخرج عن مواقع إرم – جبال – عاد ... سواء كانت المواقع؛ مواقع سكنية سكنتها أصول قبائل عاد – إرم عاد –، أو جعلت قبوراً لهم فيما بعد ... وهذا ما عليه الفرع الأول من هذا القسم؛ وفيه ترى أنها مرتبطة بأناس كانوا يحملون تلك الأسماء الأصول، وهذا يؤكده ما ورد في إشارة المدلول الإنساني –الرابط الخاص – ، وذلك في قوله : [وإرم وآرام كعنب وسحاب : هو والد عاد الأولى، أو هم اسم أمهم، أو اسم قبيلتهم، أو اسم بلدتهم، وعلى هذا تكون إرم هي اسم لقبيلة من مجموع قبائل عاد ... وعاد –كما هو معلوم – وإن كان ستأتي تفاصيل متفرقة – هي إحدى قبائل العرب الكبيرة الأصول، وسواء كانت لفظة إرم هو اسم لتلك القبيلة العادية، أو كان اسماً لأبيهم أو أمهم؛ إلا أنها مرتبطة بمسمى هاد. عاد: التي هي القبائل العربية المعروفة، قرآناً، وحديثاً، وتاريخاً، وهذا كله وغيره يشهد بعروبة مسمى قبائل آرام نسباً وموقعاً، وبه – أيضاً – شهد التاريخ حينما قال : [وإرم: هو ابن سام بن نوح – عليه السلام –، وولد إرم عوصاً وغاثر وحويل، وولد عوص بن إرم عاداً وعبيلاً ... وولد غاثر بن إرم : ثموداً وجديساً وكلهم كانوا قوماً عرباً، يتكلمون بهذا اللسان العربي – المضري – ... فكانت العرب تقول لهذه الأمم : العرب العاربة؛ لأن لسان العربية هو لسانهم الذي ولدوا عليه وجبلوا ... فكانت عاد بهذه الرمل إلى حضرموت واليمن كله ... وكانت ثمود بالحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى ...] [1] إذن فالتاريخ يؤكد عروبة الآرامين لأنهم من عاد بن إرم، ومعلوم أن من بعث في قبائل عاد هو نبي الله هود – عليه السلام – وقد شهد حديث رسول الله – محمد – صلى الله عليه وسلم – بعروبة هود – عليه السلام – كما سيأتي بإذن الله تعالى – وكذلك التاريخ، ومعلوم أن من يبعث في قوم يكون لسانه الذي يدعوهم به، هو لسان قومه [وما نرسل من رسول إلا بلسان قومه] أي لابد أن يكون المرسل من جنس المرسل إليهم، وقد علمنا أن لسان نبي الله هود –عليه السلام– هو عربي، لأنه عربي، إذن فألسنة قوم هود من جنس لسانه، أي أنهم

---

(١) الطبري : ١/٢٠٤ .

عرب، إذن فالآراميون هم عرب ... وأيضاً – لأن قبائل عاد كانت كل قبيلة منها تسكن في موقع، فكان ذلك الموقع ينسب إلى نسب تلك القبيلة – أو العكس – الأصلي، فيقال : آرامي؛ لأن المفرد إرم، والنسب إليه إرمي، أو آرامي، وجمع إرم هو آراميون، وقد زيدت الألف للدلالة الجمعية، ولذلك رأينا التاريخ اللغوي يقول : الآرام : الأعلام الخاصة بعاد ومعلوم أن العلم : مقصود به الجبل، والجمع : أعلام : أي جبال، إذن فالأعلام مقصود بها أصلاً المكان الذي فيه ذلك العلم ... ومن هنا كانت تلك الآرام : هي خاصة بقبائل عاد الآرامية، ولذلك قالوا : (الأروم : الأعلام وقبور عاد ... وذو آرام : حزن به آرام جمعها عاد ... وعلى هذا تكون قبائل الآرامين هم من مواقع تلك الأعلام الخاصة بأصولهم العادية، والتي بها قبور تلك الأصول العادية ... وهذا يؤكده ما ورد بالقسمين الآخرين اللذين وردا في قسم المدلول المكاني ...) وهو أن بطون تلك الأصول أينما اتجهت تسمى أعلام مواقعها التي تسكنها – وكل ما حولها – بنفس تسمية أعلام مواقع أصولها العادية في جنوب جزيرة العرب فهي – مثلاً – حينما خرجت من مواقعها الأصلية بجنوب جزيرتها وانتشرت في وسط جزيرتها وشمالها، قبل أن تخرج منها خارج حدودها، وجدناها تسمى بتلك التسمية ... ولذلك رأينا التاريخ اللغوي يقول: [آرام : جبل بين الحرمين ... وكصبور، أروم : جبل لبني سليم ... وبئر أرمي : بئر قرب المدينة ... وإرم الكلبة : علم بين مكة والبصرة ... وآرام : جبل وماء لجذام بأطراف الشام ... وهكذا ...) إذن فهم ينسبون المواقع التي يستقرون بها إلى تسميتهم، سواء كانوا في جنوب جزيرتهم، أو في وسطها أو شمالها، أو خارجها، بدليل أن شيخ المؤرخين – الطبري – يشير في إحدى رواياته إلى أن إرم بن سام أو فروعاً منها كان مقامهم بمكة[1] ... ومن هنا جاء قولهم : أرام جبل بين الحرمين، حتى حينما خرجوا خارج حدود جزيرتهم فعلوا ما فعلوه داخلها ... بل حتى حينما أخذت تلك البطون الآرامية تنتشر في كل بلاد الشام،وبلاد ما بين النهرين، وفلسطين؛ وأخذت بعض تلك الأسر الكبيرة من قبائلها تقيم ممالك ودول في كل تلك البقاع التي انتشرت بها؛ وجدنا تلك الدول والمماليك تسمى مواقع دولها هناك بأسماء أسرها ومواقعها الأصلية في جنوب جزيرتها، كمملكة عديني، وعدينة، وبيحاني، والرها، وبيت جباري، وغيرها ... ولو

---

(١) الطبري : ١/٢٠٥ .

عدنا إلى جنوب بلاد العرب فإننا سنجد كل تلك الأسماء : أسراً ومواقعاً شاخصة ومائلة إلى وقتنا الحاضر أفلا يؤكد كل هذا عربية تلك القبائل العربية، وأنها من جنوب جزيرة العرب عنصراً ومواقعاً ...

مؤرخو العربية يتبعون التوراتيين في كل شيء :

ولكن مما يؤسف له، هو ما يقوم به مؤرخونا من العرب في تقليدهم للمستشرقين الذين جعلو قبلتهم ومرجعيتهم لمعرفة تاريخ أمتنا، بل حتى أنسابنا منهم تستقي مرجعيتها ... أليس الأجدر أن يكونوا هم المرجعية لإثبات ما يتلاعب به المستشرقون – أو غيرهم – من تاريخنا، وتحقيق ما حاولوا ويحاولون التشكيك فيه؟ ولكن للأسف كانوا ولا يزالون يتبعونهم في كل ما يقولون ... فقد رأينا أن المواقع التي كان يسكنها الآراميون بجنوب جزيرة العرب، كانت معروفة لدى كل أفرع التاريخ اللغوي منها كان ذلك أو الجغرافي ... فهل كان مؤرخونا يعرفون ذلك؟ لأنا لم نجد لهم إشارات في هذا أو غيره تنسب إليهم، بل تجدهم يتبعون المستشرقين حذو القذة بالقذة، بل أظنهم لو قالوا أن الشمس تطلع الآن من المغرب لتبعوهم في ذلك ... فمثلاً يقول المستشرقون حول الآرامين : [نحن نعلم أن الآراميين : إنما نزحوا من الجزيرة العربية إلى سورية ... ولكن من العسير جداً تعيين البقعة التي كانوا يسكنونها في تلك الجزيرة ...][1] هذا جزء مما قاله المستشرقون عن الآراميين، وهذا أسلوبهم في إثبات ما يريدون نفسه، وهذه الفكرة – والطريقة –، تجدها بنصها عند كل مؤرخي العرب، ودون تمحيص، ولا وعي لما يقال، بل تسليم واستسلام لما يقولون ... انظر لصاحب كتاب : الأبجدية مفتاح تاريخ الإنسانية، وهو يتحدث عن تاريخ الآراميين : [إن موطن الآراميين الأول غير معروف ...][2] فإذا كان المستشرقون قد أثبتوا موطنهم الأول الذي خرجوا منه، وقال بصريح العبارة، وهو أرض جنوب جزيرة العرب ... ولكنهم لم يستطيعوا تحديد البقعة والمكان الذي خرجوا منه بجنوب الجزيرة ... وقد صدقوا في هذا، بل كانوا صادقين مع أنفسهم كمؤرخين علميين ... لأن تحديد البقعة التي خرج منها الآراميون كان الأجدر

---

(١) ولفنسون : ص ١٠٦

(٢) نقلاً عن كتاب الثقافة العربية للعقاد : ص ١٠٥ .

بتحديدها هم مؤرخو العرب، لأنهم هم المعنيون بذلك ولاسيما مؤرخي جنوب جزيرة العرب، وإن كان هذا لا يعفي البقية من مؤرخي العربية... وهنا نقف ونسأل : إذا كان مؤرخو العربية قد رضوا بأن يكونوا إمّعة... فهل فعلاً لم يهتد المستشرقون لتحديد بعض مواقع القبائل الآرامية بجنوب بلاد العرب؟! هذا ما لم أستسيغه أو أقبل به ... لأن الحقيقة تخالف منطقهم هذا ... وإن كانوا فيما يتظاهرون به صادقين – كما سبق أن قلنا –، فولفنسون الذي سبق أن قال : [ومن العسير جداً أن نعين أماكن ومواقع الآراميين بجنوب جزيرة العرب] ... نجده يقول وبكل صراحة : [إن أهل نجران : هؤلاء العرب الخلص، كانوا يعرفون اللغة الآرامية][1] وهنا نسأل –أيضاً– ترى كيف عنّ للنجرانيين أن يكونوا مجيدين للسان الآرامي، رغم كونهم عرباً خلصاً؟! ألا يعني هذا أن من سموا بالآراميين كانوا على مقربة من أهل نجران؟ ... ألا يعني أنهم منهم؟ ...وإلاّ ما الذي يدعو هؤلاء النجرانيين لأن يكون جميعهم يعرف اللسان الآرامي؟ ... وعندي أن ذلك لا يخرج عن أمرين : الأول : القربى، والقربى تستلزم أن يكون اللسان العام واحداً عند الجميع وإن اختلفت لهجاته الخاصة، وعمومية اللسان، تعني العمومية في قربى النسب والدم والجنس، وهذه أيضاً تستلزم القربى المكانية. وقد رأينا مما سبق أن الآراميين هم عاديون، ومواقع عاد كانت منتشرة من حضرموت حتى رمال عالج قرب نجران وعمان – كما سبق – وعاد هم عرب، كما أن أهل نجران هم –أيضاً– عرب، وإن لم يكونوا–أيضاً– من بقايا القبائل التي انتشرت قبل الخسف، أو من بقى منهم بعده... وهذه حقيقة ... إذن فالقربى متوفرة بكل عناصرها... فكيف لا تكون مواقع الآراميين غير معروفة بعد ذلك؟! ... أما الأمر الثاني : فهو أن تلك المعرفة ربما تكون ناتجة لغلبة عسكرية، أي أن إحدى الدول التي قامت في نجران كانت قد غلبت على تلك المواقع، من باب تبعية المغلوب للغالب، وهذا غير صحيح؛ لأن ما كان يجب حصوله العكس ... أي أن الآراميين يجب أن يكونوا هم الذين يجيدون النجرانية لا العكس ... وما صرح به وقيل هو أن النجرانيين هم الذين كانوا يجيدون الآرامية ... حتى وإن قيل ربما يكون حصول ذلك في فترة تبعية ذي نواس النجراني للنصرانية، بحكم لهجة الإنجيل النصرانية قلنا: وإن كان ذلك... لأن ما تعرفه أن

---

(١) ولفنسون : ص ١٧٦ .

الإنجيلية هي لغة الخاصة من القساوسة وأرباب الكنيسة لا لغة كل أهل نجـران ... ثم إن لسان الإنجيل هو السريانية ... والسريانية هي عربية – كما سيأتي تفصيل ذلك في موقعة بإذن الله –تعالى – ثم إن النصرانية وصلت متأخرة إلى نجران، أي في القرن الخامس أو السادس كما قيل ولأنها – النصرانية – كانت محاربة قبل مجيء ذي نواس، ولم يدخلها إلا أفراد يعدون على الأصابع وجميعهم أُحرق في الأخدود ... وهذا كله لا يؤدي لأن تكون الآرامية لساناً يعرفه جميع أهل نجـران. وإذا كان هذا كله منفياً، إذن فالقربى والجوار كانا عاملين أساسيين في معرفة النجرانيين للآرامية... وهذا أمر حقيقي كما أثبته التاريخ بكل أقسامه كما سبق، أليس الآراميون هم عاديون – كما سبق –؟ ومعلوم أن كل المواقع التي كانت تنتشر بها القبائل العادية بجنوب جزيرة العرب لا تبعد عن نجران، إذ كلها كانت حولها، فعاد إرم كانت بالأحقاف – كما أثبتها القرآن الكريم، والتاريخ – وكل ما كـان حولهـا. شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً ... ونجران كانت – على هذا – من مواقعهم الشمالية ... وإلا ما الذي يدعو أولئك العرب الخلص – النجرانيين – من أن يتكلموا بتلك اللهجة الآرامية إن لم تكن هي – أصلاً – لهجة من لهجات القبائل العربية التي كانت منتشرة في مواقعها حول نجران قربت هي أو بعدت؟ ... إذن فالآرامية لهجة من لهجات العربية الأم، شأنها في ذلك شأن أخواتها الآكادية والكنعانية والعبرية وغيره ... وإذا كنا قد أوردنا بعض الإشارات اللغوية من جنوب جزيـرة العـرب قـديماً وحديثاً، ومقارنتها مع بعض من الآكادية وأخواتها ... وما خرجنا به من نتائج تثبت صلة تلك بما هو هنا ...نجده كذلك ينطبق على الآرامية، لكونها واحدة منها. وسيأتي الكثير مما يثبت ذلك إضافة لما سبق – بإذن الله تعالى – إذن فالكل عرب، آتون من جنوب بلاد العرب،وإن حاول تلاميذ الصهيونية العالمية من مستشرقين وغيرهم بقصد إخراج هذه الأمم من النسب العربي وجعلهم أمماً ذات لغات مستقلة تنتمي جميعاً إلى لغة أسموها بتسمية السامية، اخترعوها من عندهم ... ليقرروا بعد ذلك أن تلك اللغة ما هي إلا اللسان العبري؛ لأنها : [... أقدم لغات المنطقة ... وأنها ذاك الأصل العتيق ... الذي عنه تفرعت سائر اللغات[١] ... ولأنها لسان شعب هـو

(١) ملامح في فقه العربيات : ص ١٠٢ .

أقدم الشعوب ...][1] ثم راحوا بعد ذلك يتعسفون اللغة والتاريخ، وكل شيء يجدوه سيقف في طريقهم، حتى يلائموه مع ما قرروه، مدفوعين بمؤثرات توراتية محرفة، وعنصرية حاقدة ... ولذلك تجدهم يخضعون الكثير الكثير من حقائق تلك الأمم والشعوب، سواء كان ما يتعلق بالتاريخ العام أو كان ذلك يتعلق بالتاريخ اللغوي واللغة؛ خصوصاً ما يتعلق من ذلك بالتاريخ واللغة الكنعانية، والآرامية، وإن كانت الكنعانية في ذلك أكثر، وذلك لما بينهما من أمور كثيرة تؤكد شبه تقاربها أكثر من غيرها، لتمكنها في التبلبل أكثر من غيرها، لذلك تجدهم يتباهون وبصلف أن ما يعرفونه عن الكنعانية – خصوصاً – والآرامية لا يعرفه غيرهم، وأنهم لولاهم لقذف التاريخ بالكنعانيين في زوايا الإهمال والنسيان، ولا استطاع أحد ان يعرف عنهم وعن لغتهم شيئاً[2].. ويستمرون في تباهيهم بذلك ليقولوا أخيراً – وليس بآخر – إن كل ما عرف من نزر يسير عن اللغة الكنعانية يعود الفضل فيه للغة العبرية التي تعد الأم – الرئيسية للكنعانية ... ولذلك يقولون : [لو لم يكن للغة الكنعانية اتصال وثيق باللغة العبرية ما أمكننا أن نعرف شيئاً كثيراً عنها؛ لأن ما وصل إلينا من آثارها قليل جداً...ومن أقاليم متعددة كسورية ومصر وجزر البحر الأبيض وغير ذلك...وليس يكفي كل هذا لتكوين نظرية واضحة عن نشأة اللغة الكنعانية، وتاريخ طوائفها ...] [3] وعند قولهم هذا نقف ونتساءل: كيف لا يكفي أن يكون ما وصل إلينا كافياً في تكوين نظرية كافية عن الكنعانية؟! ... في الوقت الذي تحدثوا فيه بإسهاب عن مدى التأثير الكبير الذي كان للكنعانيين على العالم المتمدن ... ومعلوم أن هذا التأثير لا يمكن أن يُعطي تأثيره إلا عن طريق الفهم والتفاهم، وهذا لا يتم إلا عن طريق اللغة وهذه النتيجة تؤكد على معرفة اللغة – اللهجة – الكنعانية ... وإلا كيف يكون ذلك التأثير المتعدد والمتنوع في تلك الأمم إن لم يكن عن طريق اللغة؟ وهذا ما سبق أن أشار إليه المستشرقون أنفسهم بقولهم : [وللكنعانيين عدا

---

(١) ولفنسون : ص ٥٤ .

(٢) ولفنسون : ص ٥٤ .

(٣) ولفنسون : ص ٥٥ .

تأثيرهم العلمي والصناعي على العالم المتمدن، فضل آخر عظيم ... وهو تأثيرهم الديني في جميع الأمم السامية؛ فقد كانت ديانتهم أرقى ديانات الأمم السامية الوثنية ... لذلك تأثرت بها ديانات بابل والآرامين والإسرائيليين ...] [١] إذن فآثارهم كانت موجودة إذ كيف التأثير موجود ولا يكون للأثر وجود؟ لأن التأثير لا يكون إلا إذا وجد الأثر، وإذا كان تأثير الكنعانيين في أمور الصناعة والديانة فيمن عاصرهم، أو أتى بعدهم عظيماً، ... فكيف لا يكون للغتهم وجود؟ ... في حين قد قالوا هم : بأثر وتأثير اللغة الكنعانية -كما سبق- وسيأتي قوله -بإذن الله تعالى- في كل من عاصرهم أو عاصر من عاصرهم ... ولكن تلاميذ الصهاينة هم من أخفى كل شيء عن الكنعانية والآرامية؛ لأمر مبيت كانوا يعدون له العدة، وهو جعلهم العبرية لغة، بل وأم لكل اللغات التي أسموها بالسامية، وجعل الشعب العبراني أقدم كل تلك الشعوب. ولكن الحقيقة تبقى مهما حاول الباطل وأهله التسيّد، لأن الشمس لا يمكن حجبها مهما كانت كثافة السحب، فإذا حجبت الشمس، فالنور لا يمكن حجبه، لذلك وجدنا بعض العقلانيين من أولئك التلاميذ من مستشرقين وغيرهم؛ تخرج منهم بعض الإشارات الصريحة الواضحة التي تؤكد على أن ما يريد الباطل جعله لغة وأماً للغات، لا يخرج عن كونه لهجة، شأنها شأن أخواتها من اللهجات، إن لم تكن أقل شأناً ... كقولهم : [... ويعد الكنعانيون من أقرب أقرباء بني إسرائيل لاشتراكهم معهم في اللغة، ومشابهتهم في أخلاقهم] [٢] وإذا كان الإسرائيليون يشتركون مع الكنعانيين في اللغة ... فكيف لا يستطاع تكوين نظرية حول لغة الكنعانيين؟ لأن الشريك لا يخرج عن صفات شريكه في كل شيء، هذا إن صح أنهم كانوا فعلاً شركاء للكنعانيين في لغتهم ... لأن جل الإشارات التي حفظها لنا التاريخ بكل أقسامها، ومنها التاريخ اللغوي، تقول إن العبرية لا تخرج عن كونها لهجة مشتقة من الكنعانية،بل إن أكثر مؤرخي اللغات السامية تجدهم حائرين بين جعل العبرية مشتقة

---

(١) ولفنسون : ص ٥٥ .

(٢) ولفنسون : ص ٥٥

من الآرامية أو من الكنعانية، وإذا كان أمرها لم تتأكد نسبته للآرامية أو الكنعانية ... فكيف تكون لغة مستقلة؟ وكيف استطاعوا أن يكونوا حولها نظريات وهي على هذا الأمر، ولم يستطيعوا تكوين نظريات حول ما أمره ثابت ولا يكتنف وجود خلاف إلا عندهم؟ ... ألا يتبادر إلى الذهن أن هناك أمراً ما؟ ... ألا تلاحظ أنهم استغلوا أمـر التشابه والمشابهة التي أدعوها – على غير حقيقتها – بين تلك اللهجات مع العبرية، وخصوصاً إذا انضم مع أمر المشابهة اللسانية، المشابهة فـي الخلـق والأخـلاق، ليجعلوا من ذلك برهاناً على جعلها لغة أماً والبقية لهجات أخذت عنها؟ ... لكن فات عليهم أن هذا يكون حتى في لهجة البطن الواحد، من القبيلة الواحدة. فات عليهم أن ما أتوا به عاد عليهم، وجلى الحقيقة في أمر تلك الألسن المتعددة ...بل أكـد أنهـا جميعاً لا تخرج عن كونها لهجات لمجموعة قبائل متعددة تعود لأمة واحـدة، هـي أصل لكل ما تفرع عنها من قبائل، أمة اسمها – أمة العرب – بدليل أن جلاء هـذه الحقيقة لدى الكثير من عقلائهم الذين راحوا يؤلفون كتباً في حقيقة تلـك اللهجـات كرابين وغيره كثير... لكنها كانت صدمة في الوقت نفسه للبقية التي ظلـت علـى تخدرها وتبعيتها للصهيونية الحاقدة على كل شيء اسمه عربي ... نعم كانت صدمة لهم تلك الحقيقة لدرجة جعلت التخبط والارتباك مذهباً لهم في كـل مـا يقولـون أو يفعلون حتى رأيناهم يثورون حتى على أبناء جنسهم الذين أشاروا بكنعنة العبرية، و كنعنة العبرانيين، بل وراحوا يخطئون كل من يقول بمثل ذلك ... لأنه – عندهم – لا يخرج عن كونه خرافة ورجماً بالغيب ... مثل قولهم : [ونريد أن نوجه الأنظار إلى خطأ وقع فيه بعض المستشرقين ومن تابعهم عليه من بعدهم، دون بحث ولا تمحيص حتى صار قانوناً كأنه حقيقة ثابتة لا تقبل جدالاً ولا نزاعاً؛ : وهو أن اللغتين العبرية والآرامية مشتقتان من اللغة الكعنانية ولكننا نعتقد أن هذا الرأي ليس إلا حديثاً خرافياً ... إذ كيف يعقل أن تكون الكنعانية أصلاً والعبرية فرعاً؟ ... في حـين يثبـت أن الكنعانيين والعبرانيين والآراميين، إنما هم فروع لأصل واحد مشترك بينهم جميعاً، ولا يمكن أن يقال إن هذه اللغة متفرعة عن الأخرى استناداً إلى قوة الشبه بينهما،إلا إذا ثبت ذلك بأدلة أخرى أن العبرانيين قد اقتبسوا لغتهم العبرية من اللغة الكنعانيـة،

أما شدة القرب بين اللغتين، فلا يمكن أن تدل إلا على شيء واحد ... وهو أن اللغتين في الواقع لغة واحدة] [1].

كنعنة العبرية :

إذن فالكنعانية لم تكن مجهولة كما أدعوا، بل هي موجودة، وأصل لما أرادوا منه أن يكون أصلاً ... بل هو فرع، ومشتق من تلك اللغة – اللهجة – لدرجة أن ما أرادوه دليلاً لصحة دعواهم عادوا وينكرونه لما رأوا حقيقة ما يشير إليــه، ولــذلك هاجوا على من جلى ما يشير إليه دليلهم، فراحوا يصرخون بأعلى صوتهم : [... لا يمكن أن يقال إن هذه اللغة متفرعة من الأخرى استناداً إلى قوة الشبه بينهمــا ...] إذن فهو أمر لا يكون أبداً ... إذن ما الحقيقة؟ أهي أن الجميع من لغة واحــدة؟ إذن فالجميع لهجات من تلك اللغة الأم، ودليل الإنكار يصبح ... دليل إثبــات... وضــد الإنكار، العبرية لهجة، والآرامية لهجة، والكنعانية – أيــضاً – لهجــة وإن كانــت العبرية منها .أي أن العبرانيين هم من كانوا حول المواقع التي كان بها من ســموا بالكنعانيين وإن شذوا في أفعالهم فيما بعد ... وقد أدركوا هذه الحقيقــة، حقيقــة أن الكنعانيين هم والعبرانيون من موطن واحد وأن ألسنتهم متفرعة من اللسان الأم لتلك المواقع، وهذا ما أرادوا أن يلتفوا حوله بإنكاره، وما دروا أن إيرادهم له يصبح وثيقة إدانة عليهم، وإثبات ضد ما أرادوا إنكاره،كقولهم : [ولعل الذين ذهبوا إلــى هــذا الرأي يستندون إلى أن الكنعانيين سبقوا الإسرائيليين في الهجــرة والنــزوح عــن الموطن الأصلي، وأنهم تكلموا بالكنعانية في موطنهم الجديد، فلما رأوا الإسرائيليين بعد ذلك في أرض كنعان يتكلمون بالعبرانية التي تقترب قرباً شديداً من الكنعانية ... قالوا إن العبرانية متفرعة عن الكنعانية] [2]... إذن فقد أدركــوا أهميــة المــوطن الأصلي في جلاء الحقيقة التي أرادوا طمسها، ولم يستطيعوا طمسها، لــذلك تحــس هشاشة وهلهلة ردودهم عليها، إذ سرعان ما تختفي وتذوب عند محاكمتها كقولهم :

---

(١) ولفنسون : ص ٥٦

(٢) ولفنسون : ص ٥٦

[ولكن هذا – ما سبق أن أشاروا إليه – يقتضي أن الكنعانيين حين تركوا موطنهم الأصلي : تركوا معه أيضاً – اللغة التي كانوا يتكلمون بها فيه ... وأوجدوا لهم لغة يتكلمون بها في موطنهم الجديد ... ثم لما هاجر بنو إسرائيل بعدهم اقتبسوا منهم هذه اللغة.. ولا شك أن بطلان هذا وعدم إمكان حصوله جلي لا يحتاج إلى إيضاح] [1]... وإذا كنتم أنتم قد أدركتم أن مثل هذا لايصح... فكيف يترك قوم لغتهم لمجرد هجرتهم من موطنهم الأصلي ... إذن فلغتهم التي كانوا يتكلمون بها في مهاجرهم هي لغتهم في موطنهم الأصلي، أي أنها هي اللغة التي كانت لسانهم ولسان العبرانيين ... وعلى هذا تكون لهجة الإسرائيليين هي نفسها لهجة الكنعانيين ... وهنا نسأل : هل فعلاً لم يرد أن العبرانيين كانوا يتكلمون بنفس اللسان الذي كان يتكلم به الكنعانيون، والآراميون ؟ وهنا نسأل التاريخ إن كان يحمل في طياته ما يشير إلى ذلك ... فوجدناه يفاجئنا، ليس بما يحمل مما يثير فقط، بل يحمل اعترافاتهم الصريحة التي تثبت أنهم كانوا يتكلمون باللسان الكنعاني، فاليهود حينما انتسبوا إلى إسرائيل، كانوا يقولون : [عن العبرية أنها لغة كنعان ... ثم إن العبرية انطوت بعد ذلك في الآرامية التي غلبت على القبائل جميعاً بين فلسطين والعراق، مع اختلاف يسير بين الآرامية الشرقية والآرامية الغربية ... وأصبحت العبرية لهجة تختلف بنطق بعض الحروف كما تختلف القبائل بنطق الشين والكاف، أو نطق الميم واللام، وإلى هذه الأيام ...] [2].

إذن فهم يعلنون أن لهجتهم أصلاً كنعانية، أي أنهم كانوا من مجموعة القبائل والبطون التي كانت تنضوي داخل الإطار الكنعاني ... وقد رأينا أن مجموعة كبيرة من القبائل التي كانت تدخل تحت هذا المسمى، قد انتشروا حتى شمال إفريقيا وشرقها، بل إلى بعض الجزر في أوروبا وغيرها، ولذلك وجدنا تلك الاختلافات الكثيرة والمتنوعة في نطق بعض الحروف والصيغ والعبارات بين طوائف وبطون تلك المجموعات القبلية، وهذا ما أشار إليه المستشرقون أنفسهم، حينما نصوا على أن

---

(١) المرجع السابق

(٢) العقاد : ص ١٣٣ .

هناك كثيراً من أسماء القبائل التي كانت تنتشر بفلسطين تحمل أسماء بعيدة عن مصطلح كنعاني بقولهم : [وقد لاحظنا أن لفظ كنعاني لم يكن دقيقاً في الدلالة على القبائل التي سكنت فلسطين قبل الفتح الإسرائيلي، إذ وجدت فيها بطون جاء لها ذكر في التوراة: مثل جموع الأموري، والفريزي، والجوي، والجرجاشي، واليبوسي.. كان موطنها فلسطين،و يظهر من نص التوراة أن هذه القبائل لم تكن كنعانية؛إذ جاء ذكر الكنعانيين على انفراد مع أنها كانت كلها تتكلم لغة واحدة ، وكثرة هذه القبائل المتنوعة التي كانت ولا تزال تزحف في عصور مختلفة من الصحراء إلى فلسطين] (١).

إذا كانت التسمية غير دقيقة فهل يعني ذلك نفي ارتباط القبائل التي ذكرت عن القبائل التي سميت بمصطلح الكنعانية ... هذا غير صحيح؛ لأن التسمية الكنعانية ليست صحيحة، لأنها لا تعني جنساً ولا نسباً ... وإنما هي صفة، - كما سبقت الإشارة إليها -، ثم إنا قد رأينا أن كثيراً من الأسماء التي ذكرت آنفاً هي من نفس القبائل التي سميت بالتسمية الكنعانية، كالجويين،و آل حبيب و غيرهم ... وإذا كان ارتباط هؤلاء بهم قد ثبت لهم في فلسطين كما ثبت في جنوب جزيرة العرب، أفلا يثبت للبقية وهم منهم... بدليل إثباتهم أن الجميع يتكلمون بلسان واحد، وهذا يعني أن الجميع كانوا وحدة واحدة، أي أنهم كانوا يحملون نفس صفة التسمية الكنعانية، وهذا ما أكده أنبياؤهم، كيوشع - عليه السلام - الذي : [تنبأ بغلبة قومه على أرض مصر، وأنه في ذلك اليوم يكون في أرض مصر خمس مدن تتكلم بلغة كنعان] (٢)... أفلا يعني هذا أنهم هم -العبريين- من الكنعانيين؛ لأن لسانهم كنعاني بشهادة أنبيائهم ... كما يثبت جنسهم عربي كنعاني، بدليل موطنهم الأصلي الذي كانت جموعهم تزحف منه إلى فلسطين، وهو بلاد العرب وصحاريها... ولذلك رأيناهم يتباينون في نطقهم لبعض الحروف كما هو حالهم في داخل جزيرتهم... وعلى هذا يتضح لنا أن

---

(١) أثر الثقافة العربية - العقاد - : ص ١٧٦ .

(٢) المرجع السابق

حقيقة ما أسموه باللغة العبرانية، إنما هي لهجة بطن أو مجموعة بطون من مجموع بطون القبائل التي أطلقوا عليها مصطلح الكنعنة،وأن موطن الجميع واحد، وهو جنوب جزيرة العرب، وهذا بشهادة المستشرقين أنفسهم؛ الذين قالوا : [... إن أقدم آثار اللغة الكنعانية : ألفاظ واصطلاحات وردت في رسائل مسمارية وجهت من بعض الأمراء الكنعانيين في نواحي فلسطين إلى الملك آمون حوطب المصري، في القرن الرابع عشر ق . م وهذه الرسائل مكتوبة باللغة البابلية، مشوبة ببعض الكلمات الكنعانية ... ويستدل من هذه الألفاظ الكنعانية على أنها تشبه مادة اللغة العبرية شبهاً كبيراً ... بل على أن كل اللغة الكنعانية، سواء ما وجد منها في موطنها – وما وجد في مستعمراتهم تدل على عظم قربها ومشابهتها للغة العبرية حتى كأنهما قدا من أديم واحد ...) [١] إذن فهم يذهبون في التأكيد على كنعنة العبرية مذهباً أبعد مما قد يتصوره المؤكدون أنفسهم؛ لأن الاستشهاد بتلك الرسائل دليل قوي في التأكيد، لأن اللغة التي وجدت مكتوبة بها هي في حقيقتها لغة واحدة، وإن أطلقت أسماء متعددة على ألفاظها بابلية كانت أو كنعانية؛ لأنا رأينا – كما سبق – أن البابلية والآشورية: والآكادية؛ هي لسان الفينيقيين، وربما قد يكونون هم أنفسهم الآكاديون أو منهم، ومعلوم أن الفينيقيين والكنعانيين هم من العماليق، وهذا يؤكد أن ألسنتهم جميعاً هي لغة واحدة وإن تباينت بعض الشيء في أزمنة التبلبل لأنهم لو كانوا بغير هذا لما أقدم من كانوا يسمون أنفسهم كنعانيين – إن صح – على أن يكتبوا رسائلهم الرسمية الموجهة إلى ملوك آخرين بلسان تغلب على ألفاظ ألسنة غيرهم، وهم في ظل دولتهم وعلى أرضهم؛ لأن ذلك يعني أموراً كثيرة في عرف سياسة الملك والممالك، أقربها التبعية لألفاظ أصحاب تلك اللغة ، وفي تلك الرسائل ما يؤكد أن اللسان العبري هو – أيضاً – لسان كنعاني عمليقي؛ بأدلة كثيرة جداً منها ما سبق متفرقاً، وما سوف يأتي تباعاً – بإذن الله تعالى – .

---

١) ولفنسون : ص ٦٠-٦١

من أدلة كنعنة العبرية :

ومن ذلك – رأينا – أن تلك الرسائل كانت موجهة من أمراء كنعانيين في فلسطين إلى آمون حوطب أحد ملوك مصر. ومعلوم أن القبائل التي كانت منتشرة في مصر وقتها، كان أكثرها من العماليق[1] ، والرسائل مكتوبة بلسان عمليقي – كنعاني بابلي –، وهذا يعني أن البطون العبرية التي كانت بمصر وقتها، كان لسانها هو نفس لسان الدولة التي يعيشون تحت ظلها – وقتها – وهذا ما سبق أن قاله نبيهم يوشع كما سبق أو أشعيا – عليه السلام – الذي تنبأ بغلبة قومه على مصر، وكيف عندها تصبح الألسن هناك ألسن كنعانية ، وهذا يؤكده –أيضاً– ما حصل لنبي الله يعقوب – عليه السلام – إسرائيل – حينما هاجر إلى مصر، وقبله ابنه يوسف – عليه السلام – لم يجدا صعوبة في اللغة هناك، واستمر الأمر مع أحفاده هناك، أفلا يعني هذا أن اللسان العبري نفسه كان لساناً كنعانياً؟ ولا استبعد أنهم استغلوا هذه العلاقة النسبية، واللسانية خصوصاً؛ وراحوا يخفون كل ما يتعلق بأمر الأصل – الكنعاني – لينسبوه إلى الفرع – الذي هم العبرانيون –، وذلك حينما دال لهم الأمر، بغلبة بعض بطونهم على بقية إخوتهم، بل وصل بهم الأمر إلى أن يسحقوا أكثرهم ويشردوا من بقي منهم في الآفاق[2] . ولذلك رأينا جل المستشرقين يجعلون من الألفاظ البابلية الكنعانية دليلاً على عبرنة الكنعانية، وذلك لعظمة الشبه بينهما، ومعلوم أن المشابهة لا تكون إلا بين فرعين يجمعهما أصل واحد، وذلك لأن العبرية والكنعانية والأكادية بقسميها –البابلي والآشوري– جميعها فروع من اللسان العمليقي، ومعلوم – أيضاً – في أمر المشابهة، أنها لا تكون كلية، بل لابد أن تكون هناك أمور يتباين فيها المتشابهان، حتى وإن كانا توأمين، فكيف والمتشابهان، هما عبارة عن ألسنة بطون كثيرة مختلفة، لقبائل مختلفة وفي مواقع مختلفة، حتى وإن ضمهما أب واحد وأرض واحدة ... وهذا ما أشار إليه من أراد أن يجعل العبرية

---

(١) الطبري : ٢٠٤ – ١/٢٠٤ .

(٢) الطبري : ١/٢٠٩ .

أصلاً مستقلاً وذلك بقولهم: [... والذي لا شك فيه أن هناك فروقاً بين اللغتين من جهة كلمات كثيرة، ولكن ليس في إمكاننا أن نقف على حقيقة هذه الفروق، لأن الكتابات السامية، لا تشتمل إلا على الحروف دون الحركات، وأما من جهة اشتقاق الكلمات فإن الكنعانية هي بعينها العبرية] [1] ... إذن فهناك فروق بين الكنعانية والعبرية، وهذه الفروق لا تجعل من العبرية لغة مستقلة بذاتها ولا تجعل الكنعانية تبعاً لها . لأنها – كما أشاروا – لا تعدو أن تكون في النطق، وهذه لا تعطيها ميزة الاستقلال، لأن النطق أمر مشكوك فيه نقلاً، للبعد الزمني الكبير، وهذا يعني أن النقل يرتكز على النقل الكتابي فقط أما السمعي فمفقود، والكتابي –أيضاً – لا يرقى إلى مكانة السماع والمشافهة، وتمركز الفروق في النطق فقط يعني أن كل واحدة منها هي لهجة من الأصل الذي تنتمي إليه الأخرى،أضف أن أمر المقارنة التي يمكن من خلالها أن تتبين التبعية بينهما مفقودة؛ لأنهم –كما هو معلوم– قد أخفوا كل ما يتعلق بالكنعانية، ولم يعد له وجود، إلا ما جاء هنا أو هناك، كعن طريق نقش أو رسالة ... إلخ، وهذا يعني أن الجميع لهجات من العربية – كما سيأتي بإذن الله تعالى – لأن الفروق الخفيفة توجد في نطق أصحاب اللهجة الواحدة إن تباعدت بهم المواقع في المكان الواحد ... فكيف مع تعدد اللهجات وتباينها؛ عند تفرع البطون والفصول والفخوذ وتمازجها وتداخلها، وهذا ما أشار إليه المستشرقون أنفسهم في أثناء برهنتهم على عبرنة الكنعانية. وغاب عنهم أن ما أوردوه يثبت لهجية اللسان العبري، وأنها في ذلك لا تخرج عن بقية أخواتها من اللهجات الأخرى وذلك قولهم : [... غير أن العبرية أخذت حتى عهد بابل وبعده تستعمل بعض الحروف لتأدية معنى الحركات كالواو والياء والألف والهاء ... وأما الكنعانية فكانت تستغني عن هذه الحروف في أحوال كثيرة... مع أنه ليس في الإمكان أن تفهم الكلمة بدونها ... فمثلاً : [بيت] كانت تكتب [بت] وكلمة [قول] [صوت] كانت تكتب [قل] ومدينة [صيدون] –صيدا–، كانت تكتب [صدن] وكذلك كلمة [كهنيم] –كهنة– كانوا

(١) ولفنسون : ص ٦٠–٦١

يكتبونهـا [كهنم] ...] [1] وعند هـذا النص نقف قليلاً، ولا سيما عند تلاعبهم بالحقائق، انظر إلى قولهم : (فالعبريون عندما نقلوا إلى أرض بابل، أخذت تضيف إلى كلامها بعض الحروف لتوضيح معانيهم ... أما الكنعانية فكانت تستغني عن مثل تلك الحروف) . ترى ممن أخذت العبرية تلك الطريقة فـي أرض بابـل؟... أمـن البابليين أخذت ذلك؟ وإذا كان الأمر كذلك ... فلم لم يأخذ الكانعنيون ذلـك عـن البابلية؟ ... وقد كانا متداخلين متمازجين ... بل رأينا كيف كان تأثير الكنعانية فـي البابلية[2]، ومعلوم أن التداخل يؤدي إلى التأثير في كلا المتداخلين، أي أن كل واحد منهما يأخذ أجمل ما عند الآخر، وتوضيح المعاني أمر مطلـوب و كـان الأجـدر بالكنعانيين أخذ ذلك من البابليين؛ لأنهم أسبق من العبريين عند البابليين، فكيـف إذا علمنا أن الكنعانية والبابلية هما لهجتان من لغة واحدة، بل هما شيء واحـد – كمـا سبق – بل رأيناهم ينصون على قوة العلاقة المتينة التي كانت بين اللغة – اللهجة – البابلية والكنعانية[3] . وإذا كان أمرهما على ما ذكر، فكيف لا يكـون ما في أحدهما في الأخرى، ولكنه كون نسبي؛ أي أن استعمال مثل تلك الحروف يكون عند بعض البطون استعمال واضح عند النطق، وعند بعض البطون يكون استعماله بصورة غير واضحة ظاهرياً ... ولكنه واضح لدى أهل تلك البطون بعضها مع بعض، بل حتى عند غيرهم من البطون الأخرى يكون واضحاً عند الإنصات إليه، ولذلك لم يكونـوا يجدون صعوبة في التفاهم مع بعضهم؛ لأن الأمر كله لا يخـرج عن كونه تبـاين لهجي ... بدليل أن ذلك كله كان معروفاً لدى كل الناطقين بتلك الألسن، سواء كـان ذلك في الزمن البابلـي الكنعاني، أو في أزمان كل من تلاهـم؛ لأن ذلك كان إرثـاً يورث منذ زمن أول تبلبل لساني حصـل على ألسنه العرب؛ سواء كـان ذلـك - أيضاً – في جنوبهـا أو في شمالهـا – كما سبق –؛ ولذلك قالوا : (كشكشة بكر،

---

(١) ولفنسون : ص ٦١ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

وشنشنة تغلب، ورنة العراق ... وغمغمة قضاعة ... وطمطمانيـة حميـر ...)[1]
والاستعمال الذي أشار إليه ولفنسون آنفاً، هو لا يخرج عن واحدة من ثلاث : الرنة، أو الغمغمة، أو الإدغام، وخصوصاً الرنة والغمغمة، لأنهما كانا في أرض العراق . وأرض العراق هي أرض بابل كما هو معلوم، فإذا كان ذلك الاستعمال الذي كـان عنـد العبريين، كـان يؤدي لعدم استبانة المخاطَب بعض كلام المخاطب لتقـصي كلامه لبعض الحروف مثل الواو والياء واللف والهاء؛ جعل العبريين يأخذونه مـن البابليين حينما سبوا إلى أرض بابل، هذا الاستعمال الذي ظنوا لأجله أن مثل تلـك الحروف كانت غير موجودة، لكن الحقيقة هي معروفة لدى أهل تلك اللهجات قـديماً وحديثاً، لكنه استعمال لا يفهمه الغرباء عن تلك اللهجات، سواء كانوا من غير أهلها في وقتها من الأمم الأخرى، أو من المستشرقين فيما تلا ذلك إلى وقتنا؛ لأن أسلوب رنة العراق – وهي كانت سائدة في مجموعات عربية تالية لتلك الأمم بأزمنة كبيرة، كانت غير معروفة لدى أولئك المستشرقين قديماً وحديثاً إلا مـن قرأها في أمهـات لغة العرب التي ألفت فيما بعد، فكيف بمثل تلك الأساليب البعيـدة جداً . فهم لو أنهم عرفوا الرنة لتغير الأمر عما قالوه، لأن الرنة تشبه أسلوب آخر في النطـق كـان موجوداً، أي أن أوله يتصل بآخره فلا يوضح لدى غير أهله . وقد كان هذا النـوع من الكلام موجوداً ولا يزال في بعض المواقع التي رحل منها أولئك الـذين سـموا بالكنعانيين أو البابليين وغيرهم؛ إلى شمال جزيرة العـرب وخارجها، كذلك أسلوب الغمغمة التي نسبت إلى قضاعة : وهي أن تسمع الصوت ولا يبـين لـك تقطيـع الحروف[2]، أو أنه من نوع الإدغام الذي سبق الحديث عنه عند الحديث عن الآكادية والكنعانية وهو إدغام بعض الحروف في بعضها عند الحديث، ولا سيما إدغامها بين حرفين، مثل أنت : أت، وأف في أنف، وأفس في أنفس . وهذا كله موجود في تلـك اللهجات التي خرجت من جنوب جزيرة العرب، وطبعاً في بعـضها لا كلهـا، لأن مواقعها قديماً وحديثاً – كما سبق الحديث – فقد رأينا الـسبئيين والمعينيـين قـبلهم يقولون سبلة في سنبلة، والقتبانيون: أف في أنف، وأهل مواقعهم اليوم يفعلون ذلك، فالعبادليون يقولون : أف، وأهـل فيفا ... أنف، وهكذا في أنت وأت، بل هناك مـن

---

(١) الطبري : ٣٢٠ – ٢/٣٢١

(٢) الطبري : ٢/٣٢١

إذا سمعته وهو ينطق كلمة [البيت] لا تفهمها منه إلا بعد جهد، فأهل العبادل ينطقهـا هكذا [إبّت] فهل هذا يعني أن اللام والياء غير موجـودتين؟ ... طبعـاً هـذا غيـر صحيح، بل هي موجودة، ولكنها عند النطق جرى إدغام اللام في الباء، والياء فـي التاء، بدليل إذا طلبت منه أن يبطيء في كلامه ثم تمعنت في نطقه، مـع ملاحظـة مخارج الخياشيم والأنف تجد هذين الحرفين في نفس الكلمة . إذن فمن نطق كلمـة البيت[إبت] في هذه المواقع الآن، لا يبعد أنهم أحفاد لمن نطقها بنفس النطق هنـاك سواء سموا هناك بالعبريين أو بالكنعانيين، ومثلها [قل] في يقول ... أما الهاء فمعلوم قلبها واو – ولا سيما إن كانت ضميراً – في فيفا وبعض ماحولها، فهم يقولون فـي [بيته...بيتو] بل أحياناً تجدهم يقلبون الألف هاء، ويدغموا فيها اللام وتصبح هـي – الهاء – أداة التعريف كما سيأتي بإذن الله تعالى إذن فمن سموا بالكنعانيين لم يكونوا – هناك – يستغنون عن تلك الأحرف في نطقهم، وإنما هو استعمال لا يدركه إلا من كان من أهله، أو تدرب على تلقيه، كذلك العبرية التي قيل عنها أنها أخـذت تلـك الحروف لكلامها من البابليين، وها غير صحيح شأنها شأن البطن الكنعاني الذي قيل عنه ذلك، وهذا يؤكد بما لا يحتاج إلى دليل أن العبرية لهجة خرجـت مـن نفـس المواقع التي خرج منها من سموا بالكنعانية، بدليل أن العبريين لم يكن جميعهم مـن ينتقص كلامه لتلك الأحرف، والكنعانية، ولا البابلية أيضاً كانت كلها تستعمل تلـك الحرف صريحة، لأن منهم من كان يفعل ما يفعله البطن العبري أو الكنعاني الـذي كان يفعل ذلك، بدليل ما نصوا عليه هم أنفسهم في النص السابق بقولهم : [... وأما الكنعانية فكانت تستغنـي عن هذه الحروف في أحوال كثيرة ...] [١] إذن فليس ذلك الاستغناء كان فـي كل الأحوال، أي أن هناك أحوالاً كانت لا تستغني عن نطق تلك الحروف أو غيرها صريحة، وهذا صريح منهم أن ذلك لم يكن وجـوده فـي كـل الألسن؛ لأن الأحوال التي وجدت فيها تلك الاستعمالات، تعني أن بطونـاً موجـودة تستعمل ذلك، لأن قبيلتها وموقعها الذي خرجت منه كان يوجد بها ذلك الاسـتعمال صريحاً، كبعض فيفا وما حولها، بعكس بعض مواقعه والعبادل وبني معين والغمـر وبني ودعان وغيرهم، كانوا مثل من ظنوا فيهم تركهم لتلك الحروف ورأينا أنهم لم يكونوا يتركوتها، إذن فالأمر يعود لمجموعة بطون وقبائل خرجت من مواقع متعددة

---

(١) ولفنسون : ص ٦١ .

وإن ضمتهم بقعة واحدة إلا أنهم كانوا مختلفي النطق، وهذا أمر طبيعي في نطق لهجية تلك الألسن، وقد أشار المستشرقون لمثل هذا بقولهم:[... وواضح أن نطق الكلمات الكنعانية كان يختلف في وطنهم الأصلي عنه في المستعمرات؛ حيث تأثرت لغتهم فيها بالعناصر الأخرى، فقد كان أهل قرطاجنه ينطقون حرف [ش] كأنه [س] فينطقون كلمة شوقط[قاضي] سوفط، وكلمة[شلوس ... سلوس][(١)]... إذن ففي الكنعانية نفسها كانت توجد بعض الاختلافات اللسانية، وإن كنت لست معهم في إحالة تلك الاختلافات إلى تأثرهم بمن وفدوا إليهم ... لأن الكثير من تلك الاختلافات موجودة أصلاً بين جل تلك البطون التي رحلت إلى هناك -كما رأينا- لأنهم يثبتون- كما نرى- التعدد اللهجي في الكنعانية ... ولم يكن من بين هذا المجموع اللهجي البطن الذي كان ينطق بنطق لا يظهر تلك الأحرف وأدخلوه ضمن المصطلح العبري، لأنا رأيناهم صنعوا مثل هذا مع قبائل كثيرة لم تكن عبرية، وأدخلوها ضمن هذا المصطلح، كالإسماعيليين والمدينيين والعمونيين والمؤابيين وغيرهم كثير، بل حتى البربريين والعموريين وهم كنعانيون كما نصوا على ذلك بأنفسهم . أما قولهم إن نطق الكنعانيين في موطنهم الأصلي كان يختلف عن نطقهم في مستعمراتهم، فهذا ليس صحيحاً، بل هو فرية تاريخية، لأنا رأينا أن نطقهم في موطن هجرتهم لم يكن يختلف عن نطق من وجد في مواقعهم التي تركوها في موطنهم الأصلي بجنوب جزيرة العرب، كما صرحوا هم بذلك صراحة في أكثر ما كتبوا، كقولهم : [قد علمنا مما سبق أن موطن الكنعانيين الأصلي : هو جزيرة العرب ...] [(٢)] ... وإذا كان موطنهم الأصلي هو جنوب جزيرة العرب، إذن فنطقهم لم يتغير؛ لأن مواقعهم التي ارتحلوا منها بجنوب جزيرة العرب تشهد بثبات ذلك النطق الذي كان موجوداً زمن خروجهم منها، وهو نطق اللهجات المتباينة المتبلبلة . أضف أننا نعلم أن البونيين وبعض العموريين هم بطون وقبائل كنعانية عمليقية رحل الكثير منهم إلى شمال إفريقيا، وسكنت هناك، وعلى هذا يكون نطق الألسن التي عرفت هناك -في مستعمراتهم- هو نطق ألسنة قبائل وبطون كنعانية أصيلة -أي نطق لهجات كنعانية أصيلة-، ولم يكن - جله- نطق كنعاني تأثر بألسنة العناصر الأخرى التي وجدت

(١) المرجع السابق : ص ٥٥ .

(٢) ولفنسون : ص ٥٥

هناك، بدليل أن النطق الذي قالوا عنه أنه تأثر بنطق المستعمرات التي استقروا بهـا في شمال إفريقيا وغيرها، وجدنا في المواقع التي هاجروا منها في جنوب جزيـرة العرب ما يؤكد عروبة كنعنته هناك، ففي مواقع جبال الريث -مثلاً- ومـا حولهـا كالصهاليل، وجهات هروب، وآل قحطان ومنجد، وغيرها من المواقع التي سـبقت الإشارة إليها عند الحديث عن آل حبيب وغيرهم في الصفحات السابقة .

من طرق نطق الشين والسين :

قبائل هذه المواقع عندما تتحدث معهم تجد أن لهم نطقاً خاصاً بالكلمات التي يوجد [ش ... أو س ...] ومثلهم مواقع كثيرة داخل بـلاد الـيمن كحـضرموت والمهرة وجبال الأحقاف، هذه القبائل تجدهم ينطقون مثل تلك الكلمات بطرق تخرج الحرفين معاً، وفي آن واحد (وهو ما يُعبر عنه بالشين المشوبة بالسين، أو الـسين المشوبة بالشين ... والمستمع الذي يتلقى سماع صوت ذلك الحرف لا يـستطيع أن يقلب أحد الحرفين على الآخر في الإخراج والظهور] [١] وهذا النطق الذي وجد في جنوب جزيرة العرب، لم يكن يوجد في ألسنة القبائل التي سميت بالكنعانية، بل وجد أيضاً على ألسنة الكثير من القبائل والبطون التي سميت بالآرامية والعبريـة وفـي الكثير من القبائل التي كانت تسمى بمعين وقتبان وسبأ بجنوب جزيرة العرب، ولذلك رأينا واضعي حروف المسند يضعون ثلاثة أشكال لحرفي السين والـشين، وهـي: [𐩪𐩦𐩯][٢] ورأيناهم – علماء المسند – يطلقـون علـى واحـد منهـا [الـسين المدموجـة، وهي حرف تجمع في نطقها بين السين والشين] [٣] وهذه الأحـرف ونطقها، كما كانت موجودة في ألسنة تلك القبائل الراحلة منها قديماً ... هي أيضاً ... لا زالت توجد وإلى الآن في ألسنة الكثير من قبائل جنـوب جزيـرة العـرب، إذن فالعملية كلها لا تخرج عن نطق لهجات متباينة في نطقها لتباين مواقعها وتعددها في موقعها الأصلي بجنوب جزيرة العرب، وهي لذلك أينما ذهبت لا تخرج عن مثل هذا

---

(١) العربية القديمة : ص ٨٤ .

(٢) المرجع السابق : ص ٩٣ .

(٣) المرجع السابق : ص ٩٣ .

التباين اللهجي في نطقها، والجميع يعود لأصل واحد وهو العربية – كما سيتضح ذلك بإذن الله تعالى – أما ما حاولوا أن يلفقوه لجعل العبرية لغة مستقلة بذاتها، فهو إدعاء كاذب، بل ويكذبون أنفسهم بأنفسهم في ذلك، فقد سبق أن رأيناهم يقولون إن العبرية استعارت بعض الأحرف من البابلية ... إلخ لتوضيح بعض كلامها عوضاً عن الحركات، وأن الكنعانية كانت تستغني عنها، ليخرجوا العبرية عن دائرة اللهجات الكنعانية، ومع ذلك رأينا الحقائق تكذبهم وتكشف زيفهم، لأنهم يعودون ويثبتون أن العبرية تستعير من الكنعانية بقولهم : [وبم ... أداة الجمع في الكنعانية، وتأتي في آخر الكلمة مثل : [صيدونيم ...] وقد استعارتها العبرية التوراتية في القرن العاشر الميلادي ... أي أن الياء أضيفت على يد الماسوريين في طبريا عندما أضافوا الأحرف الصوتية على التوراة][1]. ألا يدل هذا أن العبرية لا تخرج عن كونها لهجة من ضمن تلك اللهجات العربية المتبلبلة القديمة في تلك البقاع، بل ومن أقلها شأناً وضيقاً وانغلاقاً على نفسها، بدليل هذا الأخذ من هنا وهناك . والحقيقة أنها لا تخرج عن ألسنة بطون متباينة لتعدد قبائلها التي تنتسب إليها، وتعدد مواقع تلك القبائل في موطنها الأصلي، ولذلك تجد أحياناً فيها بعض الخصائص التي تعود لبعض البطون التي يطلق عليها بابلية؛ لأن بعضاً من هذه البطون البابلية كان يوجد ضمن البطون التي أطلق عليها عبرية، كذلك الحال مع الكنعانية ... وإلا فمادة اللغة لكل تلك اللهجات واحدة . أما ما أشير إليه من فروق دقيقة وقليلة، فلا تعدو كونها تباين لهجي نشأت من تباعدها مكاناً وزماناً أدى لتبلبلها فيما بعد، بل وتؤكد – تلك الفروق – لهجيتها جميعاً . ورغم هذا كله – تلاحظ كيف استغلت الصهيونية ما جعله التاريخ اللغوي فروقاً لهجية بين تلك اللهجات – السامية – دليلاً لجعل اللهجة العبرية لغة مستقلة قائمة بذاتها، في حين نسوا أو تناسوا أن أحبارهم قد نصوا في إصحاحاتهم وأسفارهم على عدم وجود لغة اسمها العبرية، ألم يقولوا : [وليس يوجد في صحف العهد القديم ما يدل على أنهم كانوا يسمون لغة بني إسرائيل باللغة

---

(١) ملامح في فقه العربات ص ١٦٤ ... ولفنسون : ص ٧٥ .

العبرية، بل كانت تارة تعرف باسم اللغة اليهودية[١] ... وطوراً باسم لغة كنعان[٢]... ولم تعرف باسم العبرية أو اللغة المقدسة إلا بعد السبي البابلي ... في كتاب حكم ابن سيرا ... وفي مصنفات المؤرخ اليهودي يوصف ... وفي المشنا والتلمود ...] [٣] .

إذن لم يكن هناك لغة تسمى بالعبرية، بل لم يكن هناك حتى ما يمكن تسميته لهجة، بل هناك شيء واحد اسمه الكنعانية، وهذا يعني أن ما سمي بالعبرية كان لا يخرج عن كونها لسان لبطن من البطون التي تدخل ضمن الإطار الكنعاني، حتى تسميتها باليهودية يؤكد كنعنتها، لأن لفظة اليهودية لا تخرج عن مصطلحين – أو مدلولين – إما عقدي كما سيأتي فيما بعد، وإما اسم لبطن من البطون التي كانت تنتسب لقبائل المهرة .فإن كان مقصود به المدلول العقدي فليس لهم فيه دليل؛ لأنه لم يكن هناك لغة تنتسب إلى عقيدة، حتى وإن قيل أنها تنسب إلى يهوذا أحد أبناء نبي الله يعقوب – عليه السلام – قلنا إن لسان يهوذا هو لسان أبيه يعقوب، ولسان يعقوب هو لسان جده إبراهيم عليهم جميعاً أفضل السلام، ولسان إبراهيم – عليه السلام – هو لسان قبيلته وسيأتي لسان نبي الله إبراهيم – عليه السلام– في باب كامل فيما بعد – بإذن الله تعالى – كذلك، إن كان مقصوداً باليهودية أحد بطون المهرة – أو البهرة – فهذا من أقوى الأدلة والبراهين على كنعنتها، لأن ما سميت بالكنعانية هي ألسنة هذه البطون والقبائل المعينية والمهرية – كما سيأتي تفصيل ذلك بإذن الله تعالى . إذن فهي كنعانية، وهذا ما قلناه وأكدناه من بداية حديثنا إلى نهاية هذا البحث – بإذن الله تعالى –، وهذا ما يؤكده بداية تسميتها بالعبرية المتأخرة، الذي يعني عدم وجود مثل هذه التسمية قبل ذلك، ونلاحظ ترابط بداية تسميتها، الذي بدأ بعد السبي البابلي، وما سبق أن قالوه عن أخذها من البابلية بعض الحروف لتوضيح بعض معاني كلماتها، وجعل هذا الأخذ بعد السبي، مما يعني أن مؤرخي الصهيونية هم الذين جعلوا هذا الوهم، وهو أن هناك لغة قائمة بذاتها اسمها عبرية؛ ولذلك راحوا يأخذون من كل اللهجات الأخرى ويضيفونه للهجة ذلك البطن الصغير الذي جعلوا له لغة اسمها العبرية، ألم يقولوا أنها أخذت من الكنعانية دلالة الجمع [يم] وقبل ذلك لم تكن

---

(١) ملوك ج٢، فصف ٨ آية (٢٦) ... وأشعيا فصل ٣٦، آية (١١) .

(٢) أشعيا فصل (١٩)، آية (٢٠) .

(٣) ولفنسون : ص ٧٥ .

بها، كذلك إن قلنا أنها لغة إسرائيل، وإسرائيل إضافة إلى ما سبق وما سيأتي؛ هو حفيد إبراهيم عليهما السلام، وإبراهيم عندهم هو آرامي، وهذا ما نصت مصادرهم الدينية، عليه وهي أهم المصادر عندهم، وخصوصاً سفر التثنية، الذي تقول إحدى آياته التي يتحدث فيها الرب لموسى فيقول له : [... ثم تصرخ وتقول أمام الرب إلهك، آرامياً تائهاً، كان أبي فانحدر إلى مصر ... ولا شك أن الآرامي التائه هو إبراهيم، أي أن إبراهيم كان آرامياً يتكلم الآرامية وليس العبرية ...] [1] إذن فلسان إسرائيل على هذا هو لسان آرامي ولم يكن عبرياً، والكنعانية والآرامية لهجتان تعودان لأصل واحد سوف يتضح من هو -بإذن الله تعالى- في الأبواب التالية ... وتكون – على هذا – العبرية هي لسان لمجموعة فصائل تفرعت من مجموعة بطون كنعانية أو بعض بطون تعود – أيضاً – لقبائل أخرى جاءت من نفس المواقع التي خرج منها من سموا بالكنعانيين، ولذلك حملت لسانهم جل خصائص اللسان الكنعاني، وإلى هذا المعنى أو قريباً منه أشار المستشرقون بقولهم : [بل نريد أن نقرر ما أشرنا إليه من قبل – في البحث- عن نشأة اللغة الكنعانية؛ فنذكر أن بعض المستشرقين كانوا يطلقون على العبرية والآرامية : اصطلاح [لهجتي اللغة الكنعانية ... وهو اصطلاح يتسرب إلى الذهن منه : أن هاتين اللغتين مشتقتان من الكنعانية ...]، بل ذهبوا إلى ما هو أبعد وأوضح من هذا، حينما أقروا صراحة بكنعنة العبرية، بقولهم : [إن اللغة العبرية تدخل في الفرع الكنعاني من اللغات التي سميت بالسامية الشمالية الغربية، أو الجنوبية الغربية، وهي – العبرية – تطور من الفينقية والمؤابية والأوغارتية ...)[2].

إذن فالعبرية فرع من الكنعانية والآرامية اللهجتين الجنوبيتين، وليست لغة مستقلة، ودليل كنعنتها في هذا النص هو ما أرادوا الهروب منه، حينما أدركوا أنه يلاقيهم لا مفك عنه، وهو الكنعنة، راحوا يقولون بتطورها من الفينيقية، ولست أدري إن كانوا نسوا أو تناوسوا أن الفينيقيين هم من نفس مجموعة الكنعانية أباً وموقعاً، أليسوا جميعاً من أب واحد، هو عمليق؟ كذلك الأوغارتية، هم بطون من الكنعانية،

---

(١) ملامح في فقه العبريات : ص ١٠٢ – ١٠٣ ... التوراة التثنية : ص٦/٥ .

(٢) ولفنسون : ص ٧٥ .

وكذلك المؤابيين – كما سيأتي – هم من نفس مواقع القوم . إذن فالعبرية لا تخرج عن أن تكون لهجة لبطن من مجموع تلك البطون المتكنعنة أباً أو موقعاً، ولذلك رأيناها لا تخرج عن المسار الكنعاني، أياً كان شكله ومضمونه، فينيقي كان ذلك أو بابلياً، أو جارتياً كان، أو بربرياً، أو كان مزيجاً من ذلك كله، وهذا ما قاله التاريخ عنهم صراحة؛ من أنهم كانوا : (في فترة من الفترات ... كانت لغتهم البربرية مزيجاً من الفينيقية القديمة، والكلدانية المشوهة ...] [1].

وإذا كان لسانهم في فترة من الفترات بربرياً، ومعلوم عن البربرية أنهم من ضمن قبائل الكنعانية، أو من ضمن القبائل التي خرجت من مواقع الكنعانيين أو الفينيقين من جنوب جزيرة العرب إلى شمال إفريقيا، قبل الكنعانيين كان ذلك أو بعدهم، فهذا – أيضاً – يؤكد كنعنة العبرية، سواء كانوا في أرض بابل أو الشام وفلسطين، أو كانوا في مصر وشمال إفريقيا، وهذه الإشارة تفرض تساؤلات كثيرة جداً، منها مثلاً : هل كنعنة اللسان العبري، يعني عدم وجود أمة تحمل مصطلح هذه التسمية؟ هل هم فعلاً – بناءً على ما سبق – أمة شتات حاولت أن ترقى على أكتاف غيرها من الأمم، كالكنعانيين مثلاً؟ ولم كانوا يفعلون ذلك؟ وما علاقتهم بالمأخوذ منهم؟ وهناك الكثير الكثير من مثل هذه التساؤلات، التي يكتنفها الكثير من الغموض والمزالق التاريخية، التي لا تؤمن مخاطر نتائجها؛ إلا أن تتولاها عناية الله ورعايته . فمثلاً لو وجهت تلك التساؤلات وغيرها إلى التاريخ، فستجد التاريخ مثلك حائراً؟ لا لأنه لا يعرف الحقيقة، ولكن للكم الهائل من الإجابات التي يحملها سجله، وهي متباينة في مضامينها، فهناك من يقول لك : لم يكن هناك أمة تدعى بهذه التسمية حقيقة ... بدليل أن هذه التسمية لم تظهر كمصطلح يعرفون به إلا بعد القرن الثاني بعد الميلاد، ولذلك رأينا أنه لم يكن هناك لسان يعرف بتسمية العبرية قبل ذلك، اللهم إلا بتلك التسميات غير الثابتة؛ كلسان اليهود، أو إسرائيل، أو الكنعاني، وما إلى ذلك ... وبناءً على ذلك، لم تكن هناك – على هذا الرأي – أمة

---

(١) الثقافة العربية – العقاد – : ص ١٩٥ .

اسمها العبرية في حين تجد من هو على النقيض من ذلك تماماً ... أي من يقول بوجود تلك التسمية، ولكنهم مختلفون في أسباب تلك التسمية.

العبرية وموقع عبر :

وإذا كانت تلك التسمية كانت موجودة وتدل على من كان يدعى بها، فلماذا حاول أصحابها أن يرقوا على أكتاف غيرهم ويبتزوا كل حقوقهم وينسبونها إلى أنفسهم؟!!!

وهذه الاستفسارات وما سبقها وغيرها، هو ما سنحاول –بإذن الله تعالى – التعامل معه من خلال كتب التاريخ، وبعض الحقائق الميدانية، هنا وهناك . فماذا يقول التاريخ حول كل ذلك؟ سبق أن قلنا إن هناك كماً هائلاً من الأقوال حول هذه الفئة من البشر، ودون استخلاص أي حقيقة منها خرق القتاد، إلا بعون من الله تعالى وتوفيقه ... فهناك مثلاً من يقول : (إن أوثق الأقوال عن نشأة العبريين؛ إنها كانت منذ أربعين قرناً على وجه التقريب وأنهم قبيلة بدوية صغيرة عاشت زمناً في جنوب بلاد العرب، إلى الشرق منها ... وبقيت على حالة بين الإقامة والترحل إلى مسافات قريبة، حتى انتقلت – مع ملازمتها الشاطئ – إلى جنوب وادي النهرين ... ويستدل على تاريخ هذه القبيلة: من تاريخ الدابة التي كانت تعتمد عليها في الرحلة، وحمل الأثقال، وهي الحمار– Asinu & osiny، فهذا الحيوان كان يوجد في حالة الوحشية على مقربة من السهول الرملية في جزيرة العرب ويصل في قطعانه المجفلة إلى أرض حوران، واستخدام الحمار يدل على كثير من أحوال العبريين، إلى جوار القبائل التي تستخدم الجمال للسفر إلى المسافات الطويلة البعيدة، ونقل الأحمال الثقيلة، ونزول المراعي المنيعة التي لا تستباح إلا لغير ذوي القوة والكثرة من قبائل الجزيرة العربية بينما الحمار يستخدم للمسافات القصيرة، والأحمال الخفيفة، بالقياس إلى أحمال الجمال، ويسير الحمار في غير المفاوز الرملية التي تسلكها الإبل ... ولا يبتعد الحمار طويلاً عن موارد الماء الميسرة بغير عناء وجهد، وبغير حاجة للحماية القوية، أو إلى كثرة العدد والسلاح.

وعلى هذا فالعبريون في نشأتهم : هم قوم ضعاف، قليلون في العدد، مضطرون إلى الاكتفاء بالمعيشة التي يتركها سادة الصحراء زهداً فيها، واستغناءً عنها ...

ونكاد نعلم من ذلك مواقع نشأتهم الأولى قبل وفودهم إلى العراق، وبعد مقامهم فيه إلى أيام الخليل إبراهيم ... عليه السلام .

فهذا الموقع لابد أن يكون قريباً إلى الشاطئ، قريباً إلى الحاضرة ...] يقيم فيه أناس لم يتفرغوا للبداوة في جوف الصحراء، ولم يتفرغوا للإقامة في الحواضر العامرة . وهم قبيلة لم تتطور، وظلت بين البادية والحاضرة، قبيلة لم تستوف أطوار البادية، ولم تتحول إلى أطوار الحضارة[1] .

هذا موجز سريع لبعض ما أشار إليه التاريخ حول هذه الفئة من الناس، وفيه تلاحظ أن أولئك القوم كانوا عبارة عن بعض البطون القليلة جداً، والتي قد لا تصل إلى عرف تسمية قبيلة، وذلك لأنهم – كما رأيت –، كانوا قليلي العدد عديمي الشوكة، ضعاف لا يستطيعون حتى حماية أنفسهم، ومعروف أن القبيلة تكون فيها – غالباً – القوة والمنعة، وحماية حتى من حولهم من البطون والفصائل الضعيفة . فتحتم – على ذلك أن يكونوا ضعافاً لدرجة أنهم كانوا : (يضطرون بالاكتفاء بالفتات الذي يتركه سادة الصحراء من القبائل القوية – زهداً لضعفهم ... وتجد أنهم كانوا – أيضاً – بدواً رحلاً، نشأت بداية في جنوب بلاد العرب، وظلوا ملازمين لتلك البداوة، ولم يتطوروا حتى حينما كانوا في بلاد العراق وفلسطين والشام ومصر، حتى حينما استطاعوا أن يعدوا على من حولهم في بعض الفترات الزمنية، وكونوا لهم بعض الحكومات، تجد أن تلك الحكومات كانت بأيدي زعماء بطون عرفوا باسم (شوفطيم)، أي –القضاة – كانوا كما هم في حالتهم البدوية ... حتى هذه الحكومات لم تكن بأيدي العبريين أنفسهم، بل كانت بأيدي زعماء ممن كانوا يلتصقون بهم ويربطون مصيرهم بمصيرهم، وهم بنوا إسرائيل ... وطبيعتهم هذه جعلتهم يعدون

---

(١) أثر الثقافة العربية – العقاد – : ص ١٧٣ – ١٧٧ – باختصار وتصرف .

على حقوق غيرهم وينبهونها متسترين بالستار الإسرائيلي ... وحقيقة خلوهم من أي إرث حضاري أصيل بهم، وتجد توراتهم – طبعاً المحرفة – تشير إلى حقيقة أنهم عرب من جنوب جزيرة العرب، وذلك حينما أشارت إلى أنهم كانوا بقرب القحطانيين الذين كانوا متحضرين مستقرين، على عكس ما كانوا عليه –العبريين– من البداوة والترحل[١] ... ومعلوم أن القبائل القحطانية كانت أصلاً منتشرة بجنوب جزيرة العرب، ومجاورتهم لهم يعني أنهم كانوا من عرب جنوب جزيرة العرب... وهذه الإشارة تعيدنا للنص السابق الذي أشار لنشأتهم وبدايتها بجنوب جزيرة العرب، وإشارة جوارهم للقحطانين؛ قد يعيننا على تحديد موقع انطلاقتهم من جنوب بلاد العرب، وهذا ما كاد أن يجلي ملامحه أستاذنا العقاد، حينما قال : (ونكاد نعلم من ذلك مواقع نشأتهم الأولى قبل وفودهم إلى العراق ... فهذه المواقع لابد أن تكون قريبه إلى الشاطئ، قريباً إلى الحاضرة، يقيم فيها أناس من الحواضر العامرة ...) [٢] وهذا يعني أنهم كانوا في موقع بين الشاطئ وحواضر الشاطئ، ولكن أي شاطئ؟ هو كما قال التاريخ عنهم : (أنهم عاشوا في جنوب بلاد العرب إلى الشرق ...) أي أنهم كانوا في الجنوب الشرقي من بلاد العرب ... بدليل أن نجوعهم كان ملازماً الشاطئ إلى جنوب بلاد النهرين[٣] ... ومعلوم أن تلك المواقع كانت هي مواطن الهجرات التي درجت عليها القبائل، منذ فجر التاريخ ... وهذه الإشارات التي أوردها حول موطن نشأتهم، ومنطلق هجرتهم رغم تواترها، إلا أنها لم تحدد موقعاً واضحاً في مسماة وملامح حدوده. نعم ورد أنهم كانوا على الشاطئ الشرقي، من الجنوب الشرقي لبلاد العرب، ولكن أين هو على خارطة الشرقية الواسعة؟ لكن من خلال تمحيص تلك الإشارات التاريخية الآنفة الذكر، وقراءتها جيداً يمكن الوصول إلى بقعة واسعة جداً بجنوب شرق بلاد العرب تشمل عدة مواقع متعددة متقاربة في مسماها ومداليلها في تلك الجهات التي أشارت إليها تلك الإشارات التاريخية،

---

(١) المفصل : ص ١/٦٣١ .

(٢) أثر الثقافة : ص ١٧٣ – ١٧٧ .

(٣) المرجع السابق .

وخاصة إذا كانت تلك التأملات من أبناء المنطقة المشار إليها، وفي عصرنا الحاضر، أو ممن كان لهم علم بها من السابقين ومن مصادر متنوعة، يمكن الرجوع والاطمئنان إليها، ولا سيما مراجع التاريخ اللغوي ولهجات قبائل تلك المواقع التي حامت حولها الإشارات التاريخية... وهنا نسأل: هل في سجل التاريخ الجغرافي أسماء لمواقع أو لقبائل كانت تقترب في مداليلها من مدلول مسمى ذلك المصطلح الذي اتخذته تلك القبيلة نسباً ومسماً لها؟ وبالرجوع ميدانياً إلى جنوب بلاد العرب، شرقاً وجدنا أن الأرض الممتدة من شرق حضرموت إلى بلاد الشحر وحدود عمان؛ يوجد بها عدة مواقع وبطون قبيلة تحمل اسم ذلك المصطلح ... فبالقرب من حضرموت شرقاً هناك أرض شاسعة جداً تتناثر عليها عدة مراكز ومديريات تتبع محافظة حضرموت إدارياً : -تدعى منطقة [عبر] بالكسر وبالفتح- ... وأذكر أن التلفزيون اليمني أعلن في شهر شعبان -في أثناء كتابة هذا البحث - من عام (١٤٢٠هـ] عن سقوط طائرة مروحية عسكرية تحمل مجموعة من الضباط اليمنيين الكبار بأرض عبر، ومعلوم أن النسب إليها عبري، وهذه الحقيقة الميدانية نجد التاريخ الجغرافي يقول : [... العبرة : بلدة باليمن ... قريب من الساحل ... وعبريين، اسم الموضع باليمن...][(١)] هذه بعض مواقع مما وجدناه من المواقع المتعددة التي بمثل هذه الأسماء بجنوب بلاد اليمن، ... ومما يلفت النظر إليها؛ أنها توجد في نفس الأرض التي أشارت إلى هجرة القبيلة التي تحمل اسم العبريين ... فهل يمكننا أن نقول - وبثقة - : أن هذه المواقع؛ هي نفسها التي انتسبت إليها فعلاً تلك القبيلة الصغيرة : ... التي عرف أهلها بالعبريين ... وعندي أن هذه المواقع هي فعلاً المواقع التي خرجت منها تلك القبيلة، لأن النسب إلى عبر : هو عبري، والجمع عبريون، وهناك موقع آخر يُدعى العبرة؛ والنسب إليه كذلك : عبري؛ لأن التاء تحذف عند النسب، ... وهنا قد يأتي من يقول إن المواقع التي أشرت إلى وجودها على امتداد الأرض والتي أشار التاريخ إلى هجرة العبريين منها هي أسماء لمواقع

---

(١) المعجم الجغرافي - ياقوت - : ٤/٧٨ .

التي توجد الآن، وهناك من البعد الزمني ما يضعف من قوة العلاقة بين المفهومين، إذ ليس معقولاً أن تبقى تلك المواقع شاخصة عبر آلاف السنين، إذ ربما أسماء المواقع الموجودة الآن، سميت حديثاً، أي في العصور الحديثة . وهذا يعني أن ليس هناك من روابط فيما أشرت إليه ... إذ لو كان الأمر كما ذكرت لكان التاريخ قد أشار إلى أسماء تلك المواقع لما لها من أهمية في إثبات ما أشار إليه، بدليل أن التسمية بالعبرين لهم، رأينا التاريخ نفسه ينص على أنها حديثة لهم، وأنها لم تكن تطلق عليهم حينما خرجوا منها، ولا يعدو أن يكون شأنهم شأن أي قبيلة من القبائل الأخرى التي هاجرت من هناك .

ورداً على هذا الاستفسار وأمثاله، نقول لو لم يكن إلا ما سبق أن أشرنا به من إشارات للربط، بين أولئك العبريين وأرض مهاجرهم دليلاً، لكفى ... فكيف وهناك من الأدلة الكثير، كما سيأتي تباعاً – بإذن الله تعالى – ... فلو قلنا –مثلاً– بحداثة تسميه تلك المواقع لكفى بها برهاناً؛ وذلك أن هذه التسمية – لا أظنها – أن تكون ارتجالاً إذ لابد أن يكون هناك علم مسبق بتلك الأسماء وارتباطها بتلك الأرض، وهذا الإطلاق يعيد التذكير بما كان سابقاً وأعفاه البعد الزمني؛ بدليل أن هذه الأسماء لتلك المواقع أخذت تتردد في كتب التاريخ عبر الأعصر المختلفة، سواء كانت مقصود بها مواقعاً – كما رأينا – في عبر وعبرة وعبريين،أو كان مقصود بها مدلول قبيلة، وإن حصل لها بعض التحريفات والتصحيفات عند التدوين التاريخي سواء كان ذلك لهجياً ودونت كما سمعت، أو كان ذلك من قبل النساخ عند التدوين ... فهل هناك ما يؤكد ذلك حقيقة، أو حتى يوحي بوجود ذلك قديماً؟!!!

شعب وبار والعبريين :

وبالعودة إلى مراجع التاريخ القديم ومصادره، عربية كانت أو أجنبية، وجدناه يتحدث عن شعب أو موقع كان يحمل اسم وبار، أو أبار، أو أبر، أو عابر، أو عبر ... ومن ذلك : [ما جاء في جغرافية بطليموس : عن اسم شعب عربي [دعي] (jobaritae) ... على أنه من الشعوب العربية الجنوبية، ويسكن على

مقربـــة مـــن أرض قبيلة أخرى دعاها [sachallitae] وتسكن عند خليج باســـمها وهذا الاسم قريب جداً من اسم وبار، ولذلك ذهب المستشرقون إلى أن [jobaritae] هو شعب وبار، أو بنو وبار، غير أن هناك عدداً من العلماء يرون أن الاسم الأصلي الذي ورد في جغرافية بطليموس هو :[يوباب] غير أن النساخ قد أخطئوا في النـــسخ فحرفوا حرف الباء [B] الثاني في هذا الاسم وصيروه [R] فصار الاسم بعـــد هـــذا التحريف [jobaritae]، فالشعب الذي قصده بطليموس على حد قـــول هـــؤلاء هـــو [يوباب، أو يباب]، إلا أنه لا يوجد هنالك دليل قوي يثبت حدوث هذا التحريف .

وفي موضـــع ليس ببعيد : عـــن هذا المكان الذي ذكره بطليموس تقع أرض وبار الشهيرة، وهي بين رمال بيريـــن واليمن – ما بين نجران وحضرموت – وما بين مهرة والشحر، أو ما بين الشحر إلى تخوم صنعـــاء، وقيل : [قرية وبار] كانت لبني وبار بين رمال بنـــي سعد وبين الشحر ومهرة، والنسبة إليها [أباري] ... ونرى أن هذه النسبة قريبة من الاسم الذي ذكره بطليموس، ويدعي ياقوت الحموي، أنهـــا مسماة يوبار بيـــن إرم بن سام بن نوح – عليه السلام – .

وقد روت الكتب العربية قصصاً كثيراً عن وبار، ومن جملة الأساطير التي رويت عنها أسطورة [النسناسي]، وتتلخص في أنهم [من ولد النسناس بن أميم بـــن عمليق بن يلمع بن لاوذ بن سام ... وأنهم كانوا في الأصل بشراً فجعلهم الله نسناساً ... والظاهر أن لهذا القصص والأساطير أصولاً جاهلية ... وقد وضع منهـــا فـــي الإسلام شيء كثير.)

وقد أنكر المستشرقون وجود وبار وزعموا أنهم من الشعوب التـــي ابتكـــر وجودها القصاص ... قائلين إن تلك الرمال الواسعة المخيفة هي التي أوحـــت إلـــى القصاص الإخباريين اختراع شعب وبار وقصص النسناس ...

والذي أراه أن هذا لا يمنع من وجود شعب بهذا الاسم، وإن كنا لا نعـــرف من أمره شيئاً إلا هذا القصص والأساطير ... وقديماً أنكروا وجود عاد وثمود، ثـــم أتضح بعد ذلك من الكتابات وجود عاد وثمود، وهكذا قد يعثر في المـــستقبل علـــى كتابات وبارية لعلها تعطينا ضوءاً على حالة ذلك الشعب .

وتجد في رواية أهل الأخبار عن عمار [وبار] وكثرة زرعها ومراعيها ومياهها في الجاهلية شيئاً من الأساس . فقد أيد السياح ذلك وأثبتوا وجود أثر من آثار عمران قديم . وهو سند يتخذه القائلون بتطور جو بلاد العرب وسطحها لإثبات رأيهم في هذا التغيير[١] ...

هذا موجز مختصر لما أورده التاريخ عن شعب من شعوب جنوب بلاد العرب أبيدوا قبل التاريخ أو في بدايته ... وبتأمل السرد السابق الذي ورد عن ذلك الشعب الذي سمي وبار، نلاحظ أن هناك ترابطاً قوياً بين الإشارات التي وردت فيه عن هذا الشعب، وبين القبيلة التي أشار التاريخ إلى اسمها بعبرة وقومها بالعبريين، وكذلك إلى هجرتها التي كانت من هذه المنطقة التي كان بها شعب وبار ... وقد رأينا التاريخ يشير إلى أن هجرتها كانت بمحاذاة الشاطئ الشرقي، ورأينا التاريخ نفسه يشير إلى أن أرض وبار تقع بين رمال يبرين واليمن وحضرموت ونجران، ومهرة والشحر، ومعلوم أن شاطئ البحر لا يبعد كثيراً عن هذه المواقع وخصوصاً : أرض المهرة وحضرموت، ومن هذه الأرض وشاطئها خرجت قبيلة عبرة، عبر، وأهلها العبريون ... وليس هذا وحده ما يجعلنا نقول بقوة العلاقة بين هذا الشعب وبار، وقبيلة عبر والعبريين، بل هناك ما هو أهم في إثبات تلك العلاقة بينهما ... وذلك أن حروف الاسمين واحدة اللهم إلا في بعض الاختلافات الطفيفة فيهما نتيجة لقلب، أو إبدال، أو حذف أو دمج، أو دمغ ... إلخ. وهذه الاختلافات لا تضعف من قوة الربط بين الاسمين لأن تلك التغيرات اللسانية، أمر شائع – أصلاً – في ألسنة ولهجات تلك المواقع عبر كل العصور الزمنية المختلفة وإلى الآن، وبذلك يشهد القديم المستمر على ألسنة الأجيال المتعاقبة على تلك الأرض إلى الآن .

من شواهد الربط بين عبر ووبار :

فمثلاً لو رجعنا للهجات تلك المنطقة وما حولها الآن، كبلاد حضرموت والشحر والمهرة، وخصوصاً المنطقة التي حددناها ميداناً لهذا البحث، كبلاد صعدة

---

(١) المفصل – جواد علي – : ١/٣٤٣ .

ومنيه وفيفا والعبادل والريث وهروب والقيوس والغمر وبني ودعان وغيرها من المواقع ، إضافة إلى منطقة حضرموت وما حولها كالنظير .هذه المواقع لو رجعنا لها الآن لوجدنا بها الكثير مما يؤكد لنا حقيقة تلك العلاقة، وما نريد قوله منها، ... فلقد وجدنا في الإشارة التاريخية السابقة، أن النسبة إلى [وبار] هي [وباري]، وهذا يعني أن قانون [القلب] بين الواو والهمزة، كان موجوداً على ألسنة تلك المنطقة قديماً وحديثاً، أي أنه ظل متوارثاً في أجيالهم، وشائعاً فيهم، كما هو شائع في كل قبائل العرب، وهذا القلب والإبدال موجود بكثرة هناك؛ سواء كان ذلك في أول الكلمة، أو في وسطها، أو في آخرها ... يقول أحد أبناء تلك المواقع : [... والهمزة في لهجات فيفا تقلب – كثيراً – إلى واو، والعكس... ففي كلمة : إناء، تجدهم ينطقونها [وناء] ويقولون في : [يتأدم : يأكل إدام – : يتودم] ... وفي [سماء] يقولون [سماو] وهذا مجود في جبال العبادل والنظير بكثرة ...)[1] وفي هذه المنطقة، نجدهم – أيضاً – يقلبون الهمزة عيناً، فيقولون في: [بدأ] [بدع][2] وهذا شائع في لهجات قبائل عربية كثيرة جداً، كتميم وقيس عيلان، وطيء وقضاعة، وصحار، وسحار، وصعدة وبني مالك وبلغازي وبعض العباديين، وغيرهم كثير[3] ... وعلى هذا فوبار، هي أبار ... وكذلك العكس، أي عبار، كما رأينا ما سبق آنفاً ... وهنا لا أستبعد أن تكون وبار – أبار – هي عبر نفسها، و عبر هي امتداد لكل المنطقة المتحدث عنها، أما ما يمكن قوله حول الألف التي في وسط كلمة [وبار – أبار] ... فحذفها والتخلص منها، أمر وارد وشائع في كل لهجات اللسان العربي، ولا سيما لهجات المواقع الجنوبية الشرقية لجزيرة العرب، وخصوصاً إذا

---

(١) أحد أبناء محافظة جبال فيفا بمنطقة جازان بالمملكة العربية السعودية .

(٢) لهجات فيفا – مخطوط – لمحمد بن مسعود الفيفي ص ٨٤ – ٨٥ ... وأحمد حسين شرف الدين لهجات اليمن : ص ٤٤ – ٤٥ .

(٣) المفصل لابن يعيش، وأوضح المسالك لابن هشام، وغيرها .

كانت هذه الهمزة في وسط الكلمة، وكذلك إذا كانت في آخر الكلمة أو أولها فهي كذلك ... فمثلاً : [... هناك من يحذفها إن كانت ساكنة مثل [يومن ... في يؤمن ...] وتحذف إذا كانت في أول الفعل الماضي، فتجدهم يقولون في : [أعادك ... عادك ...)[١] كذلك تحذف إذا وقعت بعد واو العطف، نحو : (أنا ونت ... في أنا وأنت ...] [٢]أما حذفها إن جاءت وسطاً، فقد ورد أنها قاعدة أصيلة لدى كتبة الحميرية، قالوا : [إن كتبة حمير يكتبون بحذف الألف إذا (وقعت في وسط الكلام، وقفاهم المسلمون في كتابة المصاحف؛ فطرحوا ألف [الرحمن والإنسان...] [٣]وليس هذا فحسب؛ إذ هناك مما يؤكد الحذف والقلب الكثير الكثير، فقد سبق أن رأينا أن اللسان العبري كان يسقط الأحرف الصوتية مثل الواو والياء والألف والهاء ، من كلامة حتى عهد السبي البابلي حينما أخذت تستعمل تلك الأحرف لتأدية معاني بعض الحركات ...) [٤] إذن فوبار – أبار أو عبار – هي أصلاً في لهجات تلك المواقع الشرقية الجنوبية وما حولها، أي عبر امتداد منطقة [عبر] وكل ما حولها ... وعلى هذا فوبار هي عبر، وتكون تلك القبيلة التي دعيت بالعبرية، ورحلت عبر الشاطئ الشرقي هي من نفس منطقة عبر، وربما تكون أيضاً هذه القبيلة الصغيرة – عبرة – وبعض قبائل صغيرة مثلها، أو بطون من قبائل أخرى، هم الذين سلموا ونجوا من شعب عبر – عبار، أبار، وبار، بعد الخسف الذي حصل لهم في تلك المنطقة، مع قوم عاد،أو بعدهم . إذ هناك أمور كثيرة تشير إلى هذا، من ذلك سبق أن رأينا أن بمنطقة عبر مواقع وبطون كثيرة تحمل مدلول اسم عبر، كموقع عبرين، وفي جهات حضرموت التي تمتد منها منطقة عبر، وموقع عبرين، تجد أسرة تدعى باسم

---

(١) لهجات اليمن شرف الدين : ص ٤٣ – ٤٤ .

(٢) لهجات فيفا مخطوط، محمد بن مسعود الفيفي : ص ٨٣ – ٨٤ .

(٣) مجلة الفيصل : عدد (٧٦) – ١٩٨٣م ... ص ٨١ .

(٤) ولفنسون : ص ٦١ .

[باعبرين ... أو عبرين] وإلى الآن وهناك قبيلة، أو بطن معروف نسلة إلى الآن بهذه المنطقة يدعون ببني عبار، وأيضاً مثلهم جماعة تدعى ببني أبار، وأعرف أناساً كثيرين منهم، ... وليس هذا فحسب؛ إذ هناك فخوذ أو بطون قبائل بني العبيري منتشرة بمنطقة عبر وحضرموت بكثرة، وفي أكثر أقاليم جنوب جزيرة العرب ... وكل هذه المواقع والبطون المنتشرة؛ هنا وهناك تؤكد أن تلك القبيلة الصغيرة كانت من نفس قبائل (وبار–عبار–أبار) ... بدليل بطون العبيري – عبيري – ورد ذكرهم فيما ورد من رسائل تشير إلى أنهم من ضمن بطون القبيلة العبرية، كالرسائل التي كشفت في تل العمارنة ... وكانت موجهة من أمراء فلسطين الكنعانيين إلى عزيز مصر وفيها: (أن قبائل عبيري، أو خبيري تغزو فلسطين وتتوغل من ناحية الصحراء، ولذلك يعتقد أنه كان في الصحراء، عدا القبائل العبرية – المذكورة – آنفاً أقوام من العبريين ...] [1]. إذن فهناك قبائل – أو بطون – من العبريين، وكانوا يدعون بالعبيري، وقد انتقلوا – أيضاً – إلى شمال جزيرة العرب وخارجها، مما يؤكد أن أولئك العبريين، كانوا من مجموعة قبائل بني عبر – عبار، أبار، وبار –، وأنهم كانوا – أيضاً – من ضمن بقايا الناجين، الذين هلكت أصولهم، في منطقة وبار – عبار، أبار، عبر . ومما يؤكد هذا –أيضاً – وجود اسم قبائل خبيري في النص الآنف الذكر – مع اسم قبائل عبيري في جنوب فلسطين، ومعلوم أن اسم هذه القبائل – خبيري –، ورد ذكرهم في مجموعة وفد عاد الذين ذهبوا للاستسقاء لقومهم بالبيت الحرام بمكة، ومعلوم أنهم – خبيري – من بني جلهمة، العادية، وبعضهم قال من مجموعة قبائل طيىء الذين كانوا يعاصرون إخوتهم العاديين[2]... ومعلوم أن قبائل عاد كانت تنتشر عبر هذه المنطقة التي تدخل في محيطها منطقة الأحقاف ... والمهرة ... وقد ورد أن قيلاً من بني الخبيري خرج إلى جبال مهرة ينادي : (إني لم

(١) ولفنسون : ص ٧٥ .

(٢) الطبري : ١/٢١٩ .

... لمريض فأداوية، ولا لأسير فأفاديه، اللهم أسق عاداً ما كنت تسقيه ...] [(١)] وعلى هذا يكون بني الخبيري – الذين ورد ذكرهم في نص رسائل تل العمارنة مع بني عبيري، هم من بقايا بني الخبيري الذين هلكوا في منطقة المهرة، وعبر الأحقاف، وهذا يؤكد هلاك أصول بني العبيري العبريين؛ الذين كانوا في منطقة – وبار – عبار – عبر – أبار.؛ ولا سيما إذا علمنا – كما سبق – أن أرض وبار تقع ما بين نجران وحضرموت، وما بين مهرة والشحر [(٢)]... ومن كل ما سبق نخرج أن العبريين هم من موقع وبار – عبر – عبار – أبار ، وأنهم كانوا من ضمن البطون – أو القبائل – الذين نجوا كبني العبيري والخبيري، والمؤابيين والأدوميين، والعمونيين – كما سيأتي عن الأخيرتين – بإذن الله تعالى – ... وليس هذا ما يؤكد كون العبريين من منطقة وبار ... إذ في النص الذي تحدث عن وبار ... ما ينص على أن الوباريين هم : [... من نسل أميم بن لاوذ بن سام بن نوح – عليه السلام – ... ومعلوم أن بني أميم –ومنهم الوباريون– قد كانوا بهذه المنطقة، وبها كان هلاكهم، كما نص على ذلك التاريخ بقوله : [وكان بنو أميم بن لاوذ – أهل وبار بأرض الرمل، رمل عالج، وكانوا قد كثروا بها وربلوا، فأصابتهم من الله عز وجل، نقمة من معصية أصابوها فهلكوا، وبقيت منهم بقية ...] [(٣)] وهنا نلاحظ أن النص يؤكد عدة نقاط، منها : أن الوباريين– العبريين – هم من نسل أميم، وأن أميم كان وبنيه ينتشرون بالمنطقة التي كانت تسمى في أيامهم بأبار أو وبار، وتعرف أيضاً بمنطقة عبر، وأنهم قد هلكوا بها وبقيت منهم بقية، وأنهم وعمليق وطسم يرجعون للأوذ نسباً، ومن هنا رأينا كيف كانت قوة الرابط بينهم وبين الكنعانيين ... ولا سيما في الجانب اللساني . وهنا تتجلى حقيقة سر محاولتهم – أي العبريين – إخفاء كل

---

(١) الطبري : ١/٢١٩ .

(٢) المفصل – جواد علي – ٣٤٣-١/٣٤٤ .

(٣) الطبري : ٢٠٣-١/٢٠٤ .

معالم الكنعانيين وأنسابهم، ومحاولة القفز على كل شيء يخص الكنعانيين؛ لأنهم – بقية أمة ليس لها مجد حضاري سامي تتباهى به، ولا أي إرث تاريخي عريق تفاخر به بين الأمم ... بل هي بقية أمة تاريخها عار وخزي، ومجدها الحضاري سوء ومعاصي ... وأنى يكون لهم مجد حضاري وهم كما يقول أنبياؤهم : (إنهم شعب ثقيل الإثم ... شعب لايفهم ...](1) ولذلك استحقوا العذاب والإبادة ... ومن أجل ذلك الإرث المخزي حاولوا القفز على حقوق غيرهم وسحق أصحابها؛ لأنهم رأوا أن في بقائها إساءة لهم؛ وتذكيراً بماضيهم المخزي كالمؤابيين والعمونيين ... بل راحو يحرفون التاريخ ويغيرون فيه على حسب ما يريدونه منه، فما رأوا أن فيه تذكير بذلك الماضي المخزي حذفوه، نسباً كان ذلك أو لساناً، حتى مواقع الأرض لم تسلم من تحريف ألفاظ أسمائها، ومفاهيم مداليلها، مستغلين في ذلك اختلاف الألسن وتباين لهجاتها وجعله سلاحاً فاتكاً لكل ما يقف في طريقهم، فعبر هي وبار، وهي أبار، وهي عبار .... إلخ، في شرق جنوب جزيرة العرب . أما هم فعبريون، ونسبة إلى عبر، ولكنها ليست – عندهم – أرضاً، ولا وطناً ... ولكنها – أي النسبة – حيناً نسب إلى عابر بن سام بن نوح– عليه السلام – ... وحيناً لأنهم عبروا نهر الفرات بالعراق، وقدومهم إلى أرضه حتى جعلوا التاريخ نفسه لا يدري لم سموا بتسمية العبريين؟ ...] (2) وإذا بحثت عن سبب لذلك فلن تجد غير سبب واحد وهو أن في اعترافهم بالانتساب إلى عبر الأرض، تذكير بتاريخهم المخزي؛ لأن عبر تعني تلك الأرض الواقعة في جنوب جزيرة العرب؛ وفي تلك الأرض تذكير أيضاً – بما جري لأهل تلك المواقع من خسف وعذاب نتيجة لسلوكهم المشين ... فإذا انتسبوا إلى تلك المواقع؛ فذلك انتساب إلى ذلك الخزي والعار ... ولذلك فعبر هي أبار أو وبار مستغلين التنوع اللهجي لنطق بعض الحروف لدى قبائل تلك المنطقة لتحقيق

---

(١) الثقافة العربية – العقاد – : ص ١٨٠ .

(٢) الثقافة العربية – العقاد – : ص ١٧٦

أهدافهم،ولاسيما حروف الواو والهمزة والألف والياء والهاء وغيرها، ورأينا بعضاً من تلك القبائل يسقطون تلك الألف عند الكتابة أو حتى النطق تبعاً لألسنتها، حتى إن بعض علماء اللغة أسموها – أي تلك الطريقة – باللخلخانية، وحددوا محيطها بقولهم :[إن في لغة أعراب الشحر وعمان، يحذفون بعض الحروف اللينة؛ فيقولون في نحو [ماشاء الله : مشا الله ...] [١] ورأينا أن منطقة وبار، تمتد من حضرموت إلى الشحر وعمان ونجران ... وعلى هذا تقصر هذه اللغة على ألسنة أعراب منطقة عبر وما حولها ... وإذا كان أعراب أهل تلك المنطقة هم الذين يسقطون تلك الألف، إذن فوبار – أبار – عبار هي حسب نطقهم تكون عبر، ... وتكون القبيلة البدوية التي انتسبت إلى عبر وعرفوا أهلها بالعبريين، هم من أهل هذه المنطقة، وذلك لأن لسانهم يتفق تماماً مع لسان منطقة عبر، بل إن التاريخ اللغوي يشير إلى : [وجود بلدة تسمى [عبرة] بالكسر وبالفتح على الساحل الهندي، أو بالساحل الهندي .][٢] ومعلوم أن بحر الهند، هو المحيط الهندي الآن، ومعلوم – أيضاً – أن الجزء المحاذي منه للشرق والجنوب الشرقي من جزيرة العرب يسمى ببحر العرب، وعلى هذا تكون بلدة عبرة هذه؛ هي نفس البلدة التي أشار إليها ياقوت في معجمة الجغرافي بقوله : [... والعبرة : بلدة بساحل اليمن ...] [٣] وتكون – على هذا – قبيلة عبرة – بالكسر – هي نفس القبيلة التي هاجرت من منطقة عبر – وبار – عبار – أبار – جنوب شرق جزيرة العرب، بدليل أن هذه القبيلة حينما وصلت بلاد النهرين – العراق – استقرت في بداية أمرها على بقعة أرضية غرب نهر الفرات؛ سميت فيما بعد العبر، وهذا أمر معلوم لدى العرب القدامى في ترحلهم، فقد كانت عادتهم تسير على ذلك المنوال ... أي أن عادة جل القبائل العربية التي تهاجر إلى شمال الجزيرة

---

(١) تاريخ آداب العرب – الرافعي – : ١/١٤٣

(٢) القاموس المحيط : ٣/١٣ .

(٣) المعجم الجغرافي – ياقوت – : ٤/٨٨ .

أو خارجها؛ كانت تسمى المواقع التي تستقر بها بنفس اسم الموقع الذي هاجرت منه من جنوب جزيرة العرب، وقد أشير إلى مثل هذا مع هذه القبيلة نفسها ... ومع غيرها أيضاً، ومن ذلك ما أشار إليه ياقوت في معجمه بقوله : (والعبر : -بالفتح- هو ما أخذ على غربي الفرات إلى برية العرب، يسمى بالعبر، وبالكسر : هو اسم القبيلة التي استقرت عليه ...) [1] وعلى هذا يكون ما جاء بالفتح هو اسم للمكان الذي استقرت به القبيلة، وبالكسر يكون هو اسم القبيلة ذاتها؛ والنسب إليها عبري أو عبراني، مثل يمني ويماني، وذلك لأن الموقع الذي هاجرت منه هذه القبيلة بجنوب جزيرة العرب كان بالفتح عبر، وإلى الآن كما سبق في الحديث عن سقوط الطائرة [١٤٢٠/٨/٢٠هـ] بهذا الموقع باليمن ... وبالكسر هو اسم القبيلة ... وقضية التفريق بين اسم الموقع الذي تستقر به القبيلة، واسم القبيلة نفسها بالحركات، هو أمر شائع كما أشرنا، ويدل عليه ما جاء عن قبائل – أو قبيلة – [الرهاء] ... فقد ورد أن [الرهاء بفتح الراء – لما انتقل الكثير من بطونها إلى بلاد العراق – وطبعاً – هم أصلاً من ضمن القبائل العربية التي انتقلت من جنوب جزيرة العرب – رأيناهم يسمون الموقع الذي استقروا عليه بنفس التسمية ...) إلا أن أحد المحققين الكبار يقول مصححاً لما ورد في بعض الروايات التاريخية حول ذلك : [... وقد ورد عن بعضهم كسر الراء في [الرهاء] وبعضهم بضم الراء [الرهاء] يقول : وقد قيده عبد الغني أنه عند ابن سعيد بالفتح ... ثُم فرق بين ذلك فقال : أما البلد فإنها بضم الراء [الروهاء] أما الفتح، فالمقصود أهل البلد ...] [2] أي أن الرهاء بالضم مقصود به اسم الموقع، أما إن جاءت بالفتح فالمقصود به ساكنوه، أي اسم القبيلة ... وهذا يؤكد ما سبق حول عبر وعبر ... بدليل آخر أن علماء أنساب العرب ومؤرخيهم حينما التبس عليهم الأمر بين القبيلة التي نتحدث عنها [عبرة]

---

(١) المعجم – ياقوت – : ٤/٨٨ .

(٢) جمهرة أنساب العرب لابن حزم .

وبين اسم القبيلة الأزدية التي وجدوها تحمل نفس اسم قبيلة [عبرة] التي تتحدث عنها فاضطروا أن يعودوا إلى من رووا عنهم ليوضحوا لهم أمر ما التبس عليهم ... فجاء لهم التوضيح : (إن عبرة الأزدية؛ هي بضم العين : [عُبرة] ... أما عبرة الأميمية؛ أي التي تعود بنسبها على [أميم بن لاوذ]؛ فهي بكسر العين [عِبرة] ...] [1] وعندما تعود وتتقصى عن أسباب وجود ذلك الالتباس؛ تجد أن عبرة التي بضم العين – الأزدية؛ كانت تنتشر في المنطقة الجبلية التي تقع بين عمان والشحر؛ أي أن أصولهم كانت تنتشر في هذه المنطقة، حتى إنهم كانوا يطلق عليهم [أزد عمان]، فرقاً لهم عن إخوتهم الذين كانوا يعرفون بأزد السراة؛ ولوجود قبيلة عبرة الأزدية على مقربة من مواقع قبيلة عبرة الأميمية، حصل ذلك الضم والكسر للعين بينهما، أي لتقاربهما في السكنى والتباعد في النسب حصل ذلك التفريق بينهما بحركتي الضم والكسر – والله تعالى أعلم – ... ومن خلال كل الإشارات التي سبقت حول اسم الموقع واسم القبيلة [عبرة] بالكسر، بجنوب جزيرة العرب وخارجها؛ تتجلى لنا حقائق كثيرة جداً، تستدعي الوقوف عندها ... وأهم تلك الحقائق؛ هي حقيقة نسب هذه القبيلة – عبرة – بكسر العين، وأصل جرثومتها .

فما هي حقيقة نسب قبيلة عبرة الأميمية الوبارية العبارية الأبارية؟ ...

عروبة قبيلة عبرة :

وإذا كانت عبرة من بقايا شعب وبار – عبار – أبار –، والتاريخ يقول عن قبائل وبار : إنها : (إحدى شعوب عرب جنوب جزيرة العرب ...) ورأينا – المستشرقين يختلفون حول تسمية هذا الشعب وعلى وجوده، مما يعني وجودهم، نجد مصادر التاريخ العربي، تذكر هذا الشعب، بل وتزيد أنهم من نسب أميم بن سام بن نوح – عليه السلام – ... وهذه الإشارات وأمثالها تضيء لنا البداية حول حقيقة عروبة كل تلك الشعوب التي سميت بالسامية – كما سيأتي تفصيل أكثر بإذن الله تعالى – وإن كنا سنواجه بالكثير من الخلط التاريخي، وتغيير حقائق الأسماء

---

(١) جمهرة أنساب العرب – ابن حزم – ٢/٣٧٩ .

والمسميات وبالذات حول هذه النقطة، سواء كان ذلك من قبل العبريين أنفسهم، أو من قبل تلاميذهم عبر العصور المختلفة حتى أيامنا هذه ... فهم في عصورهم، كانوا يحاربون كل من يحاول إلصاق نسبهم بالعربية، إن صح أن أصول العبرية أنفسهم كانوا يعملون ذلك، أو أنها الصهيونية هي التي كانت تعمل ذلك، فلو وجد منهم - مثلاً - من يحاول من ذلك، سرعان ما يبادرون لحربه وقتله إن تطلب الأمر ذلك، ... لذلك وجدنا الكثير منهم يحقدون بل ويقتلون كل من رأوا في وجوده صلة بهم، وفي تلك الصلة ما يؤدي إلى فضح ما يريدون إخفاءه، ... فقضوا - من أجل ذلك على المؤابيين، والأدوميين والعمونيين، والكنعانيين ... وقبلوا من أجل ذلك أيضاً أن يعيشوا - في عصورهم المختلفة - حتى الآن يلوذون بكل من هو أقوى منهم، حتى يتسنى لهم أن ينفذوا كل ما يريدونه من خلال من يلوذون به؛ ولذلك تراهم يربطون نسبهم حيناً بالأصل الآرامي إذا أرادوا أن يفتكون بالمؤابيين والعمونيين، ثم الكنعانيين ... ألم يرد في سفر التكوين أنهم انتسبوا إلى الأصل الآرامي؟[1]...وفي انتسابهم هذا ما يؤكد انتسابهم إلى الأصل العربي، لأن الآراميين لا ينفون أصالتهم العربية، ثم إن أبناء آرام يعرفون أن أولئك العبريين يعودون إلى أبناء عمومتهم الأميميين، وحينما حصلوا على ما يريدونه من وراء انتسابهم إلى الآرامية؛ راحوا يتشبثون بالنسب الإسرائيلي، مع علمهم أن إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم جميعاً أفضل وأزكى التسليم -، وعلمهم أيضاً - أن أصول إبراهيم وإسرائيل - عليهم السلام - هي أصول عربية، وأن إسرائيل - عليه السلام - لم يولد بجنوب جزيرة العرب؛ بل ولد ببلاد الشام وفلسطين ... ولأجل هذه النقطة بالذات نفوا انتسابهم بجنوب جزيرة العرب، وأنكروا عروبة إسرائيل أيضاً، واستمروا في تغيب أي إشارة تربطهم بأصول قبائلهم الوبارية ... كل ذلك حتى يتسنى لهم حرب كل ما هو عربي، ومحاولة إبادتهم ... ولذلك تجد كل كتب التاريخ حينما تتحدث عن العبريين، تورد لفظ إسرائيل، حتى كأنهم هم الإسرائيليون، في حين تجد أن العبريين لا يرتبطون بالإسرائيليين حقيقة؛ لأن العبريين من نسل أميم ابن لاوذ، أو على حسب الراوية الأخرى : أميم بن عميلق بن لاوذ بن سام بن نوح - عليه السلام - .... أما الإسرائيليون فيعودون إلى نسب نبيا لله إبراهيم - عليه

---

(١) الثقافة العربية : ص ١٧٦ .

السلام – وإبراهيم يعود إلى نسل إرم بن سام بن نوح– عليه السلام –وهنا تكمن الصعوبة أمام الباحثين، إن هم أرادوا الفصل بينهم . ومع ذلك لا تعدم الإشارات التي قد تخرج عنهم، وفيها ما يشير صراحة لإثبات ما يحاولون إخفاءه ونفيه، سواء كان ذلك قديماً أو حديثاً... كهذه الإشارة الواردة عن بعض المستشرقين وفيها :[إن العبرانيين؛ هم قوم؛ أصلهم من جزيرة العرب، هاجروا منها، وعنها ارتحلوا على طريقة الأعراب والقبائل المعروفة نحو الشمال) ... وجزيرة العرب لذلك هي الموطن الأم الذي ولد فيه العبرانيون، ودليلهم ذلك هو الشبه الكبير بين حياة العبرانيين وحياة الأعراب، وأن ما ورد في التوراة وفي القصص الإسرائيلي عن حياة العبرانيين ينطبق على طريقة الحياة عند العرب أيضاً، ثم إن أصول الديانة العبرانية القديمة أسسها ترجع إلى أصول عربية قديمة، فالعبرانيون على رأيهم هم من جزيرة العرب، وهم جماعة من العرب ... وإذا جارينا التوراة في قولها بالانتساب العبراني، ترى أن العرب والعبرانيين هم – على رأيها – من أصل واحد، وهو سام بن نوح – عليه السلام – وترى أنها تعترف ضمناً اليقاطنين [القحطانيين]، الذين هم – عندها – أبناء عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام(١) ... وعلى ذلك فهم أقدم عهداً، وأعرق حضارة ومدنية ... ولاسيما إذا كانت كلمة – عبري – على رأي بعض العلماء أنها تعني التحول والتنقل، والبداوة، أي أنهم كانوا بدواً أعراباً يتنقلون قبل مجيئهم إلى فلسطين، واستقرارهم بها، وتحضرهم، على حين كان القحطانيون مستقرين، أصحاب مدن وحضارة، بل لقد كان العبرانيون على اتصال بالعرب بدواً وحضراً ... فأينما عاش العبرانيون عاشوا مع العرب...)(٢)

هذه بعض إشارات موجزة أوردتها بعض أسفارهم، وتلاحظ فيها أن أولئك العبرانيين قد جاءوا فعلاً من جزيرة العرب، بل تجد أشد تلامذتهم تعصباً لأباطيلهم؛ يؤكد ما أشارت إليه إصحاحاتهم آنفاً ... بل ويرد على من قال: إن العبرانيين قد جاءوا من جزيرة سيناء، بقوله : [... بل كان موطن العبرانيين بلاد اليمن التي خرج منها أمم كثيرة من أقدم الأزمنة التاريخية، وراح يستدل على رأيه هذا بأدلة

---

(١) التكوين، الإصحاح العاشر، الآية : (٢٠) وما بعدها – المفصل – جواد علي : ١/٦٣٠ .

(٢) المفصل – جواد علي – : ١/٦٣١ .

كثيرة منها : وجود ألفاظ كثيرة مشتركة بين اللغتين السبئية والعبرية ... ومنها أن هناك شبهاً عظيماً بين العادات والأخلاق الدينية بينهم ...] [١] وهذان الشاهدان – اللغوي والاجتماعي – واللذان ارتكز عليهما مرجليوث في رده على من أراد أن يجعل للعبرين موطناً غير جنوب جزيرة العرب، هذان الشاهدان تجد من المستشرقين، من لا يعجبه ذلك، ويذهب للرد على مرجليوث ردوداً ينقض بعضها بعضاً، بل يصل به عمى تعصبه الزائد لأن يثبت ما أراد نفيه بأدلة أكثر وضوحاً، وأقوى تأكيداً وتفصيلاً مما أوجزه مارجليوث، ... كقوله : (وليس في الأدلة التي ذكرها مرجوليوث لتأييد رأيه دليل تاريخي واحد يمكن أن يعول عليه، بل هي أدلة تخمينية، تصيدها تصيداً ... وهي مع ذلك لا تجده نفعاً؛ لأنها لا تنطبق على بني إسرائيل والسبئيين وحدهم، بل تشمل جميع الأمم السامية، بحيث على أساسها نعقد موازنة بين لغة بني إسرائيل وعاداتهم وأخلاقهم، ولغة بابل وعاداتها وأخلاقها، ثم تنتهي إلى القول بأن بني إسرائيل من أصل بابلي ... وبذلك تنتفي نظرية مرجوليوث وذلك للنظر الذي قامت عليه نظريته) [٢] .

وهنا نسأل ولفنسون ... ولم يا ترى لا يوجد في قول مرجوليوث دليل تاريخي يعول عليه فيما ذهب إليه؟ . وأنت نفسك القائل : [... ولأن بني إسرائيل جاءوا بلغتهم العبرية[٣] من الجزيرة العربية ... كانت مميزات الحياة الصحراوية بارزة جداً في هذه اللغة، وقد توارثوا هذه المميزات إلى أن استوطنوا فلسطين، فلم يكونوا يستنكرون على الأديب أن يستعمل التشبيهات الصحراوية والخيال البدوي، وقد بقيت عقلية الأديب الإسرائيلي[٤] مطبوعة بطابع الصحراء حتى في عصور الحضارة؛ لأن علاقتهم بأمم الصحراء لم تنقطع في عصر من العصور ... ولما كان العرب يمثلون الحياة الصحراوية أكثر من أي من الأمم السامية الأخرى؛ كان من

---

(١) ولفنسون : ص ٧٦ .

(٢) ولفنسون – اللغات السامية : ص ٨٧ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) طبعاً المقصود [الأديب الإسرائيلي] .

السهل في أحوال كثيرة عقد موازنة بين الأدب العبري القديم والأدب العربي إلى ما بعد عصر الخلفاء الراشدين ... ولا شك أن عادات بني إسرائيل وأخلاقهم الاجتماعية في عصورهم الأولى بفلسطين كانت قريبة من أخلاق العرب في الجاهلية ...) وزيادة على المادة اللغوية العبرية التي تشبه العربية شبهاً كبيراً، نجد الكثير من أسماء الأعلام العبرية القديمة شائعة الاستعمال عند العرب في الجاهلية .

وكانت بطون كلب اليهودية من أعظم البطون اليهودية التي تسكن في جنوب فلسطين، وكذلك نجد بين القبائل العربية من يلقب بهذا اللقب، فقد كانت القبائل العربية في شمال جزيرة العرب التي نسبت إلى العضوية اليمنية ... وانظر إلى أسماء الأعلام الأخرى التي تدل على قوة الشبه بين اللغتين ... وعظم التقارب في الميول العقلية للشعبين؛ كعبري وعربي، وحفني وعلي وعبد الله، وغير ذلك ... وهذه الأعلام يوجد منها الكثير في النقوش السبئية والثمودية...) [١]

إذن فما حاول ولفنسون أن ينفيه؛ نجده يتمسك به هنا، بل وبتفصيل أوسع، وبيان أوضح وأشمل ... أليست الأخلاق والعادات الاجتماعية والعقلية واحدة بين الشعبين؟... كيف تنفي ما أشار إليه مرجوليوث حول مجيئهم من جزيرة العرب؛ وأنت تنص على لسانهم – العبرية – أنه عربي مولداً ونشأة؛ لأن موطنه صحراء جزيرة العرب ... أليس طابع العروبة بارزاً فيه ... كما تقول : ... لأن ألفاظه صحراوية أقحاح، ذات خيال بدوي أصيل، أليست المادة اللغوية واحدة عندها؟ حتى لغة كتبهم وأسفارهم هي عربية لفظاً ومدلولاً عند ولفنسون ...؟ألم يقل عن سفر نبي الله أيوب – عليه السلام – أحد أنبيائهم : [... والذي يهمنا من هذا الكتاب أنه أقرب سفر عبري إلى اللغة العربية؛ من حيث ما فيه من الألفاظ التي تشبه العربية، ومن حيث مسحته الصحراوية؛ فإن أسماء أيوب وأصدقائه هي الأسماء التي كانت مألوفة عند أهل الجزيرة في الجاهلية القديمة؛ حتى ليتيسر لنا أن نجد للفظ أيوب اشتقاقاً من فعل عربي هو [آب] يؤوب، أو رجع إلى الله أي تاب يتوب ...][٢] إذن فلفظ أيوب وأصدقائه هي أسماء عربية؛ لأنه قال: (إن الأعلام العبرية – الإسرائيلية – هي

(١) ولفنسون : ص ٧٦ .

(٢) اللغات السامية : ص ٨٦ .

أعلام عربية[1]... بل ذهب إلى أبعد من ذلك حينما جعل أكبر قبائلهم بطوناً هي قبيلة كلب، ومعلوم أن قبيلة كلب هي يمنية الأصل...) لكن هل ترى ولفنسون يثبت عند هذا الحد؟ ما أظن ذلك؛ لأن طبيعة القلوب الغلف، تجد عقولها لا تعي ما تنطق به ألسنتها ... لسان مؤمن، وقلب ضال، وأصحاب هذه الطبيعة، سرعان ما تنحرف إن هي أحست أنها تقول حقاً، لذلك وجدنا ولفنسون سريعاً ما يعود لينفي عروبة قبيلة [عبرة] وعروبة لسانها .حتى ما سبق أن قاله عن عروبة سفر أيوب وألفاظه وأسماء أعلامه، السفر الذي جعله دليلاً لعروبة للسان العبري، حتى وإن كان ذلك صحيحاً؛ إلا أنه لا يظن أن لسان ذلك السفر هو آت من بلاد العرب؛ لأنه لم يكن لساناً عربياً ... لذلك يقول: (ولا يدل كل هذا على أن مصدر الكتاب هو بلاد العرب ... لأن الذي يمعن النظر يجد العقلية اليهودية في القرن الرابع ق.م ... بارزة فيه بروزاً واضحاً ... ثم هو قائم على أساس عقيدة التوحيد التي كانت في ذلك الحين عقيدة يهودية بحته؛ لأنها لم تكن قد انتشرت في الأمم الأخرى بعد ...) [2] .

لست أدري كيف نسي ولفنسون أن أيوب هو نبي من أنبيائهم ونص ما قاله يؤكد ذلك ... ألم يقل سفر أيوب أي الكتاب الذي كان يقرأ فيه؟، وعقليته اليهودية لا تنفي عروبته؛ لأن لسانه العربي ينطق بما يحمله قلبه من توحيد ... ولو كان الأمر كذلك لنفت عروبة [محمد صلي الله عليه وسلم] كونه نبي دين الإسلام... ولم يقل بهذا أحد، لأن قرآن محمد – صلى الله عليه وسلم – نفسه يثبت عروبة كتابة، الذي ينطق به لسانه، وأيوب العربي، كان لسانه عربياً، فلا ينطق بغير لغته ... وهذا يؤكد عروبة اللسان الإسرائيلي – العبري كما هو عندهم – ... ثم إن أيوب عليه السلام كان خارج شمال جزيرة العرب، واليهودية ظهرت في تلك المواقع ... وهذا يؤكد عروبة من ظهر فيهم أيوب – عليه السلام – ... لأن الحق جل سناه يقول: {**وما نرسل من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم** ... } [3] إذن فأيوب – عليه السلام – عربي ... وظهر في قوم عرب ... وهذا يعني أن بني إسرائيل والعبرانيين

---

(١) اللغات السامية : ص ٧٦ .

(٢) اللغات السامية : ص ٨٦ .

(٣) سورة إبراهيم، الآية : .... .

كانوا عرباً، ثم إن العقيدة لا تعني جنساً لتكون سبباً لنفي عروبة سفر أيوب النبي – عليه السلام – ... كما سيأتي تفصيل ذلك بإذن الله تعالى ... ثم إن ولفنسون نفسه، قد قال سابقاً : إن هؤلاء القوم جاءوا بلغتهم العبرية من جزيرة العرب ... وأن كل خصائص العربية هي موجودة بها، فلم عاد هنا لينفي هذه الصفة عنها ليعلن يهوديتها، بعد أن أثبت عروبتها ... أظن أن الرجل قد أدرك أن القول بعروبة العبرية أو الإسرائيلية أمر يخالف منهج أساتذته ومشايخه من أصحاب أسفار الكتاب المقدس ومؤرخيه، لذلك عاد ليحتال ويتلاعب ليقلب الحقائق التاريخية– مثلهم – ويغير في مداليل اللغة ومعانيها؛ ليعيد ما قاله أحباره حتى لا يخرج عن نهجهم وقولهم : [ليس يوجد في صحف العهد القديم ما يدل على أنهم كانوا يسمون لغة بني إسرائيل باللغة العبرية ... بل كانت تارة تعرف باسم اللغة اليهودية وطوراً باسم لغة بني كنعان ... ولم تعرف باسم العبرية أو اللغة المقدسة إلا بعد السبي البابلي في كتاب حكم بن سيرا ... وفي مصنفات المؤرخ اليهودي يوصف، وفي المشنا والتلمود ...] (١) وهنا تلاحظ مشايخه يحاولون نفي النسب الإسرائيلي، والنسب العبري عن لسانهم ليجعلوا نسبته لأمرين : أ – اليهودية، الكنعانية، ظناً منهم أن ذلك يبعد العبرية عن النسب العربي، ويقطع صلة العبرانيين عن جنوب جزيرة العرب . ولست أدري كيف تناسوا أن فعلهم هذا يؤكد عروبة الإسرائيليين والعبريين، بل ويعد اعترافاً ضمنياً – منهم – بعروبتهم ... وقد رأينا ذلك مع قضية الكنعانيين وحقيقة عروبتها ... وما دامت هي كنعانية؛ إذن فهي عربية– كما سبق ذلك –... ولذلك وجدنا ولفنسون يحاول تركيزه على قضية مصطلح اليهودية ليفكك ما سبق أن قاله حول قضية تشابه العربية والعبرية، أو العربية السبئية والإسرائيلية العبرية، فيورد في كتابه تاريخ الساميات المليء بالمتناقضات، قوله : (إن السبب لوجود التشابه بين بعض الألفاظ العبرية واللغة العربية، هو أن جموع قبائل يهودا كانت أقرب إلى العرب؛ لأن بلادهم كانت على تخوم الجزيرة العربية، وكذلك كان التبادل الاجتماعي

(١) اللغات السامية : ص ٧٥ .

والتجاري، بين هؤلاء اليهود والعرب مستمراً في كل العصور ... فليس بدعاً بعد ذلك أن يحتفظ بكثير من الكلمات العربية عند هذه القبائل ... ولاسيما الكلمات الأدبية والعلمية المليئة بالصور الأصلية للجزيرة العربية ... وأن تكون لغة هذه القبائل أقرب إلى العربية من لغة غيرهم من القبائل الإسرائيلية الشمالية] (١) وهنا نقف لنسأل : ترى ما الذي يعنيه مدلول القرب الذي ركز عليه هذا المستشرق كي يفسر لنا قصده من أمر التشابه الذي سبق أن أشار إليه؟ أيعني قرباً مكانياً ... أو قرب نسبي؟ ... وطبعاً مقصوده المدلول المكاني، كما يدل عليه السياق ... لكنه نسي أن القرب المكاني يرتبط أمره بأمر آخر يكون مرتبطاً به كي يحصل ما رمى إليه ولفنسون؛ ألا وهو أمر التأثير، ومعلوم أن التأثير لا يكون إلا إذا كانت القبائل العربية التي كانت على تخوم جزيرتها ذات قوة وسيطرة على القبائل الأخرى التي تحاذيها على تلك التخوم، بمعنى أن تكون القبائل العربية هي التي كانت مسيطرة على القبائل الأخرى حتى يحدث ذلك التأثير في لغتها وحياتها الاجتماعية والتجارية، والوارد في التاريخ هو عكس ذلك، وإذا كنا قد نقبل بالتبادل التجاري؛ ... فكيف يكون التبادل الاجتماعي بدون أن يكون واحد هو المسيطر على الآخر، فهل يعني أن القبائل العربية كانت هي المسيطرة؟ ... إن القول بهذا يكون مخالفاً لواقع القبائل العربية في تلك الفترات التاريخية، إلا إذا كان ذلك بين القبائل العربية نفسها، أي بعضها مع بعض... وهل يعني أيضاً أن تلك اليهودية التي أرادوا أن ينسبوا إليها لسانهم العبري، كانت فعلاً موجودة بتلك التسمية، ولذلك قالوا بتلك النسبة إليها، أو أنها كانت تسمية دينية ... ولذلك قالوا : [اللغة المقدسة] كما أوردوا ذلك في نصوص توراتهم ... وبالعودة لنصوصهم التوراتية السابقة نجد أن التسمية باللغة المقدسة لم تعرف : [إلا بعد السبي البابلي ... كما ورد ذلك في كتبهم وتلموداتهم الدينية] ... وهذا يعني أن مقصودهم بالدلالة [اليهودية] اصطلاحاً نسبياً، ولم يكن مرادهم من ذلك الاصطلاح العقدي، وإن أضيف ما يشير إلى مثل هذا إلى

---

(١) ولفنسون : ص ٨٦ .

الاصطلاح النسبي لتقوية هذه النسبة وترسيخها ... وعلى هذا يكون الاصطلاح النسبي هو المراد أولاً ... بدلائل كثيرة.

مدلول اليهودية في العبرية : بين العربية والعقيدة :

منها قولهم في النص السابق : (إن جموع القبائل اليهودية ...) وهذا يؤكد التشبيه ... أي أن هناك مجموعة قبائل كانت تنسب إلى أب يدعى – يهودا – ومعلوم أن النسب إلى يهودا : يهودي ... إذن فالاصطلاح النسبي يؤكده – أي أنه هو المراد – وورود مدلول لفظة قبائل ... وعلى هذا فمنهم قبائل يهودا؟ وما جنسهم الحقيقي؟ ومن أين جاءوا؟...

وبالرجوع إلى أمهات مراجع الأنساب العربية ... تجدها تقول بعدم وجود قبائل تدعى باليهودية، وإنما هناك بطن من قبيلة تفرعت منه مجموعة فصائل وأفخاذ، وأن ذلك البطن يعود لمجموعة قبائل بهراء القضاعية ... : (وقد ولد بهراء – الأب – بن عمر بن الحاف بن قضاعة : أهودا وقاسطاً وعبدة وقسراً، وعدياً، وكلها بطون ...] [1] وإذا كانت هذه البطون تعود لبهراء القضاعية ... فهذا يعني أنها بطون عربية نسباً، ومعلوم أن قبائل قضاعة وبطونها كانت من القبائل العربية الأولى التي هاجرت من جنوب جزيرة العرب إلى شمالها وبلاد الشام وفلسطين، وقد انتشرت بداية في شمال ديار قبائل كلب[2] ... وهنا قد تدعى [أهودا] أما الواردة في أسفارهم، وكتب التاريخ، فكانت تدعى [يهودا] ... فكيف ذلك؟ وإجابتنا على ذلك : إن هذا المعترض لو تأمل قليلاً : لرأى أن [أهود] هي [يهود] ... وذلك أن أهود هي من بطون بهراء القضاعية ... ومعلوم أن بهراء كانت قبل هجرتها تسكن بجوار أخواتها القبائل القضاعية عبر امتداد منطقة العبر

---

(١) جمهرة أنساب العرب – ابن حزم : ٢/٤٤١ ... العقد الفريد : ٣/٣٧٣ ونهاية الأدب : ٢/٢٩٦ ... والمقتضب والاشتقاق : ٣٢١ .

(٢) صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٤ .

بجنوب جزيرة العرب[١] ... بدليل أن قبائل المهرة، وهي إحدى قبائل قضاعة الكبار : لم تهاجر كغيرها من قبائل قضاعة من جنوب جزيرة العرب ... بل بقيت في مسقط رأسها ...وإذا سألت صاحب صفة جزيرة العرب ومؤرخها قديماً –الهمداني- لأجابك أنها (كانت بين بلاد حضرموت وعمان ...) [٢] ومعلوم أن ألسنة قبائل هذ المنطقة؛ الكثير منهم من يقلب الهمزة ياء[٣] ... – وسيأتي تفصيل لهذا بإذن الله تعالى – وإن كان قد سبق الكثير منه – وعلى هذا تكون [أهود] هي : [يهود] ... ومما يؤكد هذا أيضاً – : أن المنطقة التي كانت تنتشر بها قبائل –بطون– يهود . هي كما ذكر مؤرخهم : [أن بلادهم كانت على تخوم الجزيرة العربية ...][٤] وحينما تعود لكتب التاريخ عربية كانت أو توراتية استشراقية؛ تجد أن ٧٠% من القبائل التي كانت عبر هذا الامتداد؛ كانت قبائل وبطون قضاعية؛ فقبائل بهراء التي منها : [أهود – يهود]... رأينا أن سكناها يقع شمال ديار كلب، وكانت كلب تحتل كل منطقة بادية الشام – السماوة –[٥] لدرجة أنه كان لا يخالط بطونها أحد في سكنى هذه المنطقة ... التي امتدت شمالاً حتى قيل أن من قراها تدمر وسلمية، والعاصمية وحمص وحماة وغيرها[٦] ... وتدخل جنوباً حتى داخل جزيرة العرب؛ لدومة الجندل وتبوك[٧] وليس هذا فحسب؛ بل هناك قبائل القين بن جسر القضاعية التي كانت تمتد بين معان وتيماء[٨] ... ثم قبائل : بلي وجهينة وعذرة : من تيماء إلى المدينة المنورة، ثم تأتي قبائل تنوخ التي كانت تقطن المنطقة من شمالها حتى منطقة اللاذقية[٩] .. إذن فالمنطقة التي ذكروا انتشار قبائل يهودا بها ، كان فيها

---

(١) الإكليل – الهمداني : ٣/١٩ .
(٢) صفة جزيرة العرب – الهمداني : ص ٢٧٥ .
(٣) لهجات فيفا – مخطوط – العفيفي – محمد ص ٨٤ – ٨٥ .
(٤) صفة جزيرة العرب، الهمداني : ص ٢٧٥ .
(٥) المرجع السابق : ص ٥ .
(٦) المرجع السابق : ص ٢٧٢ .
(٧) المرجع السابق : ص ٢٧٥ .
(٨) ابن خلدون : ٢/٢٤٩ .
(٩) ابن خلدون : ٢/٢٤٨ .

من كان قضاعي الوجه، والعربي لساناً بنسبة ٧٠% وهذا بشهادة الكثير منهم، سواء كان ذلك بطريق مباشر أو غير مباشر، ومن ذلك ما صرحوا به علانية بقولهم: (وكانت بطون كلب اليهودية، من أعظم البطون اليهودية التي تسكن في جنوب فلسطين) [١] وهنا نلاحظ أن ولفنسون مُصرّ على يهودية كلب، بل ومصر على أمر آخر يعكس ما سبق أن أشار إليه في النصوص السابقة، ... فقد رأيناه في الإشارة السابقة التي أشار فيها لقبيلة (يهودا) [٢] كان مراده من- كما وضح في النص- الاصطلاح النسبي من إيراده قبيلة يهودا، ورأيناه أيضاً يورد في نفس النص إلى جانب قبيلة يهودا، قبيلة كلب، وكان مراده أيضاً الاصطلاح النسبي ... لكننا نلاحظ في هذا النص – أن مراده من ذكر قبيلة كلب الاصطلاح العقدي لا النسبي ...، وذلك من خلال تكريره للفظ اليهودية مرتين ... وهذا ما يناقض ما سبق أن أشار إليه سابقاً ...؛ لأنه أورد في النص السابق، ما يؤكد عروبة قبائل كلب ويمنيتها، وهذا ليس غريباً على طبع من يريد أن يطمس الحقائق ... لأنه يجد أن كل شيء في الوجود يصدم غدره ومكره، بدليل أن ما أشار إليه سابقاً حول سكنى بطون قبائل كلب بجنوب فلسطين ... رأيناهم يؤكدون أن كل القبائل التي انتشرت بهذه المنطقة ومنطقة السماوة، كانوا جميعاً قبائل عربية، لذلك تراهم حينما أدركوا أن الواقع الجغرافي والتاريخي سيكذب دعواهم، راحوا يتحايلون على الواقع التاريخي بكذبة أخرى، وهي تكذبهم مثل تكذيب التاريخ لهم؛ وذلك قولهم : (كذلك نجد من القبائل العربية من كان يلقب بهذا اللقب – كلب – ... فقد كانت القبائل الكلبية العربية في شمال الجزيرة العربية التي تنسب إلى العصبية اليمنية ...) [٣] وحينما تعود لكل أمهات التاريخ تجد هناك قبائل بهذا الاسم غير هذه القبيلة ذات العصبية اليمنية ... وهنا نسأل : هل كان في شمال جزيرة العرب قبيلة تدعى كلب وهي تسب بنسبها للعصبية اليمنية غير ما سبق أن أشاروا إليه حول القبائل الكلبية

---

(١) معجم قبائل العرب – لكحالة – ٣/٩٧٤ .

(٢) ولفنسون : ص ٧٦ .

(٣) ولفنسون : ص ٧٦ .

القضاعية التي هاجرت من جنوب جزيرة العرب واستقرت بين شمال جزيرة العرب وجنوب فلسطين؛ وملأت بطونها كل تلك المنطقة إضافة على بطون أخواتها بهراء وتنوخ وعذرة، وغيرهم من القبائل الأخرى سواء كانوا قبائل قضاعية، أو قبائل عربية أخرى، بدليل أنا رأينا بطون بهراء كانت تملأ كل داخل العمق الفلسطيني وما بقي من جنوبه إلى داخل الجزيرة، وهنا قد يأتي من يقول : (إن النفي المطلق الذي نسبته إلى التاريخ بعدم وجود قبائل عربية تدعى بكلب في شمال الجزيرة؛ هو قول يدحضه السجل التاريخي نفسه وذلك بإيراده قبيلة تدعى بهذا اللقب، وهي قبيلة (كلب بن يربوع، والذين كان منهم جرير بن الخطفى الشاعر المعروف ...)[1] فما قولكم في هذا، ولهذا المعترض نقول : وإن كنا قد قلنا كثيراً حول هذا؛ ... إن القبيلة التي أشرت إليها لم تكن تلقب بكلب ... ولم تكن – أيضاً – تأخذ مدلول قبيلة بل هي بطن من بطون يربوع بن حنظلة التميمي، وأن هذا البطن التميمي، لم يكن –أيضاً– يدعى كلباً، بل صحته هي "كليب" بن يربوع ... إلخ وأنه لم يرد بلقب كلب إلا عند صاحب العقد الفريد ... أما سائر كتب التاريخ والأنساب؛ فإنها لم توره إلا بلقب كليب ... وربما قد حصل تحريف فيه عند – أي العقد الفريد – النسخ، أو إسقاط الياء عند الصف في المطبعة عند الطبعة الأولى، أو أن ذلك تحريف مقصود وضع عند الطبعة الأولى أو في المخطوطة الأصل، ومثل هذا كثير ... لأن كل كتب التاريخ والأنساب لم تقل مثل ما قال به صاحب العقد الفريد ... فمثلاً : صاحب كتاب جمهرة أنساب العرب يقول : (أما يربوع بن حنظلة بن مالك التميمي فقد : ولد رباح وثعلبة والحارث وعمر وصبير، وغدانة، والعنبر[2] ... وبنو كليب منهم الشاعر جرير، وهو ابن عطية بن الخطفي بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع)[3] وهذا أيضاً ما أكده ابن دريد في الاشتقاق بقوله إن : (يربوع كان له من الأولاد ثمانية هم : رباح وسليط،

---

(١) العقد الفريد : ٣/٣٤٨ .

(٢) جمهرة أنساب العرب – ابن حزم – : ١/٢٢٤ .

(٣) الجمهرة : ١/٢٢٥، وسبائك الذهب : /٤ .

وصبير وثعلبة وكليب، وعرين، وغدانة وعمرو ...) [1] إذن فليس هناك قبائل كلبية في شمال جزيرة العرب ... بل كان هناك بطن، وإن ذلك البطن كان يلقب بكليب، وليس كلباً، أضف ... أن بطن كليب هذا لم يكن في شمال الجزيرة القريب من حدود فلسطين، بل كان داخل وسط الجزيرة العربية ... ولم يكن ينسب عصبية إلى اليمنية؛ بل كانت عصبيته عدنانية تميمية، إذن فتلك البطون العربية الكلبية القضاعية، التي زعموا يهوديتها نسباً، أو عقدياً وعبرية نسباً ... هو كلام غير صحيح؛ لأنها – كما رأينا سابقاً – هي بطون أو قبيلة قضاعية عربية، شأنها شأن البطون الأخرى التي كانت تنسب إلى بطون أهود – يهود –البهرائية القضاعية ...وكيف لا تكون كذلك، وكل المنطقة التي كانوا بها جميعاً كانت عربية، وقبائل وبطون قضاعة تشغل أكثرها إن لم تكن كلها ... ألم يمر بنا أن قبائل وبطون قضاعة كانت تملأ جل هذه المنطقة؛ من داخل فلسطين؛ الذي يبدأ ببطون قبائل بهراء اليهودية، ثم بطون كلب؛ التي كانت تأخذ من منطقة السماوة – تقريباً – إلى دومة الجندل وتبوك، ثم بنوا القين بن جسر؛ الذين كانوا ينتشرون من منطقة معان إلى تيماء، فقبائل بلى التي تأخذ من تيماء إلى المدينة؛ فعذرة فجهينة، وهكذا؟ ... إذن فبطون يهود لم تكن – هي – أقرب إلى العرب، كما زعموا – أي قرب مكاني فقط وليس نسبياً – بل هي عربية بهرائية قضاعية؛ بدليل أن ولفنسون نفسه الذي زعم هذا الزعم السابق نراه يقول وهو يتحدث عن سفر أيوب – عليه السلام – السابق؛ ما نصه : (... وتدل أسماء أصدقائه على أن مؤلف سفر أيوب آثر أسماء شبيهة بأسماء عربية جاهلية على أسماء يهودية مألوفة، كالنفاز التيمائي – من تيماء – وغيره ...) [2] إذن ففي تيماء كانت فصائل وأفخاذ من بطون يهود الأبهرية القضاعية ... وعلى هذا فليس غريباً أن تكون أسماء ذلك السفر عربية يهودية؛ لأن يهودا نفسها هي بطون عربية؛ لذلك لم يكن مؤلف السفر يؤثر أسماء شبيهة بأسماء

(١) محققو العقد الفريد نفسه، في هوامش الكتاب : ٣/٣٤٨ .
(٢) ولفنسون – الساميات - : ص ٨٦ .

عربية، لأن مؤلف السفر – بناءً على ما سبق – هو عربي؛ لأن صاحب السفر – أيوب – نفسه وأصدقاءه عرب أصلاء، أليس من في تيماء، إلى خارج جزيرة العرب – منطقة مكان تأليف السفر كلها كانت عربية أيضاً؟، ... وهذا ما جعل ولفنسون يحاول أن يجد لنفسه مخرجاً من زعمه السابق، حينما وجد أن التاريخ يحاصره من كل مكان، لذلك راح يعلل ما زعمه بقصد تثبيته؛ لكنه نفاه، سواء كان ذلك منه بقصد أو بغير قصد، وذلك بقوله : (... ولعلها – أي تلك المنطقة – كانت مسكونة بيهود منذ ذلك العهد ...) [(١)] طبعاً وهذا صحيح؛ إذ بطون يهودا لم يكن انتشارها خارج جزيرة العرب إلى تخومها فحسب، بل كانوا ينتشرون إلى داخل تيماء بدليل تواجدهم بتيماء – أي الكثير منهم– وهناك مسافة كبيرة بينهم أي بين بطون بهراء التي منها يهودا داخل فلسطين، وما أشاروا إليه ... ولذلك تلاحظ أن ولفنسون وأساتذته حينما وجدوا أن التاريخ يجمح عن طاعتهم لما أرادوه ... مالوا مع ما كان يثبته لتلك السكنى ... لكنهم كعادتهم لا يستسلمون بسهولة وهذه طبيعة أهل المكر والحقد – لذلك راحوا ينفون أمراً آخر في مقابل ذلك الإثبات الذي استسلموا لقول التاريخ به لكنه أمر أخطر مما تنازلوا عنه؛ وذلك لأنهم رأوا أنهم يستطيعون من خلاله إثبات ما تنازلوا عنه؛ لكنه عمي الحقد، كما سنرى... فولفنسون يقول: (... ونريد أن نلفت النظر إلى أن المواطن التي كانت لليهود في بلاد الحجاز كانت هي بعينها المواطن التي كان ينسبها بطليموس للثموديين، فهل يؤخذ من ذلك أن الثموديين تهودوا، أو أنهم رحلوا عن تلك البلاد وتركوها في أيدي اليهود ... وهذا سؤال يلوح لنا ... ولكن ليس لدينا ما يمكننا من أن نجيب عليه ...) .

إذن فولفنسون هنا – كما تلاحظ – يعترف أن بطن يهودا كانت موجودة بأرض الحجاز داخل جزيرة العرب ... ولكنه – كما ترى – اعتراف مغلف بأهداف ومرام هي أخطر من سبقتها ... منها قطع أي صلة لتلك البطون اليهودية الموجودة بأرض الحجاز من أي نسب عربي؛ لأن لقب اليهودية هو لقب – طبعاً عندهم – ديني؛

---

(١) ولفنسون – الساميات : ص ٨٦ .

بدليل – عنده – أن الثموديين حينما سكنوا بتلك الأرض، تهودوا؛ لأن اليهود كانوا هناك، وعنهم أخذوا ذلك ... لكنه سرعان ما يتراجع لإدراكه خطأ وكذب ما أشار إليه ... فعاد ليقول : متشككاً (... أو أنهم رحلوا عن تلك البلاد، وتركوها لليهود؟ ... وهذا سؤال يلوح لنا، ولكن ليس لدينا ما يمكننا من أن نجيب عليه ...) لكن هل فعلاً ليس لديهم إجابة على ما سألوا؟ ... الحقيقة ليست كذلك ... لأنهم يعلمون : (أن الثموديين لم يتهودوا ... لأن زمنهم وعصرهم لم تكن فيه عقيدة يهودية؛ لأن نبي الله موسى – عليه السلام – لم يكن قد ولد، ولا حتى أبوه ... فكيف تكون هناك عقيدة يهودية؟ إلا إذا كانت العقيدة التي كانت تنتشر بين الثموديين تنسب إلى قبيلة أو بطن فيهم كان يسمى يهود، أو أن بطن يهود الذي ينسب إلى قبيلة بهراء القضائية إن كان قد وجد وقتها ... لست أدري ... فكيف يتهود الثموديون ... وقد كان بينهم صالح، وصالح قبل موسى – عليهما السلام – بقرون طويلة ... ثم إن الثموديين كانوا أسبق وجوداً في تلك الأرض من بطون يهود البهرائيين القضاعيين ... وأظن أن علمكم بهذا – المستشرقون – هو ما جعلكم أن تجعلوا لأنفسكم خط رجعة، ولذلك قلتم : (أو أنهم رحلوا عن تلك البلاد، وتركوها في أيدي اليهود) ... لأنهم يعلمون أن بطون قضاعة لم يكن خروجهم من جنوب جزيرة العرب متزامناً مع قبائل ثمود – طبعاً – ، بل هناك زمن طويل بينهما خروجاً؟ ... لكنهم تجاهلوا ذلك لما سيترتب عليه من وضوح حقائق كثيرة : منها مثلاً : أن وجود بطون يهوذا البهرائية بالأرض التي رحلت عنها ثمود، هو وجود طبيعي؛ لأن قبائل ثمود تربطها بقبائل قضاعة روابط مكانية قوية؛ إذ جميعهم قد قدم من بقعة واحدة ... وإذا كانوا قبل مجيئهم تربطهم بقعة واحدة، فطبيعي أن يحل أحدهم مكان الآخر بعد رحيله ... وقربى المكان تؤكد قربى النسب، وقربى النسب تؤكد قربى اللسان ... وهذا ما سبق أن أكدوه هم بأنفسهم، حينما قالوا : (والذي نلاحظه أن الثموديين في حركاتهم وتنقلاتهم كانوا دائماً يتجهون من الجنوب إلى الشمال ... فقد نزحوا من العسير إلى الحجاز، ثم من جنوب الحجاز إلى موطن بني لحيان، فيظهر من هذا أن موطنهم الأصلي هو العسير ... ولكن يحتمل أيضاً أنه اليمن؛ لأن اليمن كانت الموطن الأصلي لكثير من القبائل

العربية التي رحلت منها إلى الشمال كبني معين وكندة وكلب، والأوس والخزرج) [١]
وإذا كانوا هم يؤكدون على أن : (أغلب القبائل العظيمة التي كانت موجودة من أقدم الأزمنة إلى زمن ظهور الإسلام في شمال الجزيرة العربية كانت هي من اليمن)[٢]
وعلى هذا فالقربى المكانية والنسبية واحدة بين كل القبائل من أول من خرج منها إلى آخر من خرج منهم ... وإذا كان كذلك، فطبيعي أن تحل بعض فصول من بطون أهود – يهود – القضاعية محل بعض البطون الثمودية ... ثم كيف تجعلون بطون قبيلة كلب يهودية غير عربية ... وأنتم القائلون بسجيئهما من اليمن، وهي عربية كذلك ... فهل يعني أن نسب وجنس البطون الكلبية ... هو غير نسب وجنس القبيلة الأم – كلب –؟ أيعقل أن يخالف الفرع أصله؟!!! ... بل هذا – منكم – يؤكد أن مدلول اليهودية هو لقب ديني ... وليس نسبياً ... لكن إصرارهم على قلب الحقائق حتى تتوافق مع ما يريدون، جعلهم يعكسون كل حقيقة يرون أنها ستقف في طريقهم، حتى ولو كانت تلك الحقيقة ترتبط بنبي من أنبياء الله تعالى – الذين وردوا في القرآن الكريم ... فنبي الله هود – عليه السلام – : [لم يكن – عندكم – اسماً لرجل ... وإنما هو اسم جماعة من اليهود هاجرت إلى بلاد العرب ... وأقامت في الأحقاف ... وحاولت تهويد الوثنيين ... وعرفوا بيهوذا ... ومنها جاءت كلمة [هود] ... وأنها استعملت من باب التجوز علماً لشخص ...)[٣] إذن فهم لم يكتفوا بتهويد ثمود من أجل تهويد كل القبائل العربية في شمال الجزيرة العربية، بل وصل بهم أمر تعسفهم إلى الأمم القديمة كلهم يهود ... ترى لم كل هذا؟ ليثبتوا أن العبرية هي أقدم الأمم وأعتقها، لتكون هي أصلاً للكل؟... لذلك أنكروا اسم نبي الله هود، رغم نص القرآن الكريم عليه {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ } [٤] ... ليجعلوه اسم الجماعة انبثقت ممن هودوا ثمود، لتهود

---

(١) الساميات – ولفنسون : ص ١٥٣ .

(٢) الساميات – ولفنسون – ص ١٥٣ .

(٣) مجلة الهلال، العدد (٢٣)، سنة (٦) ... جزء (آب) عام ١٨٩٨م .

(٤) سورة هود ... آية : (٥٠) .

كذلك كل قبائل عاد في جزيرتهم ... وما ذلك إلا ليثبتوا أن لقب اليهودية النسبي ... ليس إلا لقباً عقدياً ... وهنا نسأل : هل اليهودية كعقيدة كانت موجودة قبل بنوة نبي الله هود – عليه السلام – حتى يصح ما زعموه؟؟؟ .

نبي الله هود ومصطلح اليهودية :

والذي نعرفه، وكما هو وارد في نصوص القرآن الكريم وأحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن بنوة نبي الله هود عليه السلام – كانت موجودة حتى قبل أن يولد من تنسب إليه اليهودية كعقيدة؛ وهو نبي الله موسى – عليه أفضل السلام – ... لأن نبوة نبي الله هود – عليه السلام – كانت أول نبوة في الأرض بعد الطوفان؛ لأن قبل الطوفان كانت نبوة نبي الله نوح – عليه السلام – ثم كانت بعد نبوة هود – عليه السلام – نبوة نبي الله صالح – عليه السلام – في قومه ثمود ... ثم تلتها نبوة نبي الله إبراهيم – عليه السلام – فلوط، وإسحاق وإسماعيل وأنبياء كثر جاءوا قبل أن تولد نبوة نبي الله موسى – عليه السلام – وهذا – أيضاً – ما قاله التاريخ: (وكان ممن طغا وعتا على الله عز وجل بعد نوح، فأرسل الله إليهم رسولاً فكذبوه وتمادوا في غيهم فأهلكهم الله عز وجل، هما هذان الحيان من إرم بن سام بن نوح، أحدهما : هو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ... وهي عاد الأولى ... أما الثاني : فثمود بن حاثر بن إرم بن سام بن نوح، وهم كانوا العرب العاربة)(١) وإذا كانت هي الأولى بعد نوح في التاريخ فالقرآن الكريم يؤكد هذا ويؤكد أن نبيهم اسمه هود بقوله : {وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ... } (٢)، وعلى هذا يكون اسم هود، هو علم على مسمى رجل أرسله تعالى إلى عاد ... وأنه لم يكن اسماً لجماعة يهودية ذهبت لنشر عقيدتها بين الوثنيين هناك ... لأن ديانة التوحيد كانت أصوله موجودة نذ كان نبي الله نوح –عليه السلام– وحينما حصل فيمن جاء بعده ما حصل أرسل لله تعالى إليهم واحداً منهم هو هود ليذكرهم ويدعوهم لما حادوا عنه ... وهذا كله

---

(١) الطبري : ١/٢١٦ .

(٢) سورة هود، آية :(٥٠) .

معلوم ... ولكن لم اختارت تلك الجماعة اليهودية الأحقاف عند من زعموا ذلك بين كل أنحاء جزيرة العرب؟ ... وهنا تكمن الحقيقة التي يريدونها، ويتلاعبون بحقائق التاريخ والأنساب من أجلها ... أليست بقعة الأحقاف في جنوب جزيرة العرب ... هي مكان مهاجر قبيلة عبرة؟ ومنطقة عبر أليست هي مكان بطون وقبائل قضاعة، التي منها بطون يهود – أهود – الأبهرية؟! ... إذن فقد كان هناك هدف خطير من وراء تلك الروايات اليهودية –المحرقة–؟ أليس الهدف الآخر هو طمس كل معلم قد يمت بأي صلة لأصول تلك البطون اليهودية العربية ... التي يريدون سلخها من عروبتها : جنساً، ونسباً ... ولساناً؟ ... حتى المواقع التي كانت تسكن بها تلك القبيلة قبل رحيلها ... لم تسلم من الطمس والمسخ ... لأن في تحديد المواقع تحديد للأنساب ... وتحديداً الأنساب؛ يعني تحديد نوعية الألسن التي كانت تتحدث بها تلك القبائل ... إذن فهم يريدون قطع أي صلة لتلك القبائل بمواطنها الأصلية، حتى يؤكدوا ويثبتوا ما يريدون فعله مع تلك البطون والقبائل ... وقد عمل ذلك مع أكثر البطون والقبائل العربية التي كانت في شمال جزيرة العرب وخارجها ... ولذلك تلاحظ أن أولئك الصهاينة حاولوا قطع صلة أنساب تلك البطون بأي صلة تؤكد صلتهم بالعربية جنساً وموقعاً ولساناً ... لذلك عادوا بالقول : إن تلك الجماعة اليهودية التي ذهبت إلى الأحقاف، وعرفوا بعد ذلك بيهوذا ... متناسين أن التاريخ الذي سيحمل بهتانهم سيحمل أيضاً –ما يكشف ذلك البهتان ... فيا ترى – هل سيقرهم التاريخ على زعمهم هذا – أي أن يهودا هو يهوذا؟ ... وبالعودة إليه وجدناه يقول : (إن يهوذة – يهوذا – ... هم بطن من بطون جرم القضاعية ...)(١) وليسوا اسماً لجماعة دينية .

وهنا نتساءل هل تلك الجماعة الدينية : هي يهوداء أم هم يهوذا ...؟ لأنهم ينصون – مؤرخوهم –؛ على أن تلك الجماعة التي عرفت باليهودية ... هي نفسها التي عرفت فيما بعد بيهوذا ... وهذا يعني أن لقب الجماعة التي ذهبت إلى جنوب

---

(١) جمهرة أنساب العرب – ابن حزم : ٢/٤٥١ .

جزيرة العرب – إن صح أنهم ذهبوا –، ودعيت باليهودية، لقبها هذا هو لقب نسبي، بدليل أن بين تلك الجماعة بطناً آخر عرف بينهم بجماعة يهوذا، ويهودا ويهوذا بطنان عربيان نسباً وجنساً، لأن يهودا هم بطن من قبيلة بهراء القضاعية، ويهوذا، هم أيضاً بطن من قبيلة جرم القضاعية ... وعلى هذا يكون من عرف بيهوذا بين تلك الجماعة، هم ليسوا يهوداً أنفسهم؛ لأن يهوذا هم غير يهودا، وجميعهم عرب – كما رأينا – ... وهذا كله دليل على تخبط مؤرخي الصهاينة الذين يحاولون أن يجعلوا من اسم البطن يهوداً، مصطلحاً دينياً ... ليمسحوا نسبه العربي، ... لكن رغم كل ما فعلوه لم يستطيعوا أن يحققوا ما أرادوه، وإن ظهر شكلياً، إلا أن الحقيقة تصرخ بعروبة كل ما حاولوا أن يطمسوه أو يمسخوه؛ لأن الكثير من مؤرخيهم ومفكريهم يؤكدون على الرمز العقدي في مصطلح اليهودية، وهذا يعني أن تلك الجماعة اليهودية كانوا عرباً نسباً، أي نسبة إلى بطن يهودا البهرائي وكذلك يهوذا الجرمي ... أي أن ذلك اللقب ما هو إلا رمز عقدي سياسي ... لأن الكثير من مؤرخي أحبارهم ينصون على أن اليهودي عندهم : هو : [كل من اعتنق الدين الموسي، وجعله عقيدة له ... أما الذين لا يعتنقون هذه العقيدة فلا يطلق عليهم لقب اليهودية، حتى ولو كانوا من بني إسرائيل ... وينسبونه إلى العرب؛ لأن العربية عندهم تمثل رمز الوثنية ... فالأدوميون، وهم من أقرب العناصر دماً ولساناً إلى آل يعقوب – عليه السلام –، ومع ذلك يمقتونهم مقتاً شديداً ... فقد كانوا قبل اعتناق العقيدة الموسوية وانتشارها عند بعض العبرانيين إخوه لهم – أي للأدوميين –، أما بعد اعتناق تلك العقيدة، أخذت الفوارق تظهر بينهم وتقوى ... حتى وصل الأمر بهم أن أبادوا إخوتهم من الأدوميين... وكذلك أمرهم –اليهود– مع بقية أخوتهم من العمونيين والمؤابيين ... وجميعهم من أقرباء بني إسرائيل ...)[١] إذن فالمقصود بمدلول اليهودية، اصطلاح ديني، لا نسبي ... لأنه لم يكن هناك أي فرق بين كل البطون والقبائل العربية التي كانت توجد خارج جزيرة العرب؛ لأن الجميع كانوا

---

(١) ولفنسون – الساميات – ص ٩٦ – ٩٨ باختصار .

عرباً... حتى كان المفرق بينهم، هو الدين والعقيدة التوحيدية، بين من اعتنقها وبين من لم يعتنقها، وهذا كله معروف بين أصحاب العقائد ومخالفيهم ... عندها بدأت تلك الفوارق السياسية، المنسوبة إلى الدين، الذي جعلوه وسيلة يطوعونه لأهدافهم وطموحاتهم السياسية منذ زمن الأحبار الذين جعلوا أنفسهم أرباباً من دون الله ... ثم تلاميذهم – من بعدهم – الذين أخذوا يشكلون التاريخ على حسب أهدافهم، وخاصة :[في عهد المكابيم، إذ في هذا العهد ظهرت الشيعة اليهودية المعروفة بالفروشيم التي أطلقت لفظ حبر على كل متعالم من اليهود ... وإلى هذه الشيعة يرجع الفضل في جمع صحف العهد القديم ...) (١) .

إذن فالبداية في إخراج الكثير من البطون والقبائل العربية من الجنس العربي، كانت على يد من سُموا بالأحبار، وبدأوا بإخراج أنفسهم من النسب العربي – الوثني عندهم –، وجعلوا نسبهم للجماعة اليهودية الدينية، وطبعاً مقصدهم الأساسي لا اليهودية كجنس، وإنما كنسب ديني ... ثم راحوا بعد ذلك يغيرون ويبدلون حتى وصل بهم الأمر أن أخرجوا كل العرب من النسب السامي، الذي اخترعوه لتأييد نسبهم المزعوم ... بدليل أن الأدوميين وهم من أقرب أقرباء بني إسرائيل كما نصوا هم على ذلك – كما رأينا سابقاً –... تجد في أسفارهم نصوص تؤكد نسب عروبة أولئك الأدوميين، بل حتى تلك البطون اليهودية؛ كقولهم : (لقد تمكن عربي من حكم اليهود ومن تأسيس أسرة حكمتهم ... ذلك الرجل هو : (انتيباتر) الأدومي، نسبة إلى أدوم، وهم سكان جبل سعير، الذي دعاهم (أويسيوس) أي الجبليين ... وقد تمكن هذا الرجل، الذي لم يكن من أسرة ملكية، ولا من أسرة معروفة، بفضل شخصيته من فرض نفسه حاكماً على اليهودية ... وذلك في حوالي: (٣٣) قبل الميلاد ... وفي خبر أن يوليوس قيصر جعله حاكماً على اليهودية في حوالي سنة (٤٧) ق.م) (٢) ... إذن فالنص يشير إلى أن أحد الحكام الذين حكموا

---

(١) باختصار من الساميات – ولفنسون – ص ٨٩ – ٩٠ .

(٢) المفصل – جواد علي – ١/٦٥٠ .

اليهود في فترات التاريخ كان من أسرة أدومية، وأنه عربي ... ونلاحظ – كما في النص – أنهم ركزوا على كلمة عربي من أدوم ... ما يعني أنه كان وثنياً، ومع ذلك حكم من كانوا يسمون باليهود، أي أصحاب العقيدة اليهودية ... أي رغم أنه وثني فقد حكم اليهود، لا أنه أدومي؛ لأن هناك أدوميين كانوا توحديين، لكن المقصود أنه أدومي وثني، ولذلك جاءوا بدلالة عربي، لشيوع مدلول ما تشير إليه بينهم .

لمَ حاولوا التنصل من نسبهم العربي؟ :

وهنا نسأل : ترى لما لجأ أولئك العبرانيون لجعل اليهودية نسباً دينياً، ينتسبون إليه، وأخذوا يعملون لإخفاء نسبهم العبراني – في البداية – العربي؟ ... وإذا عدت إلى الكثير من مرجعياتهم التاريخية الدينية، لن تجد إجابة شافية لهذا الاستفسار ...؟ ولكن بتأملها قد تستطيع أن تجد أسباباً لذلك ... فقد رأينا سابقاً أن القبيلة الحقيقية التي ينتسب إليها العبرانيون كانت قبيلة ضعيفة، ولم يكن الضعف وحده ما كان يجعلهم يتهربون من ذلك؛ بل كان هناك ما هو أهم من ذلك يجعلهم يتهربون من الانتساب إلى تلك القبيلة؛ وهو تاريخ تلك القبيلة المخزي من معاصي وتمرد وطغيان وفساد وإفساد ... حتى أنهم حينما قوي أمرهم وأرادوا أن يؤسسوا دولة، بدأوا يعملون على أن يجعلوا لهم نسباً مشرفاً ليقيموا دولتهم المرتقبة عليه، فوجدوا أن ليس هناك من شرف أسما من شرف النسب الديني، الذي كان شائعاً في تلك الفترة، فأعلنوا نسب القبيلة اليهودية نسباً لهم، لكن بعد أن أشاعوا حوله الأصالة والهالة الدينية ... كما رأينا ذلك على يد المكابيم[1] ... والذين في عهدهم – إن صح ذلك – أيضاً – أخذت اللهجة العبرية تتقدم حتى بلغت ذروتها ... وهذا يعني أن اللغة التي سموها باسم لغة اليهود وتستروا وراءها زمناً طويلاً، كانوا يقصدون بها حقيقة إشاعة العبرية، حتى ترسخت مفاهيمها ومداليلها في الناس وتشبثوا بها أكثر؛ وأعلنوا اسمها صراحة، وهذا ما حصل فعلاً في القرن الثاني بعد الميلاد ... إذن فمن يعتنق اليهودية – العبرية فيما بعد – فهو عبراني؛ وإن كان أدومي أو عموني

---

(١) المفصل – جواد علي – ١/٦٤٩ .

أو حتى إسرائيلي؛ لأن لغة الكتاب المقدس – عندهم – هي لغة كل تلك القبائل والبطون، وهذا ما أكدوه هم، حينما قالوا : **(تنسب هذه اللغة إلى الأمة العبرية التي** تتألف من بني إسرائيل، وجملة شعوب أخرى تصلها بها صلة القرابة الدموية كآل أدوم، وأهل موآب، وعمون، وبني مدين، والعمالقة، وبني إسماعيل، فكل هذه الأقوام تجعلها التوراة من ذرية إبراهيم – العبري عندهم –) [1] ...

إذن فهم يتراجعون عما سبق أن قالوه عن لغتهم، التي كانوا يجعلون لها في كل فترة نسباً حتى استقر بهم الأمر على ما كانوا يخفونه لها من نسب ... فهي في صحفهم القديمة لغة اليهود ... أو لغة كنعان ... أو لغة بني إسرائيل ... وفي نهاية المطاف يعلنونها صراحة؛ إن لغة اليهود، هي بعينها اللغة – اللهجة – العبرية، وأيضاً هي لغة كل من يرتبط بهم في صلة القربي الدموية النسبية ... وهنا قد ينشأ سؤال مهم جداً، وهو : ما أنساب تلك الشعوب التي قالوا بعبرية لسانها لقرابتهم بهم ... وبمجموع ألسنتهم وجدت العبرية كلغة؟؟؟ ... وإجابة هذا السؤال وإن كان سيأتي لها تفصيل أكثر في الفصول القادمة بإذن الله تعالى؛ إلا أننا قد رأينا من خلال الإشارات التي سبقت، كالتي أكدت عربية اليهودية لتأكيد عربية أنساب من كانوا يسمون باليهود... وكذلك الأدوميين والعمونيين، فمن باب أولى تأكيد عروبة بني إسماعيل – عليه السلام – الثابتة عروبتهم تاريخياً ودينياً وأنساباً، ومثلهم آل مدين أصحاب نبي الله شعيب – عليه السلام –، ألم تسم كنعانية في فترة من الفترات؟ وكنعنتها تعني معينيتها ... ومعينيتها تعني يمنيتها[2] ... والكل يعني أصالة عروبتها جميعاً ... ومنها اللهجة التي سميت عبرية ... ومن خلال كل ما سبق نلاحظ أن اللهجة التي سميت بكل تلك التسميات، كانوا يقصدون بها حقيقة لغة التوراة التي نزلت لتخاطب كل تلك الشعوب التي أشاروا إليها أو غيرهم ممن كانوا معهم في تلك العصور ... بدليل الأقوام الذين كان ينتقل بينهم أنبياؤهم بدعواتهم التي

---

(١) الساميات – ولفنسون : ص٧٣ .

(٢) الكنعانيون معينيون، من جازان : ١ – ٥٠ ... للمؤلف ... صادر : عن الجمعية العربية السعودية للثقافة،٢٠٠٣/د ديسمبر والفنون، ص ١٤٢.

جاءت بها كتبهم من موسى حتى آخرهم نبي الله عيسى، ومن تبعوه – عليهم جميعاً أفضل السلام – وإذا كانوا قد جعلوا في مقدمة الشعوب التي قالوا عنهم إن ألسنتهم كانت تشكل اللسان العبري ... فمن هم بنو إسرائيل يا ترى؟ وما نسبهم؟ وما هو لسانهم؟ ... وهذا ما سوف نتعرف عليه – بإذن الله تعالى – في فصول الأبواب التالية، والتي أولها فصل : عروبة اللسان والنسب الإبراهيمي – عليه السلام –، والذي كان ينسب إليه نبي الله يعقوب – عليه أفضل السلام –، وكان أيضاً يلقب بإسرائيل ... فمع عروبة نبي الله – إبراهيم عليه السلام – ...

الفصل الثالث

عروبة النسب واللسان الإبراهيمي

١) لمحة عن إسرائيل وبني إسرائيل

٢) النسب الإبراهيمي بين التاريخ واستقراء العقاد

لمحة عن إسرائيل وبني إسرائيل :

أما بنو إسرائيل فهم يعنون بهم تلك البطون والفصائل التي كانت تنتسب إلى نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم – عليهم جميعاً أفضل السلام –؛ لأن لفظة إسرائيل : هي لقب ليعقوب ومعلوم أن يعقوب ، هو حفيد نبي الله إبراهيم ، ولذلك صار يطلق على كل الفصول والفخود التي تعود – أصلاً – في نسبها إلى أبناء وأحفاد نبي الله يعقوب – إسرائيل – .

وإذا كان الإسرائيليون – الأصلاء – ينتمون في نسبهم إلى نبي الله يعقوب حفيد إبراهيم – عليهم السلام –؛ فمن الواجب أن نبدأ حديثنا ببعض الإشارات عن نبي الله إبراهيم نفسه – عليه السلام – وكذلك ببعض الاستفسارات مثل: هل كان إبراهيم عربي اللسان والنسب؟ ومن هو إبراهيم؟ لعل من خلال الإجابة على هذا نستطيع أن نصل إلى حقيقة فهم بني إسرائيل : نسباً ولساناً – بإذن الله تعالى – لأن النسب الإبراهيمي ليس بالسهولة التي يتوقع الوصول إليها ... أي بالطريقة المعروفة في كتب الأنساب ؛ وهي طريقة البنبنة – فلان ابن فلان – ... وذلك لما فيها من مخاطر ومزالق تاريخية؛ نتيجة لما فيها من خلط وتحريف وتبديل، من قبل الصهاينة العبريين وتلاميذهم عبر القرون والعصور المختلفة، نتيجة لأغراضهم وأهوائهم الخبيثة التي لاحقت تلك السلسلة النسبية الطاهرة منذ القرون والعصور الغابرة، ولذلك ستكون طرق حديثنا عن ذلك النسب الطاهر من خلال عدة طرق متداخلة مترابطة، يمكن استقراؤها من خلال مجموعة آيات قرآنية كريمة، وما ورد عنها من أحاديث نبوية شريفة – على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم – وتفسيرات لكبار مفسري القرآن الكريم، وشراح الحديث الشريف، من صحابة وتابعين – رضوان الله عليهم أجمعين –، أومن تابعهم بإحسان إلى يوم الدين – رضوان الله عليهم أجمعين ... أو من خلال مجموعة نصوص تاريخية وردت متناثرة في كتب كل فروع التاريخ ومصادره، سواء كان تاريخاً إنسانياً وجغرافياً ولغوياً، وبعد ذلك نحاول التدخل معها علنا نصل إلى شيء من حقائق نسب تلك

السلسلة الطاهرة الشريفة، وبداية أرى أن نورد تلخيصاً لبعض الإشارات التاريخية التي قام باستنباطها أحد مفكري هذه الأمة في العصر الحديث، فمن ذلك :

النسب الإبراهيمي بين التاريخ واستقراء العقاد

يقول العقاد عن النسب الإبراهيمي – بإيجاز – : (... ينتمي إبراهيم إلى قبيلة سامية من الجزيرة العربية . وكان يتنقل بين أرض آرام في المشرق، وأرض كنعان في المغرب – وكلتيهما موطن المتكلمين بالعربية على أقرب لهجاتها وأطوارها إلى اللغة العربية الحديثة ... فالعرب العاربة ... تنتمي – كما تقدم إلى الأرمان، وأبناء كنعان، والجميع ينسبون إلى أرضهم العربية على أشهر الأقوال)[١].

هذا جزء يسير مما أشار به العقاد تاريخياً حول النسب الإبراهيمي ... وبالرجوع إليه وتأمله، تلاحظ أن العقاد يحاول أن يجعل كل تركيزه على إثبات أن نبي الله إبراهيم – عليه وعلى نبينا أفضل السلام – كان عربياً نسباً ولساناً، ولذلك تلاحظ أنه أخذ يدور حول هذه الفكرة من خلال بعض النقاط التي أوردها وأخذ يتعامل معها ... مستنداً في حديثه مباشرةً لجنس القبيلة التي كان ينتمي إليها نبي الله إبراهيم – عليه السلام –، وكيف أنها قبيلة سامية من جزيرة العرب، وهذا يعني أنها عربية وإن لم يقلها ... لأن تلك القبيلة تتنقل بين أمتين في زمنها – تؤكد أشهر أقوال التاريخ أنها عربية، لأن الأرض التي كانوا عليها هي أرض عربية، ولأن اللسان الذي كانت تتحدث به تلك الأمم، كانت بلهجة هي أقرب ما تكون إلى اللسان العربي الحديث؛ لذلك لم يكن هو ولا قبيلته في حاجة إلى أن يكتسب لساناً يتحدث به بين من كان يتنقل بينهم، ثم ينتقل العقاد ليؤكد ما ذهب إليه حول عربية نبي الله إبراهيم – عليه السلام – وقبيلته، وذلك للتأكيد على عربية من كان يتنقل بينهم، فالكنعانيون هم عرب، بدليل أن أرضهم التي ينتشرون عليها، هي أرض عربية ... حتى أسماء ملوكهم وقبائلهم وأسرهم، هي عربية ... وهناك نقاط كثيرة دار حولها العقاد؛ لإثبات ما أشار إليه ... وإذا رجعنا ثانية لهذه النقاط، سنلاحظ أن العقاد لم يصرح بحقيقة ما

---

(١) الثقافة العربية – العقاد : ص ١٨٧ – ١٨٨

يريد إثباته حول عروبة النسب الإبراهيمي – عليه السلام – صراحة كما هو المعهود عنه ... بل كان مجملاً قوله لدرجة يظن قارئها أنه كان يميل لتبعية سابقيه فيما ذهبوا إليه حول النسب الإبراهيمي، لذلك رأيناه يبدأ كلامه بقوله : " وعلى كلا القولين ينتمي إبراهيم – عليه السلام – إلى قبيلة سامية من الجزيرة العربية " وهي بداية فضفاضة؛ قابلة لكل ما يراد منها، لكن بالعودة لهذا الإجمال القابل لأي تفسير وتأمله، نخرج منه بالكثير من الإشارات والتلميحات التي تشير وتجلي الحقيقة التي يريدها من وراء إجماله، لأنه وضع الكثير من اللبنات والأسس التي سيبني عليها حقيقة ما يريده، فهو وإن قال بانتمائه إلى قبيلة سامية، لأنه يريد أمرين اثنين : **الأول** : إثبات أن السامية تعني كل ما هو آت من جزيرة العرب، يعني أنه عربي، وهذا ما أشار لتأكيده بقوله، إن تلك القبيلة هي من جزيرة العرب، إذن فهي عربية ... ومعلوم أيضاً أن كل من قدم من هذه الجزيرة عنده هو عربي، لكون : "كل من سكن جزيرة العرب ونطق بلسان أهلها، هو عربي..."[1] سواء بقي فيها، أو هاجر عنها إلى موطن آخر وأقام فيه[2]... ولذلك تجده يعود ليكشف ستر ما غطاه بإجماله؛ " ربما كان من المفاجآت عند بعض الناس أن يقال لهم : إن إبراهيم – عليه السلام – كان عربياً ... وإنه كان يتكلم اللغة العربية ولكنها الحقيقة التاريخية التي لا تحتاج إلى فرض غريب أو تفسير نادر، غير ترجمة الواقع بما يعنيه ... وإنما الفرض الغريب أن يحيد المؤرخ عن هذه الحقيقة لينسب إبراهيم – عليه السلام – إلى قوم غير قومه الذين هو منهم في الصميم ... "[3] .

إذن فالعقاد يعلن في هذا المقطع الصغير حقيقة ما حاول إجماله في مقطعه السابق، فإذا كان إبراهيم –عليه السلام– كان ينتمي إلى قبيلة من جزيرة العرب؛ فحقيقة ذلك الانتماء عنده؛هي الحقيقة التاريخية التي لا تحتاج إلى فرض غريب، أو تفسير نادر، بل إن ترجمة الواقع وتحليلاته تؤكد ذلك النسب العربي وتثبته، بل هي:

---

(١) الثقافة العربية : ص ١٤٦ – ١٤٧ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٤٦ – ١٤٧ .

(٣) أبو الأنبياء – العقاد – ص ١٣٢ .

" أصح نسبة نسب إليها ... وإن بدت لمن يسمعها كأنها غريبة، يقال لمن يزعمها : من أين جئت بهذه الحدوثة التي لم نسمعها قبل الآن ... "[1] ويمضي في حديثه ليخبرنا عن كيفية ترجمة الواقع الذي أشار إليه أنفاً، فوجدناه يقول : إنه : [لا يقال عن إبراهيم – عليه السلام – أنه إسرائيلي، ويعقوب هو حفيد إبراهيم – عليهما السلام – ... ولا يقال : عن إبراهيم إنه يهودي؛ لأن اليهودي ينسب إلى يهوذا رابع أبناء يعقوب – عليه السلام – ولم يكن ينسب إليه إلا بعد أن يصبح اسمه علماً على الإقليم الذي قسم له عند تقسيم أقاليم الأرض بين أبناء يعقوب – عليه السلام – ولا يقال عنه أنه عبري ... إذا كان المقصود بالعبرية لغة مميزة بين اللغات السامية تتفاهم بها طائفة من السامية دون سائر الطوائف، فإن إبراهيم – عليه السلام – كان يتكلم بلغة يفهمها جميع السكان في بقاع النهرين، ولم تكن العبرية قد انفصلت عن سائر اللغات السامية في تلك الأيام، فإذا فتشنا عن نسبة إبراهيم – عليه السلام – لم نجد أصدق من النسبة العربية، كما كانت العربية يومئذ بين جزيرة العرب وبقاع الهلال الخصيب .

وأصح التقديرات أنه نشأ في أسرة حديثة عهد بالهجرة من شمال اليمن إلى جنوب العراق، وكانت هذه الأسرة مع الذين جاءوا من أرض البحر الأحمر ... وقد وردت من بين أسماء العرب التي لا شك فيها بين الأسر المالكة في جنوب بابل خلال عهد طويل يحيط بعصر إبراهيم – عليه السلام –، على أقدم تقديراته، فلم يمض على أسرته بمدينة [أرو] زمن يفصله من عشيرته البادية، وينسيها معيشة البداوة التي تستجيب للهجرة من أقصى الجنوب في العراق إلى أقصى الشمال ... ومن جملة أخباره يتبين أنه قد نشأ على مفترق طريق بين جميع العهود) [2] ...

ومن خلال السرد السابق نلاحظ أن العقاد يدافع عن رأيه الذي ذهب إليه حول عروبة نبي الله إبراهيم – عليه السلام – بقوة شديدة، حيث لم يترك فتحة يمكن

---

(١) أبو الأنبياء – العقاد – ص ١٨٥ .

(٢) أبو الأنبياء – العقاد – ص ١٨٥ – ١٨٦ .

يدخل عليه منها إلا سارع لسدها، فهو ليس إسرائيلياً، لأن إسرائيل هو حفيده، ولا يمكن أن ينسب الأصل إلى الفرع إلا إذا تغير قانون الحياة برمتها ... وكذلك لم يكن يهودياً؛ لأن يهوذا هو حفيد الحفيد، أي (أنه فرع الفرع)، أما النسب العبري فقد كان أولى بالنفي عند العقاد؛ لأن العبرية كقبيلة لم تكن تلك القبيلة ذات المكانة والسيادة بين قومها يمكن لإبراهيم؛ (الذي سيصبح نبياً)، الركون إليه لما لتلك القبيلة من ماض مخز يضر بما سيرسل به أكثر من أن ينفعه ذلك؛ لم تكن ذات صيت واسع يمكن لسانها من التسيد اللغوي في عصرها، كالذي كان للسان الذي يتكلم به إبراهيم - عليه السلام - حتى يفهمه جميع سكان عصره من بقاع النهرين حتى بلاد كنعان ومصر، وداخل جزيرة العرب في مكة وكل ما حولها، من البلاد التي كان يتنقل بها، ومعلوم أن عموم لسان كل تلك البلاد هو عربي النسب، وهذا يعني عروبة لسان زعيم العشيرة التي منها إبراهيم الخليل - عليه السلام - لأنها لو لم تكن كذلك لما استطاع هو ولا عشيرته أن يتفاهم مع الأمم التي كانوا يتنقلون بينها من أقصى الجنوب في العراق إلى أقصى شماله، فشاطىء البحر الأبيض المتوسط، ففلسطين، فمصر ... " لأن عشيرة الخليل - عليه السلام - هي عشيرة بدوية تستجيب للهجرة والترحال، حتى في أيام حفيده يعقوب - عليهما السلام "(١).

البداوة الأعرابية من صفات العشيرة الإبراهيمية :

وإذا كانت البداوة صفة من صفات القبيلة الإبراهيمة، فهذا يعني أنها كانت أعرابية؛ لأن الحياة البدوية ترتبط بمدلول الأعرابية ارتباطاً كاملاً، وخصوصاً إذا علمنا أن كل تلك المنطقة التي كانت تنتقل بها عشيرة إبراهيم - عليه السلام - هي منطقة أعرابية لساناً ونسباً ولاسيما القبائل التي كانت تنتشر في فلسطين وصحاريها حتى النقب وسيناء إلى مصر، وهذا يؤكده مؤرخوهم، من مستشرقين وغيرهم كقولهم : (وقد كانت طور سيناء منذ القديم يسكنها العرب، حتى في أيام داود وسليمان -عليهما السلام - فرسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية تجعل جبل سيناء

---

(١) أبو الأنبياء - ١٨١ - ١٨٤ .

في ديار العرب... وتذكر الرسالة : أن طور سيناء هى موطن أبناء هاجر (أي العرب) ونجد أن النقب ووادي عربة كانا من مواطن الأعراب ... وقد كان أعراب (جشم) وغيرهم ينتقلون وينزلون في هذه المواطن وعلى مقربة من القدس ...)[1] وليس هذا ما يؤكد عروبة تلك المنطقة فحسب، بل نجد هناك من يعلن ذلك صراحة، وذلك حينما يقول : (... إن أغلب القبائل العظيمة التي كانت موجودة منذ أقدم الأزمنة إلى ظهور الإسلام في شمال الجزيرة العربية كانت، قبائل عربية نازحة من اليمن ...)[2] إذن فهناك علاقة قوية بين بدوية تلك المناطق وأعرابية عروبتها، بل ويؤكد أن تلك العشيرة الإبراهيمية كانت من ضمن تلك القبائل العربية التي هاجرت من جزيرة العرب، وليس التاريخ وحده هو من يقول ببدوية عشيرة إبراهيم وأحفاده – عليهم السلام – بل هذا القرآن يتحدث عن تلك البداوة وأعرابيتها .

القرآن الكريم وبداوة العشيرة الإبراهيمية :

وذلك حينما تحدث عن بدوية وأعرابية كل فصائل وعشائر نبي الله يعقوب – عليه السلام –، ومعلوم أن يعقوب هو حفيد إبراهيم – عليهما السلام – وإذا كانت الفروع بدوية أعرابية، فطبيعي أن يكون أصل تلك الأصول هو بدوي أعرابي، يقول الله تعالى : **{وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}**[3]

هذه آية قرآنية، وهناك الكثير مما يشير لمثل هذا وغيره، وسيأتي في أماكنه بإذن الله تعالى ... وبالعودة للآية السابقة : نرى أنها تشير إلى بدوية الفصائل اليعقوبية، إشارة صريحة .. وتشير أيضاً إلى بدوية كل المكان الذي كانت تسكنه كل تلك القبائل وفصائلها، فيوسف، حفيد يعقوب، حفيد إسحاق بن إبراهيم – عليهم جميعاً وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأزكى التسليم –، تراه يحمد الله تعالى، الذي لطف

---

(١) المفصل – جواد علي – ص ١/٦٤٨ .

(٢) تاريخ الساميات : ص ١٥٣ – ١٥٤ .

(٣) سورة يوسف، آية : (١٠٠) .

به في كل أموره، حتى إنه سبحانه، جاء – في الأخير – بأبويه وإخوته وقومه إليه بمصر من بدو (بادية) الشام – جنوب فلسطين – وإذا رجعنا إلى أمهات تفاسير القرآن الكريم، ترى أنها تجمع على أن ما ورد حول هذه الآية، وخصوصاً حول مدلول قوله تعالى : (وجاء بكم من البدو) تجده لا يخرج عن رأيين اثنين[١] ...

أول :أن المقصود بقوله تعالى : "من البدو" (أي من البادية) : (قال الواحدي :

"البدو .. هو بسيط من الأرض يظهر فيه الشخص من بعيد، وأصله : من بدا يبدو بدواً ...ثم سمى المكان باسم المصدر، فيقال :بدو وحضر ... وكان يعقوب وولده – عليه السلام – بأرض كنعان، أهل مواشي وبرية" ...

أما القول **الثاني** : فهو ما روي عن ابن عباس – رضي الله عنهما –، من أن "يعقوب – عليه السلام – كان قد تحول إلى (بدا)، وسكنها، ومنها قدم على يوسف عليهما السلام – بمصر، وله بها مسجد تحت جبلها"[٢] ...

هذا ملخص القولين اللذين وردا حول مدلول (من البدو) في الآية القرآنية السابقة، وفيه تلاحظ أن يعقوب – عليه السلام – قد جاء إلى ابنه يوسف – عليهما السلام – من البادية ... ومعلوم أن تلك البادية كانت بين فلسطين وطور سيناء، وأنها –أيضاً– كانت تسكنها مجموعة قبائل أعرابية عربية؛ وهذا يشير إلى أن بني يعقوب، كانوا من ضمن تلك القبائل الأعرابية، كقبيلة جذام، ولخم، ومجموعات قضاعة – التي سبقت الإشارة إليهم –، ومجموعات الأزد وقبلها معين وسبأ، وقبلهم الفينيقيون والكنعانيون ... بل إن التاريخ يؤكد على أن كل من كان له السكنى والتنقل في كل تلك البقاع كان عربياً . وإن كل تلك البقاع كانت لكل تلك القبائل وبطونها وفصائلها ... لدرجة أن من أخرج نبي الله يوسف بن يعقوب – عليهما السلام – من الجب – أي البئر – التي ألقي بها، في تلك البراري، كان رجلاً أعرابياً لخمياً من قبائل لخم المنتشرة في تلك البقاع؛ يقال له : مالك بن ذعر بن حجر بن

---

(١) تفسير الرازي : ٢١٤ – ١٨/٢١٥ ...ومثله الطبري والقرطبي، وجل التفاسير .

(٢) تفسير الرازي : ٢١٤ – ١/٢١٥ ومثله الطبري والقرطبي وغيرها من التفاسير .

جزيلة بن لخم[١] ... وهذا يعني تسيد القبائل الأعرابية – العربية – على تلك البقاع أرضاً، وإنساناً، ... ومن كل هذا نأخذ أن لفظة [البدو] في الآية القرآنية، مقصود بها بادية الأعراب (أي كل من كان يسكن في تلك البوادي) هم عرب – أعراب –، ... وهذا يؤيد القول الأول – السابق – لخصوصيته وعمومية الثاني ... وذلك لأسباب كثيرة؛ منها : ورود آية قرآنية أخرى، وردت في سورة قرآنية أخرى؛ فيها إشارة تؤكد مفهوم ما ذهب إليه أهل القول الأول؛ من أن البادية هي المكان البادي عما حوله، وأن الغالب على ساكنيه هم دائماً من الأعراب، وهي قوله تعالى : " يحسبون الأحزاب لم يذهبوا، وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب؛ يسألون عن أنبائكم، ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً "[٢] ... وإذا تأملت هذه الآية، تجدها تربط بين مدلول البادية، ومدلول الأعراب ربطاً قوياً، أي أن لفظة البادية إذا أطلقت فالمقصود أهل البادية، وهم الأعراب : (لو أنهم بادون في الأعراب)، أي أن البادية هي مكان الأعراب ليس إلا ... ولذلك تجد شراح الآية يقولون : [... إن المنافقين من عرب المدينة تمنوا أن يكونوا مع الأعراب الذين في البادية، وهم البدو، حذراً من القتل] وعلى هذا تكون البادية؛ هي مسكن البدو ... والبدو هم الأعراب ... ولذلك رأينا الشراح يقولون – عن قوله تعالى – في الآية السابقة : (وجاء بكم من البدو) ... بعد أن بينوا مداليل البدو والبادية، قالوا : (... إن نبي الله يعقوب – عليه السلام – وقومه كانوا أصحاب مواشي وبرية ... ومعلوم أن ما أشاروا إليه أمور، هي من أهم ما يتصف به سكان البادية ويتميزون به كذلك، وهي صفة رعي الماشية ومرافقتها الدائمة، بل هي رفيقهم الذي لا يستغنون عنه، نظراً لحاجتهم إليه في حياتهم، ... بل تجد أن ما أشاروا إليه يكاد يكون أمراً رئيسياً في بدايات حياة الأنبياء – عليهم أفضل السلام – ... ألم يرد – ما معناه – : (ما من نبي إلا وقد رعي الغنم ...) وهذه الإشارات كلها تؤكد حقيقة البداوة الأعرابية؛ لبني إسرائيل

---

(١) العقد الفريد : ٣/٤٠١، الطبري، جمهرة أنساب العرب، ابن حزم .

(٢) جامع أحكام القرآن – القرطبي – : ١٥٤-١٤/١٥٥ .

الحقيقيين، أي الذين كانوا ينتسبون لنبي الله إسرائيل – يعقوب – عليه السلام ... بل والتي اعترف بها كبار مؤرخيهم من أحبار ومستشرقين صـــراحة، كقـــولهم : "إن الطور الأول من تاريخ بني إسرائيل ينقسم إلى قسمين؛ هما : أ – عصر القضاة ... ٢ – وعصر الملوك . وأن في العصر الأول كانت السلطة في أيدي زعماء القبائـــل الذين عُرفوا باسم (شوفطيم) قضاة ... وكان بنو إسرائيل في هذا العصر في حالـــة بدوية، وكانت عصبيتهم فيه تتجه نحو القبيلة ..." (١) .

وإذا كان مؤرخوهم يؤكدون حالتهم البدوية ذات العصبية القبلية، التي ظلوا بها يعرفون إلى قبل الميلاد، أفلا يؤكد هذا كله أعرابيتهم، التي حدثنا بها تـــاريخهم القديم، الذي قال : " ... إنهم كانوا إذا أطلقوا كلمة عرب أو أعراب، فهم لا يقصدون من مدلولها ومفهومها إلا البداوة وأهلها الأعراب، وخصوصاً في توراتهم" ... فقــد ورد : [إن هذه اللفظة في العبرانية، وفي – لهجات – سامية أخرى كانـــت تحمـــل معنى البداوة والأعرابية ...، والجفاف والقفر ... وهذا يدل على أنها كانت في كـــل تلك اللغات – اللهجات – متقاربة في المعنى، الذي هو البداوة وحيـــاة الباديـــة (أي بمعنى أعراب) . وإذا رجعنا للمواضع التي وردت فيها كلمة (عربي وأعرابي) في التوراة؛ فسنجدها في سفر : [أشعيا] مثلاً : استعملت بمعنى بداوة أعرابية ... فقــد جاء فيه : " ولا يخيم هناك أعرابي، ولا حي من جهة بلاد العرب [في الوعر فـــي بلاد العرب، تبيتن يا قوافل الددانين فقصد بلفظة (عرب)، في الآية الأخيرة الباديـــة موطن العزلة والوحشة التي بين بلاد الشام والعراق؛ وهي مـــوطن الأعـــراب] (٢) ومن ذلك – أيضاً – ورود [كلمة : هاعرابة] في العبرانية، ويراد بها ما يقال لـــه : (ودي العربة) ... أي الوادي الممتد من البحر الميت أو من بحر الجليل إلى خلـــيج العقبـــة ... وتعني [هاعرابة] الجفاف والصحراء ... وقد أقامت في هـــذا الـــوادي قبائـــل بدوية شملتها لفظة عرب وأعراب ... وفي تقارب لفظة عـــرب وعرابـــة،

---

(١) تاريخ اللغات الساميات : ص ٨٣ .

(٢) المفصل – جواد علي – ١٨–١/١٩ .

وتقارب معناها، دلالة على الأصل المشترك للفظتين .. ويعد وادي العربه وطور سيناء في بلاد العرب ... وإذا كانت لفظة عرب وعرابة تشهد بأن الأصل مشترك بين كل تلك القبائل التي كانت تسكن وادي عربة وسيناء والقدس وكل فلسطين، إذن فالكل كانوا عرباً ... وهذا ما نطق به القرآن الكريم، وهو كلام الحق الذي لا يبدل (وجاء بكم من البدو ...) حتى توراتهم – كما رأينا – تقر بالبداوة الأعرابية، لكل تلك الأماكن ومن كان عليها من العرب والأعراب القادمين من جزيرة العرب ولا سيما جنوبها ... وبناءً على المفاهيم السابقة، سواء الديني منها أو التاريخ اللغوي أو التاريخ العام، تكون كل الفصائل الإسرائيلية، ومن يرتبط بهم؛ هم من أعراب بدو تلك البادية التي سبق ذكرها .

وإذا كانت عشيرة حفيد إبراهيم – عليه السلام – بدوية أعرابية؛ أفلا يكون الأصل لكل الفصائل وما تفرع عنها من أنبياء ورسل هم عرب ... بدليل : (أن كل الدعوات النبوية التي بدأتها دعوة إبراهيم، هي : سلالة لم يظهر لها نظير في غير الأمم العربية، ولا غير السامية، وقد ختمت بدعوة محمد – صلى الله عليه وسلم – والتي جاءت متتمة لها، إذ لا تفهم واحدة منها منفصلة عن سائرها؛ بترتيب كل منها في زمانها، وعلاقة كل منها بمكانها، فلا لبس فيها من جانب العصر، ولا من جانب البيئة؛ لأنها ارتبطت بظاهرة غير مكررة حول مدن القوافل التي اختصت بها بلاد الأمم العربية، وكانت بداءتها في زمانها وعلى ترتيب مكانتها الجغرافية، حيث نشأ الخليل إبراهيم – عليه السلام –، فهي نشأة لازمة في موقعها، وفي عصرها، والنشأة التي من هذا القبيل تواجه العلم بحقيقة ضرورية، فلا يشك فيها . ومن قرائن الثبوت أن هذه الدعوات النبوية نسبت إلى أصل واحد، هو السلالة السامية قبل أن يعرف الناس علم المقارنة بين اللغات، وقبل أن يعرفوا علامات الوحدة في التصريف والاشتقاق، وقواعد النحو وحركات النطق، وأجهزة الكلام، فلم يكن في وسع الذين قالوا بوحدة أصلها قبل مئات السنين، أن يخترعوا هذه النسبة لو لم تكن نسبة صحيحة لا تخترع ولا يسهل اختراعها. وعلم المقابلة بين الأديان، حديث كعلم المقابلة بين اللغات؛ فإذا جاء هذا العلم الحديث مطابقاً للأخبار الأولى عن ديانة القوم

في عصر إبراهيم – عليه السلام – فتلك قرينة ثبوت، وليست بقرينة شك، ومن خالف ذلك فهو لا يفرق بين الشك والثبوت ...)[١] .

وإذا كانت تلك السلالة النبوية قد بدأت بأب نبي، وختمت بدعوة حفيد لذلك النبي، ومعلوم عند كل الخلق، أن الحفيد الذي ختمت به دعوة ذلك النبي، هو عربي النسب والأرومة ... ومعلوم أيضاً – أن دعوة الحفيد، هي حلقة متسلسلة مترابطة حلقاتها إلى ذلك الأب النبي نسباً وعقيدة ... أفلا تكون الحلقة الأم، التي انشطرت منها كل تلك الحلقات، هي من جنس ما انشطر منها؟ ... ولا سيما وأن تلك الحلقة وكل ما تسلسل منها من حلقات دعوية : (قد اختصت بها بلاد الأمم العربية، ولم يظهر لها نظير في غير الأمم العربية ...)[٢]، وهذه الحقيقة التاريخية ليس فيها ما يجعلها قابلة لأي شك أو مراء، إذ هناك من البراهين التي تؤكدها وتثبت حقيقتها ... وإذا كنا قد أثبتنا عربية الحفيد إسرائيل من خلال الدين والتاريخ، فهو في حقيقته إثبات للأصل الذي تفرع منه ذلك الحفيد إسرائيل... وإذا كان كل شيء في الوجود يقول بثبوت عروبة حفيد الفرع الآخر – إسماعيل عليه السلام – إبن ذلك النبي الأصل لكلا الفرعين، أي الحفيد الذي ختمت به دعوة ذلك النبي الأصل، ... فالحقيقة تقول إن ذلك النبي – إبراهيم – عليه السلام – هو عربي ... وهذا الإثبات سنجده في مصدرين دينين لا يقبلان أي تردد في قبول ما جاء فيهما ... وهذان المصدران، هما : أ – القرآن الكريم ... ومعلوم أن القرآن الكريم؛ هو كلام الحق عزت قدرته أي أنه (لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد)، والثاني هو ما جاء في سنة ذلك الحفيد الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم –، والذي به ختمت تلك السلسلة الطاهرة، وما جاء في هذين المصدرين، يؤكد ويثبت حقيقة عروبة تلك السلسلة النسبية، وذلك لكونها حقيقة اصطفاء واختيار إلهية، لا تقبل شكاً أو مساومة ... فماذا جاء في هذين المصدرين؟ ...

---

(١) أبو الأنبياء – العقاد – ص ١٧٨ – ١٧٩ .

(٢) المرجع السابق .

- القرآن الكريم والنسب الإبراهيمي :

وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم فسنجد فيه كثيراً من الآيات القرآنية التي تؤكد حقيقة تلك السلسلة النبوية الطاهرة، ومنها على سبيل المثال قوله تعالى : { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ } (١) .

وقوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (٢) .

هاتان آيتان قرآنيتان، إذا وقفنا عندهما سنجد فيهما الكثير من الإشارات التي تشير إلى ما نحن بصدده، فإذا تأملنا – مثلاً – آية الحج، فسنجد أنها تشير إلى أبوة نبي الله إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – لجميع الأنبياء والرسل الذين جاءوا من بعده – عليهم السلام –، أبوة تؤكد حقيقة الرابطة النسبية بين كل حلقات تلك السلسلة النبوية الطاهرة؛ من لدن إبراهيم – الأب – إلى محمد صلى الله عليه وسلم، آخر الأحفاد الرؤساء ...فقوله تعالى : (ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل) أي أن المقصود من ذكره؛ هو التنبيه على أن هذه التكاليف والشرائع، هي شريعة إبراهيم – عليه السلام – والعرب الذين كانوا محبين لإبراهيم؛ لأنهم من أولاده؛ فكان التنبيه على ذلك، كالسبب لصيرورتهم منقادين لقبول هذا الدين(٣) . وإذا وقفنا قليلاً عند بعض دلالات ألفاظ هذه الآية – الحج – فسنجد أن إبراهيم – عليه السلام – كان أباً للعرب، وأنهم من ذريته ... ولرب قائل أن يقول هنا : إن مدلول لفظ الأبوة في الآية؛ ربما يكون مقصوده العموم، وإذا كان الأمر كذلك؛فيكون المقصود بالأبوة في الآية؛هو أبوة العقيدة، أي النسب في العقيدة، لا أبوة العنصر والدم؛ بدليل

---

(١) سورة الحج، آية (٧٨) .

(٢) سورة آل عمران، آية (٣٣-٣٤) .

(٣) تفسير الرازي : ٧٣ – ٢٣/٧٤ .

إشارة لفظة [ملة] الواردة في الآية القرآنية؟ وإجابة على ذلك نقول :ربما يكون ذلك صحيحاً –بل وقد ورد–، لو أن القرآن الكريم لم يحسم أمر تلك الحقيقة النسبية – في الدم – بقوله صراحة بعد إعلان اصطفائهم بقوله تعالى: (ذرية بعضها من بعض)؛ وماذا تعني البعضية؟!!! ... ألا تعني البعضية في الدم ... والجنس والعنصر ... بدليل أن القرآن الكريم نفسه يؤكد تلك البعضية الدموية في النسب، بما ورد على لسان إبراهيم نفسه، وابنه إسماعيل – عليهما السلام – الذي يعتبر بعضاً من إبراهيم باتفاق الجميع، بقوله تعالى : { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ، رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }[(1)] .

فإذا كان إبراهيم وابنه إسماعيل –عليهما السلام– يناجيان ربهما أن يجعل من [ذريتهما] أمة مسلمة له ... إذاً فإبراهيم ينص على أن مقصوده بلفظ [الذرية] التي طلبها من ربه أن يجعلها كذلك، إلا ليزيل ما قد يتوهمه البعض من قوله [ذريتنا] بلفظ العموم المدلول العقدي، أو أن المقصود بذلك أمة إسحاق، أو أمة حفيده يعقوب – عليهما السلام – ولذلك نراه يحدد مقصودة بتلك الذرية، من تلك الإشارات بقوله تعالى: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ }[(2)] .

وبتأمل هذه الآية الكريمة نجد الكثير من تلك الإشارات التي توحي بها بعض دلالات ألفاظها، مثل : من ذريتي – بواد غير ذي زرع – عند بيتك المحرم ...

فقوله : [من ذريتي] نص صريح، من نبي الله إبراهيم – عليه السلام – أن المقصود بدعوته في الآية، ليسوا كل ذريته، وإنما المقصود [من ذريتنا] أي بعضاً منها، لأن [من] في الآية، هي [من] الجارة، ومعلوم أن البعضية هي إحدى معانيها، كما هي في الآية ... ثم أخذ – عليه السلام – يوضح ويجلي من هو ذلك [البعض]،

---

(١) سورة البقرة : آية (١٢٧-١٢٩) .

(٢) سورة إبراهيم : آية (٣٧) .

فقال : هم أولئك الذين أسكنتهم! بذلك الوادي الأجرد من كل زرع أو نبات، ومعلوم أن المقصود به هو الوادي الذي تقع في بطحائه مكة المكرمة، بدليل قوله بعد ذلك : [عند بيتك المحرم ...] والبيت المحرم هو مكة، ومن وجد في مكة وكل ما حولها؛ هم العرب، باعتراف الجميع بذلك، ولا أحد ينازع في ذلك ... وعلى هذا كله يكون مقصود نبي الله إبراهيم وابنه إسماعيل – عليهما السلام – كذلك، لقولهما : [من ذريتي ... ومن ذريتنا ...]، أي هم أمة العرب ... وهذا ما ألمح إليه الكثير من المفسرين بقولهم عن قوله : [هو سماكم المسلمين] : [إن لكل نبي دعوة مستجابة .. وإن الله تعالى استجاب دعوة نبيه إبراهيم، : (ربنا وأجعلنا مسلمين لك، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) فاستجاب الله تعالى له هذه الدعوة وجعلها أمة محمد – صلى الله عليه وسلم –، أي أمة العرب ... بل قالوا إنه روى عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه أخبر عن إبراهيم – عليه السلام – أنه قال :سيبعث الله محمد بمثل ملته،وأنها ستسمى بالمسلمين) [(١)]، وعلى هذا يكون نبي الله إبراهيم عليه السلام، هو أب لأمة العرب في العنصر والدم، لأن من نزل عليهم القرآن الكريم، بفضل تلك الدعوة المستجابة، كانوا هم العرب، وأنه هو الذي سماهم بالمسلمين ... وإذا كانت الذرية عرباً، أفلا يكون الأب كذلك؟ وكيف لا يكون الأمر كذلك ... وهم: {ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [(٢)]... وهذا ما أكده – أيضاً – رسول الله صلى الله عليه وسلم بصورة جلية واضحة؛ : [ففي صحيح مسلم من حديث الأوزاعي عن شداد أبي عمار، عن واثلة بن الأسقع : أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، قال (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم : إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل، بني كنانه، ... واصطفى من بني كنانة قريشاً، ... واصطفى من قريش، بني هاشم ... واصطفاني من بني هاشم ...) ... وروى أبو القاسم بن عساكر من طريق أبي الحسن بن أبي الحديد، أخبرنا محمد بن أبي نصر عن عبد السلام بن محمد بن أحمد بن أبي الحديد، أخبرنا محمد بن أبي نصر عن عبد السلام بن محمد بن أحمد القرشي، حدثنا أبو حصين محمد بن إسماعيل بن محمد التميمي، حدثنا محمد بن عبد الله الزاهد الخرساني؛ حدثني إسحاق ابن إبراهيم بن سفيان، حدثنا سلام بن سليمان

---

(١) سورة : آية ( ) .

(٢) سورة آل عمران : آية (٣٤) .

أبو العباس المكفوف المدائني، حدثنا ورقاء بن عمر عن أبي نجيح، عن عطاء ومجاهد، عن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما –، قال : سألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم –؛ فقلت فداك أبي وأمي أين كنت وآدم في الجنة ... قال : فتبسم حتى بدت نواجذه، ثم قال : (كنت في صلبه ... وركب بي السفينة في صلب أبي نوح، وقذف بي في صلب أبي إبراهيم، ولم يلتق أبواي على سفاح قط، ولم يزل ينقلني من الإصلاب الحسيبة، إلى الأرحام الطاهرة، صفى مهدي، لا يتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما ... إلخ)[1]، هذه بعض أحاديث نبوية شريفة، وردت عن رسول الله – صلى اله عليه وسلم – وبتأملها نلاحظ أنها تنص على أبوة نبي الله إبراهيم لمحمد العربي – صلى الله عليه وسلم – أبوة في نسب العنصر والدم، وليس في النسب العقدي وحده؛ لأنها تنص على ذلك بمدلول [الصُلْب] : (وقذف بي في صُلْب أبي إبراهيم ...) ومعلوم أن مدلول الصلب إذا أطلق فلا يراد به إلا النسب في الجنس والدم . إذن فالذرية والصلب تؤكد أن النسب هو الجنسي ... وإذا كان قد ثبت أن المقصود من مدلول الذرية والصلب في الآية والحديث، هم أمة العرب، أفلا يكون من ذرٍّ هذه الذرية؛ هو من جنس ماذر؟!!! ... وكأني برسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد أوحي إليه من سيأتي يتشكك في ذلك؛ فراح يؤكد تلك الأبوة النسبية بألفاظ لا تحتمل أي تأويل في الدلالة على النسب في الدم والعنصر إضافة الأبوة العقدية إلى ، كما رأينا ذلك في النصين الآنفي الذكر، كما في دلالة الصلب في النصين، وهذا ما سبق أن أشار إليه الحق جل سناه في آيتي الحج وآل عمران ... وهنا قد يعترض آخر ويقول : ربما قد نوافقك على ما ذهبت إليه، إذا أنت قصرت أمر العروبة على أبناء إسماعيل ... فهل ينطبق ذلك على أبناء إسحاق ابن إبراهيم – عليهما السلام–؟...

وفي الرد نقول ببساطة : إذا كان الأصل للفرعين إسماعيل قد ثبتت عروبته ... فكيف يكون أحد هذين الفرعين : عربي – أي إسماعيل –، والآخر – إسحاق – غير ذلك؟ بل العقل يقول : إن ما قد ثبت للأصل واحد بفرعيه، يثبت كذلك للفرع الآخر؛ لكون أصل الجميع واحد ... وهذه هي الحقيقة التي خاطب بها محمد بن عبد

---

(١) البداية والنهاية – ابن كثير – : ٢٥٦ – ٢/٢٥٩ .

الله – حفيد إبراهيم – رسول الله صلى الله عليه وسلم – ذوي العقول والألباب ليلة أسري به – صلى الله عليه وسلم – فقد روي : [عن جابر بن عبد الله – رضي الله تعالى عنه – عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : (عرض علي الأنبياء؛ فإذا موسى – عليه السلام – رجل ضرب من الرجال كأنه من رجال شنوءة، فرأيت عيسى بن مريم – عليه السلام – فإذا هو أقرب من رأيت به شبيهاً عروة بن مسعود ... ورأيت إبراهيم – عليه السلام – فإذا هو أقرب من رأيت به شبيهاً صاحبكم ...) ... وعن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – قال : (قال النبي – صلى الله عليه وسلم – ليلة أسري به : لقيت : موسى ... قال فنعته؛ فإذا هو رجل حسبته – مصطرب – رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة ... قال ولقيت عيسى ... فنعته النبي – صلى الله عليه وسلم – : فقال : ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس؛ يعني الحمام – ... ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به ...) [(١)] .

هذان حديثان آخران مرويان عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفيهما تلاحظ تأكيدات أخرى من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على قضية تلك الحقيقة النسبية بينه وبين أبيه إبراهيم – عليه السلام – بل وبينه وبين بعض الأنبياء الذين سبقوه، وجميعهم كما ترى إلى النسب العربي الأصيل . ولذلك تلاحظ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقابل كل واحد ممن وجده من الأنبياء بشبهه الذي يقابله أو يماثله، ونلاحظ أن الشبيه والمماثل لا يخرج عن الجنس العربي، فموسى – عليه السلام – هو رجل أزدي، لأن [كأن]، هي الدلالة الجينية التي ربطته بذلك [كأنه من رجال شنوءة]، فإذا كان قد كان موسى – عليه السلام – في السفينة في صلب أبيه نوح – عليه السلام – فقد قذف به في إبراهيم – عليه السلام –، الذي قذف به في أزد فعمران ... إلخ ألم يكن محمد – صلى الله عليه وسلم – في صلب نوح، فإبراهيم – عليهما السلام – ومنه إلى كنانة فقريش، كذلك كان موسى – عليه السلام –، كذلك كان عيسى الذي لم يتنقل في الأصلاب، بل قذف به في رحم أمه مريم – عليهما السلام – قذفاً وطبعاً بدون مباشرة أب، ومعلوم أن مريم كانت من آل عمران، ولذلك تلاحظ أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، يربط جين خؤلته

---

(١) أبو الأنبياء – العقاد – نقلاً عن فتح الباري – : ص ٨١-٨٩ .

بالأرومة العربية مباشرة ألم يكن شبيهاً بعروة بن مسعود الثقفي؟ وثقيف هي من كبريات القبائل العربية شأنها شأن كنانة والأزد في العروبة، وحتى لا يظن أن عروبة موسى – عليه السلام – آتية إليه من ناحية أمة الأزدية، تجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يختم الحديث السابق بما يؤكد أن عروبة الجميع آتية أساساً من الأب إبراهيم – عليه السلام –، ولذلك يختم بقوله "وأنا أشبه الناس به" .. أو "هو أشبه بصاحبكم"؛ لأن عروبة محمد – صلى الله عليه وسلم – لا يختلف فيها أحد، وما دامت هي كذلك؛ فجينه آت إليه منه رأساً، ولذلك هو يشبهه، وما دام هو – أي محمد صلى الله عليه وسلم – عربي، فمن هو آت منه – إبراهيم – عربي كذلك، ومعلوم أن موسى – عليه السلام – آت من إبراهيم – عليه السلام –، وإبراهيم عربي، إذن فموسى – عليه السلام – عربي، من حيث الأبوة، كذلك هو عربي من ناحية الأمومة الأزدية ...وهذا كله : ألا يعني أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أراد أن يرسخ نسب أولئك الأنبياء – عليهم السلام – بالنسب العربي الأصيل؟ وإن كان ذلك منه كان بطريق غير مباشر، ولذلك راح يرسخ نسب كل نبي منهم عبر تلك القاعدة المتينة التي لا تقبل شكاً أو مراء عند كل ذي لب حكيم، وأمين منصف، إنها قاعدة الشبه والشبيه ... تلك القاعدة التي يدعمها العلم، ويرسخها الدين الإسلامي الحنيف ... فهذا موسى – عليه السلام – يوصل رسول الله – صلى اله عليه وسلم – نسبه العربي بإحدى كبريات قبائل عرب جنوب جزيرة العرب، الأزد ... كذلك نبي الله عيسى – عليه السلام –، فيوصله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بنسب زعيم قبيلة لا يماري في عروبتها ومكانتها الكبيرة في وسط جزيرة العرب، أحد، ألا يشبه عروة بن مسعود الثقفي، القبيلة ثقيف التي كانت تعد حلقة وصل بين جنوب الجزيرة وشمالها، أما أبو الجميع فكأنه ابنه وحفيده؛ محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ... دقة إعجازية عظيمة ... موسى وعيسى؛ أكبر أنبياء بني إسرائيل، ولذلك تلاحظ –رسول الله– يوصل نسبيهما عن طريق أميهما ذاتا النسب العربي العريق، أما عروبتهما أبوةً فثابتة لهما لثبوتها أصلاً لأبيهما إبراهيم – عليه السلام– لشبه ابنه محمد – صلى الله عليه وسلم –، ما أعظمها من دقة في البرهنة والتدليل لمن أراد أن يقتنع ويفهم ... ألا تعني الإشارة إلى تلك القبيلتين العربيتين برهاناً على عروبة ذلكما الفرعين والأصل الذي جاءا منه؟ ألا تكون كافية لنفي أي نسب لهم غير النسب العربي لذلك الأصل ... بدليل ربط

فروعه بأصول عربية، وتأكيدها بربط فرعه الآخر المجمع على عروبته أباً وأماً؟؟؟..

قاعدة الشبه في النسب بين ترسيخ الشرع ودعم العلم :

... ولرب قائل – هنا – أن يقول ليس لك فيما أوردته من دليل تعتمد عليه في دعواك سوى إشارة [الشبه] الواردة في الحديثين السابقين – على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم – ... وفي الرد على هذا وأمثاله نقول : إن موضوع [الشبه]، الذي اعتمدناه كدليل لما ذهبنا إليه ... هو في الحقيقة من الأدلة القوية التي يتخذها العرف في قضايا النسب، ومعلوم أن العرف يعد من مصادر التشريع الإسلامي المعمول بها، والتي هي [القرآن، السنة، الإجماع، القياس، ثم العرف] . بل هو قاعدة أصيلة في علم الفراسة... والتشريع القبلي قبل الإسلام ... ثم في علم الأجنة والوراثة في العلم الحديث ... ولو لم يكن كذلك لما رأينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ينص عليه في أكثر من نص من أحاديثه – عليه أزكى الصلاة وأفضل التسليم – كالنصوص التي سبقت وما سيأتي – بإذن الله تعالى – ... بل رأيناه يعمل به عملياً كما في قضية أسامة وانتسابه لأبيه زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنهما – كما سيأتي بإذن الله تعالى – ... ثم إن الذي قال بالشبه في النصين السابقين ... هو نفسه الذي جعله قاعدة أصيلة في التشريع الإسلامي ... وذلك حينما أعلن تلك القاعدة التشريعية لتكون تقريراً وحكماً تسكت كل من يحاول أن يتشدق بما لا يعرف ... فقد روى البخاري في صحيحة : [قال حدثنا مسدَّد، حدثنا يحي عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة، عن أم سلمة : " أن أم سليم قالت : يا رسول : إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة الغُسل إذا احتلمت؟ قال : نعم، إذا رأت الماء، فضحكت أم سلمة، فقالت: تحتلم المرأة؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : فيما يشبه الولد؟ ...) [1] وجاء – أيضاً – قوله : [حدثنا محمد بن سلام، أخبرنا الفزازي، عن حميد، عن أنس رضي الله تعالى عنه : (قال : بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي – صلى الله عليه وسلم – المدينة، فأتاه، فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، قال : ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام

---

(١) فتح الباري : ٤١٧ – ٦/٤١٨ .

يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال : رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : خبرني بهن آنفا جبريل – عليه السلام –، قال، فقال عبد الله : ذاك عدو اليهود من الملائكة ... فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : أما أول أشراط الساعة : فنار تحشر من المشرق إلى المغرب ... وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت .. وأما الشبه في الولد : فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له : . وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها ... قال أشهد أنك رسول الله ...)[١] .

إذن فرسول الله – صلى الله عليه وسلم –، يؤكد في رده على سائله قاعدة الشبه في التشريع الإسلامي، بل وينص صراحة على أنه –الشبه– دليل شرعي، به يقر للمولود بحق النسب إذا وجدت في هذا المولود ملامح وعلامات مشتركة، ومعلومة لدى علماء الفراسة والأنساب، إذا وجدت بين الذريات وآبائهم – الشبه والشبيه – يصبح ذلك الإقرار الديني حكماً شرعياً يعمل به، وهذا الإقرار الشرعي في حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم –؛ لم يبق نظرياً عند القول التوجيهي، بل وجدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يطبق ذلك عملياً في قضايا كثيرة حصلت في زمنه – صلى الله عليه وسلم – . فهذا زيد بن حارثة يجد في نفسه شيئاً من لون ابنه أسامة ... فأدرك منه ذلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فاستدعى رجلاً من بني مدلج – في قصة معروفة لدى علماء الحديث والأنساب – ... وبها ثبت نسب أسامة بأبيه زيد رضي الله تعالى عنهما، ولم يجد في نفسه شيء مما كان يجده قبل ذلك ... وليس هذا فقط، بل رأيناه – صلى الله عليه وسلم – يفصل ذلك مع الأعرابي الذي سأله عن ناقته التي وجدها سوداء اللون بين إبله، فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم لعل عرقاً نزعها ... إذن فهو قانون عملي في التشريع الإسلامي، لذلك نجد القرآن الكريم يرسخه، ويعلنه قانوناً قرآنياً: {فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ} [٢] ... قال الأمام مجاهد رضي الله تعالى عنه عن هذه الآية [فقوله : (في أي صورة]، أي في أي شبه من أب أو أم، أو عم أو خال، أو غيرهم)[٣] ... وهنا تتجلى عظمة الحكمة ودقة الإعجاز في الأحاديث النبوية – على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم – ... في الأنساب المشتركة بين محمد –

---

(١) فتح الباري ٤١٧ – ٦/٤١٨ .

(٢) سورة الانفطار : آية (٨) .

(٣) تفسير جامع أحكام القرآن – القرطبي – ١٩/٢٤٧ .

صلى الله عليه وسلم -، وأبيه إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -، وذلك بإرجاع نسب الابن [محمد] مباشرة بالأب إبراهيم : [وأنا أشبه ولده به] ...وبهذه الجملة القصيرة أثبت لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حقائق كثيرة منها : أن إبراهيم هو عربي، وليس له نسب غير العروبة؛ لأنه محمد -صلى الله عليه وسلم- هو أحد أولاده، بل وأقواهم وأشهدهم شبهاً، والشبه برهان عقلي، ودليل شرعي، لذلك رأينا القرآن الكريم يؤكد ذلك بقوله تعالى - في أكثر آية كما سبق - كقوله : [ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ...] وبهذا كله يتأكد ما أشار إليه الحديث الشريف - على صاحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم - من حيث قوة الشبه وتأكيده لتلك الحقيقة النسبية العربية - بين نبي الله إبراهيم، وجميع أحفاده من الأنبياء والرسل - عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأزكى التسليم -، ... مصداقاً لقوله تعالى : [ذرية بعضها من بعض] ... ومعلوم أن المقصود بالذرية - كما سبق - هم ذرية من اصطفوا من جميع الخلق لتكون الذريات عن طريقهم؛ وهم المشار إليهم بقوله تعالى : [إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ] (١) ... أي أن ذرية هؤلاء المصطفين؛ هي أيضاً الذرية المصطفاة - أي الذرية المباشرة للمصطفين، لا كلهم المختارة للنبوة والكتاب، كما نص على ذلك القرآن الكريم نفسه بقوله تعالى : {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ } (٢) ... وإذا كانت الذرية واحدة، لكون بعضها من بعض ... وكذلك النبوة والكتاب كلها تشير إلى وحدة الرسالة ... وإذا كانت الوحدة هي الرابطة القوية في الكتب والرسالة، أفلا تكون الوحدة أيضاً هي الرابطة القوية في وحدة الرابطة النسبية بين الجميع؟ لأن شجرة الرسالة واحدة ... ومعلوم؛ أن وحدة الذرية، تدل على وحدة الأب، وإذا ثبت لدى الجميع أن واحداً من تلك الذرية المنتقاة؛ هو عربي في نسبه، أفلا يكون أبو تلك الذرية عربي النسب، كما كانت ذريته، بدليل أن جميع تلك الذرية كانوا إخوة لأب واحد، وإن اختلفت أمهاتهم؛ فذلك لا يقدح في عروبة نسبهم، لكون تلك الأمهات كن جميعاً عربيات الأصول - كما سبق ذلك - . أما قضية أخوتهم فأمر قد نص عليه، أحد تلك الذرية الطاهرة المصطفاة، ذو العروبة الثابتة بقوله - صلى الله عليه وسلم - : (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا

---

(١) آل عمران، آية (٣٣) .

(٢) سورة الحديد، آية (٢٦) .

والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد)[1] ... وهنا تلاحظ أن رسول الله – صلي الله عليه وسلم – ينص على أن جميع الأنبياء الذين جاءوا من بعد إبراهيم – عليهم الصلاة والسلام – كانوا إخوة لأب واحد، وإن كانت أمهاتهم مختلفات القبائل، وأن ذلك لا يؤثر على وحدة نسبهم؛ لأن القبائل اللاتي تعود إليهن أمهات أولئك الإخوة، يتحدن – أيضاً – في شبههن مع نسب الأب الواحد لهم – كما سبق – لأن الجميع تجمعهم شجرة، هي وحدة العروبة، كما أن شرائعهم مختلفة، وتجمعهم عقيدة واحدة وهي عقيدة التوحيد ... ولذلك يقول الشارح – ابن حجر – معلقاً على النص السابق الذكر، بقوله : (... والأنبياء – هم – إخوة لعلات – والعلات : بفتح المهملة : هن الضرائر ... وأصله من تزوج امرأة، ثم تزوج أخرى ... فكأنه عل منها . والعلل : هو الشرب بعد الشرب ... وأولاد العلات : هم الأخوة من الأب ... وأمهاتهم شتى ... وقد بينه في رواية عبد الرحمن، فقال : (أمهاتهم شتى ودينهم واحد ...) وهو من باب التفسير، كقوله تعالى : (إن الإنسان خلق هلوعاً؛ إذا مسه الشر جزوعاً، وإذا مسه الخير منوعاً ...) وليس هذا فحسب؛ بل هذا عمر بن عبد البر ينص على هذه الحقيقة في كتابة الاستيعاب في أثناء ترجمته لسلمة العنزي – الذي – قدم على رسول الله – صلى الله عليه وسلم، فأسلم وانتسب إلى عنزة، فقال : رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : نعم الحي عنزة مبغي عليهم، منصورون قوم شعيب، وأختان موسى ... فلو صح هذا لدل على أن شعيباً من موسى، وأنه من قبيلة العرب العاربة، يقال لهم عنزة، لا أنهم من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ... فإن هؤلاء بعده بدهر طويل، والله تعالى أعلم[2]، وعند هذا النص الديني التاريخي نقف وذلك لما فيه من إشارات كثيرة، تدور حول إثبات عروبة نبي الله موسى – عليه الصلاة والسلام –؛ فهو من شعيب – عليه الصلاة والسلام – وشعيب وقومه هم أختان موسى – أصهاره – وأرحامه، وشعيب قومه

---

(١) شرح الباري بشرح الباري : ٥٥٠ – ٦/٥٥١ .

(٢) فتح الباري – ابن حجر ٦/٥٦٤ .

مدين ومدين من قبيلة عربية، من العرب العاربة، وهذا إيحاء يؤكد عروبة نبـــي الله موسى – عليه الصلاة والسلام – ... وهذا ما أراد قوله ابن عبد البر، وإن كان ألمح إليه لمحاً، وذلك بقوله : (فلو صح هذا لدل على أن شعيباً من موسى، وأنه من قبيلة عربية من العرب العاربة ... إلخ . وهناك أمر آخر، وهو إصهار موسى إلى شعيب وقومه، وهم عرب، أفلا يؤكد هذا على إصرار تلك السلالة على إبقاء ذريتها واحدة أباً وأماً ... وهذا ما أكده التاريخ على : [أن أهل مدين – قوم شعيب – كانوا قوماً عرباً يسكنون مدينتهم مدين، التي هي قريبة من أرض معان ...] [1] لأن قبيلة عنزة ينص التاريخ على أنهم من بني مدين بن مدان بن إبراهيم الخليل – عليـــه الـــصلاة والسلام – ... وهذا يعني أن تلك السلسلة محافظة على نسبها الواحد الطاهر، والآتي من نبي الله إبراهيم الخليل – عليه السلام – ولهذا قالوا : (... أما ديانات الأنبيـــاء فلا وجود لها في غير السلالة العربيـــة ... لأن الحد الفاصل بين النبوة والكهانة في السلالة العربية مرســـوم، أو كأنه مرسوم، فكان الأنبياء هم أول من تولى أمر الدين في أمم السلالـــة العربية ...) [2] .

وهذه الحقيقة يؤكدها، تتبع مبتدأها وخطوط سيرها، وأماكن توقفها ... ولـــو رجعنا لوقائع التاريخ لوجدناه يرسم لنا تلك الخطوط وبداية منطلقها ومنتهاه، ومعلوم أن الكثير من مصادر التاريخ وحقائقه قد أخفى جلها لأهداف وأغراض يعرفها الكثير من المعنيين والمنصفين ... وسوف نشير إلى شيء من ذلك في مكانه – بـــإذن الله تعالى – ...

تحديد مكان انطلاق الدعوات السماوية ودلالته على عروبة الأنبياء والرسل:

أما الحديث عن بداية انطلاق الدعوات السماوية ... فربما تكون بداية انطلاقها كان ببداية أبي البشر آدم – عليه السلام – وهنا قد يعترض الكثير على هذا الربط، على

---

(١) البداية والنهاية – ابن الاثير – : ص ١/١٨٥ .

(٢) أبو الأنبياء – العقاد – ص ١٥٦ – ١٥٧ .

أساس قاعدة [أول الرسل : نوح – عليه السلام – ... والرد على هذا يسير، إذ إن آدم – عليه السلام – كان هو الخليفة الأول في الأرض : [إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } [1]، وأول أولويات هذه الخلافة وأسسها؛ هو إعلان أن لا معبود في الوجود كله إلا الله وحده، وإذا كان الأمر كذلك؛ فعلى هذا الخليفة –أيضاً– أن يخصص ويحدد مكاناً يكون رمزاً لعبادة من استخلفه بأمره – سبحانه وتعالى –، وقد فعل – عليه السلام – وليس أمامنا لتحديد موقع ذلك المكان –البيت– من مصدر يطمئن إليه في الأرض كلها، إلا مصدران اثنان فقط، وهما : القرآن الكريم ... وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ... أما القرآن فقد ورد فيه الكثير من الآيات التي تحدد وتشير إلى ذلك المكان والرمز الذي وضع فيه منها الصريح، ومنها المشير، ... كقوله تعالى : {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [2] وقوله تعالى: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} [3] ... أما حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ... فكثير جداً جداً منه (ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي ذر – رضي الله تعالى عنه – قال : سألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن أول مسجد وضع في الأرض؟ (قال : المسجد الحرام، قلت : ثم أي؟ قال المسجد الأقصى ... قلت ما بينهما؟ : قال أربعون عاماً ... ثم الأرض لك مسجداً، فحيثما أدركتك الصلاة فصل ...

---

(١) سورة البقرة، آية : (٣٠) .

(٢) سورة آل عمران، آية : (٩٦ – ٩٧) .

(٣) سورة إبراهيم، آية : (٣٧) .

قال مجاهد وقتادة : [لم يوضع قبله بيت] [١] .

وعند هذه النصوص نقف، وبتأملها نجد أنها تشير إشارات صريحة إلى أن أول بيت وضع رمزاً لعبادة الله تعالى، في الأرض كان في مكة ... وهذا يحدد لنا أن أول مكان انطلقت منه الدعوات السماوية لعبادة الله تعالى وحده ... وهو كما ورد في النصوص السابقة، مكة المكرمة، ومكة المكرمة هي في قلب وسط جزيرة بلاد العرب ... ولذلك رأينا أن كل المواقع التي انطلقت منها الدعوات إلى الله تعالى وحده ... لم تبعد كثيراً عن الموقع الأول لمنطلق الدعوة الأم ... إذ كانت كلها : إما من جنوبها كان منطلقها، كهود – عليه السلام – ومن بعده ... وإما من شمالها حسب الظروف المواتية لها ... لذلك قالوا إن : [ممن طغا وعتا على الله عز وجل بعد نوح، فأرسل الله إليهم رسولاً فكذبوه وتمادوا في غيهم، فأهلكهم الله عز وجل، هما ذلكما الحيان ... من إرم بن سام بن نوح – عليه السلام – أحداهما : هو عاد بن عوص بن إرم ... وهي عاد الأولى ... والثاني : هو ثمود بن جاثر بن إرم ... وهم – جميعاً – كانوا العرب العاربة[٢]، ولم يكن فيما بين نوح وإبراهيم –عليه السلام– من نبي قبل إبراهيم إلا هود وصالح – عليهما السلام–[٣] ومعلوم أن منطلق دعوة نبي الله هود كان جنوب بيت مكة المكرمة – جنوب جزيرة العرب – ... أما دعوة نبي الله صالح – عليه السلام – فقد كانت شمال بيت مكة المكرمة أيضاً ... ثم تواصلت رحلات الدعوة شمالاً مبتدأة مشوارها في هذه المرة من مدينة [أور] العراقية، وهي الدعوة النبوية – الأم الثانية – لكل الدعوات التي تلت بعدها، كما كان صاحبها إبراهيم – الأب – لذريته الأنبياء لكل الدعوات بعد ذلك ... والتي لم يكن لها نظير في غير هذه البقاع من أوطان الأمم العربية الأولى ... ولكن لم يكن هذا

---

(١) جامع أحكام القرآن – القرطبي – ٤/١٣٧ .

(٢) الطبري : ١/٢١٦

(٣) الطبري : ١/٢٣٤ .

المنطلق لهذه الدعوة إلا منطلقاً مؤقتاً غير مستقر لتواصل رحلتها المتنقلة إلى الغرب والجنوب الغربي إلى فلسطين، لتظل هناك – ما شاء الله – لها أن تظل، لتعود – بعد ذلك – إلى بقعة بلادها الأولى – مكة – في حياة الأب والابن إسماعيل – عليهما السلام – ثم لتعود مرة أخرى شمالاً مع بعض الأحفاد ليستقر أمرها أخيراً في موطنها الأول – مكة – على يد خاتم تلك الذرية الطاهرة، محمد – صلى الله عليه وسلم – ... وهنا تلاحظ أن دعوة التوحيد لله تعالى، بدأت بأب عربي، وختمت بابن عربي – عليهما السلام – وتلاحظ – أيضاً – أنها حينما بدأت بعيداً عن مركزها الأول في مكة لم تنس ارتباطها بأمها، لذلك تجدها تؤكد قوة هذا الارتباط، وهي وإن كانت في الشمال إلا أنها جزء لا يمكن فصله عن أمه الكبرى، وهذا التوكيد يتجلى واضحاً في رحلة نبيها إليها – مكة – مؤكداً ذلك الارتباط الأزلي بأعظم شيء في حياته، شيء جاءه بعد لأي وكبر : (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ...) ربط نفيس بنفيس ... ربط عقدي؛ برباط نسبي ... ربط الشمال الذي انطلقت منه دعوة إبراهيم – عليه السلام – بالجنوب – المنطلق الأول والأخير للدعوة الكبرى، وما سيتفرع منها من دعوات بعدت أو قربت حسب ظروف نشأتها في المكان الذي تنشأ فيه، إلا أنها جميعاً جزء من الأم الكبرى في مكة، والتي سيكون منها الانطلاق المسك كما كان الانطلاق البدء والختامي؛ الذي أكد أن الجميع من هنا بدأ، وإلى هنا سيعود؛ لذلك رأينا الابن الختامي لتلك الذرية يؤكد هذا الربط العقدي والنسبي؛ فهو –صلى الله عليه وسلم–؛ يبدأ دعوته بربط الجنوب بالشمال؛ كما فعل أبوه الأول – إبراهيم عليه السلام – حينما بدأ دعوته بربط الشمال بالجنوب ... وهذان الرابطان : الأول والختامي بين الشمال والجنوب، يؤكد حقيقتها القرآن الكريم، تأكيداً قوياً واضحاً في حالتيه ... وقد سبق أن أوردنا الآية القرآنية التي تشير إلى الربط في زمن الأب وهو قوله تعالى : (ربنا إني أسكنت من ذريتي ...) ... أما الربط الختام؛ فقوله تعالى : {**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ**

الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ، ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا } [١] .

وهنا تتجلى حقيقة الربط واضحة؛ فهي حينما انطلقت – أي الدعوة – من الشمال لم تنس نسبها وارتباطها بالجنوب ... وحينما عادت لتشرق من وطنها – الأول – وتشع على الدنيا بعد غياب طال زمنه؛ لم تنس – أيضاً – شمالها، لتأكد بذلك أنها جميعاً – : [... سلالة لم يظهر لها نظير في غير الأمم العربية... وقد بدأت بدعوة إبراهيم – الأب – وختمت بدعوة محمد – الابن –، التي جاءت متممة لها؛ فلا تفهم واحدة منها منفصلة عن سائرها، بترتيب كل منها في زمانها، وعلاقة كل منها بكيانها، فلا لبس فيها من جانب العصر ولا من جانب البيئة ... دعوات لم تظهر في العالم كله، في غير هذا النسق؛ لأنها ارتبطت بظاهرة غير متكررة حول مدن القوافل التي اختصت بها بلاد الأمم العربية ...) [٢] .

وإذا كان الدين والتاريخ يؤكد أن دعوات سلالة هذه الذرية قد توالت بين شمال جزيرة العرب وجنوبها عبر امتداد الهلال الخصيب، وفي هذا غاية التأكيد على حقيقة الشبه في الدين والدم، وإلا ما الدوافع التي تدفع برجل قارب المائة عام من عمره أن يرهن بأغلى ثمرة في حياته بواد غير ذي زرع بدون خوف منه أو وجل، بل لماذا اختار إبراهيم – عليه السلام – الأب وجهة الجنوب، وخصوصاً، تلك البقعة الجرداء التي يمم نحوها – أرض الحجاز–، ويترك كل أراضي الهلال الخصيب ذات الجنان والمياه العذبة، والظلال الوارفة؟، أليس ذلك إلا تتمة للسيرة التي لا بد منها في حياة نبي ينتمي إليه – سائر الأنبياء، وإلا لكان نسبة الدعوة إليه من أعجب الأمور ... ولم يكن إبراهيم وحده هو من سلك إلى وجهة الحجاز، بل هناك هود وصالح – عليهما جميعاً أفضل السلام – قبله قد سلكوا إلى تلك البقعة

---

(١) سورة الإسراء، آية: (١–٣) .

(٢) أبو الأنبياء – العقاد – : ص ١٧٨ –١٧٩ .

أرض الحجاز، التي يؤكد اختيارها من قبل الجميع قوة الرابطة النسبية في الدم اللسان بين جميع سلالة تلك الذرية المصطفاة؛ التي غمض على المؤرخين الكثير من أمورها منذ الأب الأول لها، وإذا جئت تفتش عن أهم أسباب ذلك، فستجد من الأسباب الكثير، وإن كان هناك سبب يعتبر من أهمها، وهو أمر التلاعب بقضايا التاريخ بشتى فروعه .

حقائق التاريخ بين التجني والسكوت :

وذلك الأمر، هو أمر السكوت التاريخي عن تلك القضايا وإخفائها، ولذلك وجدنا من يجعل أمر السكوت من أهم مصادره ومراجعه في إثبات الكثير من تلك القضايا التاريخية، لأن السكوت المعتمد عندهم يدل على الكثير، بل ربما : (... كان في ميزان الصدق أدل من الكلام الذي يتعرض للتورية والمحال . فإذا علمنا من بعض التواريخ أنها تسكت عمداً عن بعض الأمور، فقد علمنا شيئاً صحيحاً، بين لنا تلك الأمور المسكوت عنها، وبخاصة حين نعلم سبب السكوت لقد سكتت مصادر اليهود عن حالة العرب الدينية كل السكوت ... وترجع هذه المصادر إلى القرن السابع قبل الميلاد ... وقد تعمدت هذه المصادر أن تخرج أبناء إسماعيل من حقوق الوعد الذي تلقاه إبراهيم من الله، وقالت إن هذا إنما هو حق لأبناء إبراهيم من سلالة إسحاق .

إن انتساب العرب إلى إسماعيل قد كان تاريخياً مقرراً لا سبيل إلى إنكاره عند كتابة المصادر اليهودية التي حصرت النعمة الموعودة في أبناء إسحاق .

ولو لم يكن انتساب العرب إلى إسماعيل بن إبراهيم تاريخياً مقرراً في ذلك العصر – عصر كتابة المصادر اليهودية الأولى – لما كانت بهم حاجة إلى التمييز بين أبناء إسحاق وأبناء إسماعيل، إذ كان يكفي أن يقال إن النعمة الموعودة من نصيب أبناء إبراهيم عامة، ليخرج من هذا الوعد من لم يكن من اليهود الذين لا ينازعهم أحد في الانتساب إلى إبراهيم .

لكن انتساب العرب إلى إبراهيم كان تاريخا مقررا كما هو واضح مما تقدم، فلم يكن في الوسع إنكاره، ولم يكن ثمة مناص من التفرقة بين أبناء إبراهيم من سلالة إسماعيل، وأبناء إبراهيم من سلالة إسحاق .

وأكثر من ذلك أن كهان اليهود كانوا يحسون من العرب منافسة دينية، فضلا عن المنافسة الدنيوية، فلو لم يكن للعرب حياة دينية يخشى الكهان منافستها لكان يكفيهم أن وعد إبراهيم في أبنائه المؤمنين دون أبنائه الوثنيين الذين لا يعرفون الله الواحد الأحد، فيخرج العرب بهذا الاستثناء من وراثة إبراهيم الروحية ولا تدعو الحاجة إلى أكثر من ذلك الاستثناء ...

ولا شيء غير خطر المنافسة في النسب، والمنافسة في العقيدة الدينية يلجأ الكهان إلى حصر النعمة الموعودة في أبناء إسحاق دون بقية أبناء إبراهيم ...

ولقد لوحظ أن الكهان يوارون النسب شيئاً فشيئاً كلما أحسوا بخطر المنافسة على سلطانهم وسلطان هيكلهم على الخصوص . فخصصوا أبناء يعقوب بعد أن كان الوعد عاماً شاملاً لأبناء إسحاق أجمعين ... وقالوا إن الإسرائيليين هم أبناء يعقوب دون غيره، وإسرائيل هو لقب يعقوب .

فاستثناء أبناء إسماعيل لم يحصل عبثاً منذ القرن السابع قبل الميلاد على الأقل، ولابد من منافسة دينية، ودنيوية دعت إلى هذا الاستثناء، وإلى السكوت عن الحالة الدينية التي يخشى منها المنافسة ويشعر بها الكهان .

ومهما يكن أمر هذا التاريخ المسكوت عنه فوجود النسبة إلى إسماعيل قد يتم، لم تكن فيه حيلة لليهود ولا للعرب .

ولو كان في وسع اليهود أن يحتكروا النسب إلى إبراهيم لما ذكروا شيئاً عن نسبة غيرهم إليه ... فالانتساب إلى إبراهيم لم يكن مسألة اختراع واختيار، ولكنه كان مسألة تاريخ مقرر لابد من البحث فيه على هذا الأسلوب، ومن هنا قيمته التاريخية التي نضيفها إلى الأسانيد القوية في سيرة الخليل .

ويقضي استقصاء البحث في الأخبار المسكوت عنها أن تشير هنا إلى المراجع التي ذكرتها كتب العهد القديم، ولم يبق لها أثر بين هذه الكتب، ولا بين غيرها من المراجع الإسرائيلية .

فليست الكتب التي ضمت إلى العهد القديم هي كل كتب التوراة المعترف بها؛ لأن الكتب التي جرى الاستشهاد بها على ألسنة الأنبياء من بني إسرائيل، لم توجد كلها بين أسفار التوراة، كما هو واضح من الشواهد الكثيرة التي نلم ببعضها في هذا السياق، ففي ختام كتاب الأيام الأول يقول الكاتب : " وأمور داود الملك الأولى والأخيرة، هي مكتوبة في سفر أخبار صموئيل الرائي، وأخبار ناثان النبي وأخبار إسرائيل، وأخبار جاد الرائي، مع كل ملكه وجبروته، والأوقات التي عبرت عليه وعلى إسرائيل، وعلى كل ممالك الأرض " فهناك، على هذا – كتب تاريخية لم توضع بين كتب العهد القديم؛ لأن كتاب صمئويل موجود بينهما، ولا يوجد بينهما للنبي ناثان، ولا للرائي جاد ...) [1] انتهى النص ... ومن خلاله تلاحظ أن أحبار التوراة ومؤرخيها من الصهاينة وتلاميذهم عبر العصور، قد لعبوا لعبات خطيرة في تسجيل حقائق التاريخ؛ فهم لم يكتفوا بما حرفوه وشوهوه، بل راحوا يعملون على طمس وإخفاء الكثير من مصادر التاريخ ومراجعه، والتي إن أُظهِرت لكان للسجل التاريخي أمر آخر غير ما هو عليه؛ فمن تلك الحقائق التي أخفوا مراجعها ومصادرها، حقيقة النسب العربي لنبي الله إبراهيم – عليه السلام –، وكل ما يتعلق بأمر تلك السلالة الإبراهيمية؛ الذين راحوا – اليهود – يتلاعبون بأنسابهما، بل ومحاولاتهم الدؤوبة لقطع أي صلة لهم، أو لأبيهم – إبراهيم عليه السلام – بالنسب العربي كما سبق – .

وهنا قد تثار بعض الاستفسارات، والتي – ربما – قد يكون في إجاباتها جلاء وتوضيح أكثر مما سبق، مثل – إذا كانت تلك السلالة الإبراهيمية عربية النسب ... فهل كانت دعوات الأنبياء – من تلك السلالة – كانت في أقوام عرب؟

---

(١) أبو الأنبياء – العقاد – ص ١١٧ – ١٢٢ باختصار

وهل كانت ألسنة المخاطبين هي نفسها ألسنة المخاطبين؟ أو كان هناك مفهوماً آخر للعربية في تلك الأيام؟ وما هي اللهجات التي اشتملت عليها تلك اللغة؟ وما هو اللسان الذي خاطب الله تعالى، به نبيه إبراهيم – عليه السلام –؟ وغير ذلك.

وهذه الاستفسارات تدعونا للحديث عن الفترة التي ظهر فيها نبي الله إبراهيم – عليه السلام –، بدعوته، وكذلك الأقوام الذين ظهر فيهم .

العربية وعصر إبراهيم :

إن العصر الذي ظهر فيه نبي الله إبراهيم – عليه السلام –، هو كما يقول : "معظم المنقبين الذين يعينون تاريخ إبراهيم – عليه السلام –، وأنه كان في زمن متوسط بين أوائل القرن الثامن عشر، أو أواخر القرن التاسع عشر قبل الميلاد، ويجعلونه معاصراً لدولة الرعاة في مصر ودولة العموريين في العراق، وولادة الخليل في هذه الفترة ترجحها الكشوف والأحافير، كما ترجحها النتائج التي تمثلت في سيرته – عليه السلام –، وكلها دلائل على تنازع السيطرة وتنازع العقائد واضطراب الأمور، والاضطرار إلى الرحلة الدائمة من [أور] إلى فلسطين، وإلى مصر، وإلى بيت المقدس ثم صحراء جنوب جزيرة العرب ... وربما صح أنه عاصر حمورابي، أو كان في عصر قريب من عصره ... ولكن الأحوال لم تتغير قبل عصر حمورابي، بعد ولايته بسنوات، فهي أحوال الدولة المتبدلة المتقلبة، ومن علاماتها الكبرى أنها تدعو حمورابي إلى نقش شريعته، وإقامة الأنصاب التي تذكر الناس بتلك الأحكام، ولا يكون ذلك إلا آية من الآيات على أن الشريعة قد نسيت وهانت واحتاجت إلى التذكير ... وإن كانت شريعة جديدة، فموعدها، زمان كذلك الزمان "(١) .

وإذا كانت نشأة نبي الله إبراهيم – عليه السلام – وتنقلاته كانت في عصر دولة حمورابي البابلية – الآرامية –، أو في عصر دولة الرعاة، فهذا يعني أن تلك الولادة والنشأة كانت في عصور دول كان رعاياها وحكامها عرباً؛ فحمورابي

---

(١) أبو الأنبياء – بإيجاز – ص ١٨٢– ١٨٤

ودولته الآرامية الكنعانية كانت دولة عربية – كما سبق الحديث –، وكـذلك كانـت دولة الرعاة في مصر كانت دولة عربية؛ لأن الرعاة هم الهكسوس، وهم كنعانيون، بدليل أن إبراهيم – عليه السلام – حين كبر كان يتنقل وعشيرته بين أرض آرام في الشرق، وأرض كنعان في الغرب، وكلتاهما كانتا موطناً للمتكلمين بالعربية، علـى أقرب لهجاتها وأطوارها إلى العربية الحديثة، ومعلوم أنهم جميعاً ينتمون إلى أبنـاء رجل واحد هو سام بن نوح – عليه السلام – ... وهذا يعني أن جميعهم كان يـتكلم بلسان واحد هو العربية، لما ثبت أن سام هو أبو العرب، كما روى ذلـك : (عـن الإمام أحمد، عن عبد الوهاب، عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة، عـن النبي – صلى الله عليه وسلم – : أنه قال : "سام أبو العـرب" ... وقـد روى هـذا الحديث الترمذي عن بشر بن معاذ العنزي عن يزيد بن زريع عن سعيد بـن أبـي عروبة عن قتادة، عن الحسن عن سمرة مرفوعاً نحوه ... وقال الشيخ أبو عمرو بن عبد البر، وقد روى عن عمران بن الحصين عن النبي – صلى الله عليه وسـلم –، مثله ... إلخ[1]، وقد سبق أن أبناء سام الثلاثة نشأوا متجاورين في جزيرة العرب، وخصوصاً المواقع الشرقية الجنوبية، والجنوبية الغربية، والشرقية، وقد كانت جميع القبائل السامية التي دفعت من جنوب جزيرة العرب، في موجات متتابعة أو متقطعة، كانوا جميعاً ينسبون إلى أولئك الأبناء الثلاثة – إرم، أرفخـشد، لاوي – ... ولكـن الذي يلفت النظر في موجات تلك الرحلات؛ أن القبائل الآرامية كانت أكثرها جميعاً لدرجة أنها كانت هي الظاهرة على السطح؛ ثم الكنعانيون ...إلخ، لدرجة أن الكثيـر من المؤرخين قال : إن مؤرخي العرب كانوا ينسبون شعوب العرب – عاربة وبائدة – إلى إرم، ويسمونهم الأرمان، كما جاء ذلك في تاريخ الطبـري، وتـاريخ سـني الملوك؛ من جواز كون الآراميين من سلالة هؤلاء الأرمان الذين هاجروا إلى وادي النهرين في تاريخ مجهول، وإن كان تاريخهم المعلوم يرجع إلى عهد دولتهم التـي حكمت بابل، وقام بالأمر منهـا، حمـورابي صـاحب التـشريع المـشهور سـنة (٢٤٦٧ق.م) حيث سادت اللغة الآرامية وادي النهرين وبادية الشام وأرض كنعـان، وبلاد الأنباط، وظهرت لهجاتها – كلاماً وكتابةً – في كل قطر من هذه الأقطار ... وإذا كانت الآرامية قد سادت كل المنطقة بدون استثناء ... أفلا يعني هذا أن إنـسان

---

(١) البداية والنهاية – ابن الأثير – : ١١٥-١/١١٦ .

كل تلك المنطقة كان عربياً – لساناً – على أقل تقدير، إن لم يكن جنساً ولساناً؟ ... وفي تلك البيئة، ذات اللسان الآرامي – العربي – كما سبق – ومن مدينة (أور) في بلاد النهرين – تحديداً – تنطلق دعوة نبي الله إبراهيم – عليه السلام –، ومنها تنقل إلى أرض كنعان وبادية الشام، والأنباط، ثم إلى بلاد الحجاز جنوب بلاد النهرين؛ داعية كل أهل تلك البقاع إلى عبادة الله وحده ... وهذا يعني أن يكون لسان صاحب تلك الدعوة، هو من جنس لسان المدعوين إليها : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء، ويهدي من يشاء، وهو العزيز الحكيم ...) [١]، كان لسانها السائد والشائع بها هو لسان الإخوة الثلاثة الذين كانت تنسب إليهم أمم تلك البيئة إلى قبيل دعوة السيد المسيح – عيسى بن مريم – عليه السلام – ... وهذا يؤكده ما ورد من : (أن أشهر اللغات السامية وأشيعها في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد – كانت – ثلاثاً، بين جنوب الجزيرة العربية وشرقها، إلى الشمال، وغربها إلى الشمال، ...وهي اليمنية، والآرامية، والكنعانية ... مما يدل على أن كل تلك اللغات –اللهجات – قد نبتت في الجزيرة العربية من الجنوب إلى مواطن الهجرة التي درجت عليها القبائل منذ فجر التاريخ في طريق بحر العرب شرقاً إلى وادي النهرين أو طريق البحر الأحمر غرباً إلى فلسطين ...) [٢] وهذا يعني أن تلك – اللغات – الثلاث، ما هي إلا لهجات تفرعت عن لسان (أم) واحدة، هي لسان أب الإخوة الثلاثة الذي نصت عليه الأدلة الشرعية والتاريخية، أنه كان أبا للعرب، وبهذا تكون الصفة العامة لتلك اللهجات الثلاث التي كانت شائعة إبان الدعوة الإبراهيمية، هي العربية، ولكن ما يلفت النظر – كما سبق – أن لساناً من تلك اللهجات الثلاث، كانت هي اللهجة الارامية التي : (غلبت على سائر كل تلك اللهجات، ومنها تفرعت النبطية التي اتفقت الروايات على أنها (أم) لهجات الحجاز)[٣] وكونها أماً للهجات الحجاز، أمر يؤكد عربيتها – الآرامية – ... بدليل أنها : (لم تكن بعد شيوعها غريبة عن المتكلمين بالكنعانية أو الحميرية – اليمنية – ولا عن المتكلمين بالحروف النبطية أو المسند، فكان المقيمون والراحلون بين هذه الأرجاء يتخاطبون

---

(١) الثقافة العربية : ص ١٤٩ .

(٢) أبو الأنبياء – العقاد – ص ١٤٩ .

(٣) المرجع السابق .

بها كما يتخاطب أبناء الإقليم في القطر الواحد ... مع اختلاف اللهجات والألفاظ في بعض المفردات)[1] وتسيد الآرامية في فترة الدعوة الإبراهيمية، لا يعني أن أختيها – الكنعانية واليمنية – قد ماتتا ... بل كانتا موجودتين، وبهما يتخاطب، ولكن لغلبة التسيد الآرامي، جعل التخاطب بهما محدوداً لا يتجاوز أصحاب تلك اللهجتين فيما بينهم مع بعضهم بعضاً ... بل إن ذلك التسيد كان طبيعياً في فترة الدعوة الإبراهيمية، لسبب بسيط جداً، وهو كون الآرامية لسان نبي تلك الدعوة لأولئك الأقوام، وإن كان هناك أسباب أخرى، وهذا معلوم بالضرورة، وأمر مطلوب سبقه لظهور تلك الدعوة بحيث يوحد جميع اللهجات ويخضعها للهجة القوم – والأكثرية – الذين سيظهر منهم نبي الدعوة، وإن كان الجميع أمة واحدة، ومن موطن واحد ... وبهذا تكون اللهجتان اللتان كانتا مع الآرامية، وقت ظهور الدعوة، وحتى بعدها، لم تتلاش، بل اندمجتا في عموم اللسان المتسيد لعموم وحدة أصل الجميع، فاليمنية، تسميتها وموقعها يدل عليها وأصالتها، من عاد وما قبله حتى معين وسبأ ومن بعدهم، كذلك اللهجة التي سميت بالكنعانية[2]، هي لهجة العماليق، وهم أيضاً – عرب من جنوب جزيرة العرب قد جاءوا من جنوب جزيرة العرب من اليمن بالذات تحديداً أما الآرامية فأكبر دليل على قدومها من جنوب جزيرة العرب – واليمن تحديداً – ما ورد عن صاحب الدعوة – الحنيفية – وصاحب لسانها الذي عرف بالآرامية أو السريانية، : (... أنه نشأ في أسرة حديثة عهد بالهجرة من شمال اليمن إلى جنوب العراق ... وأن تلك الأسرة – أو العشيرة – كانت مع الذين جاءوا عن طريق بحر العرب ... إلخ)[3] وعلى هذا يكون لسان العرب في تلك العصور الغابرة، ... وذلك لأن كل تلك القبائل المهاجرة كانت أمة واحدة لساناً وجنساً وموطناً حتى في أسماء آلهتها التي كانوا يتعبدون لها في كل بلاد ذلك الامتداد الجغرافي، : كما ظهر ذلك –

---

(١) المرجع السابق .

(٢) يراجع في هذا كتاب (الكنعانيون معينيون من جازان) للمؤلف، والذي صدر عن الجمعية السعودية للفنون والتراث، ١٤٢٤هـ ... وكذلك بحث : (جدة والكنعانيون بفرسان للمؤلف، صدر بالاشتراك مع الأستاذ إبراهيم عبد الله مفتاح في كتاب بعنوان (فرسان والجيولوجيا) عن نادي جازان الأدبي ١٤٢٣هـ ... .

(٣) أبو الأنبياء : ص ١٤٩، ص ٨٦ .

من أحافير اليمن والعراق والشام وفلسطين – حقيقة تلك الوحدة ... ففي كلامهم اسم : بعل والرب وأيل، وصادق، بمعني المعطي الوهاب، ... بل ما ورد من أن في فلسطين : مليك صادق، أيل صادق في معين وحضرموت"[١] .

وإذا كانت أسماء الآلهة هي واحدة بين معين وحضرموت، والشام وفلسطين، فإن اللغويين الذين عقدوا مقارنات كثيرة بين اللهجات العربية القديمة التي بقيت بعض إشاراتها إلى قبيل الإسلام ... ومنها تلك التي سميت بالآرامية والكنعانية ... إلخ ... فظهر لهم من تلك المقارنات أن التقارب بينها لا يقاس بالزمان ولا بالمكان ... فقد يكون الجاران مختلفين غاية الاختلاف، وقد يكون التشابه قريباً جداً بين طائفتين تسكن إحداهما إلى الجنوب، وتسكن الأخرى إلى أقصى الشمال ... فالحميريون كانوا يقيمون بأقصى الجنوب من الجزيرة العربية، والآشوريون كانوا يقيمون بأقصى الشمال من العراق ... ولكن التشابه بين لهجة حمير، ولهجة أشور أقرب جداً مما بين اللهجة الحميرية واللهجة القرشية، بمكة ... والمسافة بين اليمن والحجاز أقرب المسافات[٢] .. وقضية التشابه هذه، هي التي دعتنا للقول بيمنية الآرامية والكنعانية، ... وإذا كان اللغويون قد قالوا بالتقارب والتشابه بين الحميرية والآشورية وأخواتها، وأن ذلك كان أكثر من التقارب مع الحجازية، رغم قرب الحجاز من اليمن هو أكثر من أشورية العراق، فهذا ليس غريباً، وذلك لأسباب كثيرة منها : أن المصدر الأول للعربية القديمة، كما ثبت لدى جل المؤرخين – قديماً وحديثاً – كان هو اليمن؛ لأنهم كانوا يقولون إن العرب العاربة هم أهل اليمن، ومعلوم أن الآشوريين والآراميين والكنعانيين ... إلخ قد خرجوا من اليمن، واليمن هي – أيضاً – موطن الحميريين، وإذا كان الموطن قد كان واحداً فليس غريباً أن يكون ذلك التقارب فيهم – الحميرية والآرامية – قوياً، بل هو دلالة قوية على حقيقة الوحدة اللغوية بين كل تلك الأمم جميعاً لقولهم : " إن البقايا التي تخلفت منذ عشرات القرون قبل الميلاد لا تدع مجالاً للشك في وحدة اللغة بين الأقوام العربية

---

(١) أبو الأنبياء – ص ١٣٤ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٣٧ .

في شبة الجزيرة العربية، وفي أرض الهلال الخصيب[١] ... وتلك الوحدة اللسانية بين الحميرية في الجنوب والآرامية في الشمال، كان أيضاً – نتيجة من نتائج التوحيد اللساني الأول بين تلك الألسن بعد التبلبل اللهجي الأول الذي حصل بين ألسنة القبائل في موطن النشأة – اليمن – وموطن الهجرة الأول – العراق – نتيجة للتفرق والتباعد الذي جعل عربياً – أبو العماليق – أن يطير إلى جنوب الجزيرة العربية ليلتقي بأبي القبائل القحطانية – اليمنية، وجرهم – الأول – أبي القبائل الجرهمية الأولى ... وقد عد لقاؤهم ذاك بمثابة أول مجمع لغوي في التاريخ – أو قبل التاريخ كان ذلك وعد مكانه أول مجمع لغوي يعقد فيه أول مؤتمر لغوي تقريباً –، ... وقد نتج عن ذلك الاجتماع الأول توحيد لساني، بعد أن كاد التبلبل والفساد اللساني ينسي الفصحى – الأم – ... وفي ظني أن ذلك الاجتماع كان مطلوباً؛ تمهيداً واحتفاءً بمولد دعوة نبي الله إبراهيم – عليه السلام –[٢] ... أما لم عقد ذلك الاجتماع في اليمن، ولم يُعقد في العراق مثلاً؟ ... فما ذلك إلا لكون اليمن هو الموطن الأول الذي نبتت فيه جميع تلك الألسن، وولدت فيه أيضاً –ما سمي باللهجات فيما بعد– بل : "لا خلاف في قدم اللسان العربي في هذا الموطن، ولا في أنه أقدم لسان تكلم به سكانها الأقدمون، ولم يعرف لهم لسان قبله مخالف له في أصوله وخصائصه التي تميز بها بين اللغات العالمية"[٣] .

وإذا كانت تلك اللهجات – اللغات – قادمة من هذا الموطن؛ ذي اللسان العربي، أفلا يكون ذلك دلالة على عروبتها جميعاً؟ ... وإذا كانت كذلك، وثبت أنها كانت لسان من ظهرت فيهم دعوة نبي الله إبراهيم –عليه السلام– في زمنها، ألا يصدق عليهم بذلك قول الله تعالى .... { **وما نرسل من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ...** }[٤] .

---

(١) أبو الأنبياء – العقاد – ص ١٢٣ .

(٢) سيأتي الحديث عن هذا مفصلاً في أماكن متعددة في الفصول الآتية، بمشيئة الله تعالى، إضافة لما سبق مجملاً في المقدمة والتمهيد .

(٣) أثر الثقافة العربية – العقاد – : ص ١٤٧ .

(٤) سورة إبراهيم، آية (   ) .

وإذا كانت تلك اللهجات قد عاد بها رؤسائها الناطقين بها، لتقريبها والعودة بها إلى أصولها التي انبثقت وتفرعت عنها ... فهذا يدعونا للنظر في أي تلك الألسن كانت هي الأقرب إلى تلك الأصول؟ ... إذن فما هي تلك اللهجة الأقرب؟ ولسان من تلك القبائل هي؟ وهل فعلاً كان ذلك اللسان عربياً؟... وماذا يعني ذلك؟

لسان صاحب الدعوة :

وإذا كان اللسان الذي كان متسيداً للبيئة التي ظهرت فيها الدعوة الإبراهيمية، كان هو اللسان الآرامي، ورأينا أن الآرامية – كما قالوا – هي أم اللهجات التي ظهرت في الحجاز، وعلمنا أن الألسن الحجازية هي الألسن عربية، فهذا يعني أن الآرامية هي عربية، ... ومعلوم أن الآرامية كانت هي لسان صاحب الدعوة إبراهيم – عليه السلام –، وهذا يعني أن لسانه كان لساناً عربياً ... ولكن ما المقصود بعربية ذلك اللسان؟ وبم عرفت لهجته؟ وقبل أن نقول بشيء عن طبيعة ذلك اللسان، يستحسن أن نلم بشيء مما قيل عن طبيعة عربية تلك الألسن في تلك الفترات الزمنية الغابرة، يقول العقاد – باختصار – : (... ليس معنى هذا – بالبداهة – أن إبراهيم كان يتكلم العربية التي نكتبها اليوم أو نقرأها في كلام الشعراء الجاهليين ومن عاصرهم من العرب الأقدمين، فلم يكن في العالم أحد يتكلم هذه اللغة في عصر إبراهيم – عليه السلام – ولا في العصور اللاحقة به إلى القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد ... وإنما اللغة العربية المقصودة في تلك الأيام؛ هي لغة الأقوام الذين كانت تعيش في شبه الجزيرة العربية، أو تهاجر منها وإليها في تلك الحقبة، وقد كانت لغة واحدة من اليمن إلى مشارف العراق والشام، وتخوم فلسطين وسيناء . ولقد عرفت تلك اللغة حيناً باسم اللغة السريانية – غلطاً من اليونان – في التسمية؛ لأنهم أطلقوا الآشورية أو الأسورية على الشام الشمالية فشاعت تسمية العربية باسم السريانية ... والسريانية من المكان الذي أقامت فيه بعض قبائل العرب الوافدة من شبة الجزيرة العربية منذ أقدم العصور، قبل عصر إبراهيم – عليه السلام – بزمن طويل، واشتملت هذه اللغة السريانية في بعض الأزمنة على عدة لغات –لهجات– لا تختلف

فيما بينها إلا كما اختلفت لهجات القبائل العربية – قبل الدعوة الإسلامية – ومن هذه اللغات : لغة إرم وكنعان، وأدوم، ومؤاب، ومديان، وما جاورها في الأقاليم الممتدة بين العراق وسيناء[1] .

هذا موجز لما أشار إليه العقاد، وتلاحظ من قراءة ما كتبه أنه كان تلخيصاً لما أشار إليه التاريخ اللغوي حول مفهوم طبيعة الألسن التي كانت هي لغة الخطاب في الفترة التي ظهرت فيها الدعوة الإبراهيمية، التي كانت – أيضاً – هي امتداد لألسن ما قبلها وما بعدها ... وتلاحظ أن هذا المفهوم، هو مفهوم للعربية التي كانت شائعة ... ولذلك تلاحظ أن العقاد كان يركز في حديثه على فكرتين رئيسيتين، وإن تفرعت عنهما أفكار كثيرة ... وتلك الفكرتان، هما : أ – أن لغة إبراهيم – عليه السلام – وإن كانت عربية، إلا أنها لم تكن هي وعربية اليوم – سواء؛ إذ إن عربيتنا التي نعرفها اليوم، لم يكن يعرفها في ذلك الزمان أحد ... وهنا نقف مع أستاذنا العقاد – رحمه الله تعالى – ... لنقول له إن في هذا القول نظر... لأنه إن أراد بعدم معرفتها، عدم وجودها، فهذا مستحيل وغير صحيح، لأسباب كثيرة؛ منها أن القرآن الكريم قد أخبرنا أن الخالق – سبحانه وتعالى – قد اصطفى واختار الآباء الذين ستتناقل البشرية عبر أصلابهم، أنهم أربعة : [إن الله اصطفى آدم ونوحاً وإبراهيم وآل عمران على العالمين) وأخبرنا – سبحانه – أنه كما اختار واصطفى من سيكون عبرهم الخلق جميعاً، أخبرنا أيضاً أنه اصطفى واختار من سيكون من ذريتهم الرسل والنبوة والأنبياء، وخصوصاً من أولئك الآباء الأربعة : { **ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم، وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب، فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون** }[2] ... وذلك لتكون هناك وحدة في الخلق، ووحدة في الدين والعقيدة؛ وذلك لوحدة من سيكون عبرهم توصيل العقيدة التي ستسير على تشريعاتها تلك الذرية الموحدة أبوة ... ووحدة الذرية المكلفة بتوصيل مفاهيم تلك العقيدة وبيان

---

(١) أبو الأنبياء ص ١٣٢-١٣٧، باختصار .

(٢) سورة آل عمران : آية ( ) .

تشريعاتهـــا، يقتضي وحدة لسانها المبلغ لكل ذلك؛ لكونهم جميعاً : (ذرية بعضها من بعض) – وقد سبق تفصيل هذا – ... وبذلك يكون : (جميع الأنبياء وذرياتهم – هم – الذين نقلوا الرسالة واللغة من آدم إلى محمد – عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأزكى التسليم – ... ورغم أنهم الصفوة من الخلق إلا أنهم مع ذلك أمروا بالمحافظة علـــى تلك الوحدة، وكل ما يرتبط بها، والحذر من التفرق والفرقة (... وأن أقيموا الـــدين ولا تتفرقوا فيه) ... وبذلك تكون وحدة اللغة هي السمة الرئيسية بين جميع أولئـــك الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – وجميع أممهم المتلقين عنهم دعواتهم وتشريعاتهم، كما كانت السمة الرئيسية الغالية بينهم هي الوحدة الدينية ... بدليل : (... أن اللغات السامية المشهورة في القدم هي الآكادية – الآشورية – البابلية –، والسامية الشرقية والسامية الغربية ... وتنقسم هذه إلى العربية الـــشمالية، والعربيـــة الجنوبيـــة؛ أي المعينية والسبئية والأثيوبية، ومعها لهجات شتى؛ بعضها قديم، وبعضها حديث، وكل تقسيم من هذه التقسيمات؛ إنما هو مسألة اصطلاح، والتفرقة فيها، أقـــل جـــداً مـــن التفرقة بين اللغات الهندية والجرمانية التي درسها الباحثون خلال القرن، أو القـــرن والنصف الأخير ... إذ إن اللغات الـــسامية القديمـــة – الآكاديـــة – تتقـــارب فـــي الأجرومية والنطق، بحيث تشترك كل لهجة وما جاورها ولا يلحظ الانتقال من لهجة إلى لهجة إلا كما يلحظ مثل هذا الانتقال اليوم بين اللهجات القرشية والجرمانية، ولما بدأ عصر الآباء العبريين عند مطلع الألف الثانية قبل الميلاد، لم يكن الفـــرق بـــين اللغات يزيد على الفرق بين اللهجات العربية الأصيلة في هذه الأيام ... وعلى ذلك؛ فوحدة اللغة، ووحدة المكان، ووحدة العادات، كانت هي الغالبة على طول الـــزمن[١] ... بدليل أن وضعية اللغة العربية عند مجيء رسالة محمد – صلى الله عليه وسلم – كانت تفسيراً لوضعها وطبيعة حالها عند مجيء رسالة الأب إبراهيم – عليه الـــسلام – من اختلاف لهجات وطبيعة نطق، ... أي أن عربية ذلك الزمن لا تبعد ولا تتفرق

---

(١) ألبرايت : أحافير فلسطين، نقلاً عن كتاب أبو الأنبياء –العقاد – : ص ١٢٣ – ١٢٧ ... باختصار .

عن عربيتنا؛ من حيث تنوع النطق، وتعدد الألسن المرتبطة بالأصل الواحد؛ أي أن تعددها وتنوع نطقها، لا يعني فصلها عن الأصل الواحد، لدورانها جميعاً في محيط هذا الأصل الواحد، ... وإذا كنا لا نعرف طبيعة نطق لهجات ذلك الزمن لمخالفتها طبيعة نطق لهجة – القرآن الكريم – الفصحى، فذلك لا يعني أنها كانت ليست كلغتنا، وذلك لأننا قسناها على طبيعة لهجة القرآن الكريم، التي تمثل النطق الأصيل للغة الأم الأصيلة، ...أي أنا لم نقسها على طبيعة بقية اللهجات الأخرى، وخاصة تلك التي عدها علماء النحو ورواته، لهجات ولغات شاذة – كما سيأتي تفصيل هذا بإذن الله تعالى – ... لأنا لو قسناها، بتلك اللهجات التي عدت شاذة وأمثالها، فما أظننا سنجد ما جعل أستاذنا العقاد وغيره من المؤرخين؛ ما قالوا به سابقاً – وإذا كان مرادهم ما سبقت الإشارة إليه – مما كان حاصلاً بين بعض الأقاليم المتباعدة؛ لاختلاف بعض مداليل ألفاظها وعباراتها عن بعض مداليل الفصحى في ذلك الزمن؛ فهذا لا يعني أيضاً – كما سبق أن قلنا – أنها ليست كعربيتنا؛ بمعنى أن العربية التي كان ينطق بها إبراهيم – عليه السلام – كانت تختلف عن عربية محمد – صلى الله عليه وسلم –، آخر أحفاده؛ وذلك لأن لسان الحفيد – محمد – كانت هي لسان أبيه إسماعيل – عليه السلام – ... ومعلوم أن لسان إسماعيل هي نفسها لسان أبيه إبراهيم – عليهم السلام – بهذا تكون لغة محمد الفصحى، هي نفسها التي كانت سائدة على لسان جده إبراهيم وأبنه إسماعيل – عليهم السلام – ... مع ملاحظة عدم نفي أن من دعاهم إبراهيم – عليه السلام – كان فيهم من كانوا يتكلمون بلهجات متعددة، كانت تختلف مع بعضها في بعض ألفاظها وصيغها، واتفاقها عدا ذلك، كما كان ذلك حاصلاً إبان الدعوة الخاتمة ... ألم يحص بعض علماء اللغة القدماء، والمعاصرين، أكثر من عشرين لهجة عربية جاهلية، إلى بداية الإسلام ــ عدوها شاذة، والكثير منهم أهملها، ولم يستشهدوا بها عند تقعيدهم لنحو الفصحى؟ بل : (ذكروا أن الرسول – صلى الله عليه وسلم –، كان يخاطب جميع وفود العرب التي كانت تفد إليه، على اختلاف شعوبهم، وقبائلهم، وتباين بطونهم وأفخاذهم، وعلى ما

في لغاتهم – لهجاتهم – من اختلاف الأوضاع وتفاوت الدلالات في المعاني اللغوية، على حين كان أصحابه – رضوان الله عليهم – ... من حوله يجهلون الكثير من ذلك الخطاب ... حتى قال له – علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وقد سمعه يخاطب وفد نهد – يمنيون – : يا رسول الله، نحن بنو أب واحد، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره؟ فكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم –؛ يوضح لهم ما يسألوه عنه مما يجهلون معناه من تلك الكلمات ...)[1] وإذا كان هذا بعض مما كان يحصل مع الدعوة الخاتمة ونبيها محمد – صلى الله عليه وسلم –، ومن دعاهم؛ أفلا يكون هذا وأمثاله – كثير – كان يحصل مع نبي الله إبراهيم، وجميع الأنبياء وبعده – عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام –، وأممهم وإذا كان ما حصل مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وقومه، لم يكن مانعاً من أن يكون القوم الذين كانوا معه، أو معاصرين له، عرب، ولسانهم هو العربية؟ ... كذلك من كان مع نبي الله إبراهيم، ومن بعده من الأنبياء – عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام – كذلك ... وعلى هذا يكون اللسان الذي خاطب به إبراهيم قومه، هو نفس اللسان الذي خاطب به موسى وعيسى ومحمد وجميع الأنبياء، أممهم وأقوامهم، ... وإن كان لأممهم لهجات قد تتعدد وتتنوع في بعض الصيغ والنطق، كما حصل مع الدعوة الخاتمة تماماً ... بل أكاد أقول – والله تعالى أعلم بالحقيقة –، إن فصحى عربية الآرامية ... هي لهجة لسان نبي الله إبراهيم – عليه السلام – وجميع الأنبياء من بعده، إلى صاحب الدعوة الخاتمة محمد – صلى الله عليه وسلم ... بل هي نفس عربية القرآن الكريم، يعني ألسنة الأنبياء أنفسهم –عليهم الصلاة والسلام جميعاً–، وهذا ما أكده رسول الدعوة الخاتمة – صلى الله عليه وسلم –؛ حين سأله عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنه وأرضاه –؛ عن مثل ما سبق أن سأله الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله تعالى عنه وأرضاه –، بقوله – أي عمر –: (... يا رسول الله: مالك أفصحنا؟ أو لم تخرج من بين أظهرنا؟ ... فقال رسول الله : كانت لغة بني

---

(١) المزهر : ١/٣٢٥ .

إسماعيل قد درست فجاء جبريل – عليه السلام – فحفظنيها، فحفظتها ...)[1]

وعند هذا النص نقف قليلاً ... فالنص – كما ترى – يشير إلى أن اللسان الذي كان يتحدث به مع الوفود التي كانت تأتي لتسلم، هي نفس الألسن التي كانت تتحدث بها بنو نبي الله إسماعيل – عليه السلام –، أي أنها اللهجات التي نشأت من اللسان الإسماعيلي – الأم –؛ ولذلك تلاحظ أن النص يشير إلى أنها لغات بني إسماعيل، أي أنها ليست اللغة الإسماعيلية الأم، لأنها كادت تنقرض، لأن اللهجات التي تفرعت عنها، كادت هي أيضاً تدرس، بسبب التفرق والتباعد الذي أدى لنشوئها، وتفرعها، كاد ينهيها، ... وكونها لغات إسماعيل، يعني أنها اللهجات التي كانت سائدة وقتها في كل أنحاء جزيرة العرب وخارجها، والتي سميت بعضها بتلك الأسماء المختلفة من آرامية وكنعانية وعبرية وبابلية وآشورية ... إلخ وكون المتحدثين بها يرتبطون بإسماعيل، يعني أنها لهجات كانت منتشرة في زمن والد إسماعيل، – إبراهيم –، وكونها – أيضاً – متفرعة من لسان إسماعيل بعد أن بعدت عنه، يعني أن لسان إسماعيل نفسه كانت هي اللسان الفصيح، وإذا كانت لسان إسماعيل كانت هي الفصيحة، فهذا يعني أنها كانت هي لسان الأب إبراهيم – عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأزكى التسليم – ... بدليل أن بين تلك اللهجات كانت واحدة فيها هي أفصحها، وهي تلك التي سموها – خطأً – بالسريانية –، ألم يقولوا أنها كانت أفصح لهجات الآرامية ... أما كون تلك اللهجات – لغات بني إسماعيل – عليه السلام –، كانت عربية، فما سبق أن أشاروا إليه بقولهم : (... إنما المقصود باللغة العربية التي كانت سائدة في تلك الأيام، هي لغة الأقوام التي كانت تعيش في شبه الجزيرة العربية، والتي منها هاجرت في تلك الحقب ... وقد كانت لغة واحدة من اليمن إلى مشارف العراق والشام وتخوم فلسطين وسيناء ...) وإذا كانت هي لغة الأقوام الذين قدموا من الجزيرة العربية، فهذا يعني أنها كانت عربية، ولكنها عربية متبلبلة ... شأنها شأن لهجات القبائل العربية التي كانت قبل الدعوة الإسلامية، ومنها – بالطبع – اللهجات

---

(١) المزهر : ١/٣٥ .

التي سماها رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، بلغة بني إسماعيل – عليه السلام – ...، بدليل – أن النص نفسه، يشير إلى أن معظم الوفود الذين سمي رسول الله – صلى الله عليه وسلم– بقوله : (لغة بني إسماعيل) كانت وفود عربية، بل وكان أكثرهم وفود يمنيين؛ لأن الوفد الذي كان يتحدث معه حينما سأله عمر رضي الله تعالى عنه، كان وفد نهد ... إذن فتلك اللهجات التي سميت بتلك التسميات المختلفة من آرامية وغيره استمرت إلى أيام بداية البعثة الإسلامية، كما يشير النص ... ثم أخذت في التلاشي والانكماش إلى أن فقدت من كل أنحاء الجزيرة العربية وخارجها لانتشار الإسلام، إلا من هذا الشريط الجبلي الذي اعتبرنا ألسنة أهله، الحلقة المفقودة في امتداد عروبة لسان نبي الله إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – وجميع ما سمي باللغات السامية، وهي لهجات قبائل جبال فيفا وبني مالك وبلغاري وبني معين والعبادل والغمر والقيوس وهروب والريث والحشر وبني حريص والنظير ورازح ومنبه وكل ما يرتبط بهم من قبائل هذا الشريط الذي ظل محافظاً على لهجات أصوله يتوارثونها، والتي تحدثنا بإجمال عنها في التمهيد والفصل الأول، وخصوصاً حول ضمائر التكلم والخطاب، وعند بعض الحروف وأداة التعريف، وسيأتي الحديث بتفصيل أكثر إن شاء الله تعالى في الفصول القادمة .

لغة القرآن الكريم : هي لغة إبراهيم وذريته :

وإذا كانت ألسنة الوفود اليمنية الذين تحدث معهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، هي نفسها ألسنة لهجات بني إسماعيل الذين تفرقوا وابتعدوا مع الزمن عن لسانهم الأم الأصلية التي هي لسان إسماعيل، فهذا يعني أن لسانه الذي تفرعت منه هذه اللهجات، كان لساناً فصيحاً، وقلنا قد كان يمثل هذا اللسان الفصيح السريانية قبل أن تختلط بغيرها، كما سيأتي الحديث عن ذلك بمشيئة الله تعالى ... وكونها كانت هي الفصيحة، فهذا يعني أيضاً أنها كانت هي لسان أبيه إبراهيم الذي تلقاها منه، ... وكونها أنها كانت هي لسان نبي الله إبراهيم – عليهم السلام –، فهذا يشير إلى أنها هي نفسها العربية المبينة، أي عربية القرآن الكريم، بدليل أن جبريل – عليه

السلام – وهو أمين الوحي، قد نزل خصيصاً ليحفظها لرسول الله – صلى الله عليه وسلم –، الذي سينزل عليه بالقرآن الكريم بلسانها ... وإذا كانت هذه اللغة هي التي نزل بها القرآن الكريم؛ وهي أيضاً لغة نبي الله إسماعيل عليه السلام – ولهجاتها هي لهجات بنيه، إذن فهي لغة أبيه إبراهيم، ومنه تلقاها، وكذلك كان الأمر مع موسى وعيسى وداود وجميع الأنبياء والرسل الذين كانوا من ذريته، وذرية من كان قبله – عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام – ... بل إن ما حصل مع رسول الله محمد – صلى الله عليه وسلم –، ووفد القبائل الذين كانوا يفدون إليه، وأدى بعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، لأن يسأل عما سأل عنه ... مثله حصل مع إسماعيل – عليه السلام –، ... فقد روي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه تلا قوله تعالى : [قرآنا عربياً لقوم يعملون]، ثم قال : أُلهم إسماعيل هذا اللسان إلهاماً ...] (١) .

وحينما تقف عند هذا النص وتتأمل فيما يشير إليه، تعجب كثيراً مما دار حوله من أقوال وخلافات لا داعي للكثير منها، فالنص – كما تلاحظ – يشير – والله تعالى أعلم – إلى أن جل الأقوام الذين بعث فيهم، نبي الله إسماعيل – عليه السلام – ودعاهم إلى ما أرسل به؛ كانوا ذوي لهجات متعددة متباينة – وإن كانوا تجمعهم لغة واحدة – كما كانت الأقوام الذين بعث فيهم رسولنا محمد – صلى الله عليه وسلم – وهذا ما كان يحصل أيضاً مع جميع الرسل والأنبياء – عليهم السلام –، والذي كان يسبقه شيء من التوحيد اللغوي والدمج اللهجي، من قبل رؤساء قبائل تلك الأمم،الذي يعني أن هذا كله إرهاصات بمقدم نبي سيخاطب الجميع بلسان واحد، وهو اللسان الأم لجميع تلك اللهجات، اللسان الذي كادوا أن يتناسوه لطول الأزمنة المتباعدة بين الرسل الآباء، لتلك الأمم؛ لأن كل رسول يعتبر أباً لكل من سيبعث فيهم ... ليكون ذلك اللسان الفصيح دائماً رمزاً لوحدة العقيدة، والنسب العربي؛ ولذلك وجدنا أنهم كانوا يفعلون مثل هذا الفعل بقصد المحافظة على هذه الوحدة اللسانية، عند تأخر بعث الرسل، وكانت مسؤوليتها تلقى على عاتق رؤساء القبائل الأصول،

(١) المزهر : ١/٣٣ .

كما حصل مع قحطان – كما سبق الإشارة إليه – في اليمن، بعد بعثة نبي الله هود عليه السلام –، ومع عريب في بابل، ويعرب وجرهم في مكة ... فحينما طالت المدة بعد نوح –عليه السلام–، وقام بالأمر جرهم الأولى ومن معها،حتى بعث الله نبيه هود – عليه السلام –، فقالوا لذلك : إن هود كان أول من تحدث بالعربية، والحقيقة، أن العربية كانت موجودة ولكن الشائع منها بين العامة هو اللسان المتبلبل، وهو الأكثر، وسبقه شيء من الإرهاصات لجمع الناس وتوحيدهم لسانياً، ومحاولة الرجوع بهم إلى اللسان الأقرب إلى اللسان الفصيح لجعلهم أكثر تقبلاً لمخاطبة من سيبعث فيهم، والذي نطق به نبي الله هود – عليه السلام – في تلك الفترة، ... أما كونه أول من نطق بالعربية، فالمقصود به؛ أنه أول من ألهم العربية المبينة بعد أن كادت تنسي ... وهكذا الأمر بعده على يد قحطان رئيس القبائل اليمنية بعد نبي الله هود –عليه السلام– ... وفي شمال بلاد العرب، قام بالأمر رئيس قبائلها – هناك –، وهو عريب العمليقي ... حتى بعث نبي الله صالح – عليه السلام– فشعيب – عليه السلام – والذي قيل عنه أنه كان أخطب وأفصح أهل زمنه، أما في إقليم الحجاز فقد قام بالأمر يعرب بن قحطان ومناص بن عمر الجهمي ورؤساء القبائل الذين كانوا معه هناك، إلى أن بعث الله تعالى، نبيه إسماعيل بن إبراهيم الخليل – عليهما السلام – والذي قيل عنه أنه : " أرسل إلى أهل اليمن وقبائلها ومن في مكة وما حولها من قبائل جرهم والعماليق ..."[(١)] .

وهنا نسأل : ترى ما لسان من بُعِثَ وأرسل إليهم نبي الله إسماعيل – عليه السلام –؟ ولتتضح لنا من خلال ذلك حقيقة لسان نبي الله إسماعيل وأبيه إبراهيم – عليهما السلام – وأممهم الذين بعثا فيهم؟ وكذلك قضية اللغة الفصحى، وكونها لسان كل الأنبياء والرسل، إلى خاتمهم محمد – صلى الله عليه وسلم –، وقد سبق أن أشرنا إلى من بعث فيهم إبراهيم – عليه السلام – ... أما من بعث فيهم إسماعيل – عليه السلام – ... فقد رأينا النص السابق – آنفاً – يشير إلى أنه بعث إلى أهل اليمن

---

(١) البداية والنهاية : ١/١٩٣ .

وقبائلها؛ ومن حولها من قبائل جرهم والعماليق ... ومعلوم أن أول من وفد إلى مكة بعد أن أسكن إبراهيم – عليهما السلام – زوجه هاجر وابنها –منه– إسماعيل في بطحاء مكة هم قبائل جرهم، ومعلوم أن جرهم كانت آتية من اليمن، أي أنهم كانوا يمنيين ... ثم لحق بهم العماليق وقد جاءوا من اليمن أيضاً، وقد تزوج إسماعيل – عليه السلام – من جرهم حينما شب، ... ثم قبائل خزاعة وهم من الأزد، وهم يمنيون أيضاً، فهمدان فطيىء ... وغيرهم كثير، وكلهم يمنيون ... وهذا يعني أن لسانهم جميعاً كان لساناً عربياً؛ لأن موطن العربية الأول هو اليمن – وهذا معروف –، حتى إنهم قالوا : (إن جرهم وأخوه قطورا ابني قحطان بن عامر – عابر – ابن شالح بن ارفخشد بن سام بن نوح – : هما أول من تكلم بالعربية – في زمنهم – عند تبلبل الألسن ... وكان رئيس جرهم، هو : مضاض بن عمرو ... ورئيس قطورا هو السميدع ... ويطلق على الجميع جرهم ...)[1] .

والمقصود بأولية النطق هنا – كما سبق – ليس أنهما أول من بدأ نطق العربية في الدنيا، وإنما المقصود أنهما كانا هما اللذان ينطقانها سليمة في زمنهما الذي تبلبلت فيه جميع الألسن ...وهذا ما نص عليه النص نفسه، عندما قال : (أول من تكلم بالعربية عند تبلبل الألسن ...) وهذه المقولة قد قيلت لوالدهما – جرهم وقطورا – قحطان، كما سبق وقلنا حينها، إن هذه الجملة لا تعني الأولية المطلقة وإنما المقصود أن من قيل عنه ذلك، هو أول من كان يحافظ على فصاحة اللغة ونقائها كما تلقاها ممن كان قبلة كهود – عليه السلام – أو رؤساء قومه الذين عاصرهم قحطان، فبان في محيطه وكأنه أول من نطق بها[2]، ومن قحطان أخذ تلك الفصاحة ابناه جرهم وقطورا، وحينما رحلا إلى الحجاز، استمرا محافظين على ذلك النطق السليم، بين من رحلوا معهم من أقوامهم؛ الذين فسدت ألسنة أكثرهم، وحينما زاد أمر التبلبل بينهم مع من وفد إليهم من القبائل الأخرى، كان جرهم وقطورا، بين

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ٦/٤٦٤ .

(٢) ابن خلدون : ٦/٨٦ .

اقوامهم كمن يكون أول من فطن بتلك العربية السليمـــة... وكأن الحكمة الإلهية، قد ساقتهم إلى تلك البقعة المقفرة حتى من الإنسان نفسه، ليكونا النبع الصافي الثّر الذي سيرضع منه نبي الله إسماعيل – عليه السلام – اللغة السليمة فـــي جـــوه المتبلبـــل؛ ليكون نبيهم فيما بعد، والحلقة السليمة التي تربط بين من كان تنطق ألـــسنتهم نطقـــاً فصيحاً، وبين نطق العربية المبنية التي كادت أن تندثر، فألهمه الله تعالى بها؛ لتكون شاهداً أنها لسان كل نبي... وهذا يعني أن جرهم وكل من معهم كانوا تمهيداً لميلاد بعث العربية المبينة من جديد، أو بتعبير آخر؛ كانوا بداية لميلاد طور لغوي آخـــر يكتمل على يد نبي الله إسماعيل – عليه السلام –، كما جاء ذلـــك فـــي كثيـــر مـــن النصوص الشرعية والتاريخية، وفي هذا رد على من قال إن إسماعيل – عليه السلام – كان هو أول من نطق بالعربية؛ لأن هذا القول لو كان صحيحاً لما أطلقوا علـــى إسماعيل وأتباعه، ومن جاء بعده؛ تسمية العرب المستعربة؛ لأن هذه التسمية تعنـــي أن إسماعيل وأتباعه لم يكونوا عرباً في الأصل، ولا تعني أيضاً أنه أول من نطقهـــا فعلاً؛ لأنهم قالوا كان هناك من كان يسمى بالعرب العاربة ... فكيف يتفق هذا مـــع كونه كان أول من نطق بالعربية، لأن أولئك العرب العاربة كانوا ينطقون بها قبلـــه، وأيضاً يتناقض مع قولهم (إنه تعلم العربية من جرهم ...) ولذلك رأينا ابن حجـــر يتعرض لهذه الأقوال بالتضعيف والتصحيح والتخريج والجمع ... ليقـــول لنـــا فـــي النهاية ... (وتعلم – إسماعيل – العربية من جرهم – ... فيه إشعار بأن لسان أمة وأبيه؛ لم يكن لساناً عربياً ... وفيه تضعيف لقول من روي أنه أول من تكلم بالعربية ... وقد وقع ذلك من حديث ابن عباس عند الحاكم، في المستدرك بلفظ : (أول من نطق بالعربية إسماعيل) ... وروي الزبير بن بكار في النسب من حديـــث علـــي بإسناد حسن قال : (أول من فتق الله لسانه بالعربية المبينة إســـماعيل ...) وبهـــذا القيد يجمع بين الخبرين : فتكون أوليته في ذلك بحسب الزيـــادة فـــي البيـــان ... لا الأولية المطلقة، .. فيكون بعد تعليمه أصل العربية من جرهم، ألهمـــة الله العربيـــة الفصيحة المبينة فنطق بها؛ ويشهد لهذا ما حكاه ابن هشام عن الشرقي بن قطامي : (أن عربية إسماعيل كانت أفصح من عربية يعرب بن قحطان وبقايا حمير وجرهم)

ويحتمل أن يكون الأولية في الحديث مقيدة بإسماعيل بالنسبة إلى بقية إخوته من ولد إبراهيم ... فإسماعيل أول من نطق بالعربية المبينة من ولد إبراهيم، قال صاحب الوشاح : أول من نطق بالعربية يعرب بن قحطان، ثم إسماعيل(١) .

وإذا كان ابن حجر ينص على أن أولية النطق بالعربية، لا يقصد بها البداية المطلقة، وإنما المقصود بها زيادة الفصاحة والبيان في ألفاظ العربية التي كانت سائدة في ذلك الزمن بين من بعث فيهم نبي الله إسماعيل –عليه السلام–، وكذلك الفصاحة في صيغها وعباراتها؛ لأنه لو قصد بالأولية البداية المطلقة؛ لأشعر ذلك بنفي العربية عن لسان السيدة هاجر، –أمه– وعن لسان أبيه إبراهيم – عليهم جميعاً السلام –، وهذا غير صحيح وغير وارد –كما سبق– لأسباب كثيرة، منها : أنهم أشاروا إلى أن يعرب وجرهم وكل من كانوا معه وقبله كانوا يتكلمون بالعربية الفصيحة، بدليل أنهم نصوا على أن إسماعيل تعلم أصول العربية، من جرهم، قبل أن يلهم العربية المبنية، أي العربية التي هي لسان كل الأنبياء وكتبهم، والتي نزل بها القرآن الكريم على الرسول – صلى الله عليه وسلم – ... ونصوا – أيضاً – على أن عربية إسماعيل كانت أفصح من عربية يعرب بن قحطان وبقايا جرهم ... وعلى هذا تكون ألسن بقايا حمير وجرهم وبقية إخوة إسماعيل – عليه السلام – هي اللهجات التي بقيت من العربية التي كانت تتكلم بها جرهم الأولى وقحطان، والتي كانت أيضاً هي لسان نبي الله هود – عليه السلام –، ثم نبي الله إبراهيم، ثم كانت تنسى حتى ألهمها الله سبحانه وتعالى نبيه إسماعيل – عليه السلام –، شأنها في ذلك شأن العربية التي ألهمها رسول الله محمد – صلى الله عليه وسلم –، حينما حفظه بها وبلهجاتها جبريل عليه الصلاة والسلام ... وهذا يعني أن لسان إبراهيم – وجميع ذريته، هي نفسها اللسان العربي الذي كان سائداً في كل أنحاء الجزيرة العربية في تلك القرون الغابرة وما سبقها وتلاها، من اليمن إلى مشارف العراق والشام وتخوم فلسطين وسيناء ... وإذا كانت لغة تلك الحقبة، بهذا المفهوم هي العربية، وأنها كانت لسان إبراهيم وقومه

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ٦/٤٦٤ .

وبنيه، ... فإنا سنجد من يقول إن لغة إبراهيم والد إسماعيل – عليهما السلام– كانت هي السريانية، بل سنجد من يقول إن الرب خاطب إبراهيم بالسريانية : (... إن ملك الرب تراءى لهاجر قائلاً لا تيأسي من رحمة ربك؛ فإن الله قد بارك على الصبي، حين خاطب أباه إبراهيم ... وكان خاتمة البركة، خطابه إياه باللغة السريانية[1] ... وهذا ابن العبري أبو الفرج بن هارون صاحب مختصر الدول، المتوفي سنة (١٢٨٦ ... قد يكون المثل الوحيد للمؤرخ القديم من الوجهة المسيحية في هذا الموضوع؛ لأنه إمام من أئمة الكنيسة السريانية التي ينتشر إيقاعها في مواطن إبراهيم، ويحفظون أخباره التقليدية منذ القرن الأول للميلاد . قال في كلامه عن دولة الأولياء – أي الآباء – في بني إسرائيل : " ... من أئمتنا باسليوس وأفريم يزعمان أن من آدم إلى عابر كانت لغة الناس واحدة، وهي السريانية، وبها كلم الله آدم ... وتنقسم – السريانية – على ثلاث لغات؛ أفصحها : الآرامية ... وهي لغة : أهل الرها وحران والشام الخارجية ... وبعدها فلسطين؛ وهي لغة أهل دمشق وجبل لبنان، وباقي الشام الداخلية ... واسمها الكلدانية النبطية، وهي لغة جبال آشور وسواد العراق ... يقول يعقوب الرهاوي : إن اللغة لم تزل عبرية إلى أن تبلبلت الألسن ببابل ... " [2] .

وإذا كانت السريانية عند هؤلاء المؤرخين، هي اللسان الذي كان يُخاطب به نبي الله إبراهيم عليه السلام – ويُخاطب به في تلك الأزمنة، وأنها هي اللسان الموحد الذي كان يتكلم به الناس منذ آدم إلى زمن إبراهيم – عليهما السلام –، إذن فما هي تلك اللغة التي جعلوها اللغة الأم، وأسموها بالسريانية؟.

---

(١) أبو الأنبياء – العقاد – ص ١٣٢ .

(٢) المرجع السابق .

الفصل الرابع

السريانية والنسب العربي

١) ما هي السريانية؟

٢) العقاد ومراجع ملة الصابئة .

٣) هل السرياتية لسان عربي؟

ما هي السريانية؟

سبق أن أشرنا إلى أن العقاد قد ألمح إلى أن هذه اللغة : " ... قد عرفت حيناً باسم اللغة السريانية – غلطاً – من اليونان في التسمية؛ لأنهم أطلقوا اسم آشور أو آسورية على الشام الشمالية، فشاعت تسمية العربية باسم السريانية ... والسريانية؛ من المكان الذي أقامت فيه قبل عصر إبراهيم بزمن طويل.

وقد اشتملت اللغة السريانية في بعض الأزمنة على لغات لا تختلف فيما بينها، إلا كما اختلفت لهجات القبائل العربية قبل الدعوة الإسلامية، ومن هذه اللغات: لغة آرام وكنعان، وأدوم، ومؤاب، ومديان، وما جاورها من الأقاليم الممتدة بين العراق وسيناء ... "(1) .

وإذا اعتبرنا هذه الإشارة من العقاد عن هذه اللغة تعريفاً لها؛ فهذا يعني أنه لم يكن هناك لغة تدعى أو تنسب إلى هذه التسمية حقيقة؛ لأن مصطلح السريانية الذي أطلق على هذه اللغة –غلطاً– من قبل اليونان الذين أطلقوه عليها، وجاء الغلط من خلال تحريف النطق الأعجمي؛ لأن ناطقيه لم يكونوا أهل تلك اللسان، وإنما هم اليونان؛ ولأن ناطقيه لم يكونوا أهل تلك القبائل التي كانت تسكن في الشمال الشامي مع العراق، وهي بلاد سورية، ومعلوم أن لفظ سورية ينطقه اللاتين [سيريا ... أو سيريان] فأطلقوا ذلك النطق على لسان قبائل تلك المنطقة ومع الزمن والتداول شاع بين الناس وغلب عليه فصار يعرف به ... من باب إطلاق اسم المكان على المكين ... وهذا وارد فأصحاب هذا المكان كانوا قبل أن يأتوا إلى هذا المكان الذي سموا به فيما بعد، يسمون باسم المكان الذي كانوا به، وهي بلاد العرب فكان اسم لسانهم العربية، ولذلك رأينا العقاد لا يتردد كثيراً في أن يعيدها إلى حقيقة تسميتها الأصيلة بقوله : [فشاعت التسمية العربية باسم السريانية، ... لأن السريانية من المكان الذي أقامت فيه قبل عصر إبراهيم – عليه السلام...] وذلك لأن السريانية عنده، قد اشتملت على كثير من اللهجات، التي كانت لا تختلف فيما بينها؛ إلا كاختلاف لهجات

---

(1) أبو الأنبياء : ١٣٢ - ١٣٣

القبائل العربية قبل الدعوة الإسلامية ... فإذا كان هناك – العربية – القرشية والتميمة والأسدية والحميرية، والسبئية، وهذيل والأزد وغيرها ... ويستمر العقاد في المقارنة والربط التاريخي ... فيقول : " وإذا كانت الآرامية؛ هي لهجة من لهجات السريانية، أو العكس ... وأنها كانت – الآرامية – اللسان الذي خوطب به إبراهيم من ربه ... " " ... فعلى هذا يصح أن نقول إن الآرامية هي عربية تلك الأيام في موطنها ، وأنها قريبة جداً من العربية الفصحى بعد تطورها بنحو ثلاثة آلاف سنة ... ولا يستغرب أن يحدث فيها مثل هذا الاختلاف في نطق الألفاظ، وتراكيب بعض العبارات ..."(١) هذه بعض إشارات العقاد حول حقيقة أن السريانية عربية ... والحقيقة أن الخوض في هذا الأمر ليس كما قد يتصوره البعض .. لكن قد يكون بالتنقيب والبحث والدراسة ... واصطياد الشوارد تبرق بارقة أمل تضيء لنا بعضاً من تلك الأنفاق المظلمة؛ التي تحول دون الوصول إلى حقيقة الكثير من حقائق التاريخ التي حرفت، وتبدلت، أو شوهت، ومنها حقيقة هذه اللغة التي سميت بالسريانية؛ ولهذا ترى العقاد يحاول اقتحام مجاهل تلك السبل؛ عله يجد فيها شيئاً يوصل لإثبات حقيقة ما سبق أن صرح به حول عربية السريانية ... فنراه يقرر أن يرحل لبعض أنفاق تلك الأنفاق .. ويبدأ رحلته إلى حيث كان يقيم من قيل وعنه أنه خوطب من ربه بالسريانية، ليخاطب بها من أُمر بخطابهم بدعوته .

العقاد ومراجع ملة الصابئة :

ولذلك نراه يرجع إلى مراجع ملة الصائبة؛ معللاً رجوعه إليها بقوله : (إن الصائبة، على قلة عددها، كانت تستقل بلغة مقدسة خاصة، ولها كتابة بأبجدية خاصة ... والمحقق من أمرهم أنهم يرجعون إلى أصل قديم؛ لأن استقلالهم باللغة الدينية، والكتابة الأبجدية لم ينشأ في عصر حديث ... ولهذا تفهم الدارسون للأديان أن تحقيق لغتهم وكتابتهم يؤدي إلى جلاء الغوامض عن كثير من تاريخ الكلدان في الزمن الذي أقام فيه الخليل بدعوته يؤكد هذا الفهم، وهو أن هؤلاء الصابئة كانوا يقيمون في

---

(١) أثر الثقافة العربية – العقاد – ص ١٥٠ – ١٥١

الأقاليم الجنوبية من العراق حيث أقام الخليل في رواية العهد القديم ... ومنهم فئـة تحج إلى حاران التي هاجر إليها، وينسب إليها الصائبة الحرانيون ...) (١) .

وبتأمل النص السابق نجد أن العقاد كان محقاً في دعوته للرجوع إلى مراجع هذه الطائفة – الصابئة –، كما أن لدعوته أسباباً كثيرة منها:

١ – أن لهذه الطائفة لغة مقدسة خاصة بها، وأن أهمية تلك اللغة؛ كونها تـؤدي لكشف الكثير من غوامض تاريخ الكلدانين الذين كان في زمنهم يقيم الخليل – عليه السلام –، وهو أيضاً زمن انطلاق دعوته من الجنوب العراقي؛ وهنا يبرز سؤال يفرض نفسه ... وهو : هل كانت هناك علاقة بين اللغة المقدسة وأبجديتها المقدسة، ولغة نبي الله إبراهيم –عليه السلام– في ذلك الزمن، أو حتى ما بعده؟ وهل هناك ملمح يمكن الدخول من خلاله لتأكيد أن السريانية، هي لغة إبراهيم وقومه – عليه السلام –؟، وهل هي فعلاً كانـت العربيـة ...؟ وعربية ذلك الزمن؟ .

يقول رايت صاحب كتاب المطالعة العربية : " ... إن حروفهم الأبجدية تشبه الحروف النبطية .. وأن لغتهم تشبه لغة التلمود الذي كتب في بابل ... ويقولون هم : إن لغتهم الأولى هي السريانية ...ولهم كتاب يسمونه [كنزة] ولعله من مـادة الكنـز التي تفيد معنى النفاسة والكتمان ... إلا أن المتفق عليه أن اللغة التي كتب بها كتاب الكنزة وغيره من الكتب المقدسة عندهم : هي لغة سامية الأصل قريبة من السريانية ... وتكفي نظرة في مصطلحاتهم للجزم بهذه الصلة الوثيقة بين لغتهم واللغة العربية الحديثة، فضلاً عن القديمة المهجورة فمن كلماتهم ومصطلحاتهم – مثلاً – ... كلمة [آلمي] بمعنى (عالم) ... و(إشماس) وتعني (شمس) و [هي] وتعني [حي] و [رحايا] وتعني (روح) [يهيه] بمعنى (يحي) ... والأبجدية عندهم قريبة من أبجدية حـساب الجمل، على حسب ترتيبه في أبجدية [أبجد، هوز، حطي، كلمن ...] وهي (آ، يا، دا، ها، طا، ها، يا، كا، لا، ما، تا، سا، أي، صا، قا، را، شا، نا، ... ".

---

(١) أبو الأنبياء : ٩٢ – ٩٣

ويختم العقاد حديثه عن عقيدة الصابئة، ولغة زمانهم، بقوله : " ... إنها مهمة من جهة المكان؛ لأنها قديمة العلاقة بكل مكان تعلقت به سيرة الخليل -عليه السلام- من جنوب الفرات إلى شماله،إلى بلاد السريان، إلى البلاد النبطية من شمال الحجاز، وهي مهمة من جهة زمانها؛ لأن لغتها المقدسة تشير إلى زمان متوسط بين اللغات القديمة المهجورة، واللغة السريانية الحديثة، ولم تكن لغة إبراهيم سريانية حديثة، كالتي نعيت إلى الزمن الأخير ...ولم تكن إحدى اللغات المهجورة التي يجمع المؤرخون موادها : مبعثرة متفرقة، ولا يفهمون مفرداتها وتراكيبها وقواعدها، فإن تلك اللغات المهجورة قد انقطعت صلتها بمن بعده على خلاف لغة الخليل[١] ... فإذا أشارت لغة الصابئة إلى زمن متوسط بين اللغات المهجورة واللغات السامية المتأخرة؛ فهي إحدى القرائن التي يستعان بها على تعيين زمن الخليل، فإن لم يكن مذهب الصائبة قد تم واستقر في ذلك العهد، فقد كانت له بداءة تحوم على هذه المعاني ويستشرف لما وراءها، ولولا ذلك لما بقيت السريانية القديمة لغة مقدسة في كتب هذه النحلة؛ إذ كانت السريانية القديمة أعرق من السريانية المتشعبة منها، ولا يمكن أن تنعزل الطائفة بتلك اللغة الأولى ما لم تكن بداءتها ممعنة في القدم إلى ما قبل تدوين اللهجة السريانية ..)[٢] .

هذا موجز ما أشار إليه التاريخ حول الأسباب التي جعلت العقاد وغيره من أصحاب التاريخ اللغوي؛ يرجعون إلى مرجعية طائفة الصابئة، لإثبات ما صرح به العقاد حول اللغة التي سميت بالسريانية، واعتبرها العربية القديمة – الأم – بعينها ... فإذا كانت طائفة الصابئة قد أشارت إلى أن لغتها كانت هي السريانية، ودلتنا على حقيقة ما قالت بأبجدية اللغة التي كتبت بها كتبها المقدسة، القديمة، وكون أبجدية اللغة التي كتبت بها كتبها؛ وجدنا أنها تشبه أبجدية اللغة التي كتب بها التلمود في بابل ... وكذلك جميع كتب أنبياء الأزمنة التي تلتها مكتوبة بأبجدية تلك اللغة نفسها؛

---

(١) أبو الأنبياء : باختصار [٩٢ – ٩٣ – ٩٦ – ٩٧ – ٩٨] .

(٢) أبو الأنبياء : ١٨٨ .

فهذا كله يؤكد القول بأن لغة الصابئة كانت هي السريانية القديمة؛ وأن السريانية كانت هي لغة تلك الأزمنة وأنبيائها ... بدليل قولهم : إن حروف أبجديتهم تشبه الحروف النبطية ... ومعلوم أن النبطية لغة (لهجة) قد تفرعت من الآرامية...ورأيناهم يقولون : إن السريانية لغة يندرج تحت اسمها لهجات ثلاث، أو أكثر، وأن أفصح تلك اللهجات منها كانت هي تلك التي سميت بالآرامية ... وكونها تعد أفصح لهجات السريانية، يعني فعلاً أنها كانت لسان الأنبياء والرسل – عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام – من إبراهيم، إلى آخر أحفاده محمد – صلى الله عليه وسلم – فقد قالوا إن السيد المسيح – عليه السلام –، قد تكلم بالآرامية في عصره ... وبها كان يجري إلخطاب بينه وبين المستمعين إليه في عظاته ووصاياه[1] ... وكذلك كانت لغة سيدنا موسى –عليه السلام– وكل من أن قبله لدرجة أنهم قالوا إن سيدنا شعيب –عليه السلام– كان يقال له بالسريانية (يثرون)، وهذه الكلمة تعني الكاهن أو الكهانة[2] ... وبها أيضاً كتب التلمود في بابل .. والتلمود هو من كتب العهد القديم ... وهذا كله يجعلنا نقف ونسأل هل فعلاً كانت السريانية ومنها الآرامية ... هي اللسان العربي الأم؟ وكيف ذلك؟ .

هل السريانية لسان عربي؟ :

والتأني في الإجابة على مثل هذه التساؤلات واجب، وذلك لصعوبة الجزم بأي قول، قبل التأكد منه ومن مدلوله، ولكن بالبحث والتنقيب وتلمس الشوارد وتحليل مفاهيمها يمكن الوصول إلى شيء من تلك الإشارات التي قد توصلنا إلى ما نريد تقريبه إلى الحقيقة ما أمكن ذلك ... ومن ذلك ما سبق قوله، من أن هذه اللغة كانت هي لسان جميع أولئك الرسل في خطاباتهم لأتباعهم ... فهل ورد في خطاباتهم تلك ما يجلي نسب لسان تلك الألفاظ؟ ومن خلال حقيقة ذلك النسب تتضح حقيقة اللسان الذي سمي سرياني؟ . قلنا أن نبي الله شعيب –عليه السلام– كان يقال له بالسريانية : (يثرون) ... وهنا نلاحظ أن العلمية، لا تعني المسمى بقدر ما تعني الوصفية، بدليل

---

(١) أثر الثقافة العربية – العقاد – ص ١٥٠ – ١٥١ .

(٢) البداية والنهاية : ١/١٨٥ .

أنا رأيناهم كانوا يدلون بكلمة (يثرون)، على الوظيفة التي يقوم بها شعيب، في مفهومهم، وهي الكهانة، ... وإذا كانت وظيفة نبي الله شعيب – عليه السلام –، يدلون عليها بلفظ [يثرون] ... ففي أي لغة وردت لفظة يثرون هذه؟ وماذا يعني ذلك؟ يقول أحد الباحثين المحدثين: (... والكاهن تعني في بعض اللغات العربية الجنوبية : يثرون ...) (١) ... إذن فيثرون تعلن عن نسبها العربي الجنوبي ... أنها تعود لإحدى لهجات جنوب جزيرة العرب، سبئية كانت أو معينية، أو أوسانية، أو قتبانية، أو أي لهجة كانت جنوبية لأن جنوبيتها لوحدها تؤكد عروبتها ... بدليل أن لفظة يثرون كانت تطلق على نبي الله شعيب – عليه السلام –، ومعلوم أن شعيب كان عربي النسب – عليه السلام – كما سبق وما سيأتي بإذن الله تعالى – لأن شعيب عليه السلام – هو من قوم مدين ... فهل كانت مدين قبيلة عربية؟ ليكون شعيب كذلك؟ ومن أين جاءت إلى شمال جزيرة العرب؟ ...

وبالرجوع لأمهات المراجع إسلامية كانت أو تورانية نراها كانت تجمع وتؤكدعلى عربية قبيلة مدين ... وأنها كانت من ضمن القبائل التي رحلت من جنوب جزيرة العرب؛ ولذلك قالوا : " ... كان أهل مدين عرباً يسكنون مدينتهم مدين، من أرض معان، من أطراف الشام، مما يلي ناحية الحجاز قريباً من بحيرة لوط ... ومدين قبيلة عرفت بهم القبيلة؛ وهم من بني مدين بن مديان؛ونبيهم شعيب ... ويقال له بالسريانية يثرون، وذكر أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب؛ في ترجمة سلمة بن سعد العنزي – الذي – قدم على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ، فأسلم وانتسب إلى عنزة فقال :–الرسول– : نعم عنزة مبغي عليهم، منصور قوم شعيب، واختان موسى ... فلو صح هذا لدل على أن شعيباً من موسى ... وأنه من قبيلة من العرب العاربة، يقال : (لهم عنزة) ... وهذا لا يعني أنهم من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، فهؤلاء بعدهم بدهر طويل – والله تعالى أعلم ..."(٢) ومما يصحح هذا الأثر ويقويه؛ ما ورد في حديث أبي ذر؛ الذي في صحيح ابن حبان في ذكر الأنبياء والرسل، وفيه كما يظهر رد من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ، على سؤال سأله أبو ذر، فقال – صلى الله عليه وسلم – : (... أربعة من

---

(١) ha & tansy . p. p ٥

(٢) البداية والنهاية : ١٨٤ – ١٨٥/١

أنبياء العرب : هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر...)[١] وأيضاً إن صح هذا؛ لأن فيه تخصيص العروبة بهؤلاء الأربعة، وفي هذا مخالفة لكل ما سبق في هذا البحث من أوله إلى آخره، والذي صحت فيه عروبة جميع الأنبياء والرسل، بشواهد كثيرة منها آيات قرآنية، وأحاديث نبوية صحيحة، لا أحد يشكك في صحتها -كما سبق- وإذا كانت قبائل مدين، هم من قبائل العرب العاربة؛ فهذا - إضافة لما سبق - يؤكد عروبتهم، وجنوبيتهم؛ لأن العرب العاربة - كما رأينا - كان قدومهم من جنوب جزيرة العرب؛ وهذا يعني عروبة لسانهم أيضاً؛ بدليل أننا رأينا مؤرخي التوراة - كما سبق أنفاً - وشراحها كانوا يطلقون على لسان نبي هذه القبيلة لفظة يثرون، وقالوا،إن هذه اللفظة هي في اللغة السريانية ... وقالوا أيضاً : أنها تعني الكاهن في لغات العربية الجنوبية ... وهذا يعني - بما لا يدع لأي شك - أن السريانية عربية ... فإذا أخذنا -مثلاً- ما قالوه عن لهجة الصابئة أنها سريانية ... ثم أخذنا في إيراد الكثير من الألفاظ التي وردت في كتبهم المقدسة، وينسبونها إلى سريانيتهم؛ (كآلم - عالم -ويهه - يحي ... وغيرها) لوجدنا جل ما أوردوه من ألفاظ لا يزال حي نطقه بين بعض القبائل الجنوبية - جنوب جزيرة العرب - إلى الآن ... فلفظة [آلم] : - عالم - مثلاً : لا تزال قائمة في الموقع الميداني لهذا البحث؛ وهو الشريط الجبلي الواقع بين اليمن والسعودية، وهذا ينطبق على بقية الألفاظ - كما سيأتي في مكانه بإذن الله تعالى - ... بل هناك أمور كثيرة غير كل ما سبق وما سيأتي - بإذن الله تعالى - يجعلنا نقول بعربية السريانية وأصالتها في النسب العربي، وهذا ما قال به حتى التاريخ العلمي الحديث، الذي قال : [إن السريانية بشموليتها كلغة؛ هي تطور معين من الآرامية، كما أن الآرامية هي تطور معين من الآكادية ... وقد استمرت الآكادية لغة علمية دينية بشكلها الآرامي حتى العهد المسيحي ... والآكادية- كما يقول علماء اللغة في العصر الحديث- : (هي اللغة التي تماثل العربية الفصحى؛ حيث تركيبها، ومعناها منذ ماقبل (٣٥٠٠ق.م)[٢] ... وإذا كانت الآكادية هي صورة مماثلة للعربية الفصحى في كل شيء ألا يعني أنها بعينها هي فصحى زمانها والتي تفرعت منها بقية اللهجات من آرامية حتى

---

(١) المرجع السابق

(٢) معجم الحضارات السامية، هنري، س . عبودي - ص ١١٧

السريانية، وقد أوضحنا الكثير عن عروبة الآكادية في التمهيد والفصل الأول من هذه الدراسة البحثية ... وعروبة الآكادية تعني عروبة كل ما تطور منها كالآرامية والسريانية التي هي -أيضاً- طور من الآرامية ... فإذا كانت الآكادية عربية فالسريانية كذلك لقولهم : (إن السريانية والحميرية : هما من أصل واحد من أصول عربية قديمة ...) [1] ومعلوم أن الحميرية لا يجادل في عروبتها إلا جاهل بتاريخ وجغرافية جزيرة العرب ... وإذا كانت الحميرية عربية؛ لتفرعها من عربية قديمة، فهذا يعني أن ما يشترك معها في الأصل الذي تفرعت عنه؛ و مثلها في نسبها، الذي جاءت منه، وهو العربية ... وعلى هذا فالأصول الأخرى التي تشترك مع السريانية والحميرية في الأصل الأم الذي منه تفرعت جميعاً هو تلك العربية القديمة، وتلك الأصول في : الآكادية – بقسميها البابلي والآشوري –، والكنعانية، ومنها العبرية والآرامية والسريانية، وأخيراً اليمنية والحميرية ... لأن اللغة اليمنية عندهم، هي أيضاً من تلك الأصول اللغوية القديمة -العربية القديمة- وعلى هذا فهي عربية، والحميرية يمنية، إذن فالسريانية يمنية عربية، لأنها تشترك مع الحميرية في جذور وأصل واحد آت من العربية القديمة، واليمنية هي أصل من تلك الأصول، إن لم تكن هي تلك العربية القديمة ذاتها ... لأن الآكادية التي تشترك معها في ذلك الأصل الأم، بل ومماثلتها كما قالوا؛ ليست تلك التسمية أصيلة فيها حتى تجعل – تلك التسمية – أصل لها لأن التسمية -بالآكادية- ليست أصيلة فيها، بل جاءتها كما قالوا :أنهم (استخلصوها من نقوشهم المسمارية التي قالت إن أهل بابل أطلقوا على لغتهم كلمة الآكادية، وكانت منطقة بابل تعرف بأرض آكاد ... وأنهم قرأوا في تلك النقوش ... أن تلك المنطقة المسماة أكاد كانت نسبة لأقدم القبائل السامية البابلية التي استوطنت في أرض جنوب العراق ...) [2] إذن فالتسمية ليست أصيلة في تلك اللغة؛ لأنا رأينا أنها تسمى حيناً بالآرامية، وحيناً بالكنعانية، وحيناً بالبابلية، وحيناً آخر بالأشورية، إذن فهي من باب تسمية المكين باسم المكان ... بدليل أن البابلية لم تكن أيضاً – هي الاسم الحقيقي لتلك الأمم ولغتهم، بل هي مصطلح أطلق – كغيره – على كل من كان يسكن تلك الأرض الآكادية، حتى لو لم يكن من الآكاديين أنفسهم،

---

(١) اللغات السامية : ص ٢٧

(٢) المرجع السابق .

وهذا ما قاله المستشرقون : (... والحق أن بابل – كما يدل عليها لفظهـا العربـي، والعبري – هي خليط من أمم مختلفة متبلبلة الألسن متباينة النزعات والميول ...)[١] ومثل هذا – أيضاً – حصل مع تسميتها بتسميةالآشورية، والتي لم يعرفها بذلك حتى الآشوريون أنفسهم، بل كانت تسمية استشراقية؛ أطلقها المستـشرقون فـي القـرن الماضي : (حينما بدأوا في التنقيب والفحص عن آثار الأمم الغابرة في العراق ... فأطلقوا على لغة أهل تلك البلاد اسم اللغة الآشورية؛ لأن أغلب الكتابات المـسمارية كشفت في نواحي نينوي عاصمة آشور القديمة، ثم اتضح لهم بعد أن انجلـت آثـار جنوب العراق، أن لفظ آشور لا يفي بالمراد؛ فأطلقوا على كتلة اللهجات السامية في بلاد العراق اسم اللغة البابلية الآشورية ...)[٢]، وإذا كانت كل تلك التسميات لتلـك الأمم الغابرة؛ لا تعني أنها تسميات نسبية لها؟ ... فهل يعني – ذلك أنها كانت فعلاً أقوام عربية ... وأظن أن هذا قد أجبنا عليه بتوسع في التمهيد والفصول الأولى ... وخاصة قوة العلاقة التي كانت بين من سموا بـالفينيقيين والكنعـانيين والآراميـين وغيرهم ... وبينا أيضاً أن البابليين، هم آراميون ... وتذكير لما سبق نحـاول أن نعيد بعض إشارات مما سبق للحاجة والربط، ومن ذلك قولهم : (نعلم أن مـؤرخي العرب كانوا ينسبون العرب البائدة جميعاً بإرم، ثم يصلونهم بالأرمان، كما في تاريخ سني الملوك لحمزة الأصفهاني، ويجوز أن يكون الآراميون من سلالتهم؛ هـاجروا إلى وادي النهرين؛ في تاريخ مجهول، لكن تاريخهم المعلوم يرجع إلى عهد دولـتهم التي حكمت بابل وقـام بالأمر منها حمورابي، صاحـب التشريع المشهور سـنة [٢٤٦٠ق.م] حيث سادت اللغة الآرامية بوادي النهريـن، وباديـة الـشام، وأرض

---

(١) اللغات السامية – ولفنسون – : ص ٣٣

(٢) المرجع السابق – اللغة السامية – ص ٢٦

كنعان، وبلاد الأنباط ... وظهرت لهجتها العامة كلاماً وكتابة في كل قطر من هذه الأقطار ...) (١).

وإذا كان حمورابي حاكم بابل – في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد كان آرامياً، وزعيماً لدولة آرامية في تلك الفترة، ولغته هي السائدة ... ألا يعني ذلك أن أمم تلك الأقطار كانوا آراميين، ومن سموا بالكنعانيين، كانوا أيضاً – آراميين؛ لأن كل تلك الأمم التي كانت تنتشر في تلك الأقطار، كانوا يشكلون جل الأمم الذين كانوا يعرفون بالشعوب البائدة، ومعلوم أن الشعوب البائدة كانت تعود في نسبها لإرم، وإرم هو جد لعاد وثمود، وهم من لا يجادل في عروبتهم أحد، حتى المستشرقين – كذلك من سموا بالبابليين كانوا آراميين؛ لأن حضارتهم كانت آرامية، كما أشار إلى ذلك الأنف الذكر، وهذا يعني أنهم كانوا عرباً، وما البلبلة إلا لتبلبل ألسنتهم، إذن فالجميع كانوا عرباً؛ لأنهم : (كانوا لا يمترون في أن العرب كانت أبعد آفاق التاريخ الذي أضاء فيها كوكب الحضارة المشرق ... وقد تحققوا ذلك بما اكتشفوه سنة [١٩٠١ق.م] في بلاد السوس من آثار دولة حمورابي، وهي المسلة التي دونت عليها الشريعة البابلية في (٢٨٢) نصاً، وما ثبت لهم من أن هذه الدولة عربية ... وهي تبتدىء سنة (٢٤٦٠ق.م]، وبهذا الاكتشاف قضي للجنس العربي أنه أسبق الأمم إلى وضع الشرائع، وأنه بلغ طبقة عالية في الحضارة سقطت دونها الشعوب القديمة ... بل يذهب صموئيل لاينج في كتابه [أصل الأمم] إلى أن الساميين استوطنوا بلاد العرب ... وأنهم حينما وجدوا في غيرها فهم غرباء ... وأن تقدمهم في الحضارة معرق في القدم، وربما كان قبل تحول العصر الحجري ... فتحولوا يومئذ عن الصيد والقنص إلى الزراعة والصناعة ... وهو يشير بذلك إلى الدولة المعينية التي جاء ذكرها في سفر الأخبار الثاني ، الإصحاح = ٢٦، عدد (٧) ...وقد عثر الباحثون على أمة بهذا الاسم ذكرت في أقدم آثار بابل سنة : [٣٧٥٠ق.م] على نصب من أنصاب النقوش المسمارية، وبالجملة فإن أصل العرب من أصول التاريخ

(١) أثر الحضارة العربية – العقاد – : ص ١٤٩ .

الإنساني التي ألحقها الله تعالى بغيبه، فلا يجليها لوقتها إلا هو [وفوق كل ذي علم عليم] [١]، ولذلك قال علماء الأثر الذين تخاطبهم الأرض بلغتها الحجرية الصامتة؛ فينقلون عنها آثار الأُول، أن الأصل السامي الذي انشقت منه اللغات المقدمة، إنما هو اللسان البابلي القديم؛ الذي عثروا على بقيته من آثار دولة حمورابي، كما أومأنا إليه في أصل العرب؛ لأنهم رأوا مشابهة قريبة بن هذا اللسان وبين العربية ... بل رأوا كلمات في العربية كأنها نقلت عن البابلية نقلاً صريحاً،مع أنها في العبرانية والسريانية قد دخلها التحريف ... وعللوا ذلك بأن العربية بادية؛ فهي قلما تتغير كلغات الحضر التي تتنازعها التبعية لغيرها،والاستقلال بنفسها، على نسب ما ينقلب عليها من أدوار العمران ...) [٢] ، ولكنهم نسوا أن ألسنة الجنوبين التي تنسب إليها هذه اللهجات كانت ألسنة حضاره !!!...

وهذه الشهادة التاريخية؛ التي تعلن أسبقية الجنس العربي، وعراقته في الحضارة الإنسانية ...؛ لأن أقدم أثر حضاري تعود إليه كل تلك الحضارات، هو عربي، بل هي – العربية – أصل الساميات؛ لأنها كانت الأصل الذي انشقت منه اللغات المتقدمة، وعندهم أن ذلك الأصل – كما رأيت – كان هو اللسان البابلي القديم، ومعلوم أن هذا اللسان – البابلي – كان هو لسان دولة حمورابي، وهذا الملك قد شهد التاريخ بأصالة عروبته؛ لأن مدلول البلبلة؛ لا يعني نسباً لتلك الأمم، بل شهدوا أنه لفظ عربي، ويعني أن تلك الأمم كانت خليطاً مختلفة، متبلبلة الألسن [٣]؛ لأن الأرض التي كانوا عليها لم تكن أرض (آكاد) ... وهذا المدلول لا يبعد أيضاً – عن سابقه (بلبل) فيما يدل عليه من معنى؛ لأنه يعني : (الخلط ودوس الأشياء ببعضها بعضاً، بل قالوا : (التآكيد : واحدتها) [آكاد] وتعني شد الشيء إلى بعضه [٤] ... وعلى هذا تكون تلك الأرض التي كانت تسمى كل حين بتسمية لا

(١) تاريخ آداب العرب – الرافعي – : ٤٧-١/٤٨ .

(٢) تاريخ آداب العرب – الرافعي – ص ٧٥ – ١/٧٧ .

(٣) اللغات السامية – ولفنسون : ص ٣٣ .

(٤) القاموس المحيط : ص ٢٧٤ – ١/٢٧٥ .

تخرج عن سابقتها؛ أنها الأرض التي كانت تجتمع عليها الأمم المتعددة، ومعلوم أن العرب كانت عبارة عن مجموعات من القبائل الكثيرة المتعددة، ولكنها كانت ترتبط برباط واحد يشد بعضها إلى بعض، وهو رابط العروبة ... فهم كانوا في البداية في تلك الأرض متأكدين ببعضهم؛ لكن لسانهم كان واحداً، وحينما أخذت ألسنتهم تتبلبل، رغم توحد جنسهم وأصلهم، إلا أن التاريخ اللغوي يقول إنه قد وجد أن المشابهة قد كانت قائمة بين اللسان الذي سمى بالبابلية، وبين اللغة التي وجدوها حديثاً تسمى بالعربية؛ لأنهم وجدوا أن جل الكلمات في اللغتين كأنهما نقلا من بعضهما، ... في حين وجدوا أن تلك الكلمات فيما سميت بالسريانية والعبرية قد دخلها الكثير من التحريف والتغير ... وهذا شيء طبيعي في طبيعة اللهجات المتفرعة من لغة أصل؛ لأن تباعدها عن أصلها يجعلها عرضة للتحريف والتغيير يؤدي إلى التواء بعضها في طرق نطقها لبعض الألفاظ وصيغها عن طرق نطقها الأصلي الذي كانت عليه إبان بداية فرعها، وهذا أمر قد قالوه هم أنفسهم عن اللغة التي أسموها بالبابلية ... ألم يقولوا : إن بابل كانت خليطاً من أمم مختلفة، متبلبلة الألسن متباينة النزعات والميول ... وحينما يصل أحفاد اللغة الأصل إلى هذا المستوى يكون الأمر طبيعي لولادة مثل تلك اللهجات التي تأخذ في الانفراد والاستقلال النسبي عن بقية أخواتها، أي اللهجات الأخرى، وهذا أمر حاصل عبر الأزمنة؛ ولذلك وجدنا أن ما حصل للغة وأهلها في أرض العراق – بابل –لم يكن هو الأول؛ بل كان الثاني؛ إذ حصل مثله على الأرض الأم لتلك اللغة – أرض اليمن –، ومن هنا كان الأمر طبيعي أن يقول التاريخ اللغوي : أنه وجد أن السريانية والحميرية : هما من أصل واحد من أصول عربية قديمة ...) لأن الحميرية كانت قد ولدت من الأصل الأم في الفترة التي كان قد حصل فيها لأهل اللغة الأصل –الأم– في أرضها –الأم–، مثل ما حصل لأهلها على أرض العراق ... ونتج عنه ما سمي بالسريانية وغيرها ... ومن هنا كان التشابه بين هذه اللهجات التي ولدت على أرض العراق والشام واللهجات التي ولدت على أرضها الأم – اليمن – ... وإذا كان هذا قد حصل بين هذه الفروع هنا وهناك؛ فكيف لا يكون ذلك التشابه قد حصل بين الأصل في موقعيه القديم والحديث، لدرجة

قالوا عنه أنه وصل حداً لا يشك معه أي باحث في أن تلك اللغة التي سميت بالبابلية – أو الآكادية، أو الآرامية أو الكنعانية هي العربية بعينها؛ لهذا قالوا : (إن من تلك المشابهة، هو ما وجد بين العربية والبابلية : في تشابه أمر حركات الإعراب، إذ وجدت بين اللغتين واحدة، ولا وجود لها في سائر اللغات – اللهجات – السامية ... حتى إن جل المستشرقين كانوا قد ذهبوا قبل أن يكتشفوا هذا إلى أن الحركات في العربية الفصحى هي من اختراع العرب، تميزوا بها لرقة ألسنتهم، وتوخيهم عذوبة البيان ... فاللغات تتباين في سكون الآخر وتحريكه، فالتحريك في السنسكريتية القديمة، وفي بعض اللغات الأوروبية الحاضرة، كالإيطالية والإسبانية ... ولكن جميعها خالية من هذا الضبط الموزون بالحركات المتساوقة التي تجدها إعراباً في العربية، ... ويقال –أيضاً– إن ما اكتشفوه في بطرة وتدمر يوجد فيه آثار لحركات الإعراب، وذلك لأن أهلها هم بقايا العمالقة .

ومن تلك المشابهة – أيضاً ما سبق الإشارة إليه،كالتنوين، الذي هو في البابلية (ميم)، وفي العربية [نون]، وهما من أحرف الإبدال... ومن العرب من يجوز إبدال أحدهما من الآخر، وكذلك علامة الجمع؛ إذ هي في البابلية [الواو والنون] كما هي في العربية ... وفي السريانية هي : (الياء والنون) كما هي في العربية أيضاً ... وفي العبرانية [الباء والميم] ... وفيها أن صيغ الأفعال في البابلية، هي أقرب إلى الصيغ العربية منها إلى غيرها من سائر اللغات – اللهجات– السامية .

أما الكلمات التي حفظت في العربية، فكأنها نقل صريح من البابلية، مع تغييرها في سواها ... فمنها مثلاً لا حصراً : لفظة [أنف]، التي سقطت نونها في العبرانية السريانية دون العربية والبابلية، وكذلك لفظة [عنب] فهي أيضاً ساقطة النون في تينك دون هاتين(١) .

وبنظرة سريعة على هذا النص تجده يؤكد قوة المشابهة بين البابلية والعربية على أساس أنهما متقاربتان في كل شيء، مستبعداً في الوقت نفسه أي تشابه تصل درجته بين العربية والسريانية والعبرية ما وصلت بين العربية والبابلية ...

---

(١) تاريخ آداب العرب : ص ٧٥-١/٧٦

ولصاحب النص عندي عذره فيما ذهب إليه، لأسباب كثيرة جداً، منها مثلاً : تلاحظ أن أخذه واستشهادته لا تتجاوز ما سطر في أمهات التاريخ والآثار ومتون اللغة إلى زمنه، سواء كانت تلك المراجع أجنبية أو عربية، وكل ما هو موجود من تلك المراجع، لا تجد فيه دراسات ميدانية معاصرة لزمنه – أخذت من جنوب جزيرة العرب، اللهم إلا بعضاً مما قاله بعض المستشرقين، مستخلصين له من بعض النقوش التي حصلوا عليها من بعض المواقع في جنوب جزيرة العرب، وهم يجهلون أكثرها، ... حتى الكاتب نفسه – رحمه الله تعالى – لم يصل إلى جنوب جزيرة العرب في حياته، ولهذا كان له عذره فيما قاله، ومع ذلك فالنص ذو قيمة تاريخية كبيرة جداً، فهو يفيدنا في تأكيد مقارنة البابلية – الآكادية – بالعربية الفصحى، أي مقارنة الآكادية القديمة بالعربية الفصحى، أي بمعنى آخر أنها فصحى زمانها، وهي اللهجة التي تمثلت في اللغة التي سميت بالآرامية، – لسان نبي الله إبراهيم وسائر الرسل والأنبياء – عليهم الصلاة والسلام –، أما ما سمي بالسريانية أو العبرية، أو حتى الكنعانية،فلا يعني سقوط حرف النون في بعض كلماتها أنها ليست عربية؛لأن هذا غير صحيح، لأننا سبق أن قلنا في أماكن كثيرة؛ أن هذه الألسن، لا تعدو عن كونها لهجات تفرعت عن العربية –الأم–الفصحى في زمن فترات تبلبل ألسنة الكثير من قبائل العرب قبل الهجرات من موطنها الأم – اليمن – أو زاد أمر تبلبلها خارج موطنها في بلاد العراق والشام، وفلسطين ومصر وسيناء وغيرها ... ومن هنا فالواجب أن نقارن تلك اللهجات التي سميت في مهاجرها بتلك التسميات – السريانية والعبرية ... إلخ – بالألسن نفسها التي كانت هي منها ومثلها وبقيت في مواقع موطنها الأصلي – اليمن، ولم تهاجر منه كأخواتها تلك، كالحميرية والسبئية، والقتبانية، والمعينية والحضرمية والأوسانية وغيرها في بلاد جنوب جزيرة العرب ... وهذا ما كان يجب فعله من زمان، بدليل أنك لو عدت لما سمي بالبابلية في بداية فترة تبلبلها؛ أي في فترة كانت هي أقرب إلى الفصحى؛ لوجدها هي عينها تلك اللهجات التي سميت بالسريانية أو العبرية ... إلخ، التي أصبحت لهجات لها– الآكادية – فيما بعد بدليل أن ما قالوه عن التنكير وكونه في البابلية يدل عليه (بالميم)، وفي العربية (بالنون)، هذه العلامة [الميم]، لو ذهبت إلى عربيات جنوب جزيرة العرب لوجدته في اللهجات التي كانت وبقيت في أماكنها منعزلة إلى وقتنا الحاضر، ففي جهات العبادل وبني معين وفيفا وما حولهم، تجد الكثير منهم يدلون

على هذا التنوين بالميم فيقولون مثلاً في [بقر] يقولون : (بقرم) ... [أنـف] ينطقهـا العبادلون : [أف] وأنفس .. أفس ... وفي عنب : [عب] بإدغام النون فـي كلهـا . وحينما تعود إلى ما كانت تسمى في هذه المواقع كالسبئية والمعينية ... إلخ تجـد أن نقوشهم تقول أنهم يقولون في [سنبلة .. سـبلة] بـدون نـون ... إذن فالـسريانية والعبرية وغيرها، هي من جنس هذه اللهجات وهي عربية ... وعلى هذا فهذه

اللهجات بمجموعها الشمالي والجنوبي؛ كانت تمثل عربيات اللهجات القديمة؛ وأن الآرامية –التي سميت في أرض بابل بالبابلي – هي العربية الفصحى كعربيـة تلك الحقب، ولهذا نجد أن ما أشير إليه بأنه كان يمثل التشابه، نجد أن القليل منه هو ما كان يمثل بعض فصحى عربية اليوم، أما جله فلا يمثل إلا لهجات جنوب جزيرة العرب القديمة، التي لا تزال بقية منها باقية بحفظ الله تعالى لها في مواقعها – كمـا سبق أنفاً – ... وقد نقل عن ديو : (... إن الأحافير النبطية التي ترجع إلى القـرن الثالث قبل الميلاد تدل على تقارب شديد بين الآرامية والعربية الفصحى، وقد لوحظ التقارب بين اللغات أو اللهجات العربية فيما هو أقدم من ذلك كثيراً، بحيث لا يحسب تاريخه بأقل من ألفي عام قبل الميلاد، فإن أداة التعريف وضمير المتكلم والغائـب، وكلمات النفي والنهي، وتصريف الأفعال المشتركة فـي اللغـة العربيـة، واللغـة الآشورية؛ التي تنسب إليها السريانية – كما تقدم –[1] بل نجد صاحب كتاب الكنـز في قواعد اللغة العربية، في أثناء حديثه عن الآرامية التي كـان يـسميها بالبابليـة يقول:(... ثم انظر فيما يكون فيه التشابه الظاهر بين العربية والبابلية؛ ولا سيما في الإعراب وحركاته ...)[2] وهذا يعني أن السريانية والبابلية والآشورية، كلها هـي الآرامية، والآرامية : (هي عربية في لغتها ونشأتها ونسبها إلى عنصرها، ولا يمكن

---

(١) أبو الأنبياء – العقاد – ص ١٣٥ .

(٢) المرجع السابق، ص : ١٥١ .

أن تعرف لها نسبة إلى أمة غير الأمة العربية في عهودها الأولى)[1] .

وإذا كانت السريانية، هي لهجة من الآرامية، وتشترك مع الحميرية في أصولها، والحميرية هي – أيضاً – من اليمنية، إذن فقد صدق التاريخ حينما قال : إن المؤرخين : (يعتقدون أن اليمن هي مصدر العربية الأولى، وأن المؤرخين المحدثين، والقدامى من أهل الحجاز قد تلاقوا لإثبات قولهم : إن العرب العاربة، هم أهل اليمن ... ثم يليهم من سموا بالعرب المستعربة ...) .

وهذه الإشارة تجلي لنا حقيقتي التشابه بين البابلية – الآرامية – والعربية الفصحى، وبين ما تفرع منهما من لهجات، وكذلك حقيقة الربط بين الحميرية، والسريانية، فقضية التشابه التي أشاروا إليها أنفاً، لو عدت مرة ثانية لما قالوه عنها لوجدته لا يخرج عن كونه صورة من صور لهجات جنوب جزيرة العرب، ولا سيما الشريط الجبلي الذي حددناه لأن يكون منطقة ميدانية تاريخية تطبيقية –بطاقة دعوة للمختصين – لهذه الدراسة أو العجالة السريعة التي أسميناها الحلقة المفقودة ... أعود لأقول إنه صورة من صور لهجات هذه المنطقة، صورة تمثل فترة تبلبل اللسان العربي الأول في بلاد اليمن، وعربية تلك الأزمنة .

من صور الربط :

فمثلاً؛ لو أنا وقفنا قليلاً عند بعض ما نسبوه للسريانية؛ لرأينا كثيراً من صور الربط، التي تؤكد حقيقة أن تلك من هذه، فلغة كتب الصابئة، التي أشاروا أنها تمثل السريانية القديمة، ومثلوا لها ببعض الكلمات [كآلم، وشماسي، وموشى ... إلخ] هذه الكلمات السريانية الصابئة – لو أنا عدنا لمنطقة الشريط الجبلي في جنوب جزيرة العرب في وقتنا الحاضر لوجدنا جل قبائل هذه المواقع لا تزال تنطق ألسنتها كل تلك الكلمات المشار إليها وغيرها مما لم يشر إليه، كما كانت تنطق فيما سميت بالسريانية وأخواتها ... ففي قطاع محافظة جبال فيفا وما حولها، نجد الآن بعضاً من قبائلها، لا زالوا يقلبون الهمزة [عيناً] إذا جاءت في أول الكلمة، وبعضهم على

---

(١) آثار الحضارة العربية – العقاد –، ص ١٥٣

العكس، وهذا لا يقتصر على جهات فيفا، بل كلما توغلنا جنوباً نجد ذلك بكثرة، فمن الأول قولهم : (... في أسد : عسد ... وفي [عالم، ألم ...] ومن الثاني قولهم في: [بدأ : بدع ...] (١)، ولم يكن هذا في القبائل الجنوبية الآن؛ أو في القبائل العاريـة البائدة، وما سمى بالسريانية والآرامية والعبرية والكنعانية ... إلخ بل وجدنا هذا في لهجات عربية شمالية في زمن فيه الفصحى المبينة كانت هى السائدة ... ومما رواه علماء العربية من العرب القدامى : (... أنهم كانوا يقولون : والعنعنة في لغة تميم وقيس ... وهم يجعلون الهمزة المبدوء بها عيناً ... فيقولون في : [إنك : عنك ... وفي [أسلم : عسلم ... وفي : [إذن : عذن ...] وهلم جرا) (٢) .

وإذا كان أهل السريانية؛ كانوا ينطقون حرف: الحاء (هاءً)، فيقولون فـي : [يحي ... يهيه ... فهنا الكثير من قبائل العرب، وجدناهم يبدلون الحاء ... (هـاءً) لقرب مخارجها، ... ولا سيما فـي جنوب جزيرة العرب... فيقولون في : [مدحتـه ... مدهته ... وعليه قول رؤبه : (ولله در الغانيات المدَّة] (٣) ويقصد المـدة : أي المدح ...) إن إبدال الحاء هاء في اللهجات الجنوبية خـصوصاً لا يقتـصر علـى حرف الحاء وحدها ... بل وجدنا في جبال فيفا وما حولها – في الوقت الحاضر – من يبدل الثاء هـاء، فيقولون في نحو : [مثل] ... [مهل] (٤) وفي لهجة : [آل خالد] ... وهم فخذ مـن فخوذ بني مالك ... لا يزالون ينطقون حرف السين ... (شـيئاً) ... فيقولون فـي : (السلام) : شلوم، بنطق خاص فيها ... وفي (موسى) : موشـى ...] (٥) وإذا كان قد وجد فيما سمى بالسريانية؛ أنهم كانوا يقولون فـي :[أف] –

---

(١) من لهجات فيفا : ص ٨٤ / مخطوط لم يطبع لمحمد بن مسعود الفيفي .

(٢) تاريخ آداب العرب – الرافعي – : ١٤٢ .

(٣) تاريخ آداب العرب : ١/١٤٨ .

(٤) لهجات فيفا : ص ٨٥ / محمد بن مسعود الفيفي .

(٥) نقلاً عن شيخها : علي ابن حسين الكبيشي / على شريط كاسيت .

[أنف] – [أب..] بإبدال الفاء [باء] ... وأيضاً في الآكادية[1] مثل هذا ففي فيفا – أيضاً– من يعمل هذا الإبدال بين (الفاء – والباء) أو بين (النون والباء) فيقولون في (الفرج–البرج) [2] وفي (نقص : بتص)، ويبدلون [الحاء ... سيناً] فيقولون في : (الجروح – الجروس) [3] ...وهناك الكثير الكثير سوف يأتي بعضه في مواضعه – بمشيئة الله تعالى – وعلى هذا كله نجد أن التشابه يثبت أن لهجات تلك الفترة – في شمال جزيرة العرب – العراق والشام – كانت – لا تخرج عن كونها امتداداً للهجات جنوب جزيرة العرب، بدليل ربطهم السريانية والحميرية بأصول لغوية واحدة؛ برغم أن : " الحميرين كانوا يقيمون بأقصى جنوب جزيرة العرب، والآشوريون كانوا يقيمون بأقصى الشمال من العراق ... ولكن التشابه كان بين لهجة حمير ولهجة آشور أقرب جداً مما بين اللهجة الحميرية واللهجة القرشية بمكة، والمسافة بين اليمن والحجاز أقرب المسافات "[4] .

وإذا كانت الحميرية كانت هي أقرب إلى الأشورية وأخواتها؛ من القرشية المكية التي كانت – كما قالوا – أقرب إلى الأشورية، أفلا يعني هذا أن القرشية؛ هي أيضاً – الحميرية نفسها؟؛ لأن قرب القرشية من الآشورية؛ يعني أن القرشية هي من الحميرية؛ لأن القرشية لا تخرج عن كونها نتاج ذلك المزيج الذي نتج عن اندماج ألسنة قبائل جنوبية اندمجت داخل مكة؛ كجرهم وخزاعة الأزدية، وبعض فروع العماليق الذين نزلوا الحرم وأكناف مكة، وبعض فروع طيىء، وغيرهم من القبائل الذين كانت ألسنتهم جنوبية، والذي رضع من مزيجهم اللساني هذا نبي الله إسماعيل – عليه السلام – ... ذلك المزيج الذي كان تمهيداً وتهيئاً لعودة الفصحى المبينة على لسان هذا النبي إسماعيل –عليه السلام– فيما بعد ...وهنا يأتي :

---

(١) ملامح في اللهجات العربية من الآكادية حتى السبئة ... الخ : ص ٢٠١، ٣٤٦ .

(٢) لهجات فيفا : ص ٩١ – ٩٢ .

(٣) لهجات فيفا : ص ١٣٥ .

(٤) أبو الأنبياء : ١٣٥ .

استفسار مهم :

وهو كيف تكون اليمن : هي مصدر العربية الأولى، باتفاق جميع المؤرخين قديمهم وحديثهم؟، وذلك لقولهم : "إن العرب العاربة هم أهل اليمن"، ومعلوم أن العرب العاربة عند هؤلاء المؤرخين أيضاً – هم أصل اللسان العربي القديم ... ورأينا فيما سبق أن البابلية الآكادية وكل ما أنبثق منها من لهجات – رأينا أيضاً – أنها كانت ترجمة تطبيقية لليمنية القديمة، ومع كل هذا نجد جل هؤلاء المؤرخين يعلنون صراحةً : " أن اللغة الحجازية لم تتطور من اللغة اليمانية مباشرة "[1] .

وإذا سألتهم لم ذلك؟ ... أجابوك : (لأن اللغة العربية الأولى في اليمن لم تبلغ من الصقل والفصاحة في انتظام القواعد ما بلغته لغة الحجاز؟ وقد جاءها -الحجازية- التطور أصلاً من العربية القديمة، إلى الآشورية، فالآرامية، ثم إلى النبطية، ومنها إلى القرشية، فتقاربت لغة النبط ولغة قريش من هذا السبيل ... وكان التقارب بينهما في الزمان أو في درجات التطور؛ ولم يكن تقارباً يقاس بالفراسخ والأميال ...)[2] .

وعند هذا التباين التاريخي، نقف ونسأل كيف تكون اليمانية هي اللغة العربية القديمة؟ ... وهي أيضاً الأم التي انبثقت ونشأت اللغة التي سميت بالحجازية ... ومع ذلك يقولون بنفي أي تأثير لليمانية في الحجازية فيها لأن ما جاءها من تطور لم يكن إلا عن طريق الآشورية .. ترى كيف يكون ذلك عندهم؟!!! ... كيف يكون تطويرها عن الآشورية، التي جاءها التطور أصلاً – عندهم – من العربية القديمة، ثم منها – الآشورية– إلى النبطية، فالقرشية فالحجازية ، عجباً –والله–! أليست القرشية هي بنت اليمانية القديمة؟ ... لأن الكل يعلم أن الأصول التي ولدت منها القرشية هي ألسنة تلك القبائل التي جاءت من اليمن وسكنت أرض مكة المكرمة ... ونشأ وترعرع في أحضانهم من أصبح أباً للسان الذي سمي فيما بعد بالحجازية – وهو

---

(١) أبو الأنبياء : ١٣٧ .

(٢) أبو الأنبياء : ١٣٧ .

نبي الله إسماعيل -، ومعلوم أن تلك القبائل أيضاً هم من بقايا القبائل العاربة التي بقيت أصولها في اليمن بعد رحيل الكثير من فروعها وبطونها، إلى أرض العراق وبلاد الشام ... وقد سبق إن قلنا أن تباعد هذه الفروع والبطون وتشتتها عن بعضها أحدث الكثير من الخلل والفساد في ألسنتها، ما جعلها وكأنها ألسنة ليس لها صلة ببعضها ...وقلنا - أيضاً - إن رؤساء تلك القبائل كانوا لا يسكنون عند حدوث مثل ذلك، بل يتداعون ويسرعون للاجتماع لتدارس ومعالجة ذلك الفساد ومحاولة العودة بتلك الألسن إلى شيء مما كانت عليه ... وأشرنا إلى بعض من تلك الاجتماعات التي كانت تحدث في اليمن بين وفود بعض القبائل التي بقيت في الجنوب بزعامة قحطان، وبقايا جرهم الأولى - قبل رحيلهم إلى الشمال -، وبقايا العماليق - قبل خروجهم خارج جزيرة العرب، بزعامة زعيمهم - عمليق بن لاوذ الأب الأول لهم[1] - وذلك لأن رؤساء القبائل كانوا هم المسئولين على محافظة الألسن وسلامة نطقها في فترات غياب الأنبياء والرسل، حتى أنهم كانوا يقولون لهذه القبائل : (هم العرب العاربة ...) [2] وذلك لأن هؤلاء الرؤساء كانوا يظلون محافظين على النطق بالعربية السليمة بين أقوامهم الذين تبلبلت ألسنتهم ... والاجتماع الثاني حصل في أرض الحجاز بين زعيم قبائل جرهم - مضاض بن عمرو -، وزعيم القبائل اليمنية - الذي وفد أيضاً إلى مكة - في اليمن، وهو يعرب بن قحطان، ثم ينظم إليهم [عريب العمليقي] - زعيم القبائل العمليقية في الشمال وخارج جزيرة العرب وغيرهم من زعماء القبائل الذين اجتمعوا لإعادة الألسن إلى جادة النطق السليم ... وذلك لأن تلك الاجتماعات كانت تحصل عندما يتفشى الفساد في الألسن ... ولتوحيدها تمهيداً لعودة ميلاد الفصحى على يد النبي الذي سيبعث بعد كل اجتماع من تلك الاجتماعات؛ ليصبح لسان القوم الذين سيبعث فيهم ذلك النبي سليماً، ليسهل مخاطبتهم بدعوته التي من شروطها وحدة الأمة المبعوث فيهم، ووحدة لسانهم أيضاً، وقد سبق الحديث

---

(١) الطبري : ١/٢٠٦ .

(٢) الطبري : ١/٢٠٧ .

بإسهاب عن هذا، وسيأتي تذكير له في أماكنه بإذن الله تعالى ... كحديث عمر السابق مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حول تحفيظ جبريل – عليه السلام – له لسان النبي إسماعيل ... لأن نسبة ذلك اللسان إليهم يؤكد أنهم كانت لهم عدة لهجات بعد تفرقهم بعد موت والدهم، – عليه السلام – ويؤكد – أيضاً – أنها جميعاً منبثقة من لسان أبيهم إسماعيل – عليه السلام –، ومعلوم أن لسان أبيهم – عليه السلام – كانت هي العربية المبينة التي ألهمها، ولذلك تلاحظ كما سبق أنه كان قد حصل له مع قومه ما حصل مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من تلقين وتحفيظ إلهي عن طريق جبريل – عليه السلام – ... ولهذا كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – صريحاً مع قومه حينما عبر عن ذلك بقوله : (قرآناً عربياً لقوم يعلمون) قال – صلى الله عليه وسلم – : (ألهم إسماعيل هذا اللسان إلهاماً ...) [1] ولهذا قال صاحب كتاب المزهر معلقاً : (والعربية التي تكلم بها إسماعيل، والتي نزل بها القرآن الكريم، وما تكلمت به العرب على عهد النبي – كان مختلفاً عن عربية حمير وبقايا جرهم ...) أي أنها كانت عربية؛ ولكنها لم تكن في درجة فصاحة ما كانت عليه لسان بني إسماعيل – عليه السلام – ... بعد الإلهام الذي حصل لوالدهم بالعربية المبنية ... أي أن عربية أبناء إسماعيل – عليه السلام – وبقايا حمير وجرهم، كانت في درجة عربية اللهجات التي أسماها علماء اللغة إبان نزول القرآن باللهجات الشاذة؛ لأن عربية لسان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقومه الفصحاء كانت في درجة العربية التي ألهمها نبي الله إسماعيل – عليه السلام – إبان دعوته؛ لذلك كانت عربية فصيحة بالنسبة للهجات بدأت تضعف بعد فترة أبيه إبراهيم عليه السلام –، وذلك تلاحظ أن صاحب كتاب المزهر – الآنف الذكر– لم يقل عربية حمير وجرهم، وإنما قال : (عربية بقايا حمير وجرهم ...) [2]؛ لأن أصول جرهم وحمير كانت عربيتهم سليمة إبان مجيئهم من اليمن ونشأة

---

(١) المزهر : ص ١/٣٣ .

(٢) المرجع السابق .

إسماعيل -عليه السلام- بينهم، لكنهم مع الزمن بدأت ألسنة أحفادهم، وأحفاد إسماعيل - عليه السلام - الذين عاصروهم لم تكن لسانهم في درجة لسان أصولهم، وكذلك أحفاد إسماعيل، ولذلك رأينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، يقول [هذه لغة بني إسماعيل كادت تدرس، فحفظنيها جبريل ...) وبهذا يكون لسان إسماعيل - علية السلام - قبل إلهامه العربية المبينة عربياً فصيحاً، لكنه كان أقل درجة من فصاحة عربيته بعد إلهامه العربية المبينة؛ ولسانه - أيضاً - قبل الإلهام؛ هو نفس العربية الأولى، أي اليمنية القديمة الأولى ... ولسانه بعد الإلهام هو العربية المبينة، أي العربية -الأم- الأولى؛ والتي هي أيضاً - لسان أبيه - إبراهيم عليهما السلام - من قبله، ولسان كل الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام -؛ وهي التي أصبحت يشار إليها اليوم بالعربية الحديثة، وهي أيضاً نفس العربية الأولى ... ثم إن إسماعيل - عليه السلام - كانت بعثته فيمن سمى أحفادهم ببقايا جرهم وحمير، ومعلوم أن جرهم وحميرهم كان لسانهم يمانياً، ولسانهم اليماني هو نفسه الذي سمي فيما بعد بلغة أهل الحجاز، الذين قال عنهم المؤرخون : [إن لغة الحجاز لم تتطور من اللغة اليمانية مباشرة، وإنما جاءها التطور من الآشورية القديمة ...) (١) وهذا يعني أن التطور لم يأت للحجازية عبر الآشورية حقيقة؛ لأن الآشورية القديمة، هي نفسها العربية اليمنية القديمة، أي أن شأنها كان هو نفسه شأن عربية أصول جرهم وحمير وإسماعيل - عليه السلام - قبل إلهام العربية المبينة تماماً، ... ويكون ما حصل للحجازية من تطور كما أسموه جاءها عن طريق العربية المبينة التي ألهمها نبي الله إسماعيل - عليه السلام - وانتشارها بينهم عبر الخطاب الدعوي الذي كلف بنشر بينهم - عليه السلام - لأن عربية أبيه - إبراهيم - عليهما السلام - لم تنتشر في قلب الحجاز - مكة -؛ لأسباب كثيرة، : منها : أن خطاب إبراهيم الدعوي لم ينتشر بين الحجازيين في مكة وما حولها، لأن دعوته كانت مقصورة على بلاد الرافدين وما حولها، وقصته في مصر مشهورة في ذلك ... والعربية المبينة التي انطلق منها

---

(١) أبو الأنبياء : ١٤٩ .

التطوير في الحجاز لم يكن لها تأثير في الحجاز إلا بعد ولادتها على لسان ابنه إسماعيل – عليهما السلام – إبان مبعثه فيها، فكيف يكون التطور في الحجاز من الآشورية القديمة، وقد كان شأنها شأن اليمنية القديمة، التي كانت هي – أيضاً – نفسها التي كانت في الحجاز قبل ولادة العربية المبنية فيها على لسان إسماعيل– عليه السلام –؛ وعندي أن هذه الولادة للعربية المبنية هي التي كان لها التطوير في اللسان الحجازي، إن كان هناك تطوير قد حصل فعلاً؛ وهو أيضاً التطوير – التأثير – الذي كان للفصحى في تلك القرون الغابرة؛ والذي به (كانت نهاية الدورة التي طافت بها هذه العربية – المبيتة – من أقصى الجنوب في شبه جزيرة العرب، إلى أقصى الشمال، في الطريق إلى الرقعة الوسطى بين العراق، والبحر الأبيض المتوسط، ... تلك الولادات، وذلك التطواف، هما اللذان كان لهما ما سمى بتطوير العربية عبر تلك المراحل المتكررة؛ كان لها فضل التهذيب في اللهجات الحجازية، التي أخذت تتوحد وتتهذب نتيجة لتلك الاجتماعات التي كانت تعقد تمهيداً لميلادها قبل مجيئها على لسان كل نبي في كل مرحلة – كما سبق الإشارة إلى ذلك ... والذين كانت تنطلق بها ألسنتهم السليمة، كما كانت تنطق من قلوبهم العقيدة السليمة، من أي الأنبياء إبراهيم، إلى آخر أحفاد محمد عليهم جميعاً أفضل الصلاة والتسليم، لقولهم : (إن البقايا التي تخلفت منذ عشرات القرون قبل الميلاد؛ لا تدع مجالاً للشك في وحدة اللغة بين الأقوام العربية في شبة الجزيرة العربية، وفي أرض الهلال الخصيب ... وفي هذا المعنى يقول إلبرات في كتابه عن أحافير فلسطين : إن اللغات – اللهجات – السامية المشهورة في القدم هي الآكادية – البابلية – الآشورية، والسامية الشرقية والسامية الغربية، وهذه تنقسم إلى العربية الشمالية، والعربية الجنوبية؛ أي المعينية والسبئية والأثيوبية، ومعها لهجات شتى، بعضها قديم وبعضها حديث ... إلخ[1]، والنص في الصفحات السابقة ... وإذا كان التاريخ اللغوي يؤكد على وحدة اللغة السامية، وأن كل ما سمي بالساميات؛ لا تخرج عن كونها لهجات

(١) أبو الأنبياء : ١٢٣ - ١٢٤ .

تفرعت عن تلك اللغة الواحدة... وتلاحظ أنه يؤكد – أيضاً – على أن تلك اللغة الواحدة هي العربية؛ بدليل قوله : (والسامية الغربية تنقسم إلى العربية الشمالية والعربية الجنوبية ...) وإذا كانت السامية الغربية؛ هي العربية الشمالية والجنوبية؛ فهذا تأكيد من التاريخ اللغوي على أن القسم الشرقي فيها؛ هو أيضاً عربي؛ لأن الجزء من الشيء يحمل صفة هذا الشيء الكلي، وهذا الأمر ينطبق على كل ما يتجزأ من ذلك الشيء، حتى لو سُكت عن قول ذلك؛ لدلالة قرينة ما أطلق على الجزء الآخر؛ فإلبرايت، وإن سكت عن نطق طبيعة وحقيقة اسم القسم الشرقي؛ إلا أن منطوق ما صرح به حول القسم الغربي يثبت حقيقة نسبه ما سكت عنه ...وقد سبق أن أفضنا في الحديث عن قضية السكوت التاريخي، وكيف أن الأستاذ العقاد قد جعل منه دليلاً إثباتياً على حقيقة ما يسكت عنه ... وعلى هذا يكون سكوت ألبرايت عن الإشارة إلى حقيقة نسب القسم الشرقي من اللغة السامية – الآكادية – ما هو إلا كمن يفصل ما أجمله، أو كمن يجعل اللاحق دليلاً على حقيقة المسكوت عنه ... وهذا الأسلوب معروف ... وبذلك يكون هذا القسم عربي النسب، كما كان القسم الغربي، وهذا ما أكده ألبرايت نفسه حينما أشار في نهاية حديثه السابق حول تلك التقسيمات؛ وأنها تقسيمات واهية، وأن ليس لها حقيقة؛ لأنها شيء واحد : [لأن كل قسم منها؛ إنما هو مسألة اصطلاح ... بكون اللغات – اللهجات – السامية القديمة تتقارب في الأجرومية والنطق، بحيث تشترك كل لهجة وما جاورها، ولا يلحظ الانتقال من لهجة إلى لهجة إلا كما يلحظ مثل هذا الانتقال اليوم بين اللهجات الفرنسية والجرمانية..] (1) وإذا كان تباعد الفرنسية عن الجرمانية لم يحرمها حقيقة نسبها الأوروبي اللاتيني، ولم يؤثر الانتقال المكاني على طبيعة جذورها اللسانية؛ اللهم إلا بمقدار تأثير الشوائب التي علقت ببعض أطراف تلك الجذور الأصلية للبعد الزمني، وبقية علاقتها قوية بأمها في موقعها الأصلي أوروبا، التي كانت تضم كل تلك اللهجات اللاتينية، كذلك كانت كل تلك اللهجات السامية التي ظلت محافظة على

---

(1) المرجع السابق .

نسبها العربي؛ عنصراً ولساناً، وموقعاً، والنسب المكاني – الموقع – للإنسان العربي خير دليل على أصل عنصره، فهو إينما وجد عربي وجهاً ولساناً ودماً، بل لا يستطيع مع غير عنصره أن يعيش، حتى إن سلوكه في موطنه الجديد لا يخرج عن سلوكه في موطنه الأصلي لساناً ومعتقداً، وعملاً في كل ما يرتبط بحياته بدليل : (إن الشعوب التي تعرف بالسامية، هي شبه الجزيرة العربية ... ومنها هاجرت بعض قبائل تلك الشعوب إلى بلاد الهلال الخصيب، بين وادي الفرات والبحر الأبيض المتوسط ... وهاجرت أخرى من جنوب شبه هذه الجزيرة إلى الحبشة وأفريقيا ... فالآشورين والآكاديون البابليون، الكلدانيون؛ هم أفواج متلاحقة على فترات متباعدة – في هجرتهم – تتراوح الفترة منها بين ستمائة وألف سنة ...وأقدمها ما أقام في الشمال؛ لأن الأقاليم الشمالية في وادي النهرين كانت أخصب الأقاليم وأصلحها للزراعة والمرعى، خلافاً للأقاليم الجنوبية ... ومن شمال العراق كانت قبائل المهاجرين الأوائل تتجه إلى بادية الشام؛ وإلى شواطىء البحر الأبيض المتوسط، على مقربة من صحراء سيناء، فالقبائل العربية التي أقامت في فلسطين من شمالها إلى جنوبها؛ إنما قدمت إليها على الأكثر من الشرق لا من الجنوب ... ولم يظهر لنا من الآثار ما يدل على هجرة كبيرة من طريق الحجاز، قبل الدعوة الإسلامية .. ولهذا يعتقد المؤرخون أن اليمن هي المصدر الأول للعربية[1] ... وقد ظهر من أحافير اليمن والعراق والشام وفلسطين أن أسماء الآلهة واحدة في جميع هذه البلاد؛ ففي كلامها اسم بعل والرب، وأيل، بمعنى المعطي والوهاب، فمن هذا التشابه : اسم (ملكي صادق) في فلسطين، واسم (أيل صادق) في معين وحضر موت، وينقل مرجليوث عن جليزر : أن الملك الحميري شرحبيل يعفور: ذكر اسم الله على الحجر المنقوش على سد مأرب؛ مسماه بعل السمائين والأرض ...)[2] . إذن فهذه الأحافير وغيرها تؤكد وحدة لسان كل تلك القبائل التي وجدت في شمال شبه

(١) أبو الأنبياء : ١٢٢ – ١٢٣ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٣٤ – ١٣٥ .

الجزيرة، مع كل القبائل العربية الموجودة في جنوبها، وإذا كانت الألسن التي كانوا يتكلمون بها واحد نطقها، وجنسهم واحد كذلك؛ فطبيعي أن يكون معتقدهم واحداً كذلك في مواقع مهاجرهم، كما كان كذلك في موطنهم الأصل، بدليل أنهم وجدوا في الأحافير التي عثروا عليها شمالاً وجنوباً، وحدة ألفاظ مسميات الآلهة، وآثار السلوكيات، والمتأمل في كل تلك الآثار؛ يجد الكثير من الحقائق التي حاول الآخرون طمسها وإخفاء معالمها، حتى ولو حملت أصول تلك الفروع المهاجرة في موطنها الأصلي أسماء أخرى وجدت فيما بعد، وهي تطلق على ما بقي من أصولها؛ كالمعنيين والسبئين وغيرهم، ولتأكيد هذه الإشارة نحاول أن نشير إلى بعض النقوش التي وجدت؛ لنقف عند بعض النقاط منها كنماذج ليس إلا ....

وقفة مقارنة عند ألسنة بعض النقوش الشمالية والجنوبية، وألسنة بعض قبائل منطقة البحث :

معلوم أن النقوش التي عثر عليها، في جنوب جزيرة العرب وشمالها، أو حتى خارجها، هي كثيرة جداً، وهذه النقوش لو وجدت من أبنائها العناية الكافية لقلبت الكثير من نظريات التاريخ اللغوي والبشري بشتى فروعه، ولكنها وقفت عند ما قاله عنها من مستشرقين، هم بعيدون عن فهم ألسنتها فهماً حقيقياً، لبعدهم عن لغة أهلها الراحلين منذ آلاف السنين، ولذلك تجدهم يفسرونها على حسب ما يريدون ونحن نتبعهم، حتى من اتجه من أهل تلك النقوش تجدهم لا يحيدون عما قاله المستشرقون، إلا القليل ممن حاول منهم أن يعمل بإخلاص، ولكنه لقلته يدخل في حكم النادر، كهذا النقش الذي أطلق عليه اسم نقش [بركرب ... ملك شمأل) وعنه يقول صاحب كتاب تاريخ اللغات السامية معلقاً : (... أما لغة هذا النقش فتمثل لنا لهجة آرامية قديمة في الألفاظ والأسلوب، كما تدل على أنها متأثرة باللغة الكنعانية والعبرية ... وكذلك يمثل لنا هذا النقش اللغة الآرامية في دور الانتقال من حالة إلى أخرى، كما يتضح ذلك من بقية النقوش التي كشفت في تلك النواحي، ويرجع معظمها إلى ذلك العهد العريق في الوثنية الآرامية ... بعد أن قطعت القبائل الآرامية مرحلة كبيرة في طور الحضارة ...) [1] هذا بعض مما قاله ولفنسون في تعليقه

(١) تاريخ اللغات السامية – ولفنسون – ص ١١١ – ١١٢ .

السابق ... وقبل أن نمضي مع التعليق على ما سبق، نحاول أن نعود إلى بعض فقرات النقش نفسه وترجمتها التي أوردها ولفنسون نفسه ... ثم محاولة مقارنة ألفاظ تلك الفقرات، والوقوف قليلاً، عند بعض مداليلها مع بعض ألسنة بعض القبائل في جنوب جزيرة العرب قديماً وحديثاً ... فإذا كان ولفنسون يقول : إن لغة نقش [بركرب] كانت تمثل لهجة آرامية قديمة ... ومعلوم أن لفظة القدم في كلامه تعطينا مدلول قرب عهد زمن هجرتها من موطنها الأصلي ... ومعلوم - أيضاً - أن الإنسان المتحول من موقع إلى آخر تبقى لسانه في موقع هجرته، هي نفس اللسان التي كان يتحدث بها في موطنها الأول الذي انتقل عنه ... لذلك لو أنا رجعنا إلى الفقرة الأولى في النقش نفسه؛ فسنجده يبدأ بضمير المتكلم (أنا): (أنــه ب - ر - ركب ...) (أنا بررِكب) [١] ... وهذا الضمير (إنه - أنا) - لو عدنا في وقتنا الحاضر إلى أي موقع في مرتفعات جنوب جزيرة العرب، وتحدثت مع أي شخص من هذه المرتفعات بلهجاتهم الخاصة؛ فستجدهم ينطقون هذا الضمير (أنـا) بنفس الشكل الذي وجد مكتوباً به في نقش (برركب) ... (إني - أنه) كما هو في الفقرة الأولى من النقش ...وكذلك الفقرة (١٨، ١٩) من النقش نجد فيهما ضمير الغيبة، الذي جاء للمفرد والجمع، نجده في هذه المواقع، ينطق بنفس الصيغة - نطقاً وكتابةً -، ففي بعض مواقع جبال العبادل - بجنوب جزيرة العرب-، ينطقون ضمير الجمع (هِم)، هكذا : (هم) بكسر الهاء ... أما في حالة المفرد (هو) فينطقونه هكذا: (هـاو) ... أما بعض قبائل فيفا - وهي لا تبعد كثيراً عن العبادل -، فينطقون (هو)، هكذا : (ها) [٢] ... كذلك نجد كاتب النقش السابق، قد استخدم حرف [ها] علامة للتعريف بدل (أل) وإذا عدنا إلى بعض المواقع الآنفة الذكر فستجد قبائل بني معين، وبني حريص، والريث، يستخدمون - وإلى الآن - نفس العلامة السابقة في النقش [هـا] للتعريف، ومعلوم أن أدوات التعريف والضمير؛ هي من أصدق الدلائل التي يمكن الاستدلال بها على قوة ارتباط لسان كاتب النقش السابق، بالقبائل التي أشرنا لها آنفاً، بل يؤكد لنا هذا الاستخدام وغيره أن لهجة قبائل ذلك النقش قد انتقلوا عند هجرتهم من هذه المواقع وما حولها، ويشير إلى أن الموجودين بها الآن والذين وجدناهم

---

(١) المرجع السابق : ص ١١٠ .

(٢) نقلاً عن محمد بن قاسم اللغبي العبدلي، ومحمد بن مسعود الفيفي .

يستخدمون نفس اللهجة، هم من نسل أولئك قبل رحيلهم منهـــا، وظلـــوا يتناســـلون ويتعاقبون بها إلى الآن، وإلى ماشاء الله تعالى ... أضف أن صاحب النقش – كمـــا في النقش – وجدناهم يطلقون عليه (نقش برركب) ... وقد رأينا مترجمي الـــنقش يقولون :إن (بر) تعني ترجمتها (إبـــن)، بقلـــب النـــون ... إلـــى (راء) ... وهـــذا الاستعمال –القلب– نجده بعينه سائغاً في بعض المواقع التي أشرنا إلى بعضها أنفـــاً ... ففي بعض جهات (الغمر) القريبة من مواقع بني معين والعبادل، والريث، وفـــي بعض مواقع تهامة القريبة من هذه المواقع، يستعملون نفس الأسـلوب بـــين النـــون والراء ... فإذا جاءك منهم من يقول لك (بركرب)، فإنه يقصد : (ابن كرب)، وهو – أيضاً – أسلوب مستخدم في ألسنة المكاربة من السبئيين وغيرهم من ملوك ســـبأ ومعين وحمير قديماً، وموجود – أيضاً – بكثرة إلى الآن، في جنوب جزيرة العرب ... فإذا قال لك، واحد منهم مثلاً : (يا ابريري) ... فهو يقصد : (يا ابن) [1] بقلب النون راء في كلمة (ابن) ... وهناك الكثير الكثير مما سيرد – بأمر الله تعـــالى – في مواقعه، ... وهذا كله يؤكد لنا حقيقة كل تلك الروابط التي تربط أولئك بهـــؤلاء، بل وتؤكد لنا عدم صحة الكثير من ترجمات المستشرقين للنقوش التي ترجموها، مما يشير لعدم علمهم الكثير من حقائق لهجات تلك الأمم الغابرة؛ بل تجد أنهـــم كـــانوا يستغلون عدم معرفة الكثير من العرب لتلك اللهجات، التـــي وصـــفوا لهـــا أســـماء ومصطلحات ليجهلونا بها أكثر، بتفسيراتهم لها علـــى حـــسب أهـــوائهم ومـــصلحة أهدافهم، فمثلاً نقش : (شنسنزربن كاهن سهر ...) في هذا الـــنقش وردت بعـــض ألفاظ ترجمت من قبل بعض المستشرقين ترجمة غير صحيحة، كما في بعض فقراته :[٤، ٧، ١٢، ...) كهذه اللفظة : [أرصته .. أرصتا ...][2] هـــذه اللفظـــة تجـــد المستشرقين يترجمونها بمعنى [تابوت] ... وهذا غيـــر صـــحيح؛ لا فـــي مـــداليل الفصحى، ولا حتى في لهجات المواقع التي نتحدث عن لهجاتها في جنوب جزيـــرة العرب ... ففي الفصحى تعني (أرصته – عرصة) : وكل بقعة تقع بين الـــدور؛ وهي واسعة، وليس بها بناء ...) [3] إذن فمدلولها في الفصحى لا تعني (التابوت)،

---

(١) كلمة نابية تعني أنك : (ابن زنالي ....) .
(٢) اللغات السامية – ولفنسون – ص : ١١٢ – ١١٣ .
(٣) القاموس المحيط : ٢/٣٠٧ .

كما ترى -، بل هي تعني الأرض التي تحيط بها الدور من كل جهاتها ... لا اسماً للأرض كلها ... وهذا المدلول الفصيح يتفق - أيضاً - مع المقصود منها في النقش ... فكأنه أراد أن يقول : صورته - جسده - في هذه - الأرصة - المحاطة بالدور؛ هي أرض محمية من كل من يريد أن يعتدي عليها ... لأن من سيحاول ذلك سيجد ما يسوؤه ... ومما يؤكد هذا، أن :[أرصة] موجودة بنفس هذا المدلول؛ سواء ما جاء في الفصحى، أو في مقصود النقش، موجودة في لهجات العبادل، وأكثر المواقع التي أشرنا إليها أنفاً وسابقاً، ومتداولة إلى الآن في جل لهجات جنوب جزيرة العرب - قديماً وحديثاً - بهذا المعنى ... بل أذكر أن هناك حديثاً مروياً عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قد ورد فيه ما يشير إلى هذا المدلول، وهو يتحدث عن رؤية المؤمنين ربهم في عرصات القيامة ... وهنا قد يعترض معترض ويقول : إن ما ورد في الحديث الشريف - على صاحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم-، واللغة الفصحى، هو بالعين، لا الهمزة ...؟ ونقول لهذا المعترض : إن قلب العين همزة، والعكس ... قد سبق أن تحدثنا عن وجوده في هذه اللهجات هنا وهناك ... بل حتى في الفصحى ... ولذلك نجد صاحب كتاب ملامح في فقه العربيات القديمة من الآكادية حتى المعينية ... إلخ يشير إلى تفسير كلمة [أرصة] بأنها تعني (بقعة الأرض) ويؤكد هذا بقوله أنهم - المستشرقون - قد وهموا في ترجمة أرصة بالتابوت[1] ... وإن كان هو أيضاً قد وهم حينما جعلها تعني كامل الأرض ... ونخرج من هذا أن النقوش، هي من أعظم الأدلة التي تؤكد ارتباط تلك الأقوام - التي سميت بأسماء مختلفة - بأصولها في جنوب جزيرة العرب ... بدليل أننا حينما نجد نقوشاً منسوبة لتلك اللهجات الكنعانية والآرامية وغيرها - نجدها عند دراستها؛ تحمل نفس ألفاظ وقواعد نقوش اللهجات المنسوبة إلى جنوب جزيرة العرب ... وهذا يؤكد جنوبية تلك اللهجات - أيضاً وحقيقة هجرة أصحابها منها، وتؤكد - أيضاً - عدم صحة الكثير مما يقوله المستشرقون حول تلك الأمم الغابرة، فالآرامية التي قالوا عنها : أنها كانت متأثرة بالكنعانية ... تجد عند التمحيص أن جميع تلك اللهجات؛ هي لهجات قد تفرعت وتشعبت من لسان واحد (أم) هو لسان الوطن الأم؛

---

(١) ملامح فقه اللهجات العربيات من الآكادية حتى المعينية والسبئية ... الخ : ص ٢١٦ - ٢١٧، ٥٦٢ - ٥٦٣ . .

الذي هاجرت منه كل تلك الأمم... وقضية التأثير التي قالوا بوجودها بين الكنعانية والآرامية ... لو عدت لنقش [كلمو] السابق، لوجدت أسلوب أجروميتة التي نقش بها، لا يخرج عن أسلوب أجرومية نقوش اللغة المعينية ... وهذه الحقيقة تؤكدها أجرومية لهجات المواقع الجبلية التي أشرنا إليها آنفاً بجنوب جزيرة العرب ... التي قلنا عنها؛ إن الله تعالى، حفظها إلى الآن، لتكون حجة على عظمة اللسان العربي، وكونه أما لكل هذه اللهجات التي تؤكد أيضاً – أن هجرة تلك القبائل كانت منها قديماً ... بدليل أن السطر الثالث عشر من نقش [كلمو ...]، قد ورد هكذا : (ص، وانخ تمخت مشكبم ليد ... إلخ)[1] وترجمته عند ولفنسون هكذا : (وقد حميت أهل شكيب ... إلخ)[2] ... وهنا نلاحظ أن الترجمة تشير إلى أن :[ص] التي وردت في أول النقش تعني حرف تأكيد وتحقيق بمعنى [قد]، وإذا رجعنا إلى لهجات مواقع هذه الدراسة – السابقة – تجد قبائله تستخدم نفس هذا الحرف [ص]، على عدة استخدامات : منها المعنى الذي ورد في الترجمة الآنفة الذكر ... ومنها كما يقول صاحب مخطوطة لهجة فيفا وبعض ما حولها : (تأتي [ص – سا –] في لهجة فيفا لعدة مداليل، منها أنها تأتي وتكون حرف تحقيق بمعنى [قد] ... وتأتي أيضاً بمعنى [أنه ... أو هو] أي أنها تنوب عن أداة التوكيد [إن] مع ضمير الشأن، وهي للمذكر والمؤنث بنفس الاستعمال .. وقد وردت في المعينية القديمة بنفس الاستخدام إلا أن [ص]، إن كانت [سا] فإن ألفها في المعينية تقلب أحياناً واواً نحو : [سو] ...)[3] وليس (ها) فحسب، بل وجدنا النقش قد استخدم [م] للدلالة على الجمع ...وهذا الاستعمال وجدناه قديماً في الحميرية والمعينية والسبئية؛ لقولهم : (أما الجمع فيختم في المذكر السالم [بالميم]، مثل : (حميرم ... الحميريين ... وربما قامت الميم مقام التنوين ...]‏[4] وهذا الاستعمال نجده إلى الآن في جهات فيفا والعيادل وآل محمد، وقبائل الضمر والنظير، والريث، وما حولها، فهؤلاء إذا أرادوا أن يجمعوا [بقرة] مثلاً، فإنهم يقولون : [بقرم] ...)[5] أفلا يعني اتفاق هذه النقوش

---

(١) تاريخ اللغات السامية : ص ٦٣ .

(٢) المرجع السابق : ص ٦٤ .

(٣) لهجات فيفا – مخطوط – محمد بن مسعود الفيفي، ص ٨٨ .

(٤) لهجات اليمن – قديماً وحديثاً – أحمد حسين شرف الدين، ص ١٧ – ١٨ .

(٥) تسجيلات ميدانية .

قديماً في شمال الجزيرة وجنوبها، مع لهجات هذه المواقع الآن، والمنعزلة في جبال جنوب غرب شرق جنوب جزيرة العرب، على وحدة أصول أصحاب تلك النقــوش وأصحاب هذه اللهجات، وإن اختلفت وتباينت في نطق بعــض حروفهــا، وبعــض دلالاتها لتغير البيئات عند بعض الراحلين؟، ويؤكد أيضاً أن تلك الأسماء التي أطلقت على لهجات تلك النقوش ليست دليلاً ولا برهاناً على إخراجها عن أصولها ونسبها، وهذا يجعلنا ندرك أن القول بتأثر الآرامية بالكنعانية والعبرية أو العكس، هو قــول مبالغ فيه، وأنه لا يعدو أن يكون تقارب لهجات خرجت من مكان واحد، ومن لغــة واحدة، وأن قبائل مواقعها الأصلية، شاهدة بذلك إلى الآن، والتطبيق العملــي الــذي مضى بعض منه، وما سيأتي – بإذن الله تعالى – هو خير برهان ودليل على ذلــك ... وقبل أن نمضي مع شيء من هذا التطبيق العملي، قد يعترضنا استفسار يفرض نفسه ... وربما قد تكون إجابته بداية لانطلاقتنا – بحول الله تعــالى – إلــى هــذا التطبيق.

استفسار مهم :

وهذا الاستفسار هو : كيف نستطيع إجراء ما أشرنا إليه من تطبيقات؟، وهم يقولون : (لم يبق من أمهات اللغات السامية إلا ثلاث : هي : العربيــة والعبريــة، والسريانية، أما الحميرية فقد اندثرت قبل الإسلام، غير ألفاظ قليلة، وتولــدت منهــا لهجات مهرة وجنوب الجزيرة، وقد عثروا من هذه اللغة على آثار من القرن الخامس والسادس قبل الميلاد، وتمكنوا من قراءة الخط المسند الذي كتبت به ... أما البابليــة والآشورية أو الكلدانية القديمة فقد وفقوا في قراءة آثارها حتى استخرجوا قواعدها، ووضعوا فيها المعجمات؛ كأنها من اللغات الحية، وصيغ الأفعال التي وجدوها فــي هذه اللغة هي : اثنتا عشرة صيغة أكثرها موجودة في العربية، والعبرية والسريانية ... وبعضها غير موجود في جميعها ... ولكنه طبيعي في أصل المنطق، مما يــدل دلالة صريحة على أصالة تلك اللغة وتفرع الباقيات عنها والصيغ هي :

فَعَل	نِفعَل	فَاعِل	تَفْعَل
افْتَعَل	افْستَتعَل	اتَفَعَل	اتتَفعَل
افْتَاعِل	افْتَتعَل	استَفْعَل	استَتفَعَل

وصيغتا : افتَتعَل واستَتَفعَل ... لا توجدان في غير الآشورية ... وفعل وفاعل، لا توجدان إلا في هذه – الآشورية والعربية – وتفعل واتفعل، فهما مما يوجد في السريانية والعبرانية دون العربية ... أما المشابهة بين الأخوات الثلاث، العربية والسريانية والعبرانية؛ فهي متحققة في جهات منها تحققاً يقطع الريب ويمتلخ الشبهة في أنهن أخوات وفروع لأصل واحد، وأخص ما يكون ذلك في الألفاظ الطبيعية التي لا تتفسر بتبدل المواطن، واختلاف الحالة الاجتماعية، وهي التي سميناها بالألفاظ الخالدة : كالأرض والسماء، وكثير من ظواهر الطبيعة، وأعضاء الإنسان، فإن مادتها واحدة ... على اختلاف قليل في بعض الأوزان والمقاطع، مما يرجع أكثره إلى إلخصائص المقومة لهيأة كل لغة في منطوقها، وتجد في الأفعال والأسماء المشتقة دليلاً من ذلك في تناسب الوضع وتداني اللفظ .

أما الألفاظ الثابتة في اللغة الإنسانية، التي هي خلف من لغته الأولى ... وهي الضمائر؛ فإنها في اللغات الثلاث باقية على حالة واحدة، وإن لم تخل من الفروق العارضة التي لابد منها في الهيئة المقومة لمنطوق اللغة ... والضمائر – كما لا يخفي – مادة أصلية لا تؤثر فيها زيادة مواد اللغة أو نقصها، وهذا مثال من حقيقة التشابه فيها[1] .

هذا بعض مما حاولوا أن يعترضوا به، أو يستفسروا عنه، وفيه تلاحظ أنه يشير إلى صعوبة التطبيق الذي سبق أن أشرنا إليه؛ وذلك لعدم توفر مجاله؛ لاختفاء جل اللغات – اللهجات – السامية، سوى الثلاث التي أشير إليها ... وهذا النقص يجعل –عندهم– براهين التطبيق ينقصها المنطق العلمي، والدليل العملي... فكيف يكون هناك تطبيق يعتد به علمياً ... والحقيقة أن ما اعترض به لا يشكل عقبة في إتمام هذا البحث، لأسباب كثيرة؛ أهمها : أن هذه الدراسة رائدة، وهي لا تعدو عن كونها بطاقة دعوة للمؤسسات البحثية المختصة، وعلماء البحث العلمي المختصين، لأن هذا العمل لا يقوم به رجل واحد مهما كانت قدراته العلمية؛ لأنه بحث متشعب،

---

(١) تاريخ آداب العرب – الرافعي –، ص ٨١ : ١/٨٢ .

كثير الفروع والتخصصات ... ومن تلك الأسباب – أيضاً – أن قضية تعدد اللغات السامية واندثارها سوى تلك الثلاث المشار إليها ... هو أمر لا وجود له؛ لأن الحقيقة أن هناك لغة واحدة فقط، يمكن مجاراتهم في تسميتها بالسامية ... لأن التعدد الذي أشاروا إليه لا يخرج عن كونه تعدد لهجات تفرعت من تلك اللغة الواحدة – مع احترامي لكل من قالوا بذلك – وإذا كان الأمر كذلك، فوجود اثنتان أو ثلاث من لهجات تلك اللغة تعد كافية لأمر التطبيق؛ لأن اتفاق صيغ الأوزان ودلالات ألفاظ تلك اللهجات يؤكد أن ما اختفى من أخواتها لا تخرج في خصائصها عما وجد منها ... وهذا ما جاء في الاعتراض الذي اعترض به، بل هو ما سبق أن أشار إليه ديو والعقاد، والكثير من مؤرخي ما سمي بالساميات ... فالبابلية والآشورية التي جعلوها – المعترضون – وكأنها من اللغات الحية، كانت عبارة عن مجموعة لهجات مختلطة بعضها من بعض ... وأن الغلبة فيها كانت حسب تسيد كل واحدة منها في زمنها ... ألم يقولوا عن الآرامية – في فترة تسيدها – أنها كانت هي فصحى تلك اللهجات – اللغات ... ولذلك رجحوا أن البابلية، هي السامية – الأم – الأصلية، أو هي بقيتها بعد أن تنوعت ... وأن هذا الأصل تفرعت عنه سائر اللغات – اللهجات – السامية[١] ... لأنهم وجدوا مشابهة قوية بين تلك اللغة البابلية الأصيلة والعربية الحديثة ... وإذا كانت الآرامية هي – عندهم – من البابلية، وأنها أفصحها ... فهذا يؤكد سهولة عملية التطبيق بينها وبين ما وجد من لهجات العرب المنعزلة في جنوب جزيرة العرب على الأقل؛ لوجود تلك المشابهة التي أشاروا إلها ... بل هذا ما أكدوه وأعلنوه بقولهم : (إن الأحافير النبطية التي ترجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد : تدل على تقارب شديد بين الآرامية والعربية الفصحى ... فإن أداة التعرف وضمير المتكلم والغائب، وكلمات النفي والنهي، وتصريف الأفعال، هي مشتركة في اللغة العربية، واللغة الآشورية التي تنسب إليها السريانية، وقد لوحظ هذا التقارب بين هذه

(١) تاريخ آداب العرب – الرافعي – ص ٧٣ – ١/٧٦ .

اللغات – اللهجات – واللهجات العربية، بزمن لا يحسب تاريخه بأقل من ألفي سنة قبل الميلاد ...) [١] .

وإذا كانت صيغ الضمائر وأدوات التعريف، والنهي والنفي وتصريف الأفعال؛ هي واحدة بين لهجات العربية الفصحى الحديثة، وبين تلك اللهجات – اللغات – التي كانت قبل الميلاد بألفي سنة – على الأقل –؛ إذن فإمكانية التطبيق واردة فيما بقي من أدوات لغوية أخرى، ولا سيما، وهم يقولون إن السريانية ليست إلا لهجة من الآشورية القديمة، والتي هي أيضاً لهجة من الآرامية التي قالوا عنها إنها كانت تمثل البابلية ... التي قيل عنها أنها شبيهة بالعربية القديمة؛ إن لم تكن هي بذاتها ... وإذا كانت السريانية هي لهجة من الآشورية الآرامية، وأنها تتفق – عندهم – مع الحميرية في أصولها ... إذن فليكن حديثنا القادم – بإذن الله تعالى – عن التطبيق منطلقاً من السريانية ... وقد سبق أن تحدثنا عن السريانية كثيراً، أي أن حديثنا من بداية الفصل الثاني – الذي نتحدث فيه – كان عن السريانية، وحول أنها لهجة ... وهذا ما أكده جل من تحدثوا عن الساميات ... فالمستشرقون – وأكثر من سلك نهجهم؛ تجدهم عند حديثهم عن الآرامية يقسمونها إلى كتلتين غربية وشرقية ... ويجعلون الشرقية ثلاث لهجات تمركزت في ثلاث مناطق ... <u>**الأولى**</u> : هي اللهجة التي كان يستعملها اليهود في جنوب العراق – في بابل ونواحيها – <u>**الثانية**</u> : هي تلك التي تمركزت في شمال العراق، وكان مركزها في مدينة حران ونواحيها، أما المنطقة <u>**الثالثة**</u>: للهجات الكتلة الآرامية الشرقية ... وتعرف باللهجة السريانية ...وكان مركزها في مدينة أودسا) [٢] ...

وبقراءة سريعة لهذا النص، نخرج بعدة حقائق؛ منها : أن السريانية ليست لغة مستقلة – قائمة – بذاتها، بل هي عبارة عن لهجة لسانية كانت تتحدث بها مجموعة قبلية في حيز مكاني تابع لمجموعات قبلية كبرى تربطهم أواصر الدم والنسب واللسان، وإن تباينت في بعض مداليل نطقها مع بقية أخواتها الأخرى في

---

(١) أبو الأنبياء : – العقاد – ص ١٣٥ .

(٢) أبو الأنبياء : ص١٣٧ ... وتاريخ اللغات السامية : ص ١٢٩ – ١٣٠.

بعض الصيغ ومخارج حروفها، أدى إليها اختلاف الأماكن، وعوامل البعد والفرقة وما إلى ذلك، وهذا ما أشار إليه قولهم : (ويظهر أن هذه اللهجة – السريانية – قريبة من اللهجات الآرامية التي كانت شائعة في مناطق... وبعد أن كانت هذه اللهجة أداة للعلم الذي عرفت به (الرهاء) في العالم القديم ... وأصبحت لغة الحضارة المسيحية بعد أن ترجمت إلى الكتب المقدسة في أثناء القرن الثاني [بعد الميلاد] ... ومن [الرهاء] توغلت وفقاً لانتشار المسيحية إلى بلدان الفرس) ... وهذا يعني أن السريانية التي كان أساسها كونها لهجة أشورية آرامية؛ كانت لساناً خاصاً بمنطقة [الرهاء] التي انتشرت بها العقيدة المسيحية، وولدت على أيدي أهلها حضارة أخذت تنمو وترقى ... لتنتشر بعد ذلك فيما حولها وخارجها ... لذلك كان لزاماً على من أراد الأخذ بتلك الحضارة أن يتعلم نطق تلك اللهجة، وهذا ما ساعد في تعميم التحدث بها وكثرة المتحدثين بها كذلك ... بل هناك أمر آخر كان أهم مما سبق ... وهو أمر كونها لسان العقيدة المسيحية ... وكونها لسان العقيدة المسيحية، يعني أنها كانت أساساً للسان العقيدة الموسوية ... بدليل أنها كانت لسان اليهود في جنوب العراق في بابل ونواحيها، ولذلك كتبوا بها مصنفاتهم الضخمة، والتي كان من أهمها التلمود البابلي، وتفسير كتب المشناة وغير ذلك[(1)] ... وهذا يؤكد لنا أنها فعلاً كانت لسان نبي الله إبراهيم –عليه السلام–، وأنها فعلاً كانت لهجة آرامية، وأنها كانت أفصحها؛ ولذلك كانت هي أقرب كل تلك اللهجات إلى العربية الفصحى التي عرفناها فيما بعد ... وأظن أن هذا كان من أهم الأسباب التي جعلتهم يقولون : بأن العربية قد تأثرت بالآرامية الشمالية أكثر من الجنوبية اليمنية... ومما يؤكد أن اللهجة التي سميت بالسريانية؛ هي أساساً فصحى الآرامية، ولسان نبي الله إبراهيم – عليه السلام –، أنها كانت قبل أن تنحسر على ألسنة قبائل أهل الرهاء كانت : [معروفة في قديم الزمان باللهجة العراقية ...][(2)] أي أنها كانت لسان كل أهل العراق ... ولا أستبعد أن هذا الانتشار لها كان زمن الدعوة الإبراهيمية؛ بدليل أن هذا الانتشار قد عاد لها زمن الدعوة الموسوية والعيسوية – عليهم جميعاً أزكى السلام – ...

---

(١) تاريخ اللغات السامية: ص ١٣٠ .

(٢) تاريخ الساميات : ص ١٣٠ .

السريانية وتعدد الأسماء :

وهنا نسأل : هل وقف الأمر بهذه اللهجة عند هذا الحد من التسميات المتعددة؟ أو أن الأمر استمر في إطلاق تسميات أخرى؟ ثم ما الهدف من وراء كل ذلك؟ ... لأن تسميتها باللهجة العراقية لا يعني أن هذا دليلاً على أن هذه تسميتها الحقيقية؛ لأنا وجدناهم يسمونها قبل ذلك باللهجة الرهاوية ... وقبل ذلك بالآرامية، ثم بعد امتدادها إلى شمال العمق السوري، يسمونها باسم اللغة السريانية ... إذن فكل هذه التسميات لا تمت بأي حقيقة للاسم الحقيقي لها ...؟ إذن فمن هو الذي أطلق كل تلك التسميات؟ ... والذي اتضح من كل ما سبق ... أن من كان وراء كل ذلك هم المستشرقون – طبعاً أكثرهم لا كلهم – الذين أرادوا أن يفصلوا كل تلك اللهجات عن أمها العربية، وجعلها لغات قائمة بذاتها، وراحوا يحرفون ويبدلون، وينظرون، ويؤسسون، ويطلقون التسميات على حسب ما يريدون ويتواءم معهم وأهدافهم، وهذا ما نستشفه من كتابات الكثير منهم، كهذا الذي أراد أن يعلل لنا أسباب تسمية هذه اللهجة بالسريانية بقوله : (وقبل أن نمضي في هذا الموضوع، نلاحظ أن كلمة سرياني التي اصطلح عليها عوضاً عن لفظة آرامي، إنما غلبت وسرت؛ لأن العناصر الآرامية التي اعتنقت المسيحية، لم ترض لنفسها اسم آرامي، إذ كان هذا اللفظ في التوراة يمثل جماهير الآراميين الوثنيين؛ وعلى من أدعوا أنهم سريان، أي آراميون اعتنقوا المسيحية، على أن هذه التسمية جاءت إلى الآراميين من اليونان بعد اتصالهم بهم في سورية)[1] .

وهنا يتجلى صدق ما أشرنا إليه آنفاً، فالنص يحكمه الاضطراب من بدايته، لأن محاولة انطلاقته تعليليه، واللجوء إلى التعليل دون أسس علمية يرتكز عليها التعليل، لا يعطي التعليل أي قيمة، ولذلك تلاحظ أن كل كلامه مفكك مضطرب، فالسريانية سميت بذلك – عنده –؛ هي لسان كل من اعتنق العقيدة المسيحية، أما من بقى على وثنيته فهو لا يزال آرامي، ... وليته بقى على ذلك ... بل عاد ليقول لنا؛

---

(١) تاريخ الساميات : ص ١٣٠ .

إن هذه التسمية جاءت إلى الآراميين؛ من اليونانيين بعد اتصالهم بهم في سورية ... إذن فالعقيدة ليس لها دخل في التسمية – باعترافه –، وإذا كان قد نفى علة هذه التسمية؛ لأنها ليست صحيحة، فمن باب أولى علة التسمية الثانية، لأنها ليست أصيلة فيها، لمجيئها من أجنبي، لا يعنيه نسبها الحقيقي بقدر ما يعنيه التعريف بمن ينطقون بها بين من حولهم، أي لتحديد الناطقين بها بين ناطقي اللهجات المتعددة حولهم في جنوب شرق العراق وشمال شرق سورية ... وهذا ينطبق على أكثر التسميات والمصطلحات التي أطلقوها على هذه اللهجة وغيرها من اللهجات الأخرى، ومعلوم أن جل القبائل التي كانت تتواجد بتلك المنطقة؛ كانت تعرف بقبائل الرهاء؛ وأن بهم سميت تلك المنطقة؛ كما ورد في الخطوط المسمارية (RUUA) ...

وإذا كانت قبائل – الرهاء – تلك اللهجة آراميون عند المستشرقين ... فما هي حقيقتها في كتب اللغة والسير والأنساب؟ ولمن تعود حقيقة نسبها؟.

وماذا يعني ذلك؟ وكل هذه التساؤلات، وغيرها تجعلنا ننطلق إلى الفصل الخامس والأخير من هذا الباب، فإلى الفصل الخامس بإذن الله تعالى.

الفصل الخامس

الرهـــــــاء

بين المصطلح السرياني والنسب الأزدي

١) اللهجة الرهاوية عربية أزدية .

٢) عودة سريعة للضمير [أنت] .

٣) مع الصيغ والأوزان .

٤) لسان يعرب والسريانية .

اللهجة الرهاوية عربية أزدية :

قلنا إن المستشرقين يقولون عن اللهجة الرهاوية إنها سريانية آرامية، ووعدنا أن نعود إلى متون العربية : لغة وسيراً وأنساباً، وعندما عدنا إلى أحد متون اللغة – الأمهات –، وجدناه يشير إلى ذلك بكلام كثير فرضته عليه طبيعة المادة اللغوية التي يتحدث عنها – وهو – نحاول أن نوجز منه قوله : " ... الرهاء – بالفتح – كسماء: بطن قبيلة من مذحج .. والرهاء كهدى: بلد – مكان – بالجزيرة الفراتية .. "(١) .

إذن فمتون اللغة تشير إلى أن هناك مدلولين مختلفين لاسمين مختلفين فتحاً وضماً، لمسميين مختلفين – أيضاً –، أي أن هناك : الرهاء – بالفتح –؛ وهذا يعني اسم لبطون من قبيلة عربية مذحجية، وهناك الرهاء بضم الراء، وهذا يعني أنها اسماً للمكان الذي سكنته تلك البطون – الرهاوية – المذحجية ... وهذا التفريق، يؤكده لنا صاحب كتاب الإصابة، الذي أثبت أن اسم البلد والمكان هو بضم الراء، أما الفتح، فيعني مسمى ذلك البطن – المذحجي – العربي(٢) ... وهذا يعني – أيضاً – أن تلك المنطقة لم تكن تسم [بالرهاء] قبل أن تسكنها تلك البطون الرهاوية؛ ومن أجل ذلك وصفوا هذا التفريق لإيضاح ذلك، وهذا ما أكده المستشرقون بأنفسهم بقولهم : (إن تسمية المدينة ترجع إلى قبيلة آرامية سكنت في هذه المنطقة ... وقد جاء لهذه القبيلة ذكر في الخطوط المسمارية ...)(٣)، وعلى هذا يكون المستشرقون قد أثبتوا ما أثبتته المراجع العربية – حول – حقيقة تسمية تلك المنطقة، وإن ارتباط تلك التسمية إنما كان لتواجد تلك البطون الرهاوية بها، ولكنهم سكتوا عن أن يخبرونا عن حقيقة أنساب تلك البطون هناك؛ وطبعاً أسباب ذلك السكوت معلومة ... أما المراجع العربية فقد قالت :" و(رهاء): هو أب لبطن – أو قبيلة – ... وهو ابن منبه بن حرب

---

(١) تاج العروس : ١٠/١٦١ .

(٢) الإصابة : ١/٥٨٣ .

(٣) تاريخ اللغات السامية، ص ١٣١ .

بن علة بن جلد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ[1] ... وأدد : هو الأزد ..." [2] .

إذن فكتب الأنساب العربية تثبت عروبة نسب تلك البطون الرهاوية، بل وتحدد ذلك النسب وارتباطه بنسب أكبر قبائل جنوب جزيرة العرب، قبيلة الأزد، تلك القبيلة التي ملأت بطونها وفروعها جل إقليم الحجاز وما حوله، لتخرج بعد ذلك وتنتشر في بقاع كثيرة جداً خارج جزيرة العرب ... ولم تؤكد هذا كتب اللغة والأنساب وحدها، بل وجدنا التاريخ نفسه يؤكد قوة علاقة تلك البطون والقبائل العربية، بكل تلك الأرض – التي سميت بالرهاء بالفتح-؛ لأنها لم تكن من أنباء الساعة؛ بل هي منذ أزمنة لا يعرف مقدارها إلا الله؛ لأن اتصال عرب جزيرة العرب بأرض الهلال الخصيب وبادية الشام، هو اتصال قديم جداً ... وكان لهم بتلك الأرض حضارات ودول، تحدث عنها التاريخ ...ولكن هناك بعض الأسر منهم، كانت تخرج عن قبائلها وتحاول أن تقيم لنفسها إمارات على التخوم ... ومن تلك الإمارات؛ مملكة الرهاء، التي ازدهرت قبل الميلاد ... وهي مملكة عربية، كما أكد ذلك بلينيوس؛ الذي أدخلها ضمن المدن والأرض الداخلة في العربية[3]، وقد استدل الباحثون من تسمي من ملوك (الرهاء) بأسماء عربية، على عربية كل تلك المنطقة ومن فيها ... كما ذهب إلى هذا جل كتبة اليونان والرومان ... وليس هذا فحسب هو ما دل على عربية منطقة الرهاء وأهلها، بل هناك ما يؤكد على أن تلك البطون الرهاوية قد جاءت إلى تلك المناطق من جنوب جزيرة العرب، وهذا ما أشار إليه التاريخ حينما أشار إلى الآلهة التي كانت تتعبد لها قبائل وبطون الرهاء والتي كان : (من أهمها الإلهان : عزيز ومنعم، وبعل ... وهي في رأي (مورد تمن) آلهة عربية

---

(1) جمهرة أنساب العرب : ١/٣٣٠

(2) ٤١٣-١/٤٢٩

(3) Murll, derto, p.٧٧

أصيلة، ودليله على ذلك ورود اسمائها في الكتابات اليونانية التي عثر عليها في الكورة العربية، وهي في رأيه من آلهة عرب هذه المنطقة[1]، بل وأكد أنها من آلهة عرب جنوب جزيرة العرب) .

وإذا كانت قبائل الرهاء عربية – لكل ما سبق – فهذا يؤكد أن لهجات هذه القبائل والبطون عربية، وهذا يعني أن تلك اللهجة التي سميت بالسريانية هي عربية هذه القبائل والبطون، بدليل – إلى ما سبق – أن كل من كان يجاور هذه القبائل ويحيط بهم، كانوا – جميعاً – قبائل عربية أصيلة ... فإمارة (الحضر) التي كانت بجبال تكريت – بين دجلة والفرات – كانوا من قبائل قضاعة، الذين نزلوا بهذه المواضع في أزمان لم يحددها المؤرخون[2]، ثم قبائل (لخم) الذين نسب بعض المؤرخين تأسيس (الرهاء) نفسها إلى رجل من (لخم) ويدعى الرهاء بن سند بن مالك بن ذعر بن حجر بن جزيلة بن لخم[3] ... أو قبائل جذام وطيىء وغيرهم من القبائل العربية الذين سكنوا تلك المناطق ... وهذا كله يعني عربية ذلك اللسان الرهاوي، ويؤكد عروبة ما سمي بالسريانية، والتي اعتبروها فصحى اللهجات التي دعيت بالآرامية ... قبل أن يجري عليها بعض التحريفات والتغيرات في النطق، بسبب التأثير اليوناني في فترة ضعفها وسيطرت اليونان عليها ... وهذا ما شهد به المستشرقون أنفسهم الذين أشاعوا مصطلح السريانية على هذه اللهجة الرهاوية بقولهم : (واللغة السريانية تشتمل لا على كلمات يونانية كثيرة فحسب، بل فيها تأثير يوناني في الأسلوب ... وفي التفكير – أيضاً – لا يغيب عن الخبيرين بذلك ...)[4] وباستثناء هذه التأثيرات نجد قوة الشبه والمجانسة بين الكثير من فصيح الفصحى الحديثة واللجة الرهاوية – السريانية – القديمة، سواء كان ذلك في نطقها – جمل الضمائر – أو في الألفاظ والأوزان، وإن كان هناك – أيضاً – اختلافات في البعض

---

(١) المفصل – جواد علي – : ٦١٩-٢/٦٢٠ – ٢/٦٢١ .

(٢) المفصل : ٢/٦١٩ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) تاريخ اللغات السامية : ص ١٣١ .

الآخر من الألفاظ والأوزان، وعدم وجودها في مثيلتها العربية المبينة، وهذا في نظرنا، لأنا نعلم أن هذه اللهجة- السريانية - قد بدأ الحديث عنها وتدوينها في الفترات التي أخذ التبلبل سبيله إليها، أو نتيجة التباعد والاختلافات والفرقة التي كانت من أهم الأسباب التي تؤدي إلى تبلبل الألسن وزيغها عن جادة النطق السليم، وهذا ما أشار إليه صراحة الكثير من مؤرخي الساميات، بل وأكثروا الحديث عن تلك الاختلافات التي أدت إلى تلك التحريفات المحكومة بالأهواء والغايات القائمة على النعرات والعصبيات القاتلة؛ كتلك التي حدثت بين شيعتي اليعاقبة والنساطرة اللتان اشتد الخلاف بينهما، وأخذ ينحو منحاً جديداً في أمور اللغة والدين، مما جعلهم يخترعون الكثير من الصيغ اللغوية لتوافق أغراضهم السياسية الدينية، والتي لم تكن تمت بأي صلة إلى أصول اللغة(١) ... إضافة إلى الكثير من الصيغ والألفاظ التي دخلتها في فترات ضعفها ووقوعها تحت التأثير اليوناني - كما سبق - ولكن مع ذلك، فهناك صيغ وجدت في تلك اللهجة، ولم يوجد لها مقابل في العربية المبينة، كما قالوا، وهذا ليس صحيحاً، لأنهم لم يستقصوا كل أماكن ومواقع العربية التي امتدت من شمال الجزيرة العربية إلى جنوبها، ومن شرقها إلى غربها؛ إذ كل تلك المواقع عربية، ومن فيها كانوا عرباً، ولكنهم اعتمدوا في أخذهم على وسط الجزيرة العربية، والقليل والقليل من هنا وهناك، وهذا من أهم الأسباب التي أدت إلى وقوع الخلل في الكثير من بحوثهم ... فمثلاً لو أنا عدنا إلى الشريط الجبلي؛ الذي سبق أن حددناه محيطاً للتطبيق العملي لهذا البحث - بجنوب جزيرة العرب - لوجدنا في لهجات هذا المحيط صورة مجانسة لتلك اللهجة الرهاوية - السريانية - وبقية أخواتها من عبرية وكنعانية وغيرها من أشورية وبابلية ... بل سنجد في لهجات هذا المحيط ما سبق أن نفوا وجوده في العربية المبينة، وأثبتوا وجوده في تلك اللهجات - هناك - من سريانية وغيرها، وكذلك سنجد وجوده في السريانية - خاصة - ، كل هذا وذاك سنجد أن مصدره لهجات هذا المحيط الجبلي وما حوله؛ إبان تبلبلها؛ أي أن تلك

---

(١) بتصرف واختصار من تاريخ اللغات الساميات، ولفنسون، ص ١٣١ - ١٣٢

الزيدات والتحريفات التي وجدت في السريانية وغيرها لم يكن وجودها بهـا عـن طريق التأثر والأخذ من اليونانية أو غيرها، واتخاذ ذلك طبيعي فيها لوجود مثله في لهجات جنوب جزيرة العرب زمن تبلبلها وانحراف السنة الناطقين من أصولها الذين بقوا في مواقعهم، وظل اتصالهم بمن خرج منهم إلى شمال جزيرة العرب وخارجها، بل وجوده بها يؤكد أن تلك من هذه، وأن ما وجد من اختلافات في النطـق وتغيـر وتبدل في بعض الصيغ والأوزان من نقص أو زيادة؛ إنما مردة البعـد والتـأثيرات الطبيعية المكانية ... وقد رأينا مثل هذا في الضمائر التي سبق أن تحدثنا عنها فـي الفصول السابقة؛ سواء كان ذلك فيما كان فيه توافقاً مثل [أنت] فصيحة، أو ما ظـن أنه مخالفاً واستدلوا به على الاستقلالية لتلك اللهجات ، وقد رأينا كيف أثبتت الحقيقة عكس ما ظنوا – وسيأتي توضيح أكثر في الفصول الآتية بإذن الله تعالى – مخالفته، وهذا ما رأيناه حاصلاً – أيضاً – في عربية القرآن الكريم نفسها، وفيما تفرع عنهـا من لهجات فيما بعد، إذ وجدنا في ضمائرها ما يمثل نطق الحالتين، وكأن التـاريخ يقول لنا لا تبعدوا عن الحقيقة، مفندي من الشواهد التي تؤكد أن تلك من هذه ...

عودة سريعة للضمير أنت :

وإذا كان الضمير [أنت] قد أخذ صور متعددة في نطق تلـك اللهجـات – سواءً أكانت هنا أو هناك – ... كـ (أنت) التي قلنا أنها تمثل النطق الفـصيح، أو : (أت .. أك ... أنكه ...) ورأينا – كما سبق – الكثير من مؤرخي الساميات يقولون – بشبه إجماع – أن الآكادية القديمة – الآشورية والبابلية كانـت تماثـل العربيـة الحديثة، واستدلوا بالضمير [أنت] – كما سبق – كذلك وجدنا هذا الضمير بعينه فـي نطق الرهاوية – السريانية – لذلك قالوا أنها كانت تمثل فصحى الآرامية ... وممـا يؤكد كل ما سبق قوله حول الضمير [أنت] وتعدد صـورة ... أن [أنـتَ] للمـذكر، و[أنتِ] للمؤنث ... ولكننا سنلاحظ أنهم قالوا : إن نطق هـذا الـضمير كـان فـي السريانية – الرهاوية – هو على هذه الصورة : [أنتي] أي أن حركة التاء المكسورة قد أشبعت حتى أصبحت وكأن بعد نطق (التاء) ياء ... والحقيقة ليست كذلك؛ وإنما هي حركة كسر أشبعت عند النطق – أي زيد في إمالتها لتتولد منها يـاء – لتـدل

صيغة نطقها في لسان القوم الناطقين بها ... وهذه الطريقة لنطق هذا الضمير بهذه الصيغة في السريانية قديماً – الرهاوية –، نجده ماثلاً في أكثر لهجات القبائل اليمنية قديماً، والفروع المتبقية من تلك القبائل، والمتواجدة الآن في بعض جهات المناطق الشرقية الجنوبية والوسطى من جنوب جزيرة العرب . ففي جهات منها لا يزال الكثير من الناطقين للضمير [أنت] ينطقونه بنفس الصيغة التي قيل إن السريانية وجدت تنطق به ... إذ يقولون : [أنتي] في [أنت] [1]، ومثيلهم بعض قبائل الريث والحقو ... الخ .. وإذا كان من سموا بالسريان كانوا ينطقون ضمير خطاب الجمع [أنتم] الذكور، على هذه الصيغة [أنتون] بإشباع ضمة التاء، حتى يخيل إلى السامع أن بعد (التاء) واو، ثم يقلبون (النون) ميماً .. ومعلوم أن تبادل حرفي النون والميم مواقعهما وارد في لغة العرب – المتبلبل منها والفصيح، ولهذا فإن نطق ضمير الجمع بهذه الصيغة لا يخرجها عن عربيتها؛ لأن نطقه وارد في جل لهجات جنوب جزيرة العرب، إذ الكثير من قبائل جهات المشرق لا يزالون ينطقون ضمير جمع الذكور – الخطاب – [أنتم] بنفس الصيغة التي قالوا أنهم وجدوا السريان ينطقونها به، فيقولون في أنتم : [أنتون] ... بل منهم من يحذف حرف النون فينطقها هكذا :[أنتو] ... أما ضمير جمع الإناث [.. أنتن] ... نجد الكثير منهم من ينطقه هكذا : [أنتين]، وبعضهم ينطقونه هكذا [أنتن] [2] .

وهذا التوافق في النطق بين من سموا بتلك التسميات غير الصحيحة. كالسريانية وغيرها، وبين قبائل وبطون عرب جزيرة العرب قديماً وحديثاً ألا يؤكد ما سبق أن أشرنا إليه، حول كون تلك من هذه، أما ما ظُن أن فيه اختلافاً، فحقيقته لا يخرج عن كونه نطق لهجي لبعض تلك البطون المتعددة ... مما يؤكد – أيضاً – أن السريانية – الرهاوية – كانت هي اللسان الفصيح بين كل تلك اللهجات – في زمنها – لأن الاختلافات والتغيير دائماً تنشأ في اللهجات التي تنبثق من

(1) لهجات اليمن، شرف الدين، ص ٦٢ – ٦٣ .

(2) لهجات اليمن : ص ٦٢– ٦٣ .

الفصيحة، فيظن مع الزمن والتباعد أنها لغات قائمة بذاتها، في حين هي أصلاً من تلك الفصيحة – التي هي السريانية، لأن الباقي كان دونها في الفصاحة؛ ولذلك كانت لسان العلم والأدب، والتأليف، ولسان المفكرين والشعراء[1]، وهكذا كانت العربية الحديثة مع الألسن الأخرى – اللهجات – ألم تكن العربية الحديثة هي لسان الشعر والنثر والمفاخرات والمناظرات ... وإذا كانت السريانية – الرهاوية – كانت هي فصحى زمانها، كذلك كانت العربية الحديثة، أفلا يؤكد أن السريانية – الرهاوية – هي عربية زمانها.

مع الصيغ والأبنية :

ألم يقل الباحثون : إن جل صيغ الأوزان والأبنية الموجودة في العربية القرآنية، هو بعينه موجود في السريانية ...) [2] حتى ما قالوا بعدم وجوده في العربية، ووجوده في السريانية، فقد كان موجوداً في العربية ولكن أيدي من دونوا العربية أو دونوا السريانية، لم تصل إليه، إما لبعد مواقعه عنهم، وإما تعصباً ... لأن الكل يعلم أن ما دون من العربية لا يمثل كل ألسنة العرب ولهجاتها؛ بدليل أن بعض الباحثين المنصفين؛ حاولوا التوسط في القول – وخروجاً من الحرج – قالوا : [وأكثر الصيغ المهملة في العربية تجدها مستعملة في السريانية أو العبرانية أو في إحداهما دون الأخرى، إذن فالمدون من العربية لا يمثلها جميعاً، بدليل أن هناك لهجات جعلوها مهملة، ولم يشيروا إليها تعصباً... ولاسيما اللهجات التي كانت تمثل كل تلك اللهجات القديمة كالكنعانية والسريانية والعبرانية وغيرها من اللهجات – اللغات – التي تحدثنا عنها سابقاً، فاللهجات التي كانت تمثلها لم تهمل فحسب؛ بل رأينا زعيماً من زعماء من دونوا العربية، يدفعه التعصب ليعلن صراحة – إن صح ذلك عنه – : (ما لغة حمير بلغتنا، ولا لسانهم بلساننا ...) [3] ولغة حمير، هي

---

(١) تاريخ الساميات، ص ١٣٠ – ١٣١ .

(٢) تاريخ آداب العرب – الرافعي –، ص :

(٣) المرجع السابق، ١/١٠٨ .

اللغة التي كانت يرمز بها لكل ألسنة جنوب جزيرة العرب ولهجاتها، وإذا كانت لهجات جنوب جزيرة العرب يتصل منها رواة لغة العرب في زمن التدوين، وهي لا زالت في مواقعها الأصلية في جنوبها اليمن – فكيف تطلب بعد ذلك من أولئك الرواة أن يعترفوا بها وهي في غير مواقعها الأصيلة، وقد حملت بأسماء غير اسمائها الأصلية ... فمن باب أولى أن لا يكون لها نصيب عندهم ... وأن تهمل صيغهم وأوزانهم في كتبهم ... لكن هل يعني إهمالها لدى هؤلاء الرواة وأمثالهم، يؤكد عدم انتسابها إلى الجنس العربي، وسلخها من أمها العربية، وجعل ما بينهما من تشابه لا يعدو كون الجميع لغات ساميات تعود لشجرة واحدة كما قيل عنها ... إن لهجات جنوب جزيرة العرب لازال حديثها يؤكد ما أكده قديمها ... وإذا كان قديمها قد أثبت أن تلك منها ... فإن حديثها – أيضاً – يثبت ما أثبته قديمها ... فإذا كانت هناك أوزان قد قالوا بعدم وجودها – الآن – في العربية ووجودها فيما سمي بالسريانية، فإن لهجات جنوب جزيرة العرب – الآن – تقول بوجودها ... فمثلاً : " وزن [إنفعّل] إذا رجعت إلى لهجة فيفا – إحدى قبائل جنوب جزيرة العرب – تجدهم – الآن – لايزالون يستعملون هذا الوزن وغيره مما قيل بنفيه، في لهجاتهم ... فهم يقولون : [إدَّهْبَل ... يَدَّهْبَل] ... ويعنون بمعنى هذا الوزن من يتصرف يحمق "[1]، وكذلك وزن :(نِفْعَل) يقولون ندفن[2]، وكذلك وزن : [استنفعل] الذي قالوا بعدم وجوده إلا في اللغة الآشورية ... فجبال فيفا تقول لهم : لا، هو موجود، لأننا نقول : [استنفتن]، ويقصدون به كل من كان حذراً[3]، إذن فكل ما قال عنه رواه العربية وكذلك رواة القديمة ... إنه مهمل أو متروك، أو غير موجود وجدناه أنه لا يزال موجوداً في لهجات جنوب جزيرة العرب، ومستعملاً في ألسنتهم التي يتحدثون بها مع بعضهم إلى الآن، ولا ينطقونها إذا أحسوا أن بينهم غريباً؛ لأنهم يعتبرونها سراً من أسرار ألسنتهم الخاصة، التي لا يحبون أن يطلع عليه غيرهم... وبهذا يتضح لنا

(١) نقلاً عن محمد بن مسعود الفيفي – تسجيلاً –، ... ومحمد قاسم اللغبي العبدلي .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

أن جميع اللهجات التي كانت سائدة في بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام في تلك الحقب الغابرة؛ هي نفس اللهجات التي كانت سائدة في جنوب جزيرة العرب ... وإذا كانت اللهجة السريانية – الرهاوية – كانت هي أفصح كل اللهجات التي كانت معها هناك، وكانت هي – أيضاً – لسان قبائل الرهاء خصوصاً، وبعض من خالطهم من لخم وقضاعة – كما سيأتي بإذن الله تعالى – وجميعها قبائل حميرية مزحجية أزدية، فقد ورد أن الأزد كانت تمثل ألسنتها العربية الفصحى القديمة، بدليل أنهم قالوا : إن التطور الأخير، أو طور الانتقال اللغوي إلى اللغة الشمالية، كان انتقالاً من تلك اللهجات التي سميت هناك بالآرامية والكنعانية والعبرية ... بل قالوا إن ما سمي بالعربية كان مبناها من السريانية[1] .

لسان يعرب والسريانية :

ولذلك ورد عنهم : " أن يعرب بن قحطان هو أول من تكلم بالعربية ... وأنه أول من انعدل لسانه عن السريانية إلى العربية، وبه سمي العرب عرباً ... " أرادوا عمراً وأراد الله خارجة – كما يقولون ... فإذا كانت العربية التي تكلم بها يعرب بن قحطان، هي السريانية عندهم، إذن فالسريانية هي أصلاً الأزدية؛ لأن السريانية هي اللهجة الرهاوية المذحجية، ومذحج أزدية، والأزد هي قبيلة قحطانية، وكل القبائل القحطانية هي عربية، وبهذا يكون يعرب الذي أرادوا أن يؤكدوا به ترسيخ السريانية، وأنها الأصل الذي تطور منه اللسان العربي، دليلاً عكسياً، أي أن السحر انقلب على الساحر؛ لأن يعرب كان لسانه يمثل لسان والده قحطان، وقحطان كان يمثل كل ألسنة أجداده العرب العاربة[2] وكل المحيط الذي كان حوله، ومعلوم أن العرب العاربة هم أصل اللسان العربي ... ومعلوم – أيضاً – أن المحيط الذي كان حول يعرب في مكة، هو عبارة عن مجموعة قبائل ألسنتها متباينة في نطقها – على الرغم من أصالة عروبتها – لتباعدها وتفرقها عن أصولها – وفي خضم تلك الألسن المتباينة؛ كان اللسان العربي متميزاً بينها بفصاحته الخاصة حتى ظن لذلك أنه كان مخالفاً لها ... ولأن اللسان الرهاوي في بلاد ما بين النهرين كان هو الأصح بين كل

---

(١) المفصل – جواد علي – : ٨/٥٤٤ .

(٢) ابن خلدون : /٢ .

اللهجات القبلية التي كان يضمها محيطها حينها ... وقد وجدوا أن خصائصها البيانية هي نفس خصائص لسان يعرب بن قحطان؛ لذلك ظنوا – بقصد أو بغير قصد – أن لسانه هو اللسان السرياني الأعجمي ... الذي جعلوه المهد الذي نشأت فيه أوليات العربية المبينة التي ألهمها نبي الله إسماعيل – عليه السلام – ... وذلك لأنه كان الأداة التفاهمية الرئيسية بين نبي الله إسماعيل – عليه السلام – قبل أن يبعث نبياً، في جميع كل أولئك الأقوام الذين كانوا في محيطه ... وحينما بعث بدعوة النبوة إليهم ألهم ذلك اللسان المبين – كما سبق القول عنه – كما دل عليه حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما سبق أيضاً ... وبهذا يكون لسان يعرب؛ هو اللسان المعروف نطقه بالفصيح، ويكون نبي الله إسماعيل – عليه السلام – هو أول من نطق لسانه بالعربية المبينة – الأفصح –، والذي نزل بها القرآن الكريم وسائر الكتب السماوية؛ لأنها – أيضاً – هي لسان أنبياء تلك الكتب، حسب نطق المتلقين لها، وعلى هذا المفهوم كان الجمع الذي أورده ابن حجر في فتح الباري : بين حديث [أبي جهم] الذي يشير فيه أن نبي الله إسماعيل – عليه السلام – نشأ بين ولدان جرهم، ومنهم تعلم العربية، وبين حديث أنه – عليه السلام – أول من تكلم العربية المبينة، وهو حديث ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – عند الحاكم في المستدرك ... يقول ابن حجر : (روى الزبير بن بكار في النسب عن علي بإسناد حسن، قال [أول من فتق الله لسانه بالعربية المبينة إسماعيل ... وبهذا القيد يجمع بين الخبرين ... فتكون أوليته في ذلك بحسب الزيادة في البيان لا الأولية المطلقة، ويكون ذلك بعد تعلمه أصل العربية من جرهم، ألهمه الله العربية الفصيحة المبينة فنطق بها لسانه ويشهد لهذا ما حكاه ابن هشام عن الشرقي بن قطامي : (أن عربية إسماعيل كانت أفصح من عربية يعرب بين قحطان وبقايا حمير وجرهم، ويحتمل أن تكون الأولية في الحديث مقيدة بإسماعيل بين إخوانه ...) [1] .

وهنا نلاحظ أن علماء الحديث وشراحه ينصون على أن لسان يعرب بن قحطان كانت عربية فصيحة، بدليل أن المفاضلة كانت بين فصاحة لسان نبي الله إسماعيل – عليه السلام – ولسان يعرب مبنية على أساس الفصاحة، ولذلك كانت لسان إسماعيل – عليه السلام – أفصح لما فيها من زيادة في البيان والبلاغة ...

---

(١) فتح الباري – ابن حجر – : ٦/٤٦٤

وهذا ما جعل ابن حجر – رحمه الله تعالى – أن يؤكد على هذه الحقيقة؛ حينما يعلن: (ويشهد لهذا – أي لهذه المفاضلة – ما حكاه ابن هشام عن الشرقي ... ابن قطامي : (أن عربية إسماعيل كانت أفصح من عربية يعرب ...) وذلك لما فيها من زيادة بيانية، ولهذا وصفوها بالمبينة، وهذا الوصف يدل دلالة قاطعة على أن لسان يعرب بن قحطان كانت عربية فصيحة ولكن كانت دون لسان إسماعيل – عليه السلام –، ووصف لسان يعرب بالفصاحة، يفسر لنا أيضاً، وصفه بأولية الناطقين بالعربية الفصيحة ... أي أن فصاحته بالنسبة لبقية الناطقين بالعربية في زمنه ... بعد أن أخذت ألسنتهم تتباين وتختلف بعضها عن بعض في نطقها، حتى أصبحت وكأنها لغات أمم مختلفة أجناسهم وأزمنتهم – بقايا قبائل جرهم، والعماليق والآرامين، وحمير – وهذا ما أكدته نصوص التاريخ اللغوي التي أشارت إلى ذلك بقولها: (وكان رئيس جرهم وقتها مضاض بن عمرو، ورئيس قطورا السميدع ... ويطلق على الجميع جرهم ...) [1] وهذا ما تشهد به لهجات قبائل المحيط الذي حددناه للتطبيق العملي لهذه الدراسة الصغيرة، في جنوب جزيرة العرب . فقد سبق أن قلنا مراراً أن قبائل هذه المنطقة الميدانية؛ حينما تسمعهم وهم يتحدثون مع بعضهم؛ لا يمكن أن تصدق أن ألسنتهم هذه تنطق كلاماً عربياً – حسب فهمنا للعربية التي نعرفها اليوم –، إلا إذا طلبت منهم أن يعيدوا ما قالوه : كلمة كلمة – أي بالسرعة البطيئة كما يقولون – وعندي تسجيلات كثيرة تثبت هذا .

وإذا كان يعرب بن قحطان كان بين من حوله، كأنه أول الناطقين – إذا تحدث – باللسان العربي الفصيح؛ لشدة تبلبل ألسنة الكثير مما حوله – فهذا الوضع المخيف بتبلبله داخل جزيرة العرب لم يكن بأحسن حال – أو أسوأ – من حال ألسنة من كانوا في بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام وما حولها، بل ما كان هنا كان أيضاً هناك ...

---

(١) فتح الباري : ٦/٤٦٤

من جلسات المجمع اللغوي قبل الأخير :

وهذا الوضع المتردي للغة، دعا سادة القبائل العربية جميعاً، سواء من كان داخل الجزيرة أو خارجها؛ أن يرفعوا لواء الخطر، ويسارعوا للاجتماع للنظر في الخطر المحدق بلسانهم جميعاً، ولم تكن هذه الدعوة جديدة عليهم، بل رأيناها تحدث كلما دق ناقوس تردي اللغة في جلسات كثيرة تحدثنا عنها مراراً؛ ولأن جل سادة أكثر القبائل العربية كانت موجودة داخل الجزيرة، عدا أخوتهم من بقية قبائل عمليق، الذين كان الكثير منهم ينتشرون حولهم، أي شمال وغرب وشرق جزيرة العرب، كبلاد ما بين النهرين والشام وفلسطين ومصر، وغير ذلك ... ورغم كثرتهم داخل جزيرة العرب؛ إلا أن هناك الكثير الكثير منهم كانوا في بابل وما حولها ... ولذلك كان رئيس تلك القبائل العمليقية مع الكثرة التي هناك لرعايتهم، ورعاية غيرهم من بقايا قبائل أخوتهم الذين يوجد سادتهم – رؤوسائهم – داخل جزيرة العرب ... لهذا رأينا – عريب – زعيم العماليق يطير[1] مسرعاً من بلاد النهرين، بابل – إلى بلاد الحجاز ليجتمع مع سادة قبائل العرب في مكة للنظر في وضع اللغة العربية المتدهور ... وعقد ذلك الاجتماع، ويخرج منه المجتمعون بقرارات تعد تمهيداً لميلاد العربية المبينة على نبي الله إسماعيل – عليه السلام – ومن تلك القرارات : توحيد جميع الألسن اللهجات العربية من بلاد النهرين والشام، إلى بلاد الحجاز واليمن ... وقد كان ذلك التوحيد اللساني من دمج ألسنة سادة تلك الوفود : يعرب القحطاني، وعريب العمليقي، ومضاض بن عمرو والسميدع الجرهميان ... وبقية الذين وردت عنهم عبارة (أنه أول من نطقت لسانه بالعربية الفصيحة ...) ودمج ألسنة هؤلاء الرؤساء جميعاً قد أدى لإجبار جميع قبائلهم وتابعيهم أن ينطقوا بذلك اللسان الموحد؛ لأنه يمثل ألسنة رؤسائهم؛ وهذا ما حصل فعلاً لدرجة أن بعض الواهمين من مؤرخي اللغات التي سميت بالسامية؛ ظنوا أن لسان يعرب القحطاني – صاحب اللسان الفصيح – انعدل من السريانية – العربية –، فكان بهذا الانعدال – عندهم –

---

(١) الطبري : ١/٢٠٧

كأنه أول من تكلم باللسان العربي، ذلك اللسان الذي كان نتيجة من نتائج ذلك الاجتماع؛ لأنهم تناسوا أن السريانية؛ هي أساساً لسان قبيلة [الرهاء] المذحجية الحميرية القحطانية الأزدية، ويعرب هو ابن قحطان زعيم جميع القبائل الجنوبية – إن صح ذلك، وهذا يعني أن اللسان السرياني – الرهاوي – هو لسان قحطاني، ولأن اللسان السرياني كان يمثل فصحى عربية زمانها قبل أن تحرف ويدخلها التبلبل والتشوية، ولسان قحطان كان يمثل للسان الفصيح بين قومه زمن التبلبل؛ ظن مؤرخو الساميات أن لسان يعرب بن قحطان كان هو اللسان السرياني، ثم انعدل بعد ذلك اللسان الموحد الذي ظهر بعد ذلك الاجتماع، ووهموا ثانية : حينما قالوا إن السريانية وأخواتها كانوا المؤثر الرئيسي في رقي اللسان الحجازي، دون أن يكون هناك تأثير للسان الجنوبي؛ لأنهم تناسوا – قصداً أو سهواً – أن جميع اللهجات التي كانت خارج جزيرة العرب، ومنها السريانية –الرهاوية والعبرية– هي لهجات جنوبية عربية... وبهذا ندرك أن لسان يعرب لم يكن إلا لساناً عربياً؛ لأن اللسان الذي قالوا بانعدال لسان يعرب عنه، هو أصلاً لسان عربي؛ لأنه لم يكن هناك لسان يسمي سريانياً؛ لأن هذا المصطلح السرياني – قد وضع متأخراً جداً، أي أنه وضع بعد مضي زمن يعرب القحطاني بقرون طويلة؛ وهذا ما أشاروا إليه هم أنفسهم، بقولهم :" أن تلك التسمية أطلقت عليها بعد مضي مائتي عام من ميلاد المسيح – عليه السلام – كما سبق ... بعد أن كانت تسمى لهجة الرهاء "، وأن من وضع تلك التسمية هم اليونان[1] . وقد تلقى المستشرقون تلك التسمية وراحوا يستغلونها لتحقيق الكثير من أهدافهم، أهمها فصل هذه اللهجة وجعلها لغة مستقلة لفصل أمة العرب عن أمجادها القديمة، وجعلها أمة ليس لها جذور وحضارات، وغير ذلك من الأهداف التي لم تخف على أحد، وبها شهدت كتبهم ومؤلفاتهم ... ومن تلك الأهداف التي أرادوها من ترسيخ تلك التسمية السريانية – أيضاً – وقضية إنعدال لسان يعرب عنها، جعلها أنها كانت موجودة داخل جزيرة العرب، وفاتهم، أن كل الألسن التي

(١) كتاب لسان آدم،وكتاب أبو الأنبياء، وكتاب الثقافة العربية .

كانت داخل جزيرة العرب، أنها كانت عربية، فكيف والتاريخ لم يشر بأي إشارة : إن يعرب قد خرج إلى خارج جزيرة العرب، حتى يقال إنه أخذها من هناك، وكذلك لم يقل إنه ولد خارج جزيرة العرب، ثم عاد إليها ... بل رأينا التاريخ لم يشر إلى أي تواجد له خارج جزيرته العربية؛ إذن فهم قد أكدوا بمقولة انعدال لسانه عن السريانية، أن السريانية، هي أصلاً عربية، لست أدري كيف نسوا أنهم قالوا إن يعرب هو أبو العربية، إنه عمى الحقد!!! ... بدليل أن فكرة التأصيل للسريانية داخل جزيرة العرب، لم يجعلوها للسريانية وحدها ... بل نراهم يجعلونها للهجة عربية أخرى، قد سبق أن أبعدوها عن نسبها العربي كما فعلوا مع السريانية تماماً، كجعلها ذات تأثير في العربية، لذلك نجدهم يطلقون تأصيل العربية من نفس المكان الذي جعلوه لتأصيل السريانية، وهو مكة المكرمة وما حولها، كل ذلك ليجعلوا الأسس العربية التي توحدت وانبنى منها اللسان الموحد الذي رضعه نبي الله إسماعيل – عليه السلام – غير عربي، لذلك نراهم بعد أن سرينوا لسان يعرب بن قحطان الركن الثاني في اللسان الموحد، يعبرنون الركن الأول للسان الموحد، وهو لسان القبيلة التي قالوا بتعلم إسماعيل – عليه السلام – منها اللسان العربي، وهي قبيلة جرهم، أي أن جرهم كان لسانها؛ هو اللسان العبري .

وهنا نسأل : كيف يكون لسان جرهم؛ الذي سبق أن رووا – هم – عنه، أنه كان هو اللسان الذي حافظ على نطق العربية الفصيحة عندما تبلبلت الألسن، أنه كان لساناً عبرياً؟ كيف يكون كذلك؛ وهو يشكل مع لسان عمليق جرثومة لسان العرب العاربة، التي هي عندهم أصل العرب[1]؟!!!، أفلا يعني هذا أن العبرية – هي أيضاً لسان عربي – لأن اللسان الذي جعلوه عبرياً، هو لسان أصل العرب؟!!!، إذن فهم يريدون – من ذلك – إثبات عربية العبرية ... فإن هم أرادوا ذلك ... فهذا يمكن قبوله منهم، واعتباره تأكيداً قوياً على إثبات عربية العبرية، وأنها لا تخرج عن كونها لهجة من لهجات المواقع التي كانت تسكنها قبائل جرهم وبطونها قبل مجيئها

---

(١) الطبري : ١/٢٠٧

إلى الحجاز، فقد رأينا أن بني عبرة كانوا يسكنون في منطقة – أبـار أو عبـار، أو عبر، ورأينا كذلك أن جرهم الأولى التي جاءت إلى الحجاز مـع مجـيء نبـي الله إبراهيم بابنه إسماعيل – عليهما السلام – إلى الحجاز ... قد جاءوا من نفس المنطقة التي كانت تسكنها قبائل عاد ... ومعلوم أن عاد وجرهم وطسم وجديس والعمـاليق؛ هم أصل العرب العاربة البائدة، وعلى هذا يكون لسان عبرة – لساناً عربياً، كما كان لسان جرهم ومن كان معها هناك لساناً عربياً كذلك، بـدليل أن – رابـين – وهـو مستشرق، يقول: " ... ولعل أعجب هذه – اللهجات – لغة جرهم، وهي قبيلة مـن العرب البائدة، كانت تسكن الشاطئ القريب من مكة، وقد كان بقايـا هـذه القبيلـة معروفين لمحمد الكلبي – [ت١٤٦هـ – ٧٦٣م]، كما روي الأزرقي في أخبار مكة، ولهذا فمن الممكن أن يكون أبو عبيده، أو من نقل عنه، قد سمع لغـتهم ... "[١] وإذا كان رابين، وهو مستشرق يقر ما أقره لغويو العربية حول عروبـة قبائـل جـرهم ولسانهم ... وأنهم كانوا من العرب العاربة، وكون سكناهم بعد مجيئها إلى الحجـاز كانت في مكة وحولها، إذن فاللسان الجرهمي كان عربياً، وأصيلاً في عروبته.

أفلا يؤكد هذا – أيضاً – عروبة اللسان العبري، اللسان الذي نـسبوا لـسان جرهم إليه ... كما ثبتت قبله عروبة اللسان السرياني، الذي نسبوا لسان يعرب إليـه قبل ذلك، وهذا كله – وما سيأتي بإذن الله تعالى – يؤكد أن الانتقال إلى عربية نبي الله إسماعيل – عليه السلام – كانت من لهجات هذه القبائل – جرهم وأخواتها مـن القبائل الذين سماهم رابين بمجموعة القبائـل العربيـة الغربيـة القديمـة بقولـه: (والواقع أن العربية الأدبية التي استعملها محمد صلى الله عليه وسلم في مكة وفـي المدينة، ولهجة الحديث في مكة تبدو وكأنها مراحل انتقالية من العربية الغربية إلـى العربية الفصحى)[٢] ويقول: (... أما أنا فإني أعتبر نصوص المصحف العثماني تمثيلاً حقيقياً للغة محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنني أعتقد بأن طريقة نطقة كانت متأثرة ببعض خصائص انبثقت من لغة قد انقرضت)[٣].

---

(١) اللهجات الغربية العربية القديمة، ص ٣١.

(٢) لهجات العربية الغربية القديمة، ص ٢٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٦.

تطوير الحجازية كان جنوبياً :

وفي هذا النص نلاحظ أن المستشرق رابين يؤكد ما سبق أن أكدناه مراراً من أن اللهجات الحجازية لم يكن تطورها كما زعم الكثير من المستشرقين وبعض من تبعهم في ذلك؛ من بلاد النهرين والشام، بل جاءها من اللهجات الأصيلة التي كانت – أساساً – السبب في نشوئها، وهي لهجات جنوب غرب جزيرة العرب ومن بعض اللهجات الشرقية القريبة من الغربية، أي أن الانتقال إلى اللسان المبين –اللغة المبينة الإسماعيلية– كان أساسه من لهجات القبائل التي سميت –بالغربية– كجرهم وأخوتها من الأزدية والطائية والهمدانية ... إلخ، أي لسان المجموعة التي توحدت ألسنتهم على أيدي رؤساء قبائلها، عندما عم التبلبل اللساني، ومن ذلك اللسان الموحد الفصيح انطلقت العربية المبينة الإسماعيلية، إضافة إلى الصفاء والإشراق البياني الذي ألهمه الذي انطلقت من لسانه، وهو إسماعيل – عليه السلام –، والتي كانت لسان كل الكتب السماوية؛ ولذلك كانت هي لسان رسل تلك الكتب من إبراهيم، إلى محمد عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأزكى التسليم، لذلك كله رأينا [رابين] يعلن وبدون تردد : " أن عربية محمد صلى الله عليه وسلم : [تبدو وكأنها مراحل انتقالية من العربية القديمة إلى العربية الفصحى " ... بل نراه يؤكد ذلك صراحةً : [أنه يعتبر نصوص المصحف العثماني تمثيلاً حقيقياً للغة محمد –صلى الله عليه وسلم–؛ الذي كان نطقه –صلى الله عليه وسلم–، متأثراً ببعض خصائص الوسط الذي عاش فيه ... وإذا أنت تساءلت من أين جاءت تلك الخصائص أجابوك : أنها خصائص انبثقت من لغة قديمة قد انقرضت، وهذا التوجه من رابين المستشرق؛ لا يعد جديداً .. بل هو عين ما سبق أن أعلنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لعمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنه وأرضاه – : حينما سأله متعجباً : يا رسول الله : مالك أفصحنا؟ أو لم تخرج من بين أظهرنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كانت لغة بني إسماعيل قد درست، فجاء بها جبريل – عليه السلام – فحفظنيها فحفظتها[١]

---

(١) المزهر : ١/٣٥ .

... وهنا تلاحظ أن ما عبر عنه رابين بقوله : " قد انقرضت ... " هو عينه ما سبق أن عبر عنه رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، – طبعاً مع الفارق – قد درست، وإذا كان رابين لم يشر لاسم تلك اللغة المنقرضة ... فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد أشار ونص على اسمها : بأنها لغة بني إسماعيل، قد درست ... إلـــخ ... إذن فعربية محمد – صلى الله عليه وسلم –، والقرآن؛ هي نفسها لغة نبي الله – عليه السلام – وهي كذلك ما أسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالعربية المبينة ... وسبق أن رأينا أن العربية المبينة هذه كانت انتقالية من عربية قبلهـــا، كانـــت هـــي فصحى زمانها، وهي لسان جرهم، ومن كان معها أو حولها، من القبائل العربيـــة، وهي لهجة من أسموا لسانهم بالسريانية حيناً، والعبرانية حيناً آخر، ومن مجمل مـــا سبـــق ترى أن السريانية والعبرانية؛ هما لسانان عربيان، وأنها كانت عربية زمانها.

وإذا كانت لسان يعرب بن قحطان، هو نفس اللسان الذي سمي بالـــسريانية، واتضح أنها كانت لهجة – الرهاء – القبائل المذحجية – الآرامية – التي سكنت موقع الرهاء، أو من سمي بهم الموقع؛ فهذا يؤكد ما سبق أن أشير إليه – من أن جنـــوب جزيرة العرب – اليمن – كان هو المصدر الأم للغة العربية الأولـــى ... ويؤكـــد – أيضاً – أن تطورها الأخير فيالحجاز كان منها ... حتـــى وإن قـــالوا : (إن اللغـــة الحجازية لم تتطور من اللغة اليمانية مباشرةً، وإنما جاءها من العربية القديمـــة ... التي قال بعضهم عنها : إنها الآشورية القديمة ... لأن تلك العربية القديمة قد جـــلّ حقيقتها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : إنها لسان بني إسماعيل ... التـــي درست وحفظها جبريل – عليه السلام – له – صلى الله عليه وسلم –، تلك العربيـــة التي أكدها أحدهم – المستشرقين – أنها خصائص لسان رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، ... إذن فهو تأكيد عكسي لما قالوه ... وهنا نسأل ما هي العربية القديمة يـــا ترى؟؟؟ وإجابة هذا الاستفسار، هو ما سوف نراه في حديثنا القادم بإذن الله تعالى .

ما هي العربية القديمة؟:

سبق أن أشرنا لموضوع اللغة القديمة، وكونها كانت مصدر العربية الأولى في بداية الحديث عن السريانية ولسان إبراهيم – عليه السلام – ... وسنحاول إعادة بعض النقاط مما سبق، للتذكير والربط، أولاً، ثم للتوضيح ثانية .

وبالعودة لكل ما قيل نجد أن المقصود بالعربية القديمة، هو نطق ألسنة القبائل القديمة جداً، سواء من كان منهم يطلق عليه مصطلح العاربة – أو العرب البائدة –، ... وهذا هو ما قاله التاريخ القديم نفسه، فقد رأيناه يقول : (إن إرم بن سام بن نوح – عليه السلام – ... قد ولد عوص وغاثر وحويل ... وإن عوض بن إرم قد ولد عاد وغاثر، وايضاً – عبيل – ... وأن غاثر بن إرم بن سام بن نوح – عليه السلام – قد ولد له ثمود وجديس ... وإن هؤلاء جميعاً؛ كانوا قوماً عرباً، ويتكلمون باللسان العربي ... وإن العرب فيما بعد كانوا يقولون لهذه الأمم : العرب العاربة؛ لأن العربية كان هو لسانهم الذي جبلوا عليه ... وكانت طسم والعماليق وأميم وجاسم قوماً عرباً ... ولسانهم الذي جبلوا عليه – لساناً عربياً[1] ... وهم من كانوا يسمونهم بالعرب البائدة ... وقالوا أيضاً – إن عوص بن إرم بن سام بن نوح – عليه السلام – كان منزله بالأحقاف باليمن[2] وكان يقال لعمليق ولجرهم العرب العاربة[3] .

وبنظرة سريعة لما سبق إعادته؛ نرى أن التاريخ ينص على أن العربية القديمة كانت هي لسان جميع أولاد سام بن نوح – عليه السلام – ومنهم كانت القبائل التي عرفت باسم جرهم – طبعاً الأولى – والعماليق ... وأيضاً، جميع من أطلق عليهم مصطلحات الآراميين والكنعانيين والآكاديين، والآشوريين والعبرين وغيرهم، وإذا كانت لسان جرهم هي نفسها لسان العربية القديمة، إذن فالسريانية والعبرانية

---

(١) الطبري : ١/٢٠٤

(٢) الطبري : ٢٠٦ – ١/٢٠٧

(٣) الطبري : ٢/٥٣

وأخواتها هي نفسها من العربية القديمة، وهذا ما سبق أن أكده [ولفنسون] الذي جعل السريانية والعربية الحديثة من اللهجات العربية البائدة ... في أثناء حديثه عن أدوات التعريف في تلك اللهجات[1] ... ومعلوم أن جرهم كانت من القبائل العربية البائدة بإجماع مؤرخي العرب ... وأنها كانت قبل مجيئها إلى الحجاز وسكناها حول مكة المكرمة كانت ديارها باليمن ... وهذا يعني أن لسان جرهم - الأولى طبعاً - هي أحد أركان العربية القديمة، كانت ذا تأثير مباشر وكبير - إن لم تكن هي نفسها لغة الحجاز - في لغة الحجاز، بل هو المصدر الرئيسي والأساسي في تطور اللغة الحجازية، إن لم تكن هي نفسها، وعلى هذا يكون التأثير الرئيسي والمباشر، والأساسي -أيضاً- في لغة الحجاز، هو تأثير يمني جنوبي؛ لأن جرهم وأخواتها قدموا من اليمن ... بل رأينا أن لسان سيدنا إسماعيل - عليه السلام - كان هو نفسه؛ اللسان الجرهمي قبل أن يلهم العربية المبينة؛ التي كانت - أصلاً - لغة كل الكتب السماوية، ومنها القرآن الكريم، وعلى هذا فعربية محمد صلى الله عليه وسلم، التي كانت هي عربية المحيط والوسط الذي كان يعيش فيه صلى الله عليه وسلم بمكة؛ هي - أيضاً - عربية نبي الله إسماعيل - عليه السلام -، وعربية محيطه الذي كان يعيش فيه - أيضاً - وهو مكة نفسها محيط صلى الله عليه وسلم، من بعده، بدليل أن عربية إسماعيل - المبينة التي لهما - عليه السلام - وجد فيها الكثير من خصائص اللهجات التي نشأ وتربا عليها، ورضع منها لسانه الأول؛ هي ألسنة جرهم والعماليق والأزد وطيء وحمير، وكل القبائل العربية التي كانت حول مكة، ومنها كانت تلك القبائل والبطون التي هاجرت إلى شمال جزيرة العرب وخارجها؛ سواء من سكن منها جنوب العراق أو شماله، أو وسطه ... الخ وسميت ألسنتها من قبل المستشرقين أو غيرهم بتلك الأسماء كالسريانية والعبرانية والآرامية والكنعانية... الخ، فيما بعد، فكيف تكون لهجات هذه البطون وغيرها؛ هي السبب المباشر في تطور العربية المبينة وهي جزء منها في الأساس، أي من نفس لهجات

---

(1) تاريخ اللغات الساميات : ص ٢٣ – ٢٤ .

بطون تلك القبائل الأم؛ التي كانت تسكن في المركز الرئيسي للعربية المبينة فيما بعد ولذلك نجد الكثير من الخصائص اللفظية والدلالية التي وجدت في لغة القرآن الكريم، هي من آثار خصائص لغة ذلك المحيط الجرهمي المنقرض؛ كما أشار إلى ذلك المستشرق [رابين] – كما سبق – وما رأيناه من تأكيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لهذه الإشارة قبل رابين بخمسة عشر قرناً ... ولذلك نجد الكثير من مؤرخي الساميات يقعون في أخطاء كثيرة حينما يجدون في القرآن الكريم، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وألفاظاً تنطق أو تكتب بشكل مشابه للفظ اللهجة الرهاوية – المذحجية الأزدية – السريانية، أو اللهجة التي سميت بالعبرية، ولذلك نجدهم يخرجونها عن العربية بحجة أنها سريانية أو عبرانية، أو أنها غير عربية، متناسين أن هاتين اللهجتين؛ عربيتان خالصتان؛ يقول : بطريرك إنطاكية وسائر المشرق، للسريان الأزكس – إغناطيوس يعقوب الثالث – عن ألفاظ القرآن الكريم، المشابهة للسريانية : " صلوه، حيوة، زكوه، – (بالواو)، لا (بالألف) ... للألفاظ – الرحمن – سراط – ثلثه – ... بدون (ألف)؛ أنها كما هي في السريانية ... "[1] .

عروبة السريانية من خلال عروبة ألفاظ صلاة وزكاة وحياة :

ولتوضيح هذا الخطأ، وجلاء حقيقة هذه الألفاظ وغيرها في لغة القرآن الكريم، يجب أن ينطلق هذا التوضيح من قضية أن في القرآن الكريم، ألفاظاً وصيغاً سريانية، أو عبرانية، فقد سبق أن أطلنا الحديث حول عروبة اللهجة التي سميت بالسريانية وغيرها من اللهجات التي كانت معها أو قبلها خارج جزيرة العرب... ولم نكن أول من قال بهذه العروبة لتلك اللهجات، بل شهد بها حتى المستشرقين كرافيد صمويل مرحليوث؛ الذي قال : (إن ابتداء اللغة العربية أقدم من التاريخ) [2] إذن فلم يكن في كلام مؤرخي العرب أي مبالغة، حينما قالوا : (إن اللغة العربية هي أقدم من السريانية بالآلاف السنين ...) [3] لأن غيرهم قال بما هو أبعد مما قالوا –

---

(١) مجلة العربي : عدد (١٠٦) سنة ١٩٦٧م .

(٢) معجم الحضارات السامية (هنري) ص ١١٧، مجلة العربي، عدد ١٤٥ سنة ١٩٧٠ .

(٣) المرجع السابق، ص ٦٧ .

كما سبق – وعلى هذا – وكل ما سبق – نقدر نقول إن تلك الألفاظ [صلاة – زكاة – حياة] وغيرها هي ألفاظ عربية : نطقاً وكتابةً وصياغة ... وهذا ما صرح به جل علماء العربية ومؤرخيها، وأقروه بقولهم : [إن كلمتي حياة وزكاة، ومثلها صلاة] : هما في المصحف بالواو ... بل إن ابن جني – في سر الصناعتين – يقول بذلك ليقينه بعروبتها – في اليمنية ... وهذا ما نقله عنه المستشرق براقمان : فيما كتبه عنها، أما رابين فقد ذهب إلى أبعد من ذلك حينما قال : [أما نحن فنقطع بأن ابن جني كان يعرف كيف نطقت هذه الألفاظ، معرفته بعلم التجويد، ولذا نستنتج أنه كان يعني بأن هذا النطق كان يمنياً.

ويقرأ برافمان كلمتي [زكاة وحياة] بالصورة الواوية، بتحريك الواو بفتحه قصيرة : أي [حيوة، وزكوة] ...

ولو فرض أن الواو كانت مفتوحة فإن الأمر سيكون أكثر تعقيداً ... وذلك لأن [زكاة مقترضة[1]، من الآرامية ... ومع هذا فينبغي أن نضيف أن الكلمتين بفتح الواو – كما يظن الصيغة التي تبني عليها الأسماء التي من هذا النوع في السامية الأم ... وسيكون لهذا احتمالان :

أ – أن تكون الواو الواقعة بين فتحتين / او / بقيت في اليمنية أو صارت فتحة طويلة كما في الفصحى .

ب – أن تكون الكلمتان قد بقيتا على صورتيهما عند الاقتراض أو تغيرتا لتتلاءم مع أوزان اللغة ...][2] .

هذه بعض إشارات موجزة وردت من بعض علماء اللغة ومؤرخيها حول نسب تلك الألفاظ [زكاة، صلاة، حياة] لوجودها في لغة القرآن، وقبل أي تعليق أو تداخل مع ما سبق، نود أن نسأل؛ قواميس الفصحى : هل يوجد لديها لهذه الألفاظ مدلولات لغوية تؤكد موادها صدق أصالتها في العربية ... الفصيحة، كانت أو

---

(١) سيكون الرد على قضية الاقتراض هذه في أماكن متعددة، بدءاً من هنا، وكذلك عن حديث الشيخ الجرجاني عن هذه الألفاظ، بإذن الله تعالى

(٢) اللهجات العربية الغربية القديمة، ص ٦٧ – ٦٨ – رابين – .

الفصحى المبينة؟ ثم نتوجه بالسؤال نفسه إلى لهجات جنوب جزيرة العرب القديمة منها، أو ما بقي من القديمة منها في مواقعه، ولم تصل إليه ألسنة الخلط والتحريف – كما بدأ يحصل – للأسف – الآن؟ علنا نجد فيها ما يشير إلى أصالة ما سبق أيضاً؟ وبالعودة لبعض قواميس الفصحى، وجدناها تجعل لكل لفظة من تلك الألفاظ مادة لغوية مستقلة بها، ... مما يعني أن تلك اللفظة ذات أصالة نسبيه عريقة في العربية الفصحى، وأصالتها في الفصحى يعني أصالتها في الفصيحة وهذا يقوي عراقة نسب لهجاتها التي تفرعت منها ... فمثلاً كلمة [حيوة] قالوا عنها : [الحيّ] بكسر الحاء، والحيوان محركة والحياة، والحيوة ... بسكون الواو : هي نقيض الموت .. حي : كرضي : حياة / وحي يحي ... حي / يحيا ... والحياة الطيبة والرزق الحلال أو الجنة[1] .

أما (الزكاة)، فتقول : [زكا، يزكو، زكاة – / زُكوّاً : نما ...كأزكى، وأزكاه الله، وزكّاة ... والرِجل : صلح وتنعم، فهو زكي، من أزكيا ... والزكاة : صفوة الشيء وما أخرجته من مالك لتطهّر به ... والزكا : مقصوراً : الشفع من العدد ... وزكي : كرضي : نما وزاد .. كتزكي وزكية[2] .

كذلك لفظة [صلاة] ... وجدنا صاحب القاموس المحيط حينما تحدث عنها، يورد لها جذرين، كما كان الأمر مع لفظي [حياة وزكاة] ... ولطول ما أورده عن هذين الجذرين نحاول أن نوجز منه قوله : (صَلَى) : اللحم يصليه صلياً : أي شواه أو ألقاه في النار للإحراق ... [والصلاة] : الوقود ... وأرض مصلاء : كثيرة الصليان لأي نبت ... والصلاية : – ويهمز – الجبهة .. والصلا : وسط الظهر من كل شيء ... جمعه صلوات، وأصلاء ... [والصلاة] : الدعاء والرحمة والاستغفار، وحسن الثناء من الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وتعني عبادة فيها ركوع وسجود، واسم يوضع موضع المصدر، والصلوات كنائس اليهود ... بالعبرانية : صلوتا ...)[3] .

---

(١) القاموس المحيط : ٣٢١ –٤/٣٢٣ .

(٢) القاموس المحيط : ٤/٣٣٣ .

(٣) القاموس المحيط : ٤/٣٥٣ .

هذا موجز بعض ما أوردته قواميس اللغة – الفصحى – حول مواد اللفظات الثلاث – وفيه نلاحظ أنها قد أوردت لمادة كل لفظة جذرين ... جذر في ذات الواو، وجذر في ذات الياء ... وتلاحظ – أيضاً – أن كل جذر منها يعطي اللفظة التي تعود له؛ مدلولات لغوية متعددة، قد تبعد قليلاً عن مدلولات الجذر الآخر؛ وإن ارتباطا في عموم دوران المادة – الأم – ... وهذا التنوع الجذري في المادة يؤكد عراقة عروبتها وصدق حقيقة نسبها في العربية – أياً كان نوعها – وهذا التعدد – أيضاً – يمنع أي محاولة لإبعادها عن عروبتها ... فإن قيل – مثلاً – إن هذه الألفاظ وأمثالها، هي أصلاً مقترضة من اللغة الآرامية أو العبرانية ... الخ واستعملت في القرآن الكريم، بنفس معناها في لغتها المقترضة منها؛ لأن ما تدل عليه لا يوجد في لغة من يخاطبهم القرآن الكريم ... قلنا هذا غير صحيح وافتراء؛ لأن القرآن نفسه يقول منزله : (وما نرسل من رسول إلا بلسان قومه ... ليبين لهم ...) وكذلك رأينا أن لغة القرآن الكريم قد أوردت لكل لفظة من تلك الألفاظ مادة؛ ولكل مادة منها جذران لغويان، مما يدل على أصالتها في لغة القرآن الكريم، وثراء مواده ... ويؤكد – أيضاً – عروبتها – وينفي عنها صفة الاقتراض تلك، لأن المقترض منها، هي عربية في ذاتها، ولهجة من لهجاتها، ومعلوم أن اللهجة هي التي تأخذ من أصلها لا العكس ... قد رأينا صاحب القاموس حينما تحدث عن لفظة حياة، قال : [الحي] بكسر الحاء ... والحيوان محركة ... والحياة بسكون الواو : هي نقيض الموت : (الحيوة) ... إذن فالحياة نقيضة الموت؛ هي من الجذر الواوي للمادة الأم فيها ... أما (حيي) كرضي حياة ... وهي يحيا ... فمن الجذر اليائي ... وتلاحظ أنه يورد في هذا الجذر الحياة، بمدلول آخر،قد يبعد عن مدلول الواوي قليلاً، وإن ارتباطا في المدلول العام ... لذلك قال : الحياة تعني هنا : الرزق الطيب الحلال أو الجنة ... وكلاهما يشتركان في عموم الحيوية، وكذلك لفظة [زكاة] : رأيناها واوية ويائية، فزكا يزكو : بمعنى صلح الرجل وتنعم، فهو زكي من أزكياء ... وزكي كرضي : نما وزاد ... والزكاة هي صفوة الشيء ... ويربط بينهما النماء ... كذلك : لفظة [صلاة] : هي واوية ويائية ... فإن كانت يائية : ففيها مدلول الحركة والموقع ...

وإن كانت واوية فهي تعني الدعاء – وهذا فيه حركة أيضاً –، والاستغفار مع ركوع وسجود ... وأيضاً هي اسم لموقع، بجامع الحركة في الجذرين، وكلاهما وجدا في مدلول الصلاة في لغة القرآن الكريم ... وعلى هذا فقواميس اللهجة – اللغة – الفصحى تؤكد وجود وأصالة هذه الألفاظ في لغة العرب ... أي أنها كانت مستعملة استعمالاً أصيلاً في لسان أصحابها العرب، وسبق أن رأينا أن أسس الفصحى، هي عبارة عن مزيج لألسنة أقوام كلهم جنوبيين، توحدت في لسان واحد قبل أن يرضعها نبي الله إسماعيل – عليه السلام –، وتصبح أساساً للهجة المبينة التي ألهمها فيما بعد؛ بدليل – ما سبق –أن ما شهد به الكثير من مؤرخي اللغات حول لفظي [زكاة – وحياة] كإبن جني ويرافمان ورابين – وغيرهم كثير – قد أكدوا يمنيتهما، وتلك الشهادات التاريخية يتضح أمرها أكثر إذا تمت رجعنا إلى اللهجات اليمنية المنعزلة في أعالي جنوب جزيرة العرب، وخصوصاً في المواقع التي لم تختلط إلى الآن بغيرها، بل ولا زالت تنطق ألفاظها كما نطقها من أطلقوا عليهم تسميات السريانية وغيرها، وكذلك لا زالت تنطق جل صيغها وتراكيبها التي تتداولها فيما بينها كما لو أن أصولها القديمة شاخصة معها الآن، بل إن ٩٠% من ألفاظ وصيغ ما سمعناه منهم، أو سجلناه يؤكد أصالة هذه اللهجات وتشابكها مع ما رحل منها إلى خارج جزيرتها، بل ويؤكد ارتباطها بأصولها القديمة، ويثبت – أيضاً – أصالة نسب القديمة منها بأصولها اليمنية القديمة .

مواقع البحث ولفظة زكاة وأخواتها :

فمثلاً لو رجعنا الآن إلى بعض المواقع التي يدور حول ألسنة أهلها بحثنا هذا، لوجدناهم ينطقون تلك الألفاظ – زكاة، صلاة، حياة – بنفس الطرق التي هي مكتوبة بها في المصحف الكريم، بل – أكرر – بنطق صيغ الكتابة الواوية، التي لا ننطق بها نحن عند قراءتها في المصحف ... كبطون – أو قبائل – آل محمد؛ وهم فرع من قبائل اللغوب بموقع جبال العبادل، هذه البطون تجدهم – إلى الآن – ينطقون [زكاة – زكوه ... وصلاة – صلوه ...] في حين نجد الكثير من بطون فيفا ينطقونها بالنطق المعروف المتداول [زكاة – صلاة، حياة ...] وإذا كان بطون

فيفا ينطقونها بالنطق المعروف – عكس آل محمد – العبادل –، فهناك من ينطق هذه الألفاظ – مفردة – كنطق فيفا، لكنه نطق بتاء مفتوحة، هكذا : (زكـات، صـلات، حيات –] ... فإذا أرادوا جمعها اختلفوا – حسب مواقعهم – فهناك من ينطقها هكذا : [زكية – أو زكيت، وفي صلاة : (صلية، أو صليت) ... بقلب الألف في المفـردة إلى ياء في الجمع[١] ... وسألنا أحد أبناء فيفا هل هناك نطق آخر للفظ (حياة)؟ أجاب بأن هناك من ينطقها بصيغة : (حيوّة ... حيوت ... أو حيت ...) [٢] .

إذن فجنوب جزيرة العرب (بجل مواقعه) ينفي أن تكـون هـذه الألفـاظ مقترضة من لغات ليست عربية ... وإن صح أنها فعلاً مقترضة من الآرامية – كما زعموا – فالآرامية بهذا تكون هي – فعلاً – عربية ومن جنوب جزيـرة العـرب، وهذه مواقعها تشهد بذلك ... ولأن الحقيقة بعيدة جداً عما زعموه؛ وجـدنا بعـضهم يتراجع عن دعوى الاقتراض، وإن بقي متشككاً في تراجعه وإن حاول أن يخفيـه – كرابين – ويرافمان اللذان قالا : (... ومع هذا فينبغي أن نضيف أن الكلمتين بفتح الواو تمثلان – كما يظن – الصيغة التي تنبني عليها الأسماء التي من هذا النوع في السامية الأم، وسيكون لهذا احتمالان ... الخ) . وعلى هذا فالأصل الـذي حـاول المستشرقون أن يجعلوه للسريانية، أو الآرامية، أو الكنعانية، نرى أنـه لـيس كمـا زعموه، بل هو مأخوذ من أصل عربي ... حتى أن واسطة هذا الأخذ – الاقتراض – كان عربياً، وهذا ما أثبته المستشرقون أنفسهم أثناء حديثهم عن تغيـر الحركـات فيما أسموه بالكنعانية والآرامية الغربية، ولهجة الحجاز، التي قالوا بتأثرها المباشـر بالآرامية والكنعانية[٣]، حيث قالوا : (ونظراً لتغير الفتحة الطويلة إلى ضمه طويلة نصف ضيقة باطراد في الكنعانية والآرامية الغربية ولهجة الحجاز ... فقد يحـدونا هذا لأن نفترض أن هذا التغيير في اللغات الجنوبية الحديثة قد انتقل إليها عن طرق

---

(١) سلمان العبدلي (معلم) وأحد أبناء العبادل (تسجيلاً) .

(٢) محمد بن مسعود الفيفي ... (فيفا) أحد مثقفيها (تسجيلاً) .

(٣) اللهجات العربية الغربية القديمة، ص ٦٦ .

العربية الغربية ... أما الواسطة في هذا الانتقال فلابد أنها كانت اللهجة اليمنية القديمة ...) [١] .

وإذا كان تغير الحركات حصل في الآرامية والكنعانية التي قيل باقتراض العربية منها؛ قد كان من لهجات عربية، ونص على أنها العربية الغربية ... فكيف تكون اليمنية العربية بعد ذلك قد أخذت من التي أخذت، وتأخذ منها ... وهي بعيدة عنها، ومن أخذت منها – العربية الغربية – هي أقرب إليها ... بدليل أن العربية الغربية التي أخذت منها الآرامية وأخواتها – كما سموها –، هي أصلاً أخذت من اليمنية القديمة؛ لأنها في الأصل هي متفرعة منها، ألم يقولوا : " أما الواسطة في هذا الانتقال :فلابد أنها كانت اللهجة اليمنية القديمة ... "[٢] .

وهذا يعني أن اليمنية القديمة هي اللسان الأم لكل تلك اللهجات القديمة سواء كانت الآرامية – ومنها السريانية – أو العبرانية والكنعانية؛ وهذا بدوره يثبت حقيقة عروبة ألفاظ زكاة وحياة وصلاة، وأنها أتت إلى القرآن الكريم من اليمنية القديمة، كما قال عالم العربية –ابن جني–، ولذلك نجد رابين نفسه يعلن صراحة: (لذا نستنتج أن هذا النطق لزكاة وحياة – زكوة وحيوة – كان نطقاً يمنياً ...)[٣] بدليل أن ابن فيفا حينما سألناه – كما سبق – عن كلمة (حياة) ... كيف ينطقها قومه في لهجتهم الخاصة؛ قال : إن منهم من ينطقها [حيوة – وحيوت]، وعلى هذا (فحيوة) بسكون الواو هي اللغة الفصحى، أو النطق الفصيح كما هي في المصحف ... أما نطقها : (حيوة) ... بفتح الواو، فهو أيضاً نطق عربي، وإن كان لهجة، فذلك لا يخرجها عن عروبتها؛ لأن نطقها لا زال يتوارث في ألسنة أهله إلى الآن؛ وهو كما ترى من بقية اللهجات القديمة التي كانت منتشرة في هذه المواقع قبل التوحيد اللغوي الأول، الذي حصل أيام جرهم ويعرب وعريب، الذي سبقت الإشارة إليه، واستمر على ألسنه أهله الباقين في مواقعهم، إذن فلم يعد في الأمر صعوبة ولا تعقيد – كما

---

(١) اللهجات العربية القديمة، ص ٦٦ .

(٢) المرجع السابق، ص ٦٧ .

(٣) المرجع السابق، ص ٦٧ .

قال رابين – في مجيء الواو مفتوحة؛ لكونه يدل على أنها كانت مفتوحة؛ لأن هناك قبائلاً لا تزال تنطق على أصالة نطقها القديم، متوارثاً بينها، لأنها قبائل منعزلة بعيدة عن الاختلاط إلى الآن، وإن كان الداء قد بدأ يغزوهم، نسأل الله العافية ... وعلى ذلك فنطق الواو مفتوحة هو نطق يمني قديم؛ ويمنيته أكبر دليل على عروبته، وإذا كان الأمر كذلك؛ فالسريانية والآرامية والكنعانية، والعبرانية، هي لهجات متفرعة من العربية اليمنية القديمة؛ قبل التوحيد اللغوي الذي انبثقت منه العربية المبينة على لسان نبي الله إسماعيل –عليه السلام– أي العربية التي كانت منتشرة في جنوب جزيرة العرب عند تفرق القبائل وبداية الهجرات، وبداية التبلبل اللساني ... وتأكيداً لما سبق الحديث عنه، حول النطق وتغير الحركات، وكونه من هذه المواقع الجنوبية كان منطلقه، وتأثر غيره به وبما هو مثله من التغير، لذلك نلاحظ أن رابين يقول : (كانت قبيلة حارث تقول [بقى] بالألف / ب ا ق ا ا / بدلاً من [بقي] بالياء / ب ا ق سي ي ا / ... ومعنى هذا أنهم كانوا يقلبون / سي ي ا / إلى / ا ا / كما تفعل طيء ... وربما كان ما يحدث عند حارث بقية قديمة من العربية الغربية، كانت تشارك فيها الكنعانين ... ويقول – أيضاً – : إن أبا زيد يقول في النوادر [ص٥٨] وابن فارس في الصحابي [٢٠] : بأن (أي) / أي/ قد اختصرت الفتحة الطويلة في لهجة حارث، وقد تكون هذه الفتحة أمامية / اا/ ا أو خلفية ... ولكنها كانت ولا شك مختلفة عن الحركة نصف الضيقة الأمامية / سي / والتي تغيرت إليها الحركة المزدوجة / أي / في اللهجات الحديثة ... ومن الأمثلة التي وردت قولهم : [وإلاها] في إليها، [والسلام علاكم] في السلام عليكم . ويذكر الخليل، وعنه أخذ الاسترابادي في شرح الكافية [ج٢ ١٢٤] أن من اللهجات – ولم يحدد أي لهجة – ما يقال فيها : " (إلاك)بدلاً من عليك ... وفي لهجة حضرموت الحديثة تصير الحركة المزدوجة / اي / فتحة أمامية / اا / في [أضا] / د اا ض اا / بدلاً من (أيضاً) ... و [عان] / ع اا ن / بدلاً من [عين] ... " (١)

---

(١) المرجع السابق، ص ٦٧ .

وإذا كانت قبائل طيء وحارث، وهم من قبائل الأجيال التالية في الهجرة للقبائل التي هاجرت قبلها بقرون طويلة، ومع ذلك لا زالت تعترف بعروبتها، حتى بعد هجرتها إلى الشمال، ظلت تحافظ على صيغها وطرق نطق ألفاظها، كما كانت تنطق في مواقعها الأولى، حتى في نطق ما أسماها المستشرقون والدارسون المعاصرون بالحركات المزدوجة، أو الفتحة الطويلة أو القصيرة، حافظت عليها كما كانت تنطق في بيئتها الأولى، التي خرجت منها، وخرج منها قبلها من سموا بالكنعانيين أو الآراميين ... فإذا كان من سموا بالكنعانيين أو غيرهم كان ينطق بذلك النطق، أفلا يعني أن حارث أو طيىء قد اقترضتها منهم – أيضاً –؟ لكون ذلك كان – أي النطق – أصلاً في الجميع ...؟ بدليل أن رابين وأمثاله الذين قالوا بوجود هذا النطق في الكنعانية وحارث وطيىء، يقولون: (إن هذا النطق في تلك القبائل؛ إنما هو بقية من العربية القديمة ...)[1] وإذا كانوا يقولون بذلك ... فنحن نقول لهم – أيضاً – إذن ذلك هو عين الحقيقة ... بدليل أنا وجدنا فروعاً متسلسلة من تلك القبائل – التي قيل بوجود ذلك النطق فيها – لا زالت متعاقبة في نفس المواقع، ولا تزال تنطق بنفس النطق إلى اليوم؛ لأن هذه المواقع ومن يتعاقبون فيها، كانوا في عزلة تامة عبر التاريخ اللغوي الإنساني، ولم يختلطوا بغيرهم، بدليل أن الخليل بن أحمد؛ وهو شيخ وإمام لكل من دونوا وألفوا في اللغة والنحو العربي الفصيح ... : (قد أخذ عنه أنه لم يحدد المواقع الأصلية لهذه اللهجات ونقطها، بل نقلت ودونت كما سمعت من بعض العرب، فلو كانت مواقع تلك اللهجات وأهلها معروفة له لذكرها، وكذلك من كان بعده، ولكنها لم تذكر، وعدم ذكرها دليل على عدم اختلاط أهلها بغيرهم، أو خروجهم منها وقت التدوين، وهذا أدى إلى ضياع الكثير من حقوق لغة العرب، مما فتح واسعاً أمام كل من يريد انتقاص مكانه هذه الأمة ولغتها، وأدى أيضاً إلى عدم معرفة المستشرقين وغيرهم من علماء اللغة وتاريخها، بل وأضاع الكثير من حقها وعظمتها التاريخية ومن تلك المواقع المعروفة، وإلى الآن : جبال فيفا وبني مالك،

---

(١) المرجع السابق، ص ٦٧ .

وجبال منبة وسحار، والعبادل، وبني معين والقيوس وهروب والريث والحشر، وبني ودعان، وبني حريص، وآل محمد، والغمر، وجبال النظير والحشر، وبني ودعان، وبني حريص، وآل محمد، والضمر، وجبال النظير ورازح وصعده، وغيرها كثير من مواقع هذا البحث – الشبه الميداني –، وتأكيداً لذلك يقول أحد أبناء هذه المواقع، عن لهجته ونطقها، وما يعتريها من قلب وإبدال وتغيير – نحاول أن نوجز منه –: (... وتقلب الياء إلى الألف في كثير من المواضع في فيفا وما حولها، فيقولون في عليه (علاه) و (وعلاها) بدل (عليها) و (وعليه) ... و(علاك) في (عليك)[1] ... ويورد مؤرخ اليمن المعاصر أحمد حسين شرف الدين في كتابه لهجة اليمن القديمة والحديثة ... أثناء حديثة عن الإشباع ... : " والإشباع نوعان في لهجة اليمن ...

(أ) – إشباع في الفتحة فيقولون : – مثلاً – في (لك) (لاك) في لهجة بعدان، ويقولون : عملك لاك : في عملك لك .

(ب) – إشباع في الضمة وأمثلته كثيرة، منها، ما تجده مثلاً في لهجة صنعاء وصعدة وذمار، فيقولون في (تصلوا، توصلوا ... وغير ذلك كثير) "[2] .

وهذا يعني أن تلك الكلمات والنطق بهذه الحركات، لم يأت من السريانية وأخواتها إلى العربية، كما زعموا، على أساس أنها لهجات أو لغات ليست عربية، لأنا نجد الآن وقديماً في المواقع التي هاجر منها من سموا بالسريانية أو غيرها ... تحديد نسب ألسنة النطق الذي لم يستطع علماء اللغة – عرباً كانوا أو عجماً – تحديده، وذلك من خلال تلك المواقع التي أشرنا إليها في جنوب جزيرة العرب، وتحديد نسب هذا النطق وأنواع حركاته؛ يؤكد لك أن تلك اللهجات – السريانية وأخواتها – لم تكن إلا ألسنة عربية جنوبية قديمة؛ لأنا رأينا التاريخ اللغوي : يثبت أن ذلك النطق بتلك الحركات وغيرها؛ هو نطق يمني قديم، وهو ما وجدناه في المواقع ونطق أهلها، وهذا يثبت يمنية السريانية – الرهاوية الحميرية– وجميع

---

(١) لهجات فيفا – مخطوط – محمد بن مسعود الفيفي، ص ٨٥ .

(٢) لهجة اليمن، شرف الدين، ص ٥٦ – ٥٧ .

أخواتها، ويؤكد أيضاً – أنها جميعاً انتقلت من هذه المواقع وما حولها، بدليل أن ما وجدناه – سابقاً – حول قضية الفتحات الطويلة الأمامية، أو القصيرة وتحولها إلى الحركات المزدوجة، في المواقع التي ذكرناها، أو في نطق قبائل الحارث وطيء ... أو في جهات فيفا والعبادل وصعده وغيرها؛ نجده بعينه – أيضاً – في السريانية وأخواتها، وهذا ما صرح به المستشرقون أنفسهم حينما قالوا: (ومما يلفت النظر أن لهجة اليهود في وسط اليمن، وهي من اللهجات القليلة التي احتفظت بالحركة المزدوجة / أي / وتحول هذه الحركة المزدوجة أحياناً إلى فتحة قصيرة أو طويلة، مثل / وان / في أين وعان، اسماً للحرف الكتابي (عين)، وفي (ألك) بدليل (إليك ...) (1) وهنا نلاحظ أن مجموعات من قبائل هذه المواقع في جنوب جزيرة العرب، قد اعتنقوا العقيدة اليهودية، ومع ذلك ظلوا محافظين على نفس النطق بتلك الحركات، كما بقي جميع أخوتهم ممن لم يعتنقوا تلك العقيدة، محافظين على ذلك النطق ...

ولم تكن تلك المحافظة مختصة بمن اعتنقوا اليهودية؛ لأنهم – يهود – لهم لغتهم التي تختلف عن بقية ألسنة من حولهم؛ كما أراد المستشرقون ذلك، بل المحافظة كانت للجميع، لأن لسان من اعتنق اليهودية هو لسان من لم يعتنقها، لأن لسان الجميع واحد، لأن الجميع – أيضاً – متعاقبون في نفس هذه المواقع إلى يومنا هذا، وربما قد يأتي اليوم من يقول : إن ذلك النطق كان أصلاً في العبرية؛ لأنها لغة مستقلة بذاتها، ومنها انتقل إلى ألسنة من اعتنقوا اليهودية في تلك المواقع اليمنية، انتقالاً إلزامياً، لكون ذلك أصيل في العبرية، وهي لغة التوراة، الكتاب المقدس؟ .

العبرية والحركات :

والإجابة على ذلك تكون من عدة محاور، من أهمها ما سبق أن أشرنا إليه، أنه لم يكن هناك لغة تسمى عبرانية حتى نهاية القرن الثاني الميلادي وبداية الثالث (٢٠٠ق.م) وأنها كانت تسمى قبل ذلك بأسماء مختلفة، كما قال المستشرقون أنفسهم، وكل مؤرخي اللغات السامية، كقولهم : (وليس يوجد في صحف العهد القديم ما يدل

---

(١) اللهجات العربية الغربية القديمة – رابين – ص ١٢٤ –١٢٥ .

على أنهم كانوا يسمون لغة بني إسرائيل باللغة العبرية، بل كانت تارة تعرف باسم اللغة اليهودية، وطوراً باسم الكنعانية، ولم تعرف باسم العبرية أو باللغة المقدسة إلا بعد السبي البابلي في كتاب حكم ابن سيرا، وفي مصنعات المؤرخ اليهودي يوصف، وفي المشنا والتلمود ...) [١] إذن فلم يكن لهذا اللسان تسمية ثابتة تحدد نسبه من بدايته، مما يعني، أن هذا اللسان لم يكن لغة قائمة بذاتها، من بدايتها، وإنما هو لهجة بعض بطون، أو بيوت أو أسر، حينما تتعقبها تجد أنسابها تعود في النهاية لأنساب عربية أصيلة، فقد رأينا النص السابق يشير إلى أنها كانت تسمي في البداية باليهودية، وهذه التسمية، حينما تعقبناها، وجدنا أنها تتمحور في أمرين اثنين، وإن كانت هناك أقوال كثيرة لكنها لا تشد الباحث للوقوف عندها . **أما الأمر** الأول في تسميتها باليهودية، قد يكون لوجود أحد البطون التي جعلت في النسب العبراني، وكان اسمه (أهودا، أو يهودا) ... ومعلوم أن هذا البطن، هو أحد بطون قبائل بهراء، إحدى قبائل قضاعة التي كانت منتشرة في تلك البقاع، وخاصة الأرض الممتدة من تيماء إلى فلسطين، ومعهم بطون كلب وأخواتها، كما سبق في التمهيد ... ورأينا قبائل قضاعة وأخواتها كلخم وجذام وطيىء وبطونهم، كانت تنتشر في منطقة هذا البحث بجنوب جزيرة العرب، عبر كل تلك المواقع التي أشرنا إليها، ... كذلك كانوا ينتشرون عبر امتداد بقعة واحدة؛ من العراق إلى فلسطين، وكل بلاد الشام وسيناء ومصر؛ وهذا ما ساعد أولئك الذين حاولوا أن يجعلوا من لهجات هذه القبائل القديمة – هناك – لغة أدرجوها تحت مسمى اصطلحوا على تسميته (العبرية)، ومن هنا كانت تسمى لهجاتهم تلك باليهودية نسبة لأبي ذلك البطن – أهودا القضاعي – وأظن أن كتاب التوراة قد كتبوا بهذه اللهجة في فترة من فترات كتاباتها؛ لأنها لهجة هذه البطون – الأهودية – اليهودية القضاعية –، وهناك أمور كثيرة تؤكد هذه الإشارة ... منها : أن هذه اللهجة سميت – إضافة لما سبق – باسم أحد أحفاد نبي الله إبراهيم – عليه السلام –، وهو إسرائيل – عليه السلام – يعقوب – وهذا هو

---

(١) تاريخ اللغات السامية، ولفنسون .

المحور الآخر – وإذا كان إبراهيم الجد، قد ثبتت عروبته، فمن باب أولى أن تكون العروبة أصلاً ثابتاً للفرع – يعقوب – عليه السلام – بل رأينا القرآن الكريم يؤكد عروبة يعقوب، حينما أشار إلى أن يعقوب وذريته كانوا من بدو فلسطين : (وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ...)[1] ومعلوم أن بدو الشام كلهم كانوا أعراب جاءوا من الجزيرة العربية، وجلهم كانوا من أعراب بطون تلك القبائل التي أشرنا إليها آنفاً؛ بدليل أن قائد القافلة المتجهة إلى مصر، والذي أخرج نبي الله يوسف – عليه السلام – من الجب؛ كان من بطون تلك القبائل العربية المنتشرة في الأرض الممتدة من بلاد الشام حتى مصر، مروراً بسيناء، بل أنهم نصوا على اسمه بقولهم : (إنه مالك بن ذعر اللخمي ...)[2] ونصوا – أيضاً – على اسم من اشتراه بقولهم : (... وأما الذي اشتراه بمصر وقال : (لامرأته اكرمي مثواه) فإنه فيما ذكر عن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – هو – قطفير –، وكان على خزائن مصر ... والملك يومئذ، هو الريان بن الوليد – رجل من العماليق – ... وقال وغيره : هو الريان إبن الوليد بن ثروان بن أراشة بن قاران بن عمرو بن عمليق بن لاوذين بن سام بن نوح ...)[3].

وإذا كان من أخرجه – عليه السلام – كان عربي النسب، ومن اشتراه كان عربياً، وملك البلد التي بيع فيها – يوسف – كان عربياً، ... فهذا يعني أن البيئة التي انطلقت منها القافلة التي حملت يوسف – عليه السلام – وأهله، والبيئة التي بيع فيها، كلها كانت عربية وعرب وأعراب ... أفلا يؤكد كل ذلك أن يعقوب وذريته كانوا أعراباً، وأن اللغة التي كانوا يتحادثون بها كانت عربية ... وهذا كله يؤكد أن لهجة بني إسرائيل –، بني يعقوب – كانت هي الألسن – اللسان العام – التي كانت سائدة في تلك البيئات،ويؤكد – أيضاً – أنها ألسن جنوبية عربية – أي من جنوب جزيرة

---

(١) سورة يوسف، آية ١٠٠ .

(٢) الطبري : ١/٣٣٥، وابن الأثير، وجمهرة انساب قبائل العرب لابن حزم .

(٣) الطبري : ١/٣٣٥، وابن الأثير، وجمهرة انساب قبائل العرب لابن حزم .

العرب –؛ لأن كل تلك الفئات البشرية التي كانت منتشرة في جل تلك البيئات كانت من بطون قبائل مشهود لهم بجنوبية عربيتهم، كلخم وجذام وقضاعة وخزاعة، وطيء وغيرهم من القبائل التي كانت تندرج تحت مسمى قبائل معين وسبأ، وقبلُ وكانت تسمى – إن صح – كنعان وآرام وبابل وأشور وآكاد والسريانية، ثم العبرية، إذن فما قيل عن محافظة اللهجة التي دعيت بالعبرية على الحركة المزدوجة وبقاؤها فيها؛ يؤكد اصالتها في العربية، وكذلك أصالة الناطقين بتلك اللهجة في وقتها؛ وهم أولئك البدو القادمون من جنوب جزيرة العرب – اليمن – عبر تلك الحقب، سواء أعلن نسبهم اليمني صراحة أو عمي عليه بتحريفات مقصودة كاليهودية حيناً، أو الإسرائيلية، أو الكنعانية أو الآرامية، أو بأي تسمية أعلنوها؛ إلا أن الحقيقة واضحة كوضوح الشمس في رابعة النهار؛ وهذا أمر قد أثبتوه هم، قبل أن نقوله نحن بقولهم: (وقد حافظت العبرية على الحركة المزدوجة / اي / رغم أن الكنعانية قد غيرتها إلى حركة طويلة نصف ضيقة / ي ي / مثال ذلك من نصوص تل العمارنة (جيري) / جـ ي ي زي / التي تظهر في العبرية / ق أ ي س ص / و في نفس الوقت توجد بعض الصيغ العبرية التي صارت فيها الحركة المزدوجة حركة طويلة واسعة / أأ / ... ولكنا حملناها حملاً على لهجة يهود اليمن نفترض أن الحركة المزدوجة قد أصابها التغير إلى / اا / في ظروف لا نستطيع تحديدها .

وفي اللهجة اليهودية الآرامية في فلسطين، وهي كثيراً ما تحافظ على الحركة المزدوجة على النقيض من اللهجات الآرامية الأخرى – يقل تحويل الحركة المزدوجة إلى حركة طويلة / اا / ...

ولهذا من الضروري أن نعتبر (علاها) – (عليها) في الآرامية الترجومية نوعاً من الإدغام، كما يفترض كانتينيو، وأمامنا هنا ولا شك صيغة مماثلة للصيغة (علاها) في لهجة حارث ... وفي لهجة حارث – أيضاً – لا تتحول كل / اي / إلى فتحة طويلة / اا / ...) [1] .

---

(١) اللهجات العربية الغربية – رابين – ص ١٢٥ .

إذن فما حافظت عليه لهجة القوم الذين كانوا يعرفون في فلسطين باليهود، أو الآرامية أو العبرانيون؛ يؤكد أنهم من جنوب جزيرة العرب، ومن المواقع التي أشرنا إليها، وجل ما حولها، والتي رأيناهم يقولون عنها : إنهم وجدوا فيها عرباً لا زالوا يحافظون على نطق تلك الحركات وأمثالها، بل ولا يزالون يفعلون ذلك وغيره - مشتركاً - مما قالوا بوجوده عند أولئك ... ويؤكد - كما رأينا - أن أي تغيير أو تطور، يوجد هناك، يعني أنه آت من جنوب جزيرة العرب، من الأصل والأم الأولى؛ لأن من هم هناك؛ هم فروع لا يستطيعون عمل أي تغيير، إلا إذا جاءهم من أصولهم؛ بدليل أن أوائل أجيال تلك الفروع حينما انقطعت الصلة بينهم وبين أصولهم - لأسباب وظروف تاريخية معلومة - أصبحت أحفادهم - المنقطعة - لا يفهمون الكثير الكثير من لغة أصول أجدادهم، وهذا ما نص عليه الكثير من مؤرخي اللغات السامية بقولهم : (... إنهم وجدوا أن العبرانيين كانوا : [كلما ابتعدوا عن موطنهم القديم في جنوب جزيرة العرب؛ كلما هم ابتعدوا عن مصدرهم الأول في اللغة - حتى - أصبحوا بعد هجرتهم الطويلة يتداولون من الأسماء والأعلام ما لا يفهمون معناه ... ولا وجوه تفسيره، وهو في لغة [سبأ] من جنوب جزيرة العرب مفهوم المعنى والمصدر الذي تصرف منه بلفظه واشتقاقه ...] يقول مرجليوث في كتابه عن العلاقة بين العرب وبني إسرائيل " ومن المحقق أن هذه الكلمات لم تأت من فلسطين إلى سبأ، ولعلها قد جاءت من سبأ إلى فلسطين ... ")(١) .

وهذه الإشارة تفسر لنا ما أورده التاريخ عن اللهجة العبرية ... أنها كانت لهجة منغلقة منعزلة ... أي أنها لم تصبح كذلك إلا بعد أن قطعت صلتها بأصولها في جنوب جزيرة العرب وتقوقعت على نفسها، عندها : (... توقفت حيث بدأت، وتركتها اللهجات السامية واقفة في مكانها وهي تتطور وتترقى إلى الشأن الذي بلغته في الأزمنة الحديثة ... ولم يكد عصر المملكة اليهودية أن ينقضي حتى كانت اللغة العبرية منقضية بين أهلها في الخطاب، وفي الكتابة، ما خلا الصلوات والعبادات، ثم

---

(١) أثر الثقافة العربية - العقاد -، ص ١٩٤ .

انهزمت بين الجدران والمعابد، وخلفتها الآرامية في معامـــلات الدين ... ومعاملات المعيشة اليومية، ثم مضي العصر إلى زماننا هذا، فأصبح قراء التوراة العبرية أقـــل عدداً من قرائها بأصغر اللغات ... لذلك كانت العبرية عاجزة عن أن تعطي غيرها؛ لأنها لم يكن عندها ما تعطيه، ولم تكن وعاءً صالحاً يستودعه خدام الفكر والمعرفة ما يعطونه ...)(١) .

إذن فهذا الانغلاق والعزلة التي حصلت في اللهجـــة التـــي ســـميت باللغـــة العبرية، كانت نتيجة لذلك الانقطاع والبعد الذي حصل للفرع وتجاهله لأصله، وهذا كله يعني أن اللهجة – اللغة – العبرية كانت فرعاً من لهجات جنوب جزيرة العرب، كما أشار التاريخ إلى هذا .

وهنا نقف : لنسأل : هل فعلاً كانت اللهجة التي سميت باليهودية –العبرية– أو الإسرائيلية؛ كان لها ارتباط يؤكد – زيادة إلى كل ما سبق – حقيقـــة ارتباطهـــا وأصالة انتمائها بلهجات جزيرة العرب، عموماً والسبئية أو المعينية خاصة؟؟ وهـــل هناك أشياء ميدانية تطبيقية في بعض المواقع يمكن أن تمثل، أو حتى تشير بإشارات فيها – إضافة لما سبق – ما يمكن اعتباره ارتباطاً بالعبرية القديمة ... سواء كـــان ذلك الآن، أو قديماً؟ وأين هي في جنوب جزيـــرة العـــرب؟ وهـــذه الاستفـــسارات وغيرها، هي ما سنري الحديث عنه في الفصول القادمة بـــإذن الله تعـــالى، فـــإلى الحديث عن ذلك .

---

(١) أثر الثقافة العربية – العقاد –، ص ١٩٥ - ١٩٦ .

الفصـــــل السادس
الخصائص اللغوية المشتركة
بين من رحل إلى خارج الجزيرة ومنطقة البحث
قديمـــا وحديثـــا

١) العبرية والضمائر وعبار وآبار

٢) بعض الضمائر العبرية ومنطقة البحث

٣) أسماء الإشارة بين العبرية ومواقع البحث

٤) عودة لبعض الخصائص اللغوية كما وردت في النقوش ومنطقة البحث

٥) مع الحروف من خواص أداة التعريف ومنطقة البحث

٦) خصائص متنوعة تؤكد حقيقة الحلقة المفقودة

العبرية والضمائر، وعبار وآبار :

سبق أن تحدثنا كثيراً عن العبرية وأخواتها من اللهجات التي رحلت معها إلى خارج جزيرة العرب كثيراً، بل رأينا أن هذا البحث هو أساساً، كله يتحدث عن عربية هذه اللهجات، من خلال محورين اثنين، تاريخ الحوادث والمواقع، ومن خلال التاريخ اللغوي خصوصاً ... بل كانت جل الفصول التي سبقت هذا كانت عن العبرية والسريانية خصوصاً ... لكن ما يفرق الحديث في هذه الفصول إلى آخر البحث عن سابقتها، هو أن الحديث سيكون فيها التركيز على الجانب التطبيقي الميداني، لكن هذا لا يعني أن لا يكون الجانب التاريخي العام غير حاضر؛ بل لابد من حضروه ولكنه بصوره أقل مما سبق – بإذن الله تعالى –، بدليل أنا سنلاحظ أن البداية في الحديث عن قضية العبرية والضمائر ومواقع البحث ستكون بداية تاريخية وذلك لأن التاريخ أمر أساسي في أي تطبيق، وهذا أمر معروف، وقد سبق أن رأينا ما قاله مؤرخو الساميات حول العبرية، وأنها كانت في الأصل عبارة عن لهجة – لغة – مختلطة العناصر – وهذه الإشارة وإن كانت قد سبقت معالجتها؛ إلا أنها قد تكون منطلقاً لما سبق الاستفسار عنه آنفاً؛ لأن تعدد عناصرها يدل على تعدد ألسنة الذين كانوا يتحدثون بها فيما بينهم؛ وتعدد الألسن يدل على تعدد المواقع التي هاجر منها أصحاب تلك الألسن، وهذا ما أكده الكثير ممن أرخ لها من مستشرقين وغيرهم كقولهم : (... تنسب اللغة العبرية إلى الأمة العبرية التي تتألف من بني إسرائيل وجملة شعوب أخرى تصلها بها القرابة الدموية؛ كبني إسماعيل وبني مدين والعماليق، وآل أدوم، وأهل مؤاب وعمون، فكل هذه الأقوام تجعلها التوراة من ذرية إبراهيم العبري – عندهم –، وقد كانت هذه الشعوب تلهج بلغة واحدة شبيهة بالكنعانية، وكانت بلادها الأصلية على حدود الجزيرة العربية ... الخ) (١) .

وإذا كانت اللسان العبرية عندهم، قد كانت عبارة عن مجموعـات لهجـات لمجموعة شعوب – باعترافهم – متعددة تنتشر في مواقع متعددة في بقعة شاسعة،

---

(١) تاريخ اللغات السامية – ولفنسون – ص ٧٣ – ٧٤ .

وهذا قد سبق أن جليناه في التمهيد، وبينا أن تلك البقعة لم تكن في الأساس في جنوب جزيرة العرب، وإنما كانت في جنوبها الشرقي ... وهنا يجب أن نقف عند عبارة : (كونها لغة تتألف من بني إسرائيل وجملة شعوب ...) ألا تعني جملة شعوب تؤكد حقيقة كونها لهجة لا لغة، وأن تلك اللهجة هي لهجة بني إسرائيل ... لأن جملة شعوب، تعني أن هناك لهجات أخرى، تباين تلك اللهجة تماماً، لأنها ما دامت تخص جملة شعوب، فهذا يعني أن كل شعب من تلك الشعوب التي أضافوها إليها، يحوي لسانه مجموعة ألسن أخرى هي أقرب إلى اللسان العام لكل شعب من تلك الشعوب؛ لأن كلمة شعب، هي أكبر من كلمة قبيلة، أي الشعب الواحد يحوي مجموعة قبائل متعددة مختلفة اللهجة عن المجموعة الأخرى، ... وما أورده التاريخ عن العبريين أنهم لا يعدوا عن كونهم قبيلة صغيرة جداً – كما سبق – وهذا يؤكد أن لسانهم لم يكن لغة مستقلة في ذاتها، وإنما هي لهجة خاصة بتلك القبيلة ... أما تعدد عناصرها – كما أشاروا – فيؤكد عكس ما أرادوا منه؛ لأن تعدد العناصر، يعني تعدد الصيغ، والاختلاف في النطق تبعاً لاختلاف وتعدد تلك الصيغ، وهذا يؤكد تعدد مواقع تلك الصيغ، الذي يعني تعدد وتنوع القبائل التي أدى نطقها لذلك، وقبيلة (عبرة) لم تكن بحجم ذلك التعدد والتنوع والاختلاف، بدليل ما أشاروا إليه هم أنفسهم، بقوله : (تتألف من مجموعة شعوب) ... ومن هنا رأينا كثرة تعدد كتبهم الدينية، الناتجة عن تعدد تلك اللهجات، كقولهم : العبرية الإنجيلية، وعبرة المشناة، والثمودية، والعبرية القديمة، وعبرية ما بعد السبي، أو العبرية الآرامية، أو العبرية الكنعانية ... وهذا التعدد الذي أشاروا إلى وجوده فيما أسموه بالعبرية؛ نجده ماثلاً قديماً وحديثاً في المواقع التي قلنا بهجرة من نسبت العبرية إلى ألسنتهم، المواقع التي جعلناها مجالاً للتطبيق لإثبات حقيقة جنوبية هذه اللهجات .

هذا التطبيق بدأناه من خلال الأصول التي لا تتغير، ولا تؤثر فيها زيادات مواد اللغة أو نقصها، مهما تعددت لهجاتها، أو تباعدت، فإن تلك الأصول تبقى على حالها الأساسي، وأن لم تخل من بعض الفروق العارضة في الهيئة المقومة لمنطوق

تلك اللغة من تلك الأصول: الضمائر، وبعض المنطوقات في الحــروف وتغييرهــا وتبدلها والصيغ الوزنية، وغير ذلك كما سيتضح أمره من خلال العرض والتحليل – بإذن الله تعالى – ...

فما هى الضمائر في العبرية ومنطقة البحث؟

الضمائر بين العبرية ومنطقة البحث :

وبالرجوع لكثير من مراجع ومصادر العبرية، ومشافهة الكثير مــن أبنــاء قبائل منطقة البحث – الآن – وجدنا التشابه والتقارب يكاد يكون واحداً، وإن تخلــل بعضها التغييرات : من مد في حركة أو قصرها، أو قلب الحرف، أو أبداله بغيــره، ولكنها مع ذلك لا تعني فروقاً تقصيها عن بعضها، أو أن ذاك ليس من هــذا، بــل سنجد أموراً تؤكد أن تلك من هذه، وأن ما يوجد هنا من ضمائر فيها ما يمثل فتــرة التبلبل والانحراف اللساني الذي حصل هنا وهناك، وسنجدها ضمائر تمثل ما كان قد بقي من نطق فترة الفصيح، وهذا سيجلي حقيقة الفترة التي هاجرت فيها تلك البطون القبلية من هذه المواقع بجنوب جزيرة العرب ... وتمثل –أيضاً– ما سبق الإشــارة إليه – فترة نشوء تلك اللهجات المتبلبلة وتعددها، وإن كان الأمر يخلو مــن وجــود لهجات بقيت محافظه – نوعاً ما – على نطقها الفصيح في أكثر صيغها كالآكاديــة القديمة في البابليات، أو السريانية في الآرامية والكنعانية والعبرية – كما سميت هنا – ... فمثلاً لو رجعنا لما وجد منسوباً إلى العبرية القديمة، نجدهم يقولون أن ضمير المتكلم – للمفرد – هو : (أني ... أو أنيه ...) (١) وحينما رجعنا إلى جبال العبادل بجنوب غرب جزيرة العرب – أحد مواقع البحث – وجدنا [آل اللغبي] أحد بطون العــبادل، ينطقون ضميــر المتكلــم [أنا] على هــذه الصورة [أنيــه] (٢) ... فــإذا اتجهنا شرقهم قليلاً؛ أي جهة منبة وصعــدة وسحــار وجماعة، فستجدهــم ينطقون

---

(١) تاريخ الساميات – ولفنسون – : ص ١٥ – ١٦، أثر الثقافة العربية – العقــاد– ص ٩٤، تاريخ آداب العرب – الرافعي – ١/

(٢) تسجيل مع أحد أبنائها محمد اللغبي .

هذا الضمير [أنا] على هذه الصورة : [أني] [١] للمذكر والمؤنث ... أما إن نحن توغلنا جنوب شرق؛ أي [جهة بعدان وأريان]، من لواء [إ ب]، [وبني سلم]، فسنجدهم ينطقون [أنى] للمؤنث، و[أنا] [٢] للمذكر، أي أنهم يجمعون بين الفصيح والمتبلبل .

أما ضمير جمع المتكلم : (نحن) ... فهو في العبرية ينطق بعدة صيغ، أي بحسب تعدد ما انطوى تحتها من لهجات، كما قلنا، ومن ذلك قولهم: (أنحنو، ونحن)[٣] ... وهذا التنوع في نطق صيغ هذا الضمير، نجده – يتنوع أكثر – في مواقع البحث وما حولها، ففي جبال العبادل، وهي منطقة ذات قبائل وبطون كثيرة تمثل جل من رحلوا قديماً، حتى قبيلة جذام، نجد لهم أصولاً كثيرة في هذا الموقع – العبادل –، ففي هذا الموقع نجد (آل محمد والكعوب) ... ينطقون هذا الضمير (نحن) بنفس نطق الصورة الأولى في نطق العبرية وهو : (إنحنو) [٤] أما اللغوب – العبادل – فينطقونه هكذا : (انحا) [٥] ... فإذا اتجهنا شمال العبادل – شمال شرق – أي جهة جبال فيفا – وهي منطقة كثيرة البطون والقبائل – فسنجدهم ينطقون الضمير [نحن] بهذه الصورة : (أنحن) [٦] أي بصيغة – القطع – الوقف والتسكين على حرف النون ... ولا يقف نطق هذا الضمير عند هذا الحد، بل هناك مواقع هاجر منها بعض أولئك الأقوام – مثل صنعاء ورداع وتعز وزبيد وعدن ... كانوا ينطقون هذا الضمير بصور غير ما ذكر – آنفاً – ... لكن سبق أن رأينا صوره في لهجات أخرى سميت بأسماء أخرى؛ كالكنعانية والآرامية ... الخ وسبق أن أشرنا إلى تعدد صور نطقه في السن تلك اللهجات بإسهاب في التمهيد ... ونضيف هنا هذه الصورة لنطق الضمير [نحن] ... وهي : (إحنا) ... بهمزة مع حاء ساكنة ونون ممدودة، أي بحركة فتح

---

(١) شرف الدين لهجات اليمن، ص ٤٧ .

(٢) شرف الدين، ص ٤٧ .

(٣) تاريخ آداب العرب – الرافعي – / ١ .

(٤) محمد اللغبي – تسجيل .

(٥) محمد اللغبي .

(٦) محمد بن مسعود الفيفي ... تسجيل .

طويلة، إذن ففي جنوب جزيرة العرب، من كان – ولا يزال – ينطق هذا الضمير بنطق بين الإسكان، وبحركة ضم طويلة، في حين وجدنا في الجهات الغربية من كان ينطق بحركة فتح طويلة، أما جهات العبادل فقد رأيناهم ينطقون بضمة طويلة... أما جهات فيفا؛ فينطقون بقطع الضم، والوقف على النون بالإسكان، إذن فتعدد المواقع هو الذي أدى لاختلاف النطق بهذه الصيغ لهذا الضمير وغيره في كل تلك اللهجات – التي سميت بلغات – وهذا التعدد الذي وجدناه في لهجات جنوب جزيرة العرب – في المواقع المشار إليها – هو نفس ما سبق أن رأيناه في تلك اللهجات خارج جنوب جزيرة العرب، أفلا يؤكد ذلك جنوبية تلك اللهجات – التي كانت خارج جزيرة العرب، لأن ما وجدناه مع ضمير المتكلم، هو نفس ما ستجده مع ضمير الخطاب – الذي سبق أن أسهبنا الحديث عنه – أيضاً – في التمهيد ... ولا بأس أن نوجز الحديث عنه بما يجلي حقيقة ترابطه مع ما ذكر عن نطقه فيما سميت بالعبرية – كما أوجزنا الحديث عن ضمير التكلم – ... فإذا كانت ضمائر الخطاب في العبرية – كما تقول بعض مراجعها – هي : " للمفرد : (أتَ ... أو إتَّه) وللمفردة : (أتْ) ... ولجمع المذكر : (أتَّم)، ولجمع الإناث : (أتن) أما الضمائر الغيبية فهي : (للمفرد : (هو)، أو (هوا) وجمع المنكر : (هِمْ)، وجمع الإناث : (هِنْ) ...)[1] .

هذه هي مجمل ضمائر الرفع المنفصلة في العبرية، مخاطبة وغيبة، ... فإذا رجعنا إلى مواقع البحث، فإنا سنجد معظم هذه الصيغ، وصيغ أخرى كثيرة متعددة – وإن كان قد سبق الحديث عنها كما قلنا – ولكننا سنعيد بعض ما قلنا بإيجاز، فمثلاً موقع العبادل: في هذا الموقع تجد لضمير الغيبة أكثر من صورة عند نطقهم له: وهذا يعود لتعدد بطونهم وبيوتهم، فمثلاً : (آل اللغبي) نجدهم ينطقون الضمير المفرد المذكر : (هُوَ) هكذا :(هَوْ) ... أما (اللغوب) وهم قسم منهم – فلهم نطق يختلف قليلاً عن أولاد عمومتهم، إذ عند نطقهم : يشبعون حركة حرف [الهاء] كثيراً – فتحة طويلة – فيصبح نطقهم هكذا : [هاو] أي [بهاء] مفتوحة بعدها ألف مد، بعدها [واو]

---

(١) تاريخ اللغات السامية – ولفنسون – ص ١٥ – ١٦ .

ساكنة، كذلك الأمر في ضمير الإناث [هي]، [فآل اللغبي] ينطقونه هكـذا : (هَـاءْ) (بهاء) مفتوحة بعدها ألف فقط، أما (اللغوب) فينطقونه هكذا : (هاء) (بهاء) مفتوحة بعدها ألف مد، بعدها همزة ساكنة ... ولكنهم يتفقون في البقية مع أبناء عمومتهم، .. إذ ينطقونه [كلهم] ضمير جمع المذكر هكذا : (هِمْ) بكسر (الهاء) وسكون المـيم ... كذلك ضمير جمع الإناث فينطقونه هكذا : (هن)، وبالعودة لهذا الضمير في العبرية، ومقارنة نطقهم هنا حسب صوره التي وردت في مرجعيتهم – كما سبق – تجـد أن الأمر يكاد أن يكون واحداً، اللهم إلا في بعض التغير الحركي أثناء النطق؛ فإذا أخذنا الضمير [هو] في العبرية – إن صح –، و [هو] أو [هاو] اللغبـي نجـد أن [هـوا] العبري، قد نطق آخره بحركة فتح طويلة، نتج عنها وجود حرف الألف الذي جـاء بعد الواو، والناتج عن مد تلك الحركة، في حين وجدنا (آل اللغبي) قد قصروا تلـك الحركة ووقفوا على الواو عند النطق فقالوا : (هو) بعكس أولاد عمومتهم (الكعوب) نجدهم يجعلون عند النطق ألفاً بين الواو والهاء، أي أنهم، بدلاً من أن يشبعوا فـتح حركة الواو نراهم يشبعون حركة الهاء ليجعلوا الألف قبل الواو، ويحافظون علـى إسكان الواو وقصر حركته ... إذن فالأمر واحد في مـد الحركـات وإشـباعها أو قصرها، أو تقديمها أو تأخيرها، ويؤكد حقيقة هذا الاتفاق، بقيـة ضـمائر الجمـع والمؤنث عند الجميع – لغوب وعبريون – (هِمْ – هِنْ) [1]، بل إن هذا الاتفاق فـي ضمائر الغيبة، إلا فيما ذكر من تغير في الحركات والتقديم والتأخير؛ وهذا يؤكده ما نجده في جهات النظير – منطقة جبلية جميلة على مقربة من العبادل وبني معين –، وكذلك جهات منبة وصعده وما حولها، وجل المواقع التي كانت تسكنها جـل تلـك القبائل والبطون التي هاجرت منها قديماً، وكذلك ما نجده في جهات فيفا وبني مالك وآل حرب، والريث وهروب ومنجد وقيس والحشر وجل ما حولهم، هؤلاء نجـدهم

---

(١) مشافهةً وتسجيلاً، مع شيخ اللغوب والنغابية والكعوب : علي بن يحـي جـابر، ومـسلمان العبدلي، أحد معلمي العبادل، وهو منهم، ومحمد بن قاسم اللغبي العبدلي أحد طلاب الثانوية العامة – قسم علمي – عام (١٤١٨هـ) بمدرسة معاذ بن جبل بجيزان

ينطقون هذه الضمائر على النحو التالي : " فـ (أهَا) للمذكر، و : (أها) للمؤنث، و : (أهمْ) لجمع المذكر، و : (أهنَّ) ولم نجد في جل لهجات هذه المواقع صيغاً للتثني "[١] .

هذه هي جل الضمائر – الخاصة بالغيبة والخطاب – في اللهجة – اللغة – التي سميت بالعبرية ولهجات مواقع هذا البحث بجنوب جزيرة العرب ... ونلاحظ من خلال العرض الموجز، أن هناك تنوعاً في نطق هذه الضمائر وإن كادت تكون متفقة إلا فيما سبق الإشارة إليه، مما يؤكد وحدة الأصل : لساناً ونسباً وموقعاً، بين تلك اللهجات الراحلة، وأحفاد الأصول الباقية متناسلة في هذه المواقع إلى يومنا هذا .

أما ضمائر الخطاب، فقد سبق أن تحدثنا عنها طويلاً أثناء الحديث عن وحدة هذه اللهجات وكونها عربية، جاءت من جنوب جزيرة العرب، في التمهيد، وإن كان هناك ما يستحسن أن يشار إليه ثانية هنا – فهو محاولة إعادة بعض النقاط في هذا الجانب لتوضيح حقيقة ارتباط ضمائر خطاب العبرية بضمائر لهجات هذه المواقع في جنوب جزيرة العرب قديماً وحديثاً، ومن ذلك : ما قد يظن أنه اختلاف، وفي حقيقته عكس ما ظن به ... فمثلاً لو عدنا لموقع العبادل – الأنف الذكر – وما حوله نجد أن ضمائر الخطاب عند الجميع – في هذه المواقع – هي : "أك ... أك ... أكم ... أكن ... أت ... أت ... أنكه ... الخ " ... هذه هي بعض ضمائر الخطاب في هذه المواقع ... وقد مضى الحديث عنها ... وهنا قد يظن أن هناك اختلافاً في نطق الحرف الأخير في [أك ... الخ) [٢] والحقيقة – كما قلنا لا اختلاف ... (فأك) في خطاب العبادل، قد يتبادر إلى السامع عند سماع نطقها أنها حرف (كاف "ك" شديد مهموس [أك] ... أما سامع ناطق العبرية فيحمس أن حرف خطابها الأخير هي [تاء] مشددة مهموس، كما يلاحظ ذلك من خلال كتابتها باللاتينية : (a tta – a t t i ... الخ) ... وإذا عدنا نجد أن التاء الشديدة المهموسة وكذلك [الكاف] هما أمر واحد نطقاً وحركة؛ لأنهما متقاربان مخرجاً، إذ مخرج [الكاف] هو مما يلي مخرج القاف

---

(١) تسجيل ومشافهة، مع بن مسعود الفيفي [أحمد أبناء فيفا المثقفين] .

(٢) يحي بن جابر اللغبي ومحمد قاسم اللغبي ... الخ .

من اللسان والحنك ... والتاء : مخرجه من بين طرف اللسان، ومن بين أصول الثنايا العليا مصعداً إلى الحنك ...) [١] أما من حيث الصفة، فهما متفقان، إذ صفتهما: "أنهما حرفان شديدان مهموسان ..." [٢] .

إذن فالصفة والنطق لضمائر الخطاب في العبرية، والعبائلية وما حولها ليست متشابهة فحسب؛ بل هي واحدة، ومتفقة كذلك ... ومما يزيد قوة هذا الاتفاق، أنك تجد في العبرية أنها تدغم نون [أنت] أو تحذفه – وهذا ما تجده بعينه، وبشكل أوضح، وأكثر تفصيلاً [٣] .

ومما يزيد هذا الترابط قوة بين اللهجة – اللغة – العبرية وأخواتها، ولهجات مواقع البحث؛ اتفاقهن في صيغ أسماء الإشارة والأسماء الموصولة وفي قضايا لغوية وصرفية كثيرة، وفي عدد حروف الهجاء – الأبجدية – وصفات نطقها ومخارجها، وأمور كثيرة جداً سنجدها – بمشيئة الله تعالى – أثناء استعراضنا لها ... فمع أسماء الإشارة والموصول .

أسماء الإشارة والموصولة بين مواقع البحث والعبرية وأخواتها :

فلو رجعنا – مثلاً – لبعض لهجات القبائل التي هاجرت من نفس هذه المواقع – قديماً – بعد هجرة القبائل التي هاجرت – قبلها – من نفس المواقع وسميت بأسماء مختلفة كالسريانية والآرامية والكنعانية والآكادية وغيرها ... ثم عدنا أيضاً لبعض الموجودين – الآن – في هذه المواقع؛ لوجدنا الاستعمال واحداً لدى الجميع قديماً وحديثاً، في أكثر الأدوات التي تسمى بأسماء إشارة أو موصولة؛ اللهم إلا فيما قد يظن أنه اختلاف، وحقيقته ليست كذلك؛ لأن مرجعه يعود لانزلاق الألسن قرباً وبعداً عن مخارجها، لكنه لم يمس بنية الصيغ مساً يؤدي لطمس هويتها وبتر جذورها عن أصولها، فمثلاً لو عدنا للهجة العبرية القديمة؛ فسنجدها تستعمل

---

(١) تاريخ آداب العرب – الرافعي – : ١٢٦ – ١/١٢٧ .

(٢) المرجع السابق، ١/١٢٣ .

(٣) يرجع إلى هذا في التمهيد ...

[ذو] أسماً للموصول، والأمر نفسه نجده في بعض قبائل طيء - وطبعاً هي من هذه المواقع - وخصوصاً لهجتها القديمة التي كانت تنسب إليها إبان هجرتها، نجد أنها كانت تستعمل [ذو] موصولاً ... - أما : (ذا) - أسماً للإشارة؛ فهو في العبرية القديمة (ذه) أما العبرية الحديثة منها؛ فهي [ذيَّ ... وربما : ذيًا]) [١] .

وهذا كله نجده منتشراً في كل مواقع بحثنا هذا،وكل ما حولها شرقاً وغرباً ووسطاً ... إلخ، فلو اتجهنا -مثلاً- جنوب شرق جنوب الجزيرة كجهات منبه وما حولها سنجد جل أهل تلك المواقع يستعملون : (زه) [٢] للإشارة إلى الآن، ومنهم أيضاً -جهات [همدان] و [أرحب] و [حاشد]، أما جهات صعدة؛ فهم يقلبون [الهاء ألفاً]، وهذا وارد عندهم بكثرة- كما سيأتي -بإذن الله تعالى-، و[الزاي : ذالاً ...] فيقولون [ذا] [٣] - أو يبقون [الهاء] بدون قلب مع الذال فيقولون : [ذه] [٤]، أما جهات [فيفا]، فهم يستعملونها هكذا : (ذي) [٥]، أما جهات العبادل : فلهم عدة استعمالات لهذه الأدوات، في جل ما سبق، فيقولون : (ذه - ذيا - ذي ...) [٦]، وإذا كانت مواقع العبادل تمد فتحة الياء المشددة فتجعلها (ألفاً) [ذيا]، فقد وجدنا اللهجة التي سميت بالآرامية تجعل الألف الموقوف عليها [تنويناً] أو نوناً صريحة [ذاً - ذن]، وهذا النطق وجدناه في بعض المواقع التي تبعد قليلاً عن مواقع العبادل، وهي جهات الغمر ورازح جهة النظير وما حولها ... وهذا التعدد والتنوع في الاستعمال لهذه الأدوات؛ ألا يدلنا على صدق حقيقة الربط بين تلك اللهجات التي خرجت خارج جزيرة العرب، وأخواتها التي بقيت بجنوب جزيرتها؟، بل هو توافق يدعونا للوقوف - قليلاً - لنرى ما الذي يمكن أن يجليه لنا من حقائق تؤكد صدق ما سبق الإشارة إليه؟ ... فطيء ذات القبائل المتعددة الكثيرة؛ وجدناها تستعمل : [ذو]، وغيرها من الصيغ، ووجدنا - كذلك - [ذو] بنفس هذه الصيغة لدى القبائل المنتشرة في جنوب

---

(١) اللهجات العربية الغربية القديمة - رابين - : ص ٨٣، ١٣٨، ١٣٩ .

(٢) كلها تسجيلات ميدانية من المواقع .

(٣) كلها تسجيلات ميدانية من المواقع .

(٤) كلها تسجيلات ميدانية من المواقع .

(٥) كلها تسجيلات ميدانية من المواقع .

(٦) كلها تسجيلات ميدانية من المواقع .

جزيرة العرب، فهناك – إضافة إلى المواقع التي تحدثنا عنها – نجد عُمان ومعها بعض قبائل [فيفا] يستعملون نفس [ذو] ... في حين نجد بعض قبائل هذه المواقع تستعمل [ذو]، ولكنها تزيد [لام] بعد [الواو]، فيقولون : [ذول] [1]، أفلا يعني هذا الربط الاستعمالي أن كل من كان يستعمل هذه الأدوات بصورها المختلفة، أنه كان من هذه المواقع، حتى ولو كان في أقصى الدنيا مسكنه؛ وهذا ما أكده مؤرخو الساميات؛ بقولهم : "... ترتبط [ذو]– اسم الموصول في الطائية ربطاً قوياً بين هذه اللهجة، وبين عنصر أساسي واحد على الأقل من العناصر الأساسية في العبرية، ولما كانت (زوو) العبرية بقية قديمة لا تستعمل إلا في لغة الشعر؛ فإنه من الممكن إذا ما قبلنا نظرية الاختلاط؛ أن تشتق من جهة غير كنعانية، ولما كان من غير الممكن اعتبار هذه الكلمة مقترضة؛ فإن الصيغة يتحتم أن تكون راجعةً إلى ما قبل عصر انفصال العربية الغربية عن اللغات الأخت الأخرى؛ ولكن لهجة طيىء هي الوحيدة من لهجات العربية الغربية التي تحتفظ باسم الموصول على هذه الصورة : [ذو]، وفي الجنوب يكون – داخل اليمن – اسم الموصول على صورة : [ذي] وهي – احتمالاً – ذات طبيعة مختلفة وخاصة إذا ما عرفنا وجود ما يشهد على وجود [ذو] قديمة في عُمان، وفي العربية الشرقية، والوسطى؛ نجد : [الذي]، وهي تدل على وجود [ذي] في مرحلة ما ... وبهذه الطريقة ترتبط العربية الشرقية بالآرامية التي نجد فيها / زى ى / المأخوذة من [ذى ى] وهي أقدم الصيغ التي حصلنا عليها ... وهكذا يكون لدينا خط للتوزيع الجغرافي يربط بين الكنعانية والآرامية ربطاً واضحاً عن طريق الجزيرة العربية ... "[2] .

إذن فهذا اعتراف صريح من المستشرقين، اعتراف يؤكدون فيه حقيقة انتماء تلك الألسن التي كانت خارج جزيرة العرب بأخواتها التي بقيت بجنوبها؛ وهذا ما جلته لهم استعمالات تلك الأدوات الموصولة والإشارة، التي ربطت لهم بين الكنعانية والآرامية، ربطاً لم يكن ليظهر لولا عودتهم للهجات جنوب جزيرة العرب، وخاصة لهجة طيء التي أكدت أن ما سميت بالكنعانية والآرامية، هي شيء واحد آت من

---

(1) لهجات اليمن القديمة والحديثة، شرف الدين، ص : ٦٠ .

(2) المرجع السابق، ص ٣٥٩ .

لهجات كانت – ولا زالت – تسمى بالعربية الغربية ... وإذا كانت العبرية قد كانت ذات عناصر مختلطة ومختلفة – وكذلك الآرامية والكنعانية؛ فهذا يعني أن كل مسمى من أسماء هذه اللهجات الثلاث – اللغات – عبرية وكنعانية وآرامية؛ كان ينطوي تحت مسماه مجموعة بطون تعود لقبائل مختلفة، وأن كل بطن منها كان قد انتقل من موقع – من تلك المواقع – له استعماله اللساني الخاص به – وخصوصاً بعد التشتت والتفرق والتباعد –، فإذا كانت العبرية ذات صيغ متعددة مختلفة لاستعمال الموصول، [زو ... ذو ... ذي ...]، فكذلك وجدنا الطائية وأخواتها، أما ما قالوه، من أن ذلك يعود لعبرية قديمة وعبرية حديثة، ذلك – غير صحيح – وإنما الأمر يعود لتعدد تلك البطون والقبائل المتعددة المختلفة، والتي كانت تنطوي تحت هذا المسمى ... ألم يقولوا إن الأمة التي كانت تتكلم باللسان العبري، هي : الإسرائيلية والمؤابية، والمديانية، والعماليق، والإسماعيلية، والعمونية ... الخ إذن فهذا التعدد هو ما أدى لتنوع الاستعمال ... لأنا وجدنا أن – كما سبق – الإسرائيليين كان رحيل أجدادهم من مواقع قبائل المنطقة الغربية ومواقع المنطقة الشرقية بجنوب جزيرة العرب ... أما من سموا أنفسهم بالعبرانيين فقد رأينا أن رحيلهم كان من مواقع متعددة؛ أي أن منهم من كان رحيله عن طريق الشرق، أي من مواقع عبر الشرقية، عن طريق عُمان، ومنهم من رحل من موقع عبر أو عبرة الغربية –أي التي كانت بين عدن وزبيد – وكان رحيلهم عن طريق البحر الأحمر، كذلك كان بعض العماليق – كمن سموا بالفينقيين – كان رحيلهم عن طريق الشرق – عُمان – ومنهم من رحل عن طريق الغرب، أي أنهم كنعوا – خالفوا – أخواتهم – عن طريق الغرب، فسموا لذلك بالكنعانيين، ومثلهم كان المؤآبيون والعمونيون الذين رحلوا عن طريق الشرق – عُمان – إذن فمن كان منهم يستعمل [ذو – زو] فهو من مجموعة البطون الذين رحلوا من المواقع التي سمي أهلها فيما بعد بالعربية الغربية، وإن كان رحيلهم كان متأخراً؛ ولذلك كان ارتباطهم بالطائيين؛ لأنهم كانوا من نفس المواقع الغربية، وكذلك كان نطقهم كنطقهم، أما من كان منهم ينطق (بزي) ... فهذا يعني أن من كان ينطق بهذه الصيغ؛ يعني أنه كان من ضمن البطون التي رحلت من المواقع الشرقية، لذلك

– أيضاً – كان نطقهم كنطق أهل العربية الشرقية، وهذا يعني – أيضاً – أن مجموعة العماليق والمؤابين والعمونين؛ كانوا هم أغلب من كان ينطق بصيغة (ذي) ... وهذا ينطبق – أيضاً – على مجموعة البطون التي انطوت تحت مسمى الآرامية والكنعانية وغيرهم ... وإذا كان التوزيع قد حل لنا قضية تنوع صيغ هذه الأسماء في تلك اللهجات؛ فهو أيضاً – قد ربط تلك البطون بمواقعها في جنوب جزيرة العرب ... وأكد لنا – أيضاً – أن كل من هاجروا إلى هناك وسموا بتلك التسميات الخاصة كانوا من هذه المواقع، وهذا ما سبق أن أكده المستشرق [رابين] بقوله : (وهكذا يكون لدينا خط للتوزيع الجغرافي، يربط بين الكنعانية والآرامية – ربطاً واضحاً عن طريق الجزيرة العربية) [١] ويربط كذلك الآرامية والكنعانية بتلك المواقع بجنوب جزيرة العرب، وإن لم يقلها – رابين – صراحةً، فقد – سبق – أن قالها بطريقة غير مباشرة في بداية هذا النص، ألم يقل : " إن [ذو] الموصولة تربط ربطاً قوياً بين الطائية والعبرية؛ لأن (زو) ... العبرية؛ هي بقية قديمة فيها؛ لا تستعمل إلا في لغة الشعر"، وقلت – أيضاً – إن لهجة طيىء، هي اللهجة الوحيدة من اللهجات العربية الغربية التي تحتفظ باسم الموصول على هذه الصورة : (زو) ... وبهذا ربطت بين كل اللهجات التي تستعمل : (ذو) ... سواء كانت عبرية أو كنعانية أو غيرها ... وليس هذا فحسب، بل قلت إن وجود اسم الموصول : (ذي) ... في العربية الشرقية والوسطى يشهد على ارتباط العربية الشرقية والوسطى بالآرامية التي تجد فيها : (زي ي) المأخوذة عن : (ذى ى) ... التي هي أقدم الصيغ التي حصلنا عليها[٢] .

إذن فرابين ومعه الكثير من أمثاله المستشرقين – الذين شهدوا – ويشهدون – أن كل تلك الألسن التي سميت في خارج شمال جزيرة العرب باللغات، ليست – في حقيقتها – إلا لهجات انبثقت وتفرعت عن اللغة الأم، وأن تلك اللغة هي العربية .

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٥٩ .

(٢) المرجع السابق .

وإذا كانت هذه الأدوات – الموصولة والإشارة – قد أكدت أن الأم لكل تلك اللهجات هي العربية، فهناك أمور أخرى تؤكد هذه الحقيقة ... وهناك – أيضاً – صيغ؛ تزيد هذا الربط قوة، وهي كثيرة ... سواء كانت لغوية أو تاريخية أو جغرافية، فلو رجعنا – مثلاً – للهجات قبائل طيىء – القديمة منها والحديثة – وهي القبيلة التي جعلها – رابين – رمزاً لربط تلك اللهجات بالعربية الغربية؛ لوجدناها – بناءً على ما روي – ابن السكيت : " تبدل الهمزة في كثير من المواضع [هاءً]، فيقولون عند التأكيد : (... هن فعلت ... يريدون : إن فعلت ... ومنه قول شاعرهم:

ألا يا سنا برق على قلل الحمي

لهنّك من برق علي كريم

وهذه صيغة طائية قديمة ... "(1)

وهذه الصيغة الطائية تجدها مستعملة لدى كل البطون والقبائل التي هاجرت من جنوب جزيرة العرب؛ سواء من كان منهم ظل معترفاً بعربيته وجنوبيته، كاللحيانين والثمودين وغيرهم كثير، أو من كان قد سلخت منه عروبته وأعطوا أسماء أخرى كالعبرين، والكنعانين والآرامين وغيرهم، وهذا ما قاله مؤرخو الساميات – إن صحت هذه التسمية – حينما تحدثوا عن بعض أدوات التأكيد أو التعريف في بعض اللهجات السامية بقولهم إن " إن وأن – وأدوات التعريف في اللحيانية هي : (هِنْ – هـ)، وهي تقابل أداة التأكيد (إن) في العربية ... الفصيحة – وأداة التأكيد الطائية (هن) و (هن) ... كما أن هناك مقابلة أخرى هي [إن] الشرطية العربية، و /ء ى م/ العبرية ... والآرامية /هـ ى ى ن/ ... " (2) .

وإذا كان اللحيانيون – وهم عرب – ومن جنوب جزيرة العرب كان مهاجرهم، كانوا يختلفون في نطقهم عمن هاجر بعدهم، من جنوب جزيرتهم ...

(1) تاريخ آداب العرب – الرافعي – : ١/١٤٥

(2) اللهجات العربية الغربية القديمة : ص ٧٧.

كذلك كان من تناسلوا بعدهم أو حتى قبلهم، كانوا كذلك، فكيف تجعل لهجاتهم – بعد ذلك – لغات، ويفصلون عمن نشأت منها، ومن لا زالت تنطق نطقها، فالعبريون – مثلاً – الذين تلوا اللحيانيين – تقريباً – في هجرتهم؛ رأينا أنهم كانوا ينطقون هذه الأدوات كما كان ينطقها اللحيانيون، وهكذا – تسلسلاً – كان الأمر، حتى جاء الطائيون بعدهم، رأينا أن استعمالهم – لم يختلف عن كل من سبقهم، اللهم إلا أن الطائيين والحيانيين ظلوا معترفين بعروبتهم، وحاول أن ينسلخ منها العبريون ... وليس هذا فحسب : بل لا تزال تلك المواقع التي هاجر منها أولئك المنسلخون؛ ينطقون نفس النطق الذي كان ينطقه أجدادهم الراحلون منهم ومن بقي منهم فيها على عروبته ... بل تجد نطقهم يتعدد ويتنوع بحسب تعدد وتنوع من كان يسكنها ... فلو رحلنا – الآن – إلى جبال العبادل وما حولها لوجدناهم يقلبون أو يبدلون الهمزة (هاءً) في كثير من الصيغ في كلامهم، وأدوات تعريفهم ... بل قد نجد منهم من يبدل الهمزة (باءً) في توكيداتهم وغيرها، فمثلاً : جهات النظير وهي من جهات رازح وما حولها، وجدناهم يستعملون نفس استعمال اللحيانيين والطائيين والعبرانيين ... إضافة أنهم يبدلون الهمزة التي تأتي في أول المضارع (ها) فيقولون : في [ما أريته]: (ماهريته) ... وفي [ما أعطاك : ما هطاك ...) [(١)] . أما إن عدت شمال شرق جهات فيفا وما حولها، فستجد أنهم : (يحلون حرف (الباء) محل الهمزة في الضمائر المنفصلة للدلالة على التأكيد، بدل (إن) نحو : (بناراجع) أي إنني راجع ... ونحو : (بهم كرماء) أي (أنهم كرماء)، و (بها جميلة)، أي (إنها جميلة)، و (بِنْت مستعجل) أي (إنك مستعجل) [(٢)] .

إذن فالربط العربي بين كل هذه اللهجات – قديمها وحديثها – لا تزال حقيقته قائمة – إلى يومنا هذا – وأدلته وبراهينه المتعددة موجودة وثابتة شاهدة على أن الجميع منبثق ومتفرع من لغة واحدة اسمها العربية، وأنه لم يكن هناك لغات اسمها

---

(١) مشافهة عن محمد بن مسعود الفيفي .

(٢) لهجات فيفا مخطوط : محمد بن مسعود الفيفي : ص ٨٨ – ٨٩ .

آرامية أو كنعانية، بل الجميع لهجات تفرعت من لغة واحدة هي العربية، وجاءت من مكان واحد ... بل (من العسير أن تقطع بأن هذا – القلب والإبدال – كان من التغير الصوتي؛ لأن : (إن) الشرطية كانت تنطق في اللغة – اللهجة – الأجروتية (بهاء أولى) ... وكذلك في الآرامية الإنجلية والمنوية والقطبانية، وبهذا تكون لهجة طيء تتفق مع السامية الشمالية في هذا الأمر) [1] وهذا يعني – فعلاً – أن الجميع كان قد أتى من جنوب جزيرة العرب فالأجروتية – وهي فرع من الكنعانية تراهم يقولون عنها أنها كانت تقلب الهمزة (هاءً) في أول (إن) الشرطية، وهذا الاستعمال رأيناهم يشيرون إليه في لهجات طيىء، وطيىء معلوم عنها قد رحلت من نفس مواقع منطقة هذا البحث، وقد سبق أن قلنا إن المنطقة التي رحل منها من سموا بالكنعانيين، لا يزال الكثير منهم ومن حولهم إلى الآن يقلبون الهمزة (هاءً) كما سبق آنفاً .

عودة لبعض الخصائص اللغوية كما وردت في النقوش ومنطقة البحث:

وإذا كانت مجموعة قبائل طيء – كانت – تتفق مع مجموعة القبائل التي رحلت إلى شمال وخارج الجزيرة العربية، أفلا يعني ذلك تأكيداً على عروبة نسب من رحلوا، إذن فقبائل طيء، وكل القبائل التي كانت تسكن حولها – سواء كان ذلك في مهاجرها، أو في مواقعها التي كانت بها قبل هجرتها، تجرنا للقول بأن كل هذه المجموعة القبلية كانت تمثل حلقة وصل بين كل من سبقها، ومن بقي من القبائل في نفس المواقع بجنوب جزيرة العرب، وأيضاً ممن كانوا يسمون بالبائدة ... فالآرامية والكنعانية واللحيانية والثمودية وغيرها؛ حينما نقف ونتأمل في جل خصائص لهجاتها المتفق منها والمتباين ... ثم نعود بعد ذلك إلى خصائص لهجات طيء وقضاعة وجذام ولخم، وكل من تفرع عنها، نجد أن الأمر بينها لا يختلف كثيراً، اللهم إلا في بعض الأشياء الطفيفة التي دعا إليها البعد والتبلبل ... فمثلاً – إضافة لما سبق – لو رجعنا لبعض النقوش الكنعانية أو الآرامية، ووقفنا عند بعض المواقع التي هاجروا عنها في جنوب جزيرة العرب، كهذه الجملة الواردة في نقش (كلمو) : [ص – وانخ

---

(١) اللهجات العربية الغربية القديمة – رابين – ص ٣٥٦ .

تمخت مشكيم ليدو همت شت نيش، كم نبش يتم بام ومي بين ...)[١] . وترجمتها هي كما وردت في نفس المصدر الذي وردت فيه : " وقد حميت أهل مشكب حتى سكنوا إلى سكون اليتيم إلى أمه ... ومن أبنائي "[٢] .

وبتأمل هذا النص وترجمته نجد شيئين رئيسيين يلفتان نظر كل من له معرفة بلهجات قبائل المواقع التي جعلناها مجالاً لتطبيق حقائق إثبات الربط التي أشرنا إليها، وإن كان هناك أشياء كثيرة قد ترد في أماكن أخرى .

أما ما يلفت النظر، فوجود حرف الصاد (ص) في بداية العبارة التي بدأ بها النقش السابق ... وهذا الحرف (ص) عندما تعود لترجمتها التي وردت لها، تجد أن اللهجة التي كتب بها النقش كانت تستخدم هذا الحرف – ص – رمزاً لدلالة التأكيد والتحقيق، هذا ما قاله مترجم العبارة ... فإذا رجعنا إلى بعض مواقع البحث، فسنجد أن هناك تفصيلاً متعدداً لاستعمال هذا الحرف، وذلك بحسب تعدد هذه المواقع، فمثلاً لو اتجهنا صوب (رازح والنظير، والغمر)، وبعض مواقع العبادل نجد أنهم يستخدمون هذا الحرف على عدة استخدامات؛ فهم أن شددوه – أي نطقوه مضخماً – فهو حرف تأكيد بمعنى قد، فإذا أوصلوه بضمير شأن فهم يقصدون به حرف توكيد – أيضاً – ولكن بمعنى (إن)، كأن يقولوا في : (من فعل كذا؟) فيجعلون جوابه [صا – ص – محمد ... أي أنه محمد ...] أما إن هم أدلوها فعلاً، فهم يقصدون التحقيق؛ وتكون حرف تحقيق بمعنى [قد] ... أما أن نطقوها مخففة، أي [سي .. سا ...] فهي عندهم حرف جر بمعنى [إلى] مثل : (آتي سنحك أي أتي إليك) ... يشاركهم في هذا الاستعمال – الأخير – جهات هروب ومنجد وبعض العبادل معين ... أما جهات [فيفا] فلا يوجد عندهم النطق المفخم لهذا الحرف [ص]، بل

---

(١) تاريخ الساميات : ص ٦٣

(٢) المرجع السابق

ينطقونها : [س] مخففة، في حالتي التوكيد [إن] والتحقيق [قد]، إضافة لاستخدامهم له حرف جر ...) [١] .

ومن خلال هذا السرد الموجز، نلاحظ أن اللهجة التي كتب بها النص، لا تبعد أن يكون أهلها قد هاجروا من نفس المواقع التي وجدناها تستعمل ما استعملته تلك اللهجة؛ وسواء كانت الترجمة للحرف صحيحة – كما كانت في ألسنة أهل النقش، أو أنها كانت لا تمثل إلا لسان من نقش النص وحده ... فالحقيقة واحدة لأسباب كثيرة؛ منها : أن حرفي [ص ... س] هما متقاربي المخرج لكونهما حرفي همس، والمدلول العام واحد، وكلاهما قد قرىء به في : (الصراط ... والسراط) ... لذلك رأينا قبائل وبطون المواقع متباينون في نطقهم لهذا الحرف ... فمثلاً بعض قبائل العبادل، " تجدهم حينما ينطقون أي كلمة فيها حرف [ص] ينطقونها بطريقة مهموسة، فيها بعض الرخو، فيحس السامع كأنه يسمع حرف [س]، في حين هم، يقصدون [ص]، لأنهم يفهمون بعضهم، في حين نجد بعضاً منهم، وبني مالك ومنبه وسحار وصعدة؛ ينطقون حرف [الصاد] نطقاً يجمع بين حرفين هما [س ... ت] بحيث لا يعطي [السين] كامل صوته عند النطق، ثم ينتقل مباشرةً إلى حرف [التاء] ... فالعبدليون، تجدهم ينطقون كلمة (صدر) هكذا : (ستدر) ... أما (فيفا) فنجدهم ينطقون كلمة [صوم] هكذا : (ستوم) وكلمة : [نصف] : (نستف) ونحو ذلك ... "[٢] .

إذن فاللهجة التي كتب بها النقش لا تخرج عن لهجات جنوب جزيرة العرب ... بدليل آخر نستطيع أخذه من عبارة النقش السابق ... فقد رأينا أن كاتب النقش قد استخدم جمع المذكر السالم مختوماً بالميم بدلاً من علامته [الياء والنون] المعروفة في عربية القرآن الكريم ... فقد وردت العبارة هكذا : (ص – تمخت مشبكم ...) أي (قد حميت المشكبين، أو أهل مشكب) ... وإذا رجعنا إلى كثير من النقوش التي

---

(١) محمد قاسم اللغبي – مسجلة بصوته – وسلمان العبدلي، والشيخ علي ابن يحي بن جابر العبدلي ... محمد بن مسعود الفيفي، مشافهة، ومخطوط لهجات فيفا .

(٢) مخطوط – لهجات فيفا – ص ٨٥ .

وجدت في الكثير من مواقع دراسة هذا البحث، فسوف نجد نفس استعمال صاحب النقش لصيغة جمع المذكر، أي أنهم (يختمون جمع المذكر السالم بالميم، مثل : حميرم ... أي الحميرين ...) [(١)] وليس هذا فحسب، بل هناك الكثير مما يؤكد صدق أولئك لهذه المواقع بجنوب جزيرة العرب، بل هناك الكثير من الصيغ والرموز المشتركة بين من هناك ومن هنا، فلو رجعا لبعض النقوش الكنعانية القديمة ستجد أنهم كانوا يستخدمون هذا الرمز [أل] للنفي عموماً، إضافة لبعض الاستعمالات التي يحدد مدلولها طريقة تركيبها في جملتها، فمن استعمالها للنفي – مثلاً – ورودها في عبارات نقش [اشمنعزر] ملك صيدا، فقد جاءت العبارة الحادية عشرة منه هكذا : (حلت زوايت زرع مملت ها أم أدمم همت ال يكن لم شرش لمطو ...) [(٢)]، أما ترجمتها فهي : (الخلة ونسل ذلك الملك، أو ذلك الإنسان، لا يكون لهم جذور من تحت ...) [(٣)] وهذا الاستعمال الكنعاني [لال] رمزاً للنفي لم يكن قاصراً عليهم وحدهم، إذ إن الكثير من القبائل الجنوبية، سواء من كان منهم معاصراً للكنعانين المستخدمين لهذا الرمز، وكانوا يسمون – وقتها – بالمعينين أو السبئين، فسنجد أنهم كانوا يستخدمون نفس الاستعمال الكنعاني السابق (لال) ... فقد جاء في بعض النقوش التي كتبت بلهجات المعينين والسبئين: (إل يمنعوا ... أي لا يمنعوا ...) [(٤)] وهذا بعينه وجدناه في لهجات الكثير من مواقع الضمر والعبادل وبني معين، وجهات النظير وصعدة وما حولها، نجدهم لازالوا يحتفظون بنفس الاستعمال وإلى الآن[(٥)]، بل هناك صيغ ورموز أخرى وجدناها مشتركة، هكذا الاستعمال لحرف (اللام) حرفاً للجر بمعنى (إلى)، ففي النقش الكنعاني السابق "لربت لتنت بن بعل" وترجمتها : (إلى ربة تنبت وجه بعل ...) وهذا تجده في النقوش المعينية المعاصرة للكنعانين،

---

(١) لهجات اليمن القديمة والحديثة، شرف الدين، ص : ١٧ .

(٢) تاريخ الساميات : ص ٦٩ .

(٣) المرجع السابق، ص : ٧٠

(٤) لهجات، شرف الدين، ص : ١٧ .

(٥) مشافهة عن محمد قاسم اللغبي وسلمان العبدلي .

او كانت قبلهم أو بعدهم، مع ملاحظة أنها لمعينين يمنيين يقول صاحب لهجات اليمن: (ويأتي حرف اللام لعدة معان –في اللهجات اليمنية– منها أنها تأتي بمعنى [إلى] مثل : (ضعنوا ليثل) [1] أي صاروا إلى مدينة (يثل) إن لهجات المواقع التي هاجرت منها تلك القبائل لا تزال صورة حية للهجاتها في الكثير من صيغها وألفاظها ودلالاتها إلى اليوم رغم بُعد ما بينها زماناً ومكاناً، يقول أحد أبناء هذه المواقع بجنوب جزيرة العرب : (إن قبائل اللغوب بجبال العبادل، لا زالوا إلى الآن يستخدمون حرف (اللام) حرفاً للجر بمعنى (إلى) كاستخدامهم حرف [سا] للجر بمعنى إلى كقولهم : (سابيت ... بمعنى إلى البيت) ... بل هناك خاصية أخرى في النص السابق، وهي إبدال [التاء] المربوطة [بتاء – ت] مفتوحة، كما في كلمة : [الربت] التي يعني : [الربة]، وهذا الاستعمال نجده في جبال منجد والعبادل وهروب ورازح، يقولون : في (جمرة وبقرة ورحمة، جمرت، وبقرت ... ورحمت ...) ومثلهم مواقع جبال فيفا وبني مالك ومنبه وصعدة في وقتنا الحاضر، ولم ينقطع هذا الاستعمال في هذه المواقع عبر الأزمنة الغابرة والحاضرة، بل استطعنا أن نأخذ من ألسنة الموجودين في هذه المواقع، تصويب بعض الأشياء التي وقع فيها بعض المستشرقين الذين قاموا بترجمة الكثير من نقوش جنوب جزيرة العرب، كلفظة [آلت] التي ترجمها المستشرقون، بأنها تعني آلهة، مثل [آلت سبأ] ترجموها : (بآلهة سبأ)، وأضاف كتاب لهجة اليمن : (إن آلت عند السبئين، هي اسم إشارة ...) [2] أما أبناء قبائل مواقع جبال العبادل وما حولها، فيقولون – إلى الآن – : (إن (آلت) تعني [آل] فقط؛ أي أنهم يضيفون إليها [تاء] مفتوحة لتصبح [آلت]، فيقولون : " آلت ثابت ... (أي : آل ثابت) "[3] وهذا يعني أن هذا الاستعمال لم يكن خاصاً بمن سموا بالسريانيين أو الكنعانيين أو العبرانيين، على اعتبار أنهم ليسوا عرباً، لأننا وجدنا أصحاب المواقع التي هاجر منها أولئك، لا زالوا إلى الآن ينطقون بتلك الخصائص

---

(١) شرف الدين، ص : ٣٢ .

(٢) لهجات، أحمد شرف الدين، ص : ٤٨ .

(٣) محمد قاسم اللغبي، سلمان العبدلي، محمد الفيفي : مقابلات وتسجيلات .

في لهجاتهم الخاصة ... وليس هذا فقط، بل وجدنا التاريخ يقول : إن هذه الصيغة – التاء المفتوحة – هي صيغة عربية أصيلة أينما وجدت لأنا وجدنا الكثير من العرب يبدلون : (هاء) التأنيث في الوقف [تاء] مفتوحة، فيقولون : "هذه أمت ... في [أمة]، وسمع بعضهم يقول : يا أهل سورة البقرة ... فقال مجيباً : ما أحفظ منها ولا آيت ... ويؤخذ مما أخذه ابن فارس في فقه اللغة؛ أن هذه اللهجة – عربية – كانت من اللغات المنسوبة إلى أصحابها في القرن الرابع، ولكنا لم نقف على نسبتها ..." [١] .

وإذا كان التاريخ يثبت أن لهجة فتح التاء المربوطة، هي لهجة عربية وعدم وقوف رواة اللغة على معرفة الناطقين بها،ولا أماكنهم، لا يعني نفي أصالتها من عروبتها، وأنها بناءً على ذلك هي قد أتت إليها من لهجات أخرى لا تمت إلى جنسها بصلة، لأن جذور أصالتها لا زالت مورقة في مواقعها بجنوب جزيرة العرب، والعيب في رواة اللغة الذين لم يستطيعوا الوصول إلى مواقع الناطقين بها، ولم تكن مجهولة في نسبها، وكيف تكون كذلك ... وجبال العبادل والغمر والنظير وهروب ومنجد وفيفا ومنبه والحشر والريث وسحار وجماعة، وقيس وسلي وبني معين وصعدة، والحروب في بني حريص، في جنوب شرق، وجنوب غرب جزيرة العرب ... وإذا كانت قبائل هذه المواقع كانت ولا زالت تتحدث بهذه الخصائص التي أثبتتها نقوشها التي عثرت عنها – كما رأينا – ذلك في مواقعها التي رحلت منها إلى مواقعها في بلاد العراق والشام؟ أفلا يعطينا هذا يقيناً أن لهجات تلك النقوش هي نفسها لهجات مواقعها التي رحلت عنها في جنوب جزيرة العرب؟ ... فقد – رأينا – أن تلك النقوش كانت تحمل خصائص القلم الكنعاني، الذي كتبت به تلك النقوش؛ ومعلوم أن اللهجة الكنعانية هي بعينها اللهجة الآرامية والعبرية، اللهم إلا في بعض الاختلافات النطقية تبعاً لاختلاف مواقع ألسنة قبائل تلك اللهجات ... ألم يطلق المستشرقون على الآرامية والعبرية اصطلاح : (لهجتي اللغة الكنعانية ...) [٢] بل

---

(١) تاريخ آداب العرب – الرافعي – ص ١٦٠ .

(٢) ولفنسون، ص : ٧٥ .

بعضهم كان أكثر صراحةً حينما قال : (... إن كل آثار اللغة الكنعانية، سواء ما وجد منها في موطنهم، أو ما وجد في مستعمراتهم، فإنها تدل على عظم قربهما ومشابهتهما للغة العبرية، حتى كأنهما قد من أديم واحد، والذي لا شك فيه أن هناك فروقاً بين اللغتين – اللهجتين – من جهة نطق بعض الكلمات، ولكن ليس في أمكاننا أن نقف على حقيقة هذه الفروق؛ لأن الكتابات السامية، لا تشتمل إلا على الحروف دون الحركات ... أما من جهة اشتقاق الكلمات فإن الكنعانية هي بعينها العبرية)[١]

وهل يعني هذا بعد هذه اللهجات عن ألسنة جنوب العرب؟ ... أو يعني أن الجميع كانوا ألسنة واحدة؟ ... يقول العقاد : " وقد كان أشهر اللغات السامية وأشيعها في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد : ثلاثاً، بين جنوب جزيرة العرب وشرقها إلى الشمال، وغربها إلى الشمال : وهي اليمنية ... والآرامية ... والكنعانية، ... مما يدل على أنها نبتت في الجزيرة العربية؛ من الجنوب إلى مواطن الهجرة التي درجت عليها القبائل منذ فجر التاريخ في طريق بحر العرب شرقاً إلى وادي النهرين، أو طريق البحر الأحمر غرباً إلى فلسطين، ثم شاعت الآرامية وغلبت على سائر هذه اللهجات ... وتفرعت منها النبطية التي اتفقت الروايات على أنها [أم] لهجات الحجاز ... ولم تكن الآرامية بعد شيوعها غريبة عن المتكلمين بالكنعانية أو الحميرية، ولا عن الكاتبين بالحروف النبطية، أو حروف المسند، فكان المقيمون والراحلون بين هذه الأرجاء يتخاطبون بها كما يتخاطب أبناء الأقاليم في القطر الواحد ... مع اختلاف اللهجات والألفاظ في بعض المفردات[٢] ... " وإذا كانت أشهر الألسن التي كانت يتخاطب بها في تلك القرون الغابرة، كانت ثلاثاً، هي : اليمنية والآرامية والكنعانية ... ودون أي صعوبات في الفهم، فهذا يعني أن كل تلك الألسن كانت لا تخرج عن كونها لهجات كانت تنطلق من مادة لغوية واحدة ... ولذلك وجدنا أكثر خصائص تلك الأمم في بلاد ما بين النهرين والشام؛ وهي نفسها خصائص لهجات

---

(١) المرجع السابق، ص : ٦٠ – ٦١ .

(٢) أثر الحضارة العربية، ص : ١٤٩ .

مواقع هذا البحث بجنوب جزيرة العرب، وخصوصاً لهجة اللسان الذي سمي بالعبرية، في حين نجد أنه هو نفس اللسان الذي سمي بالكنعانية أو الآرامية... سواء كان ذلك في الحركات أو في نطق الكلمات ومادتها اللغوية... ونظراً لما حدث من طمس وإخفاء لكثير من الحقائق عن الكنعانية والآرامية لصالح إظهار العبرية وكأنها لغة مستقلة عن الجميع، لذلك سيلاحظ القارئ أن المقارنة والمطابقة والتمثيل سوف يتركز بعد الآن، بين هذه اللهجة التي سميت باللغة العبرية ... أو السريانية ... وبين لهجات بعض المواقع التي أشرنا إليها بجنوب جزيرة العرب ... بدليل –أنك– لو رجعت إلى أهم مصادر حروف ما سميت بالعبرية ستجدها تقول :

مع الحروف :

" ... إن عربية – حروف العبرية – لا يخفي على أهل الاختصاص في النطق العربي بأكثر هذه الحروف ... وقد حفظ لنا المزمور التاسع عشر بعد المائه أسماء الحروف التي احتوتها الأبجدية العبرية على المملكة – نقص في النص الأصلي – ...؛ لأنه جري على طريقة التطريز في ابتداء كل مقطوعة بحرف من الحروف الأبجدية ... وهي في هذا المزمور على ترتيب أبجدية أبجد (هوز حطي كلمن، سعفصل، قرشت) ... وهي اثنان وعشرون حرفاً ... منها خمسة يتغير نطقها بإغفالها من الإعجام، وبنقلها من اليمين إلى اليسار، وهي الجيم، الواو، الكاف، الشين ... وليس في العبرية : ثاء، ولا ذال، ولا ضاد، ولا طاء ... ولكنهم يقربون حروفهم منها : بالتفخيم؛ أو يكتفون بما يشابهها من حروفهم ... فيحدث الالتباس في نقلها إلى العربية ... واشتبه الأمر في البحث عن مصدر الكلمة من جراء هذا الالتباس ... "(1) .

هذه إشارة موجزة لما أشارت به كتبهم –مراجعهم– عن حروف العبرية، وبعض خصائصها ... ونلاحظ أن عدد حروفهم اثنان وعشرون حرفاً، وإن كانت قد تزيد أصواتها من خلال دمج بعض الأحرف في بعض ونطقها بشكل مخالف لما

---

(1) الثقافة العربية – العقاد – ص : ١٩٧ .

كانت عليه ... وبسبب طريقة النطق في العبرية، ظن الكثير من المؤرخين أنها لغة مستقلة عن العربية، أو عن بقية أخواتها، ولذلك نجد ابن خلدون يورد كلاماً تحس من خلاله أنه يراوح بين مسايرة المؤرخين التوراتين – الذين أخذ عنهم ذلك – وبين ما يراه هو ويحسه كمؤرخ عربي، ومن نفس مواقع حضرموت التي منها منطقة (عبر) بجنوب جزيرة العرب، لذلك يقول: (... والأسماء الأعجمية كلها منقولة من التوراة ولغتها عبرانية ومخارج حروفها في الغالب مغايرة لمخارج الحروف العربية ... وقد يجيء الحرف منها بين حرفين من حروف العبرية، فترده العرب إلى أحد ذينك الحرفين، وفي مخرجه فتغير عن أصله... ولذلك تكون فيها إمالة متوسطة أو محضة، فيصير إلى حرف العلة الذي بعده من : من يـاء، أو واو ... فلذلك تنقل الكلمة منها على اختلاف ...) (١) .

وبتأمل ما سبق، من كلام ابن خلدون؛ نلاحظ أنه يقر بوجود بعض المغايرة بين الأحرف المسماة بالعبرية، والأحرف المسماة بالعربية، لكنه يقرر في نفس الوقت – أيضاً – أن تلك المغايرة قد نشأت من خلال نطق مخارج تلك الحروف؛ لأنها حروف تختلف – أصلاً – عن الأحرف في العربية المسمى بالفصحى؛ لقوله : (... ومخارج حروفها – العبرية – مغايرة لمخارج الحروف العربية ...) وإذا سألته كيف ذلك ... أجابك : (...لأن الحرف في العبرية قد يجئ نطقه بين حرفين من أحرف العربية) .

وهنا نتساءل : ترى أي عربية كان يقصد ابن خلدون بقوله : (مغايرة لمخارج الحروف العربية ...)؟ أهي العربية بعمومها، وشتى لهجاتها في شرق الجزيرة وغربها وجنوبها وشمالها ...؟ أم تراه قصد عربية القرآن الكريم ولسانه؟!!! والذي يتبادر إلى الأذهان – وكما هو معلوم – أن كل مؤرخي السامية، ومنهم ابن خلدون، إذا أوردوا في حديثهم لفظة العربية ... فإنهم لا يقصدون بذلك إلا عربية القرآن الكريم؛ إلا إذا خصصوا، كقولهم : العربية الجنوبية، أو عربية ثمود

---

(١) ابن خلدون : ٥٨ – ٢/٥٩ .

ولحيان، أو عربية الحجاز، وما إلى ذلك، أما إذا أطلقوا، فهم لا يقصدون إلا عربية القرآن الكريم، لا كل اللهجات العربية ... وعلى هذا فمغايرة حروف اللهجة العبرية لحروف عربية القرآن الكريم ... لا كل اللهجات العربية، بدليل أن الكثير من قبائل المواقع التي أشرنا إليها بجنوب جزيرة العرب، سواء كانت القديمة منها، أو الموجودة الآن؛ تجد في نطقهم لحروفهم الكثير من المغايرة لحروف عربية القرآن الكريم؛ شأنها في ذلك شأن ما قيل بوجوده في العبرية وأخواتها ... يقول أحد أبناء جبال فيفا وما حولها : (... إن لهجة فيفا فيها الكثير من القلب والإبدال والتغيير، وإخراج بعض الحروف من غير مخارجها الأصيلة عند النطق، فيظن سامعها أنه سمع ألسنة أعجمية ... وتختص هذه اللهجات بالإمالة في جل مفرداتها ... كما أنها ليس لها قاعدة لغوية محددة؛ شأنها في ذلك شأن الكثير من اللهجات حولها ... وعدد حروفها اثنان وعشرون حرفاً؛ وتزيد أصواتها إلى أكثر من (٢٨) صوتاً – ويدخل الاختلاف والتغيير – عند النطق – في الحروف : ض، ظ، ك، ق، ج، ش، ويدخل القلب والإبدال في الكثير من بقيتها الأخرى، كالذال، والثاء، والعين، والصاد، والغين، والهاء، والطاء، ... وغير ذلك من الحروف ...) (١) .

هذا بعض مما قاله أحد أبناء تلك المواقع بجنوب جزيرة العرب، ورغم قصر ما أشار به، إلا أننا نلاحظ أنها قد احتوت على الكثير من خصائص حروف لهجتهم؛ وكيفية نطقهم، وعندما نتأمل فيما أشار به، تجد أن ما أشار به لا يختلف عن الكثير من خصائص حروف العبرية في إشارة ابن خلدون السابقة وغيره، فإذا كان قد قال عن العبرية؛ إن حروفها تجيىء بين مخرجي حرفين من حروف الفصحى القرآنية، فإنا نجد مثل ما قال في جبال فيفا والعبادل وبني مالك وهروب، ومنبه وسحار والنظير ومنجد وقيس والحشر وغيرهم –في جنوب جزيرة العرب– نجد عند الكثير من قبائل المواقع السابق ذكرها، عند نطقهم لحروفهم، تجدهم ينطقون

(١) لهجات – فيفا – مخطوط، محمد بن مسعود الفيفي، ص ٨٤ – ٨٥، وأيضاً بعض التسجيلات الصوتية معه .

الكثير من حروفهم تلك من غير مخارجها الأصلية؛ كإخراجهم – عند نطقهم – بعض الحروف من مخرجي حرفين متقاربين، أو بدمج حرفين ونطقها كحرف واحد، أو إبدالها بغيرها ... وتجد في لهجات هذه المواقع، الميل إلى الإمالة القصير والطويلة، والمتوسطة، بل لا تجد هناك قاعدة لغوية ثابتة للهجات هذه المواقع وخصوصاً مع نطق الحروف، شأنها شأن تلك اللهجات خارج جزيرة العرب تماماً ولذلك تجدهم يقولون : (إن نطقهم لحرف الجيم؛ قد دخله تغيير في النطق، فهم ينطقونه نطقاً هو على نطق حرف الزاي أقرب منه إلى الجيم، وتجد لحرف القاف – عندهم – صوتاً مختلفاً؛ إذ لا هو قاف، ولا هو كاف ... ويأتي أحياناً شديد التطيش، فينطق نطقاً بين الجيم والشين ...) [1] أما حرف [الضاد] فإنهم لا ينطقونه كما هو معلوم في الفصحى؛ بل لهم لنطقة صور متعددة : فقد ينطقونها (تاء) فيقولون في ضرب – وقد سبق – (فرب ... وفي ضفدعة : [فقدعة] ... وأحياناً يبدلونها (ثاء) فيقولون في ضرب : (ثرب)، و(ثفدعة) في ضفدعة ... وأحياناً ينطقونها بصورة أخرى مغايرة لكل ما سبق ... إذ تجد أنهم ينطقونها بصوت هو بين صوتي حرفين هما (الظاء) و (الثاء) ... وهكذا .

وهذه الصور المتعددة لنطق حرف [الضاد]، ليست لنطقه في كل المواقع المشار إليها في جنوب جزيرة العرب، بل هي لنطق بعض قبائل فيفا وما حولها، في حين نجد بعضاً من قبائل جبال العبادل، والتي لا تبعد كثيراً عن جبال فيفا، نجدهم ينطقون حرف (الضاد) أيضاً بصوت يخرجونه من مخرجي حرفين بعيدين تماماً عن صوت (الضاد)؛ إذ ينطقونه هكذا : (شتلع)؛ أي من مخرجي (الشين) و (التاء) [2]، في حين تجد بعضاً منهم يبدلون (الضاد) (كافاً)؛ فيقولون في (ضرس : كرس ...) وهنا تلاحظ عدم وجود أي قاعدة لغوية ثابتة لحكم نطق حرف (الضاد) في هذه المواقع ... ولأن تلك القبائل – السريانية والعبرية وأخواتها – قد خرجت من هذه المواقع قديماً، وحافظت على نطق ألسنتها التي خرجت بها؛ ظن من يجهل هذه المواقع

---

(١) لهجات فيفا، محمد بن مسعود الفيفي، ص ٨٥، مخطوط وتسجيل صوتي .

(٢) تسجيل صوتي وخطي لعلي حسين الكبيشي، وسلمان العبدلي، ومحمد قاسم العبدلي اللغبي ... جبال العبادل وبني مالك .

ونطقها أنها لغات مستقلة بذاتها؛ لأنه لا يوجد هناك نطق مماثل وشبيه له في العربية، إذن فهي لغات، لأن العربية عندهم هي عربية القرآن الكريم وحدها، وعليها يحاكمون كل ما سواها، ولهذا – أيضاً – لا إشكال إذا وجدنا بعض العبريين ينقطون هذه [الضاد] (سيناً ... مفخمة ...) أو بعضاً من الآراميين ينطقها (عيناً)؛ لأن تعدد هذا النطق في تلك الألسن، أصله عائد لتعدد نطق تلك المواقع في جنوب جزيرة العرب؛ ولذلك نجد بعض العبرانيين ينطقون : (الشين : سيناً)، وحيناً ينطقونها كما هي (شيناً)، فيقولون في : (شمس، وشعر ... شعار ...) وهذا بعينه ما نجده – تقريباً –، في جهات الريث، ومنجد وقيس، والغمر، وبعض بطون العبادل وهروب وغيرهم كثير ...، بل نجد قريباً من هذا التغيير مع (الشين) في جهات فيفا، ولكنهم لا يبدلونها : (فاءً)، كقولهم في : (شدخ – فدخ ...) وإذا كانت ألسنة بعض البطون التي أطلق عليهم – عبرانيين – كانت تنطق حرف (الظاء) (سيناً) مفخمة، كقولهم في (عظم : عصم) ففي جهات جبال العبادل؛ كبطون : اللغوب، وآل اللغبي : فنجدهم ينطقونها – الظاء – (ثاء) فيقولون : في (عظم ... عثم) ... أو [فاء] فيقولون (عفم) ... ويقولون في : (ظفر ... ثلفي ...) وبعضهم – أيضاً – يبدلون (الثاء) (هاء) فيقولون : في (مثل: مهل) [1] .

وإذا كانت – العبرية وأخواتها – تبدل " (الذال) (زاي)؛ فالفينقيون يبدلونها (ياءً ... ولاماً ...) معًا فيقولون في (إذا) : (أيْلا أو أيْلي) أما حرف (العين)؛ فإنهم يقلبونها (خاءً)، إذا جاء في آخر الكلمة؛ فيقولون في : (صفع : صفخ) [2] ومثلها في حرف (الغين) إذا جاءت في أول الكلمة، فإنهم يلقبونها (خاءً) كقولهم : (في غسل : خسل) [3] ولكن هل كل هذه التغييرات عند هذه البطون لهذه الحروف؛ تعني أنهم لم يكونوا يعرفون الحروف التي أبدلوها بغيرها، طبعاً هذا غير صحيح، وغير وارد؛ لأن أخوتهم من البطون الأخرى حولهم – أو حتى معهم – كانوا ينطقون تلك الأحرف نطقاً صحيحاً – بل حتى هم أنفسهم كانوا يفصلون ذلك كما سمعناهم – وإذا كان هذا الاختلاف والتغير، قد كان حاصلاً في ألسنة أهل هذه

---

(١) المرجع السابق .

(٢) محمد قاسم الفيفي، وعلي يحي جابر العبدلي، وسلمان العبدلي .

(٣) محمد الفيفي ... الخ .

المواقع، وهم لا يزالون في مواقعهم – بجنــوب جزيرتهم – لم يبرحوها، ... أفــلا ينطبق هذا وغيره على لهجات أولئك العبرانيين وكل من كان معهم هناك، وهم من هذه المواقع وما حولها قد هاجروا؟ ... فإن وجد بعد ذلك ما قد يظن أنه تغير فــي النطق أو اختلاف في الصياغة اللغوية؛ فما ذلك إلا نتيجة من نتائج البعــد عــن : (مصدرهم الأول في اللغة، وعن موطنهم القديم في الجنوب؛ فأصبحوا بعد هجرتهم الطويلة يتداولون من الأسماء والأعلام ما لا يفهمون معناه، ولا وجوه تصريفه، وهو في لغة سبأ من جنوب الجزيرة العربية، مفهوم المعنى والمصدر الذي تصرف منــه بلفظه واشتقاقه ...) [(١)] .

إذن فالتاريخ يؤكد أن تلك اللهجات هي من لهجات هذه المواقع ...، حتــى قالوا بعدم فهمه في تلك اللهجات رغم تداولهم له ... نجد التاريخ قد اعترف بسبئيته، لأن فهمه لا يمكن أن يكون إلا من خلالها – السبئية – ...

وإذا كنا قد وجدنا في جنوب جزيرة العرب؛ من كان لا ينطق حرف الغــين فقد وجدنا التاريخ يقول لنا عن أولئك الذين سموا بالعبريين ولغتهم – لهجــتهم – : (إن حرف الغين لم يكن موجوداً بين حروف المزمور، فلما وجد بعد اختلاطهم بمن كانوا ينطقون العربية الفصيحة – أضافوه وسموه (غيمل) فلا معنى لها غير المحاكاة اللفظية، وإنما قاسوها إلى أقرب المخارج فكتبوها كما تكتب (الجيم) ... وحذفوا نقط الاعجام للتمييز بينهما ....) [(٢)] .

وهنا نقف لنقول للتاريخ : إن من كتب المزمور في أول أمره؛ هم أناس من البطون التي لم تكن ألسنتها تنطق حرف (الغين)، حتى في موطنها –الأصلي– الذي رحلت منه؛ ولذلك كانوا صادقين مع أنفسهم حينما دونوا مزاميرهم، ليكونوا صادقين مــع لغة كتب معتقدهم، وليصدق عليهم قول من أرسل إليهم أنبياءهم ورســلهم، : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ...) [(٣)] لذلك لم يكتبوا حرف : (الغين) ضمن ما كتبوا؛ لأن لسانهم كان – أصلاً – لا ينطق ذلك الحرف صحيحاً، وحينما أعيدت

---

(١) أثر الثقافة العربية – العقاد –، ص ١٩٧ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) سورة إبراهيم، آية : ٤ .

كتابة هذا المزمور بعد ذلك، وكان من كتبه من بطون أخرى؛ أضاف حرف [الغين]؛ لأن هذا الحرف كان يوجد في ألسنة قوم من كتبه في تلك المرة؛ وليس لأنهم اختلطوا بمن كانوا ينطقون العربية الفصيحة، لأن جميعهم كانوا عرباً، وإنما كانت تلك الكتابة – أيضاً – بعد تبلبل الألسن في ذلك الزمن نتيجة لتفرق القبائل وتباعدها، الذي أدى بدوره لاختلاف نطقهم، وتعدد ألسنتهم لذلك، قرباً وبعداً من مواقع الفصاحة ... أما نطقهم للفظة جمل [جيمل]؛ لأن جل المواقع التي زرناها في جنوب جزيرة العرب – وأنا واحد من أهل تلك المواقع – أن هذا الحرف – الجيم – يختلف نطقه من موقع لآخر؛ فقد تجد منهم من يقول لك : (إن نطقهم لهذا الحرف قد دخل عليه الكثير من التغيير، حتى أصبح نطقه إلى حرف [الزاي] أقرب منه إلى [الجيم][1]، ومنهم من يعطشون نطقه؛ أي أنهم يخرجونه من بين مخرجي حرفين متقاربين، كمخرج [الجيم] ذاته، ومخرج (الشين)، فيخرج، لا هو (جيم)، ولا هو (شين) [2] وبعضهم لا ينطقونه البتة ... أما جهات الحجرية[3]، وتعز؛ فتجدهم ينطقونها نطقاً هو إلى نطق [الكاف] المفخمة أقرب من القاف ... بل هناك أشكال متعددة حول نطق هذا الحرف [الجيم] في جهات جنوب جزيرة العرب لا يمكن حله إلا إذا وجدت معامل لغوية، وصوتية، تستطيع تحديد هوية نطقه في هذه المواقع، من خلال تسجيل أصوات أحاديث بعض أبناء هذه المواقع .

أما حرف (الغين)، فقد رأينا كيف ينطقونها : (خاءً) – كما سبق –، ... إذن فلا يبعد من أولئك الذين نطقوا :[جمل ... غمل] أن يكون هذا النطق، هو نطقهم الصحيح لحرف [الجيم]، أي قلبهم لها (غيناً) عند نطقهم؛ شأنهم في ذلك شأن من نطقها (خاءً)، ومعلوم أن حرف [الخاء] لا يبعد عن مخرج حرف [الجيم] إذ كلاهما

---

(١) لهجات فيفا وما حولها، محمد بن مسعود الفيفي، مخطوط، ص : ٨٥ .

(٢) لهجات فيفا، ص ٨٥، ولهجات العبادل : محمد قاسم اللغبي، وبني معين .

(٣) تسجيل ميداني من نفس هذه المواقع، وهي تقع أقصى جنوب جزيرة العرب، أي أنها أقرب إلى جهات عدن وما حولها .

من الحروف الحلقية، إذن فلم يكن نطقهم لهذا الحرف [الجيم] كما سبق؛ هو محاكـاة منهم دون فهم للمعنى الذي ينطقونه، أو أنهم قاسوه .

وكل ذلك يجعلنا نقول إن من أراد أن يـدرس تلـك اللهجـات – العبريـة وأخواتها – فعلية أن يأتي – الآن – إلى هذه المواقع بجنوب جزيرة العرب؛ لأنـه سيجد أن تلك من هذه، وستتأكد لديه حقيقة أن خروج أولئك كان – أيضاً – من هذه المواقع؛ لأن (٩٠%) من خصائص لهجات هذه المواقع؛ هي عينها خصائص تلـك اللهجات هناك ... والله تعالى أعلم بالحقيقة .

شيء من خواص أداة التعريف وتنوعها :

كخاصية أداة التعريف التي حاول بعض المستشرقين أن يجعلوا مـن كثـرة تعددها وتنوعها، واختلاف استعمالها؛ دليلاً قاطعاً لجعل تلك اللهجات التـي أطلقـوا عليها أسماء متعددة؛ ظناً منهم أنها قد تفصلها عن أمها – العربية – وجذور أصولها، لتصبح – كما أرادوا – وكأنها لغات مستقلة بذاتها؛ كالكنعانية والعبرية، والآراميـة والسريانية والبابلية والآكادية وغيرها؛ متناسين أن أصحاب تلك الألسن كـانوا قـد نبتوا في بقعة واحدة؛ قبل رحيلهم منها إلى شمال خارج جزيرة العـرب؛ وأن تلـك البقعة كانت واحدة، وإن كانت ذات مواقع متعددة؛ وأن تعدد تلك المواقع هو الـذي أدى لتنوع تلك الأداة واختلاف استعمالها في ألسن تلك القبائل فـي شـمال خـارج جزيرة العرب؛ لأن كل قوم منهم كان يستعمل في تعريف نكراتهم؛ الأداة التي كـان يستعملها موقعه الذي رحل منه في جنوب جزيرة العرب؛ بـدليل أن بعـض تلـك المواقع لم يكونوا– وما زالوا – يستعملون أدوات تعريف ظاهرية في كلامهم؛ لذلك وجدنا بعضاً من تلك القبائل الراحلة؛ لم يـستعملوا أدوات تعريـف – ظاهريـة – كبعض الآراميين والعبريين – عند بعض مؤرخي الساميات– والبابلين – كما سـبق وما سيأتي بإذن الله تعالى –، وهذا يعني أن أولئك كانوا من هذه المواقع في جنوب جزيرة العرب، وهذا ما أكده وأثبته التاريـخ قديماً لأهل هذه المواقع قديماً، وكـذلك الواقع المعاصر مشافهة وتطبيقاً – الآن – فماذا قال التاريخ عن استعمال أهل هـذه

المواقع لأدوات التعريف؟ وتنوع استعمالهم لها؟، ثم نحاول أن نقف عند بعض القبائل التي تسكن -الآن- في هذه المواقع بجنوب جزيرة العرب؛ لنرى مدى التطابق في استعمال هذه الأدوات قديماً وحديثاً بين أهل هذه المواقع – باقين وراحلين قديماً – وبينهم جميعاً قديماً، وبين من يسكن هذه المواقع الآن ... يقول التاريخ : (... إن السبئية واللهجات العربية الجنوبية الأخرى كانت تستعمل للتعريف أداة، هي حرف النون : (ن) أو : (إن) كانت تضعها في آخر الكلمة المراد تعريفها .. وتشارك العربيات الجنوبية – السبئية والمعنية – في مكان أداة التعريف : السريانية؛ حيث كانت تضعها في نهاية الكلمة ... وكذلك كانت الحميرية : تعرف : (بأن ... وإن]) [١] ... في حين نجد أن لهجات عربية أخرى، مثل : الثمودية والصفوية واللحيانية؛ كانت تستعمل : (الهاء) أداة للتعريف؛ بدلاً من الألف واللام بـ (أل) في عربية القرآن الكريم : فيقال : (هملك) في (الملك) و (هدار) في (الدار) وهذا الاستعمال نجده في [العبرانية] [٢] بينما نرى بعض اللغات : كالآشورية والبابلية والحبشية : كانت لا تستعمل أداة للتعريف فيها ...) [٣] .

هذا بعض ما أشار به التاريخ حول استخدام جل القبائل التي كانت تنتشر من جنوب جزيرة العرب إلى شمالها وخارجها، لأدوات تعريف نكراتها في غابر أزمانها.

ونلاحظ من خلال ما سبق عرضه أن الباحثين قد قسموا تلك الاستعمال إلى مجموعات من حيث تنوع الأدوات التي استعملوها ... فهناك مجموعة : (أل) وهي اللهجة التي أسموها بلهجة عربية القرآن الكريم؛ وكانت – ولا زالت – تضع الأداة (أل) في أول كلامها، وهناك مجموعة : (الهاء)، وهي بعض ما أسموها – بالثمودية والصفوية واللحيانية والعبرية – وهي – أيضاً – اللهجات التي كانت توجد في شمال جزيرة العرب –، وكانت تضع أداتها : (الهاء) في أول كلامها – أيضاً –، وهناك

---

(١) المفصل – جواد علي –، ٨/٥٧٩ .

(٢) المفصل – جواد علي –، ٨/٦٧٦

(٣) المفصل – جواد علي –، ٨/٥٣٤

مجموعة : النون [ن] أو [إن]، وهي بعض من اللهجات التي كانت في جنوب جزيرة العرب : كالسبئية والمعينية والحميرية، وكانت تضع أداتها في آخر كلامها؛ ومثلها كانت [السريانية]، وإن كانت – كما قالوا – تستعمل : (الواو) أداة للتعرف في آخر كلامها، وهناك مجموعة قالوا عنها : أنها كانت تشكل أربع مجموعات لغوية... إلخ.

وإذا كان الباحثون كانوا ينصون على عروبة كل من يستعمل تلك الأدوات في كلامهم؛ فهذا يعني أن كل من كان يستعمل تلك الأدوات كمن كان يستعملها وهو عربي، وإن حاولوا أن يخرجوه من النسب العربي، وعلى ذلك فالعبرانيون وإخوانهم – من سبق ذكرهم – هم عرب لاستعمالهم تلك الأدوات – وأمور أخرى – لأن القبائل الثمودية واللحيانية والصفوية، المنصوص على عروبتها من قبل كل الباحثين؛ يؤكد عروبة كل من رحلوا منها؛ لأن جل القبائل التي يمتد سكناها – الآن – ما بين جبال العبادل وبني معين وآل حروب وفيفا وبلغازي وبني مالك والريث والحشر، وجبال قبيس وهروب، وبني حريص داخل الحدود السعودية، إلى داخل العمق اليمني كالنظير ورازح وضحيان والغمر وصعدة ومنبة وغيرها كمواقع سبأ ومعين داخل اليمن، ووسط بلاد اليمن وحضر موت، لازالوا يستعملون كل هذه الأدوات في لهجاتهم الخاصة بهم، كما كان يستعملها جل أولئك الراحلون ... فهناك مثلاً : بني حريص وآل حرب، وهم أحد الفخوذ الثلاثة التي كانت تشكل قبائل (الصلت)؛ الذين تلاشى ذكرهم ... ما بين القرنين : الثامن والسابع الهجريين في هذه المواقع ... وهذه القبائل تعرف نكراتها بنفس الأداة التي كانت تعرف بها القبائل اللحيانية والصفوية والثمودية والعبرية؛ في شمال وخارج جزيرة العرب، وهي أداة (الهاء) ... بل لا يزال قسم كبير من آل حرب حول جهات بني معين والعبادل تعرف نكراتها بهذه الأداة إلى وقتنا هذا فيقولون : (همرجل) في (الرجل) و (هبيت) في (البيت) [(١)]، وعلى هذا تكون القبائل التي كانت تعرف (بالهاء) في شمال جزيرة العرب وخارج شمالها كبلاد الشام وما حولها، هي من هذه المواقع العربية كان خروجها، بدليل أن الكثير من المستشرقين؛ قد ذهب إلى مثل هذا القول؛ وإن لم يكن صريحاً في ذكر هذه المواقع – بجنوب جزيرة العرب – لبعدهم عن معرفتها

---

(١) لهجات العبادل، وبني معين وما حولهما : علي يحي العبدلي، محمد قاسم اللغبي، محمد ابن مسعود الفيفي .

ومعرفة من بقى بها من جذور تلك القبائل التي هاجرت منها قديماً، بل رأينا الكثير منهم قد حام حولها؛ وذلك حينما قال : (إن الثموديين قد نزحوا من العسير إلى الحجاز ... ثم إلى مواطن لحيان ...) [١] أي أن الموطن – الموقع – الأصلي الذي خرج منه الثموديون كان هو بلاد عسير في جنوب جزيرة العرب، هكذا قال هذا المستشرق، وفيه نظر؛ لأن الثمودين لم يكن انطلاقهم من بلاد عسير حقيقة؛ وإنما كان من مواقع – هي – حول عسير ولكن عدم معرفته بطبيعة المنطقة الجنوبية بجزيرة العرب وبعده عنها .. جانبه الصواب؛ لذكره نصف الحقيقة، وحذف النصف الآخر على طريقة (لا تقربوا الصلاة ...)؛ لأن عسير متأخمة للمواقع التي رحل منها الثموديون، وهي المواقع التي قلنا أنها تستعمل (الهاء) أداة للتعرف ... وعلى هذا لم تكن خاصية التعريف : (الهاء) هي من خصائص اللهجة العبرية وحدها، بل هي خاصية كل القبائل التي رحلت من المواقع التي سبقت الإشارة إليها بجنوب جزيرة العرب سواء كانوا ثموديين أو لحيانيين، أو صفويين، أو أن الكثير من هذه القبائل أدخولها تحت مصطلح العبرية؛ وهي براء من ذلك؛ وهي من أجلها قال إن بعض العبريين كانوا يعرفون (بالهاء)؛ لأن التعريف (بالهاء) لم يكن لدى كل القبائل الذين أدخلوهم تحت مسمى العبرية؛ لأن الكثير منهم : (لم يكن يعرف بأي أداة؛ سواء كانت عبرية أو غيرها ...) [٢] وهذا ما توضحه بعض نصوص عبرية قديمة جداً، وردت في رسائل تل العمارنة تقول " إن بعض القبائل – الغربية – من آل إسرائيل لم تكن أداة التعريف العبرية مستعملة فيها ... ولم تكن صيغة الجمع فيها – أيضاً – كما هي في العبرية المتأخرة (يم)، بل كانت (إما) ... "[٣] وهذا يؤكد أن : لهجات قبائل العبرين كانت مختلفة في كثير من الخصائص اللغوية العبرية القديمة، في العصور الكنعانية الأولى؛ وبين العبرية بعد الفتح الإسرائيلي، في نطق الكثير من الكلمات والخصائص[٤]، وهذا – أيضاً – يؤكد حقيقة أن العبرية كانت عبارة عن مجموعة ألسن قبائل وضعت داخل إطار هذه التسمية، بدليل هذا الاختلاف في

---

(١) ولفنسون، ص : ١٧٠.

(٢) ولفنسون، ص ٨٢ .

(٣) ولفنسون، ص ٨٣ .

(٤) ولفنسون، ص ٨٣ – ٨٤ .

استعمال أدوات التعريف، وغيرها من الخصائص اللغوية ... وإذا كان الأمر كان كذلك؛ فمن من تلك القبائل كان المستعمل لأداة التعريف [الهاء] من مجموع قبائل إطار تلك التسمية – العبرية؟ .

يقول بعض مؤرخي الساميات : " ... إن دراسة لهجات المملكة الأردنية الهاشمية ... المملكة التي كانت تعرف بأدوم في التاريخ ... وكذلك لهجات أعالي الحجاز في الوقت الحاضر، فائدة كبيرة في الوقوف على خصائص لهجة عربية : [ها – هـ –] ... "[1] .

وهذا يعني أن ليس كل القبائل الداخلة تحت مسمى العبرية؛ كانت عبرية فعلاً، كما نص على ذلك النص السابق، ويعني أيضاً أن القبائل التي كانت تستعمل (الهاء) أداة للتعرف، ليست عبرية، بل يعني أن القبائل المستعملة لها؛ هي قبائل أدومية، كما نص النص السابق، إضافة إلى مجموعة القبائل التي كانت تنتشر في أعالي الحجاز وغيرهم كثير من القبائل التي كانت بتلك المواقع ونص على عروبتها ... وإذا كانت تلك القبائل عربية، وكانوا من ضمن من كان يعرف (بالهاء) مثل الأدومين . إذن فالأدوميون : هم قبائل عربية أصيلة؛ شأنهم شأن الثموديين واللحيانيين والصفويين، وهذا يعني – أيضاً – أن الأدومين كانوا بطوناً من تلك القبائل، أو أنهم رحلوا من تلك المواقع التي رحل منها من كانوا يعرفون (بالهاء) ... بل وجدنا التاريخ ينص على : (... أن بطوناً لحيانية كانت منتشرة بين [ينبع ... وأيلة][2] ... بل نص على أنهم عثروا على عدد كبير من كتابات الثموديين في العلا، ومواضع أخرى من الأرضين التي هي اليوم المملكة الأردنية، وفي أعالي الحجاز في السعودية[3] ... وفي أماكن كثيرة في بلاد اليمن وغيرها – كما سيأتي بإذن الله تعالى – ... وإذا كان التاريخ يثبت أن جل القبائل التي كانت منتشرة في

---

(١) المفصل – جواد علي –، ٨/٦٨١ .

(٢) ولفنسون، ص : ١٥٣ .

(٣) المفصل – جواد علي – : ١/٣٢٨ .

كل تلك المواقع؛ هم بطون ليحيانية وثمودية وصفوية، وأنهم كانوا عرباً، ويعرفـون بالأداة : (هأ – هـ) ...

أفلا يكون أولئك الأدوميون الذين كانوا يسكنون تلك الأماكن هم مـن تلـك البطون العربية؟، لأن كل من كان في تلك الأماكن كانوا عرباً – وهذا ما سبق – أن نص عليه المستشرقون بقولهم : (إن دراسة لهجات المملكة الأردنية ... فيها فائـدة كبيرة في الوقوف على خصائص لهجة عربية، (هـا – هـ) ... وفـي استنباط قواعدها) [١] .

وعلى هذا فالأدوميون والثموديون واللحيانيون؛ هم أصحاب هذه اللهجة في هذه الأماكن في شمال جزيرة العرب، وأن بعضهم من بعض، وأنهم رحلوا من نفس المواقع التي يستخدم أهلها أداة (الهاء) وخصائصها في جنوب جزيرة العرب؛ كبني حريص وبني معين وآل حرب وغيرهم ممن سبقت الإشارة إليهم ... ورب سـائل يقول : كيف حكمت بعروبة الآدومين لاستخدامهم أداة (ها) التعريفية، وتوافق هـذا الاستعمال مع بقايا اللحيانيين والثمودين والصفوين أفلا يكون ذلك التوافق كان توافقاً عكسياً؟ ... أي أن استخدام الثموديين لتلك الأداة كان استخدام التابع للمتبوع، بحكـم تبعية المغلوب للغالب؛ لأن الأدوميين كانوا أصحاب السلطة في زمنهم، وهنا ينتفـي النسب العربي عنهم، وتصبح لغتهم العبرية لغة مستقلة بذاتها، لا دخل لها بالعربية؟ وهذا – طبعاً – ليس صحيحاً؛ لأن عروبة الأدومين ثابتة حتّى إن كـانوا – هـم – الغالبين؛ – سلطة وحكماً – في تلك البقاع، التي رحلوا منها فـي جنـوب جزيـرة العرب، قد أثبتت لهم هذه العروبة، لعروبة هذه المواقع، التي أثبتتها لأخوتهم الـذين رحلوا قبلهم، كاللحيانيين والثموديين والصفويين ... ثم أن اللحيانيين والثموديين كانوا سابقين لسكنى تلك الأرض – قبل الأدوميين ... وهو أمر قد شهد به التاريخ؛ حينما قال : (وأما تاريخ قوم ثمود فيعود إلى ما قبل الميلاد بزمن كبير، وقد كـانوا فـي جملة الشعوب التي حاربت الآشورية ... ولم يكن أولئك الثموديين الـذين حـاربوا

---

(١) المفصل – جواد علي –، ٨/٦٨١

الآشورين من أبناء الساعة، بل لابد أن يكون لهم أسلاف عاشوا قبلهم – في تلك البقاع – بعدة قرون ...) [1] .

وإذا كان هذا هو حال الثمودين في تلك البقاع ... فكيف بتاريخ من كان قبلهم في تلك المواقع؟ بل من قام الثموديون على أنقاضهم، كاللحيانيين الذين : (بادوا قبل الثمودين بزمن طويل) [2] وليس هذا فحسب ... بل نجد التاريخ يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك؛ حينما يقول : (ونريد أن نلفت النظر إلى أن المواطن التي كانت لليهود في بلاد الحجاز؛ هي بعينها المواطن التي ينسبها بطليموس للثموديين) [3] .

إذن فليس الأمر خاصاً بالآدومين وعروبتهم في تلك المنطقة؛ بل إن كل من كان ينضوي تحت إطار التسمية العبرانية في تلك المنطقة : هم جميعاً – بطون وقبائل أحفاد لبقايا أولئك الثمودين واللحيانيين ... الخ؛ لأن الأدومين، ومن سموا يهوداً والمدائن وغيرهم ممن كانوا ينتشرون في تلك البقاع؛ كانوا ينتشرون في بلاد ثمودية لحيانية : (... فهل يؤخذ من ذلك أن الثموديين تهودوا، أو أنهم رحلوا وتركوها في أيدي اليهود ...) [4] .

والحقيقة أن بقايا الثموديين لم يرحلوا من مواقعهم تلك أو غيرها هناك؛ لأن كل من كانوا ينتشرون هناك هم منهم، لأنا لو قلنا – فرضاً – أنهم تركوا بعض تلك المواقع بأيدي من تسموا باليهود، وبعضها لمن تسموا بالآدومين ... وبعضها للمدائين ... وهكذا ... فيا ترى إلى أين سيكون رحيلهم؟ ... والتاريخ يقول : (إن في المتاحف الأوروبية اليوم، وفي مكتبات جامعاتهم ... وفي أوراق المستشرقين مجموعات من النقوش والنصوص الثمودية، وجدت في مناطق كثيرة – أو أخذت صورها –، مثل حائل بأرض نجد، أو أرض تبوك، أو تيماء ومدائن صالح، أو السلاسل الجبلية الممتدة بين هذه المنطقة والحجاز، أو سواحل الحجاز

---

(١) المفصل – جواد علي –، ١/٣٢٦ .

(٢) ولفنسون، ص ١٥١ – ١٥٣ .

(٣) ولفنسون، ص ١٥٤ .

(٤) ولفنسون، ص ١٥٤ .

الشمالية للبحر الأرص، أو في طور سيناء، أو الصفا شرقي دمشق، وفي مصر، أو في الحرة والرحبة، وفي شمال غربي تدمر ... وغيرها كثير ... شواهد تنبيك أن أولئك الثموديين كانوا هنا[1]، شواهد تنبيك أن كل من سكن بعدهم بهذه المواقع، واستعمل لسانهم؛ كانوا من بقاياهم وأحفادهم، ومن هنا ندرك أن استعمال أولئك الأقوام لأداة التعريف : [ها – هـ]، لم يكن استعمال صدفة، أو تأثر بغالب على مغلوب، بل كان ذلك استعمال لسان لا يعرف غير ذلك، لكونه لسان أجداد من تناسل منهم أولئك الأحفاد الأدوميين، أو أجدادهم الثموديين، هو لسان قدم من بيئة لا تحيد عن نطق سواه، وأن تلك البيئة؛ هي جنوب جزيرة العرب، أي أن الأدوميين هم من عرب جنوب جزيرة العرب؛ لأن أجدادهم الثموديين، أو اللحيانيين، قد قدموا قبلهم من هذه البيئة ... وهذا ما شهد به مؤرخوا اللغات السامية بقولهم : (.. وقد عثر على نقوش ثمودية في بلاد اليمن، وأن تلك النقوش تدل على أن هناك صلات قوية، بين بلاد اليمن والثموديين ... وأن هذا – أيضاً – يدل على أن الثموديين كانوا يقيمون في اليمن ... فقد عثرت البعثة المصرية التي زارت اليمن على مخربشات ثمودية في [حجر العقاب] عند جبل (حليل)، ووجد أن للقلم الثمودي صلة وعلاقة قوية بالقلم المسند، بل قالوا بوجود بعض الخواص في الكتابات الثمودية التي عثروا عليها في الحجاز، قلما تجدها في كتابات ثمودية أخرى، وعثروا عليها – أيضاً – في نجد واليمن ...) [2] .

أفلا يؤكد كل هذا على جنوبية الثموديين وكل من سكن في مواقعهم قبلهم أو بعدهم؟ : (وذلك لما لاحظناه من أن الثموديين في حركاتهم وتنقلاتهم كانوا دائماً يتجهون من الجنوب إلى الشمال، أي أن موطنهم الأصلي كان ببلاد اليمن؛ لأن الكثير من القبائل العربية التي رحلت منها إلى الشمال؛ كبني معين وكنده وكلب والأوس والخزرج؛ كانت قد نزحت من اليمن جنوباً فعسير فالحجاز، ثم إلى مواطن

---

(١) المفصل – جواد علي –، ١/٣٢٨ .

(٢) المفصل – جواد علي – باختصار، ص ٣٢٨ –٣٢٩ – ١/٣٣٠ .

بني لحيان ...) [١]، لأن الكثير من المواقع التي رحلوا منها بجنوب جزيرة العرب؛ لا زال الكثير منها شاهد حي على تلك الصلة والقربى ... فقد سبق أن أشرنا أن التعريف (بالهاء) لا زال مستعملاً لدى الكثير من قبائل هذه المواقع الجنوبية إلى الآن؛ كبني معين، وآل حرب،وقيس الحشر، والغمر والنظير وغيرهم كثير ... بل الكثير من هذه المواقع التي تعرف (بالهاء)، هي قريبة جداً من بلاد عسير التي أشار المستشرقون لرحيل الثموديين منها ...) [٢] .

وإذا كان الأدوميون؛ وهم من مجموعة القبائل التي وضعت تحت مسمى مصطلح العبرانية؛ كانوا – مع قبائل أخرى – نسبت للثموديين واللحيانين، يعرفون (بالهاء) ... ومعلوم أن العبرانيين واللحيانيين، يعرفون (بالهاء) ... ومعلوم أن العبرانيين لم يكونوا جميعاً يعرفون [بالهاء] ... بل ورد – كما سبق – أن منهم من كان لا يعرف بأي أداة؛ وبعضهم كان لهم أدوات أخرى، ومثلهم من سموا بالآراميين، والكنعانيين إلخ ... وهذا يؤكد صدق ما سبق أن ذهبنا إله حول ألسن كل اللهجات الراحلة إلى شمال جزيرة العرب، وأنها كانت مزيجاً من قبائل عربية جنوبية متعددة، كانت قد خرجت من مواقع الشريط الجغرافي بين السعودية وبلاد اليمن – في الوقت الحاضر – ... بدليل أنهم جميعاً لم يكونوا يعرفون أداةً واحدةً، وإن اتفق الجميع على وحدة ألسنتهم ... وهذا أيضاً – يؤكد حقيقة انتمائهم للهجات الجنوبية؛ لأن اللهجات الجنوبية، يمكن حصرها في مجموعات لهجية – لغوية –، كل مجموعة تنطوي تحت أداة تعريفية معينة ... يمكن تقسيمها إلى ثلاث أو أربع مجموعات ... منها مثلاً :

أ – مجموعة : [إن – ن]، أي المجموعة التي كانت تعرف بهذه الأداة، وهي عدة قبائل، على رأسها : معين وسبأ ... وهي تنتشر داخل العمق اليمني .

ب – وهناك مجموعة القبائل التي كانت تعرف بأداة [هـ – ها]؛ وكانت تشمل الثموديين واللحيانيين والأدوميين، والحروبين، وبني معين،والصفويين .

---

(١) ولفنسون، ص : ١٥٣ .

(٢) المرجع السابق،

جـ – وهناك مجموعة القبائل التي كانت تعرف بأداة : [الألـف والمـيم – أم –] وكانت مجموعة من قبائل وسط أفريقيا – من الكنعانيين هنـاك –، وقبائـل طيىء، ومنها القبائل التي هي ساكنة – في وقتنا الحاضـر – فـي الجـزء الشرقي من فيفا إلى [نجران] إلى : [أسفل غور تهامة]،[فتهامة عـسير] و [تهامة اليمن]، وغيرهم كثير .

وهناك مجموعة رابعة ... وفي نظري هم خليط من المجموعات السابقة .. كما سيأتي تفصيل ذلك – بإذن الله تعالى –، وهم يتباينون بين الاستعمال وعدمه كما سيأتي – بإذن الله تعالى – .

وإذا تمعنا جيداً في هذه المجموعات الجنوبية، وعـدنا إلـى القبائـل التـي انتشرت في بلاد النهرين والشام وفلسطين، وبادية الشام – كـالآرامين الكنعـانيين والعبرانيين وغيرهم؛ فسنجد أنها – جميعاً – لا تخرج عن دائرة هذه المجموعـات فإذا كنا قد رأينا – أن الأدوميين والثموديين واللحيانيين والصفويين؛ كانوا يعرفـون بأداة المجموعة الجنوبية الثانية، وهي أداة : [ها – هـ] وسـنجد أيـضاً مـؤرخي الساميات يقولون (... إن العربيـة : [ن –إن] – مـصطلحات وخـصائص غيـر موجودة في العربية الفصيحة ... ولكنها موجودة في العبرانية ...) [(١)] .

وهنا نقف ونسأل : ما الذي تعنيه إشارة وجود خصائص ومصطلحات مـن عربية : [إن – ن] في العبرانية؟ ألا تعني أن في المزيج المندرج تحـت العبرانيـة فئات كانت تنتمي إلى عربية مجموعة: [أن – ن] ...

وإذا كان ذلك صحيحاً!!! ... إذن فمنهم تلك الفئآت أو حتى بعضاً منهم وهنا نترك الحديث لمرجوليوث ليجيبنا بقوله : (...إن الوطن الأصلي لبني إسرائيل لـم يكن في شبه جزيرة سيناء، بل كان بلاد اليمن، التي خرجت منها أمم كثيرة، من أقدم الأزمنة التاريخية – وذلك – لوجود ألفاظ كثيرة مشتركة بين اللغتين – اللهجتـين –

---

(١) ولفنسون، ص : ٤٦ .

السبئية والإسرائيلية العبرية، وهناك – أيضاً – شبهاً عظيماً بين بعض العادات الاجتماعية والأخلاقية والدينية عند أهل سبأ وبني إسرائيل ...) [1] .

إذن فمرجليوث يؤكد على أن المجموعة التي كانت تدعى ببني إسرائيل بين العبرين كانت تنتمي إلى أهل سبأ، أي أنها تنتمي إلى عربية : [إن – ن]، مثبتاً ذلك بعدة أدله أشار بها، وما صرح به مرجوليوث حول ذلك، هو بعينه ماسبق أن قاله ولفنسون : (... من أن في عربية [إن–ن] خصائص ومصطلحات غير موجودة في العربية الفصيحة، ولكنها موجودة في العبرية؛ ...) أفلا يعني هذا أن عبرية بني إسرائيل هي عربية تنتمي إلى عربية : (إن–ن)، كما كانت لسان الأدوميين عربية جنوبية تنتمي مجموعة : (ها – هـ)، شأنها شأن الثمودية وأخواتها ... وعلى هذا فليس للعبرية أداة واحدة كانت تعرف بها ... بل – كما رأينا – أن كل فئة من فئاتها كانت تعرف بأداة تختلف عن الفئة الأخرى، فالأدوميون يعرفون بأداة مجموعة [الهاء] الجنوبية ... والإسرائيليين كانوا يعرفون بأداة : [إن– ن] السبئية ... وكذلك كان الأمر مع الإسماعيليين الذين وضعوا داخل المصطلح العبري، كان الكثير منهم يعرفون بالأداة [أل] ... ومثلهم كان الآراميون والكنعانيون وغيرهم ... وهذا يؤكد صحة انتساب جل تلك الأمم إلى جنوب جزيرة العرب، وأنهم منها هاجروا؛ بدليل ما نجده اليوم في لهجات المواقع التي جعلناها ميداناً لبحثنا – المصغر – هذا، في جنوب جزيرة العرب، فأهل هذه المواقع حينما يتحدثون – كما سبق أن قلنا – بلهجاتهم الخاصة – لهجات أجدادهم – فيما بينهم، نجدهم لا يتساوون في استخدام أدوات تعريفهم لنكراتهم، فمثلاً [آل اللغبي] – بعضهم لا كلهم –، وبعضاً من بني معين والغمريين، والأيتام – من العبادل –، تحس أنهم حينما يتحدثون كأنهم لا يعرفون بأي أداة من أدوات التعريف المعروفة وغير المعروفة؛ ولكن هذا غير صحيح؛ لأنك لو عدت وتأملت في كلامهم تجد أنهم يعرفون نكراتهم، ولكنهم بأساليب لا يعرفها إلا هم، ومن عاش بينهم، أما الغرباء والبعيدون عنهم؛ فلا

---

(١) ولفنسون، ص : ٧٦ .

يستطيعون معرفة ذلك، فمثلاً حينما يقولون في : [البيت] فإنهم ينطقونها هكذا : [مجملة : أنا ذاهب إلى البيت : أنا ذاهب سأبَيّت، أو هكذا أناكه هش سابيت ...) [١]، [فسا] تعني [إلى]، و[بيت] .. تجد عند تأملها؛ أن هناك – همزة – قد أدغمت في [الباء] وعند النطق تلاحظ أنه لا يقف عليها، بل تجده سريعاً ينتقل إلى [الباء]، فيظن السامع لهم؛ أنهم لا يعرفون، في حين نجد (آل حرب، والحشر، وبني حريص، والقيس، والجوابرة من المعنيين، يقلبون هذه الهمزة – الخفيفة – [هاء] – كما سبق – فيقولون : [... هجبل، هملك، وهدار ...] [٢] في الجبل، والدار، والملك، وإذا اتجهنا صوب جبال [قيفا، وبني مالك، وأخوتهم ...) تجدهم يستخدمون لتعريف نكراتهم، الأداة : [أم] ... و (أم) هذه هي : (إن)؛ لأن قلب النون ميماً وارد في لغة العرب، فصيحها، وعاميها ... وعلى هذا فهي : [إن] ... وإن استخدمت في أول الكلام؛ لأننا نجد في مواقع أخرى قريبة من المواقع السابقة الذكر؛ كصعدة، وجهات شرقية كثيرة إلى الربع الخالي، كانوا قديماً ولا يزال بعض منهم إلى الآن يستخدمون: [إن – ن]؛ لتعريف كلامهم، كقولهم : (إنقشم ... انحلم، في القشم، والحلم ... في الربع الخالي) [٣] .

أفلا يعني هذا أن جل القبائل التي وجدت في شمال جزيرة العرب؛ وبلاد النهرين والشام؛ كانت تمثل في استعمالها لتلك الأدوات أصول مواقعها التي هاجرت منها في جنوب جزيرتها العربية، ولذلك رأينا الكثير من المستشرقين؛ وهم يتحدثون عن أداة التعريف في بعض اللهجات التي أسموها بالسامية، يقولون: (... إنهم وجدوا : (ن) في آخر كلمة في السبئية ... وفي السريانية (ه) في نهاية الكلمة- أيضاً – ... وفي العبرية واللهجات العربية البائدة حرف [الهاء] في أول الكلمة، أما الآشورية والبابلية والحبشية ... فلا أداة للتعرف فيها ...) [٤] .

---

(١) تسجيل ميداني، مع سلمان العبدلي، محمد قاسم اللغبي العبدلي .

(٢) تسجيل ميداني ... الخ .

(٣) اللهجات العربية الغربية – رابين – : ص ٧٥ – ٧٨ .

(٤) ولفنسون، ص : ٢٣ – ٢٤ .

وتلاحظ -هنا- أنهم يضعون العبرية والسبئية، وبعض ما أسموه بالعربية البائدة؛ والسريانية، كلها يضعونها في دائرة واحدة وفي مجموعة واحدة، أفلا يؤكد هذا أنهم كانوا على يقين بوحدة الجميع؛ نسباً ولساناً، وموقعاً؟ حتى الآشورين والبابليين والحبشين؛ الذين قالوا بعدم استخدامهم أدوات للتعريف في كلامهم؛ نقول لهم : إن نفيكم هذا، هو تأكيد أن هؤلاء جميعاً كانوا راحلين من جنوب جزيرة العرب ...؛ لأن نفيكم غير صحيح، لكون الآراميين وهم كما رأينا كانوا يرتبطون بالآشوريين؛ والآشورين هم من البابليين، مع ذلك رأينا الآراميين كانت لهم أداة للتعريف هي : (الألف بآخر الكلمة ...) [١] .

وإذا كان الآراميون - بعض منهم - كانوا يعرفون (بالألف في أخر الكلمة) وهم من مجموعات البابليين والآشوريين ... ومعلوم أن السريانية هم من الآراميين، وقد وجدت لهم أداة [ه]، أفلا يشير هذا أن من قالوا عنهم، أنهم لم يكن لهم أداة للتعريف من بقية الآشوريين والبابلين، شأنهم كشأن من وجدناهم في موقع البحث، وكأنهم لا يعرفون كلامهم، ورأينا عند التحليل والتوضيح لنطقهم أن الأداة موجودة، ولكن لا يدركها من ليسوا منهم، أفلا يجعلنا هذا نقول أن الآشوريين كانوا يعرفون بأدوات بَعُدَ عن إدراكها من كتب عن ألسنتهم، وما يدريك أنهم كانوا يعرفون [بالألف] في أول الكلمة، أي عكس السريان الآراميين الذين كانوا يضعونها في آخر الكلمة، ولا غرابة في ذلك؛ لأنهم كانوا يمثلون أصول مواقعهم التي رحلوا منها في جنوب جزيرة العرب ... ألم نقل إن : [اللغابية والغمريين، والكثير من جهات [العبادل] كانوا يعرفون : [بالألف] في أول الكلمة، لأن سامعهم إذا لم ينصت لنطقهم ويتمرن على سماعه كثيراً، ويتأمله فإنه لا يستطيع أن يميز هذه [الألف] عند نطقهم تخفيفاً وتشديداً، كقولهم : (هاش سابَيّت)، أي ذهب إلى البيت) [٢] .

---

(١) ملامح في فقه اللهجات العربية، ص ١٣٠ .

(٢) تسجيل صوتي، لسلمان العبدلي، أحد أبناء العبادل (معلم ابتدائي) .

أفلا نعد أن النطق الآشوري والبابلي والحبشي كان من جنس نطق هذه المواقع بجنوب جزيرة العرب، بدليل أن هذه [الألف]؛ التي هي في أول الكلمة هي نفسها المنقلبة [هاء] في أول الكلمة عند الثموديين واللحيانيين والصفوين والآدوميين من العبرانيين .

" وإذا كانت هي [ألفا] في أخر الكلمة عند الآراميين، فهي نفسها – أيضاً – المنقلبة [واواً) في آخر الكلمة عند السريان، وهم آرميون، لأنا وجدنا هذه (الواو) تعريفاً – في الكثير من الكلمات التي ينسبونها للآرامية القديمة ... "[1] . بل وجدناهم يقولون بوجود هذه [الواو] في كثير من الأعلام والكلمات اليهودية[2]، وعلى هذا فالكل كان يعرف كلامه؛ ولكنهم كانوا يمثلون أصولهم ومواقعهم التي خرجوا منها بجنوب جزيرة العرب، وإن اختلفت أدواتهم تبعاً لاختلاف تلك المواقع، فالسبئيون كانوا يعرفون بـ [ن] في آخر كلامهم، ومثلهم كان بعض المعينين، في حين نجد جل القبائل [الأزدية] التي قالوا عنها إنها كانت تمثل العربية القديمة[3]، نجد أنهم كانوا يستخدمون [الواو] أداة في آخر كلامهم، حتى أن : [لينزبارسكي – حينما قرأ نقش الحجر، قرأ لفظة [قبرو] – القبر – على اعتبار أن :[الواو] أداة للتعريف[4]، بل وجدوا ذلك في كثير من الألفاظ : [كمعنون، وشديدو، أي المعنيين، والشديد، ومعلوم أن قبائل [الأزد] التي وجدت هناك، كانت قد رحلت من نفس المواقع الآنفة الذكر، التي هي بجنوب جزيرة العرب، حتى من كان يستخدم [أل] للتعريف في بعض المواقع السابقة الذكر، وجدنا بعضاً منهم كان يسقط [ألف] – [أل] عند التعريف، وهو في الحقيقة ليس إسقاطاً بالمعنى المفهوم للإسقاط، وإنما كان هو إلى الإدغام أقرب؛ أي إدغام : [الألف] في [اللام]، كما أدغمت [الألف] وحدها فيما بعدها؛ كما رأينا في لهجة بعض جهات [العبادل] وما حولهم، كما في لفظة : [بيت] في : [أبَيّت]، ومثلهم بعض الآراميين، وجل الآشوريين، الذين قالوا عنهم – بعدم تعريفهم بأي أداة .. وهذا ما أكده القرآن الكريم؛ في أربعة مواضع منه، اثنان منها : أثبت فيها : [الألف، مع

---

(1) اللهجات العربية الغربية القديمة – رابين –، ص ١١٩ .

(2) اللهجات العربية الغربية القديمة – رابين –، ص ١١٩ – ١٢٠ .

(3) اللهجات العربية الغربية القديمة – رابين –، ص ١١٩ – ١٢٠ .

(4) اللهجات العربية الغربية القديمة – رابين –، ص ١١٩ – ١٢٠ .

اللام]، والثان لم يثبت فيهما [الألف]، بل نلاحظ أنها أدغمت فيما بعدها، وهو [اللام]، رغم أن المتحدَث عنهم هم أنفسهم المتحدَث في المواضع الأربعة كلها، ومن الملفت للنظر أن المتحدَث عنهم – أيضاً – هم : أهل [الأيكة]، أي أهل مدين؛ قوم نبـــي الله شعيب – عليه الصلاة والسلام –، وهم مـــن ضـــمن المـــدرجين تحـــت مـــصطلح [العبرين]، وهذا يؤكد أن المنضوين تحت هذا المصطلح؛ كـــانوا متعـــددي الأدوات التعريفية في كلامهم؛ على حسب تعدد واختلاف قبـــائلهم المنـــضوية تحـــت ذلـــك المصطلح فقد رأيناهم كانوا متعددي التعريف، كالهاء، والنون والألف المدغمة فيمـــا بعدها، أو الألف في الآخر، أو الواو في الآخر، أي أنها منقلبة عـــن تلـــك الألـــف؛ وأخيراً من كان يدغم تلك الألف مع الحرف الذي يليها، أو مع اللام نفسها، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى عن مـــدين : { كذب أصحاب لأيكة المرسلين } (١) . وقوله تعـــالى : {وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ} (٢) .

وهنا نلاحظ أن القرآن الكريم وهو يتحدث عن أصحاب [الأيكة] قوم مدين قد أدغـــم [الهمزة] في الحرف الذي يليها، وهو اللام ... لكن هذا لا يعني أن هذه [الهمـــزة] – أداة التعريف –، هي ليست موجودة، مما يعني أولئك القوم لم يكونوا يعرفوا نكراتهم ... طبعاً، هذا غير صحيح لأن القرآن الكريم – نفسه – قد صرح بهـــذه [الهمـــزة] التعريفية في موضعين آخرين عن نفس القوم المتحدَث عنهم سابقاً، وهم قوم مدين – أصحاب الأيكة –، كما في قوله تعالى:{ وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين .} (٣) وقوله تعالى:{وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ} (٤) .

إذن [فالهمزة] موجودة وواضحة، وهذا يعني أن في قوم [مدين] بطون، منهم من كان يظهر هذه الهمزة؛ كالآيتين السابقتين، ومنهم من كان يـــدغمها، كمـــا فـــي الآيتين الأخيرتين، وهذا لا يعني أن [الهمزة] قد أسقطت هناك، وأظهرت هنـــا، لأن

---

(١) سورة الشعراء، آية ٧٦ .

(٢) سورة ص، آية ١٣ .

(٣) الحجر، آية

(٤) سورة (ق)، آية (١٤) .

الأمر يرتبط بنطق لهجات – قراءات – وهذا التنوع الاستعمالي لأدوات التعريف، يجسد لنا في النهاية حقائق كثيرة، منها أن كل القبائل التي كانت في بلاد النهرين، وبلاد الشام وفلسطين وغيرها، ممن وجدت خارج جزيرة العرب؛ ووجدت لهجاتهم، أنها كانت تتميز بنفس الخصائص اللسانية التي كانت تتميز بها لهجات مواقع الشريط الذي أشرنا إليه في جنوب جزيرة العرب، وهذا جعلنا أن نجعلها مجالاً تطبيقياً لربط الشمال بالجنوب ... وهذه الخصائص تؤكد أن أولئك كانوا من هذه المواقع، ومنها كان رحيلهم ... (لا أنهم كانوا مجموعة عربية، لا هي شمالية ولا هي جنوبية[١] ... بل هم جميعاً كانوا جنوبين، لأن هذا القول ربما كان مقبولاً قديماً، أي قبل معرفة لهجات هذا الشريط، أما وإن قد اكتشفت وعرفت – أي لهجات هذا الشريط – فهي تأكيد – لا شك فيه – لجنوبية تلك اللهجات التي كانت هناك، وقالوا عنها إنها :[لا هي شمالية، ولا هي جنوبية]، ولذلك – رأينا – أن الخصائص اللغوية؛ التي كانت تختص بها لهجات مواقع العبادل وبني معين والغمر والنظير وبني حريص، وآل حرب، وهروب ومنجدر الريث، والحشر ومنبه، وفيفا وبني مالك، وغيرها من المواقع التي أشرنا إليها بجنوب جزيرة العرب، والتي وجدنا الكثير من خصائصها التي كانت تختص بها مطابقة لجل الخصائص التي كانت تختص بها العبرية القديمة وأخواتها الآرامية والسريانية والكنعانية والبابلية والآشورية، وغيرها من اللهجات التي كانت خارج شمال جزيرة العرب ...؛ ولأن لهجات المواقع التي أشرنا إليها آنفاً بجنوب جزيرة العرب؛ كانت متعددة؛ الأمر الذي جعلها – أيضاً – متعددة العناصر، متنوعة الخصائص، سواء كان ذلك في الضمائر المنفصلة، أو المتصلة، أو في أدوات التعريف سواء كانت جنوبية أو شمالية ... كل ذلك جعلها تكوّن مجموعة عربية تعد جزءاً مهمة جداً من الحلقة المفقودة، الحلقة التي تؤكد حقيقة الربط بين اللهجات الجاهلية المندثرة، واللهجات التي جعلت لها أسماء أخرى خارج جزيرة العرب .

---

(١) المفصل – جواد علي – : ١/٦٧٦ .

خصائص متنوعة تؤكد حقيقة الحلقة المفقودة، وأنها بجنوب الجزيرة :

إن دراســـة هــذه الخصائص المتنوعة يؤدي لكشف الكثير مــن الــروابط التــي تربط – حقيقة – بين كــل تلك اللهجات الراحلـــة إلــى شــمال الجزيــرة العربيـــة وخارجها، واللهجات الجنوبيـــة التي بقيت بجنوب جزيرة العــرب إبــان تلــك الهجرات، وبعدها واستمرت تتعاقــب تناسلاً بها إلى يومنــا هــذا، وبينهــا جميعــاً، وبين عربية القرآن الكريم – العربية المبنية – بدليل أن كثيراً من النقوش التــي ترجمت – كما سبــق – ورأينا فيهــا الكثير من الربط بين خصائص المعينية والسبئية مع العبرية والكنعانية والآرامية والآكادية؛ أو بينها وبين قبائــل وبطــون وفروع طيىء، والحميرية ... وإذا كانوا قد قالوا أنهم قد وجدوا ما أسموه – بالعبرية – أنها كانت متعددة اللهجات مختلطة العناصر – عند المستشرقين خصوصاً – وأنهم لذلك يربطونها بمجموعة قبائل طيىء وبطونها وفروعها؛ التي قالوا عنها : (... إن في طيىء توسعاً من اللغات، وهي عبارة تعنــي أن لدى طيء لهجات كثيــرة، وأن في كلامهــم الكثير من الخصائص المحلية ...)[1] .

أي أن شأن طيء من حيث تعدد خصائصها وعناصرها، هو كشأن العبرية، فإذا وجدَت – مثلاً – في الطائية، تبادلاً في بعض الحروف، كتبادل الميم مع البــاء أو الجيم مع الياء، أو الياء مع الواو؛ فإنك واجد مثل ذلك في [الأمهرية، والعبريــة المشنية ... فإذا وجدت الطائيين – أو بعضهم – يقولون : [حوث] في [حيث]، فإنك واجد هذا بعينه في العبرية ... وإذا كان اللغويون العرب – يجمعون – أكثــرهم – على أن : [ذو] هي اسماً للموصول عند [طيىء]؛ وكانت تستعملها دون تمييز فــي العدد والجنس والحالة الإعرابية[2] ...، لذلك وجدنا أكثــر المستــشرقين يقولــون :

---

(١) اللهجات العربية الغربية القديمة – رابين –، ص ٣٤٣ .

(٢) اللهجات العربية الغربية القديمة – رابين –، ص ٣٤٣ – ٣٥٣ .

(وحقيقة الأمر أن "ذو" كانت تستعمل مع جميع الأشخاص مثل : (زو العبرية) [١]

... بل قالوا إن : " ... (ذو) – الموصول الطائي – ترتبط ربطاً قوياً بين هذه اللهجة ... وبين عنصر أساسي واحد على الأقل من العناصر الأساسية في العبرية ... ولما كانت [ذو] العبرية، هي بقية قديمة؛ لا تستعمل إلا في الشعر؛ فإنه من الممكن أن تشتق من جهة غير كنعانية، ولما كان من غير الممكن اعتبار هذه الكلمة مقترضة؛ فإن الصيغة يتحتم أن تكون راجعةً إلى ما قبل عصر انفصال العربية الغربية عن اللغات الأخرى، ولكن لهجة طيىء هي الوحيدة من اللهجات العربية الغربية التي تحتفظ باسم الموصول على هذه الصورة، وفي الجنوب يكون اسم الموصول على صورة [ذي]، وهي – احتمالاً – ذات طبيعة مختلفة؛ وخاصة إذا عرفنا وجود ما يشهد على وجود [ذو] قديمة في [عُمان] ... وفي العربية الشرقية والوسطى تجد [الذي]، وهي تدل على وجود [ذي] في مرحلة [ما] .

بهذه الطريقة ترتبط العربية الشرقية بالآرامية التي تجد فيها [ز لا ى] – المأخوذة عن / ذى ى /، وهي أقدم الصيغ التي حصلنا عليها .

" وهكذا يكون لدينا خط للتوزيع الجغرافي الذي يربط بن الكنعانية والآرامية ربطاً قوياً عن طريق الجزيرة العربية ... "[٢] .

وهذا التوزيع لا يقتصر على الربط بين قبائل طيىء والقبائل الشمالية التي قالوا بساميتها، بل هناك ربط متعدد ومتنوع في كثير من الخصائص اللغوية، ولا يقتصر على ما سبق – آنفاً – فقط، بل هو كبير جداً ولا يمكن حصره ... وكيف يحصر ما أصله لسان واحد، كهذه الخاصية التي سبق الحديث عنها في فصل الحروف، وهي صيرورة – انقلاب – [الهمزة] – [هاءً] عند بعض قبائل طيىء، كقولهم : [هنّ] في : [إن] و [لهنك] في : [لأنك] [٣] .

---

(١) شرح الكافية، لابن الحاجب، ٢/٤١

(٢) اللهجات العربية الغربية القديمة – رابين –، ص ٣٥٩ .

(٣) تاريخ آداب العرب، ١/١٣٨ ، مصطفى صادق الرافعي .

وعلى هذا يعلق أحد المستشرقين بقوله : (ومن العسير أن نقطع بأن هذا كان من التغير الصوتي؛ وذلك لأن [إن] الشرطية كانت تنطق في اللغة الأوجرتية [يهذء] أولى، وكذلك في الآرامية الإنجيلية والمنوية، والقطبانية ... كما يناظر [إن] العربية في العبرية [هِنّ]، ولا يبدو أن هناك قاعدة مطردة لتوزيع الصيغ ذات [الألف]، [والهاء] بحيث تغطي مختلف اللغات . ولكن الشيء المهم : هو أن لهجة طيىء تتفق مع السامية الشمالية في هذا الأمر ...) [1] .

وإذا كانت الطائية؛ تُشكّلُ خطاً للتوزيع الجغرافي الذي يربط بين الكنعانية والآرامية ربطاً قوياً واضحاً عن الجزيرة العربية ... وأنها كانت تتفق مع اللهجات – اللغات – السامية الشمالية : في صيغها وخصائصها ... فيا ترى ماذا يعني ذلك؟ – وهل –طيىء –وحدها اختصت بهذا الربط عند المستشرقين؟– أو أن هناك قبائل أخرى، كانت ذات أهمية وشأن كبير في ذلك الربط؟ ...

وعند الرجوع لأمهات اللغات واللهجات وتأملها جيداً نجد أن هذا الربط لم يكن يختص بقبائل طيىء وحدها، وإن ركز المستشرقون على ذلك؛ لأن هناك قبائل أخرى كانت ذات أهمية كبرى في هذا الجانب لا يمكن تجاهلها ... كقبائل الأزد، وما يدخل تحت مسماها من قبائل وفروع كثيرة جداً ... وقبائل قضاعة ولخم وجذام، وعبد القيس، وحمير ذات البعد الخطير في هذا الموضوع، وذلك بشهادة المستشرقين أنفسهم، الذين وجدناهم يقولون : (... إن الضمير المتصل إذا جاء في وسط الكلام في لهجة [الأزد] فإنه يكون ساكناً دون ضمة؛ مستشهدين على ذلك بما قاله ابن جني وما ذكره ابن دريد من شعر لبعض شعراء أزد :

فبت لدى البيت الحرام أخيله

ومطواي مشتاقان لهْ ... الخ

---

(١) العربية الغربية القديمة – رابين –، ص ٣٥٦ .

فقد جاء الضمير المتصل في : [له] بالسكون ... ويعود على [الرعد] ... ويعلق ابن دريد على تسكين الضمير في : [له]؛ بأن هذه هي لهجتهم [الأزد] [١] ويقول : والضمير [هـ] إذا حرك يختل وزن البيت ... وبهذا يكون عدم التحريك سوى اتباع ما جرى عليه العرف في [اللهجة] ليس ضرورة شعرية ... ويعلق رابين بقوله : وتقصير الحركة، ثم حذفها من [له] – كما هو في البيت مخالف للقاعدة التي شرحها : [فيشر] ...ولكنه موافق للقواعد التي جرت عليها الآرامية القديمة ... ولم تكن (أزد) فريدة في هذا الصنيع؛ إذ لم يقتصر الأمر على تسكين بعض القراء المعروفين، بالوقوف على أواخر الكلمات؛ من أمثال : حمزة وأبي عمرو؛ من قراء الكوفة؛ ولكن أبا جعفر المدني كان يفعل ذلك أيضاً، ويؤخذ عن الكسائي : أن هذا كان يحدث – أيضاً – عند قبيلتي عقيل وكلب؛ وهما من القبائل التي كانت تتكلم لهجة شرقية، وينقل لنا سيبويه بيتاً في الشعر في هجاء [عنزة] – الذين كانوا يسكنون اليمامة، ثم انتقلوا إلى الصحراء السورية، وفي هذا البيت نجد الظاهرة السابقة نفسها .

أما الصورة التي كان عليها هذا الضمير في لهجة [لخم] – أو لهجة [عبد القيس]؛ فيظهر فيها الضمير ساكناً وقبله ضمة، وهو شبيه الضمير نفسه في العبرية، الذي يظهر في ضمة طويلة ؛ كانت في العبرية القديمة ضمة طويلة بعدها – [هاء] ...] يقول رابين : " ولن نخرج بنظرية محددة من دراسة التوزيع اللهجي لهذا الضمير في صورته المختصرة : [هـ] – لأننا لا نعرف حركة الضمير في العربية الأقدم ... ولكن الأماكن التي كانت يستعمل فيها الضمير المختصر، تعطي انطباعاً بأنه بقية من منطقة قديمة محددة "، ويقول – أيضاً – : " وفي خارج الجزيرة – العربية – لا يشبه هذا الضمير إلا الضمير الآرامي الذي يكون في صورة [كسرة] – طويلة ممالة بعدها [هاء] ... وقد كان هذا الضمير في الأصل : [هاء] ساكنة؛ أضيفت إلى [كسرة] تمثل حالة التمام التي كانت علامتها [كسرة] – كما تعرف من

---

(١) باختصار وتصرف من اللسان : ٢٠/٣٧٦، والجمهرة، ٣/١٠٨، شرح الكافية : ٢/١١، صفة جزيرة العرب، ص ١٦٤ – ١٧٢، سيبوية ٢/٣١٣ .

النقوش المسمارية القديمة ... وفي لهجة الفلاحين السورين والفلسطينيين؛ ترى شبيهاً لهذه : [الكسرة وهي [كسرة] نصف ضيقة، و[كسرة] ضيقة بعدها : [هاء] ... "[١] .

وإذا كان استعمال هذا الضمير لم يكن شائع الاستعمال لدى كل العـرب ... بل لدى مجموعة قبلية محدودة داخل الجزيرة العربية – وهي منطقة قديمة جـداً – وأن هذا الاستعمال قد وجد لدى قبائل أخرى؛ خارج الجزيرة العربية... قبائـل قـد أطلق عليها أسماء غير أسمائها لتغييب أصولها وقطعها عن الجذور العربية –لأمـر (ما) في نفس يعقوب –؛ كالكنعانية والآراميـة والعبريـة والآشـورية والبابليـة، والآكادية، وغير ذلك من الأسماء المتعددة، فهل يعني هذا أن تلك القبائل التي وجدت خارج الجزيرة العربية :كانت هي صاحبة الأصل في الاستعمال؛ وأن من وجد داخل الجزيرة العربية قد اخذوا هذا الاستعمال منهم؟ لكن الحقيقة – التي سبق أن رأيناهـا – حتى من المستشرقين أنفسهم؛ من بداية هذه الدراسة إلى هنا – وما سيأتي بـإذن الله تعالى – تقول : بالعكس؛ لأسباب كثيرة جداً، منها أن هذه المنطقة التي أشـاروا إليها كانت هي أصل هذا الاستعمال، وصاحبته، وهي داخل جزيرة العرب ... وأنها كانت قديمة جداً ... وهذا ما أشاروا إليه سابقاً، ولذلك تكون تلك المنطقة هي صاحبة الاستعمال السابق؛ لأن هناك ما يؤيد ذلك : وهو وجـود قبائـل لا زالـت تحـتفظ بعروبتها وتسميتها حتى في خارج جزيرتها العربية، وتعيش مع بقية أخواتهـا مـن القبائل الأخرى التي غيروا في تسمياتها الأصلية بصفات ترتبط بها لأمـور هـدفوا إليها كالآرامية والكنعانية ... إلخ، أما تلك فبقيت محافظة على تسمياتها، ومن هـذا السؤال إلى آخر، هو : ترى أين تقع تلك المنطقة القديمـة؟ ومـاذا يعنـي اتفـاق خصائصها اللسانية مع خصائص القبائل الأخرى خارج جزيرة العرب؟ . ومن هنـا ينشأ سؤالآخر : وهو : ترى أين تقع تلك المنطقة القديمة ؟ ... وماذا يعنـي اتفـاق خصائصها اللسانية مع خصائص القبائل الأخرى خارج جزيرة العرب ؟ ...

وإجابة على هذه الأسئلة ستكون بداية للفصل السابع بإذن الله تعالى ... فمع الفصل السابع ...

---

(١) اللهجات العربية الغربية القديمة، باختصار وتصرف – رابين –، ص ١١١ – ١١٤ ".

الفصـــــل السابع

قبائل طيء والمنطقة القديمة

١) تمهيد

٢) طيء بين الجرف والجوف

٣) (أم) بين الاستعمال الطائي وقبائل الجرف

٤) (أم) طائية لهذه الأسباب

٥) (ذي) بين طيء ووادي الجرف

٦) طيء داخل شمال الجزيرة وخارجها

٧) طيء خاصية التلتلة

٨) ضمير الغيبة المتصل بين الأزدية وأهل اللهجات الراحلة

٩) طيء والسريانية

القبائل الطائية وأخواتها كالطائية وأخواتها؛ التي ظلت تستعمل الاستعمال نفسه ... ورأينا أنها –أيضاً– من المنطقة عينها التي أشاروا إليها، كانت قد رحلت ... وهذا يعني أن الطائية –وأخواتها– تمثل حلقة وصل وربط بين الآرامية وأخواتها خارج جزيرة العرب، ومنطقة هذه الخصائص اللغوية داخل جنوب جزيرة العرب، بل وتؤكد أن جميع تلك القبائل هناك؛ هي راحلة أصلاً من هذه المنطقة، وما حولها ألم يقولوا إن الكنعانية كانت تشارك قبائل طيء في صيغها وخصائصها اللغوية – كما سبق – في استعمالهم لهذه الصيغة الفعلية : [التي يقلبون فيها الياء ألفاً ... كقولهم في بقي : [بقى] ... وفي [فني ... فنى] ... لدى طيء ... وهذا الذي كان يحدث عند طيء وحارث – وبقية أخواتها – إنما هي بقية من العربية الغربية القديمة ... وكانت تشارك فيه الكنعانية ...) ... أفلا تعني هذه المشاركة اللسانية ... المشاركة المكانية قديماً –؟ – وهنا ينشأ هذا السؤال :

قبائل طيء والمنطقة القديمة :

ترى أين تقع تلك المنطقة القديمة – التي أشار إليها مؤرخو الساميات؛ داخل جزيرة العرب؟ وماذا يعني اتفاق خصائصها اللسانية مع خصائص القبائل الأخرى خارج جزيرة العرب؟ .

ورغم صعوبـــة المداخلة مع هذه المحاور؛ نظراً للعبث والتشوية الذي لحق بالتاريخ العربي قديمـــه وحديثه، عن قصد كان ذلك أو عن غير قصد ...؛ إلا أننا لن نيأس من دخول هذا الخضم ، يدفعنا توكلنا على الله، ثم إصرارنا على تجلية الحقيقة التي حـــاول الآخرون دفنها، رغم تصريحاتهم التي تخرج عنهم بين الحين والآخر، كقولهـــم: (إن تقارب خصائص لهجات تلك القبائل داخل جزيرة العرب وخارجها يعطيهم انطباعاً – أنها– تلك اللهجات – بقية من منطقة قديمة محددة)[١].

وإن أكبر تلك القبائل – التي اعتبرناها حلقة وصل – وأكثرها اتساعاً وشمولاً؛ هي قبائل : طيء وقضاعة والأزد وحمير، وقبائل كثيرة تندرج تحت هذه المسميات الكبيرة .

---

(١) رابين اللهجات .

ولتكن انطلاقتنا في الحديث عن قبائل تلك المنطقة القديمـــة؛ من قبيلة طيء ... فأين كانت تسكن قبائل طيء قبل خروجها من جزيرة العرب؟ ... وبالرجوع نجد أن بعض المراجع تقول إن طيء : (كانت تسكن بالجرف من أرض اليمن، وهـــي اليوم محلة مراد وهمدان، وكان سيدهم يومئذ : (أسامة بن لؤي بن الغوث بن طيء، وكان الوادي – الجرف – مسبعة، وكانت [الأزد] قد خرجت منه أيام سيل العرم ... واستوحشت طيء فقطعنوا على أثرهم...)(١) .

وهذه أول إشارة تاريخية تشير إلى مكان سكن قبائل طيء في اليمن قبل خروجها إلى شمال الجزيرة العربية ...

وقولنا : إن هذه الإشارة التاريخية، هي الأولى التي تشير إلى سكنى طيء قبل خروجها، لا يعني أنها – فعلاً – أنها الأولى التي أشارت إلى مكان سكنى طيء ... طبعاً هذا غير صحيح؛ وإنما قصدنا بأوليتها؛ أي أنها الإشارة التاريخية الأولى التي وردت وهي تخالف كل الإشارات السابقة واللاحقة لها، حول حقيقة السكنى الطائية قبل خروجها، وكان المأمول أن يعول عليها، وأن تكون أكثر تحقيقاً وتمحيصاً، لما أشارت إليه ... ولكن للأسف يكاد يكون إجماع الجميع –تبعية– على أول رواية وردت تشير إلى مكان سكنى طيء؛ التي قالت : "إن سكنى طيء كانت (بالجوف) من أرض اليمن، وهو اليوم محلة مراد وهمدان، أي في وادي ضريب من أرض الجوف ... "(٢) .

وهنا نلاحظ أن الخلاف بين الروايتين ليس كبيراً ...؛ لأنه يدور حول لفظة واحدة : هي في الرواية السابقة :[الجرف] ... وفي هذه الرواية : [الجوف]، وبالرجوع تجد أن الأكثرية من مؤرخي العرب القدامي تكاد تجمع على لفظة [الجوف] .

---

(١) ابن خلدون، ص ٤٥ – ٢/٤٦

(٢) ياقوت : ١/١٣٠، البكري معجم ما استعجم (ضريب)، ٣/١٩٠، صفة جزيـرة العـرب – الهمداني – ص ٤٢٣، ابن الأثير، الكامل، ١/٣٥٤ ، اللهجات العربية القديمة، رابين، ص ٣٤٢، وغيرها كثير .

ورغم شبه الإجماع العربي على [الجوف] ... إلا أنني أميل لما أورده ابن خلدون في كتابه [العبر] ... من أن السكنى كانت بالجرف لا الجوف، رغم أحادية رأيه، لكن ما يدفعني إليه هو أسباب كثيرة ... فما هي تلك الأسباب؟ .

طيء بين الجرف والجوف :

والحقيقة أن الأسباب التي دفعتني لذلك هي كما قلنا كثيرة منها – مثلاً – : أن المنطقة القديمة، التي أشار إليها المستشرقون أنها [محددة]، وكانت تضم مجموعة الخصائص اللسانية لمجموعة من القبائل العربية القديمة – التي منها طيء –؛ تؤكد لنا أن مركز طيء الأساسي لم يكن [الجوف]، وإنما هو : (وادي الجرف) – كما أشار ابن خلدون ...؛ لأن القبائل المشتركة مع طيء في تلك الخصائص : [تفسر لنا اشتراك الجميع في الأصل والموطن ...](1)، ومن تلك القبائل التي أشاروا إلى سكناها، مع طيء في موطنها، – كما رأينا – الأزد، ومعلوم أن الأزد كانت أزدان، أي (أنهما قبيلتان)، وكانتا ينتشران في مكانين واسعين ... <u>**الأولى**</u> : أزد السراة – شنوءة – ... والثانية أزد عمان : وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه حول مكان سكنهم، وهو أن تلك السكنى كانت بوادي الجرف لا الجوف، وهذا الوادي يوجد بالمنطقة الجبلية التي يدور حول لهجاتها هذا البحث – بجنوب جزيرة العرب – أي حول [فيفا وبني مالك] وما حولهما ... وهذا يؤكده بداية ما سبق أن رأيناه من تطابق خصائص لهجات قبائل هذا الشريط الجبلي – بواديه – وبين لهجات قبائل طيء وأخواتها ... وهذا يدفعنا –أيضاً– لأن نسأل : هل كان – فعلاً – في هذه المنطقة وادٍ يقال له : (وادي الجرف)؟ ... وقد توجهنا بهذا السؤال لأحد أبناء منطقة [فيفا] ... فأجابنـــا

---

(١) اللهجات العربية الغربية القديمة، رابين، ص ٣٤٢ .

بقوله :[جرفا، أو جرفي –مُمالة–؛ هو أحد الأودية المهمة التي ترفد وادي جورا][1] وإذا كان وادي (جرفا)، لايزال موجوداً على الطبيعة الجغرافية في هذه المنطقة؛ فهذا شيء يؤكد أن هناك [تصحيفاً]، كان قد حصل للفظة [الجرف]؛ إلى لفظة [الجوف] ... لأسباب كثيرة جداً، منها أن لفظة [الجرف] لم تكن مشهورة عند جل من كتبوا التاريخ العربي قبل ابن خلدون، ولا غيره بعده؛ لأن كتابته – التاريخ – كانت قد جرت في أماكن بعيدة عن جنوب جزيرة العرب، وأن جل من كتبوه كانوا شماليين قبل ابن خلدون – ما عدا الهمداني؛ وهذا – أيضاً – لم يصل إلى هذه المواقع في زمنه لبعدها عنه، ولوعورة مسالك الوصول إليها، وأيضاً لأن الكثير مما كتبه وصل إليه سماعاً، وربما أيضاً حصل تصحيفاً، في النقل إليه أو عنه ... ثانياً : إن لفظة (الجوف) هي قريبة في شكلها من شكل لفظة [الجرف]؛ لأن الحروف متفقة بين اللفظتين، ما عدا حرف واحد، وهو الحرف الثاني منهما؛ إذ هو [واو] في لفظة [الجوف]، [وراء] في لفظة [الجرف]؛ وهما متقاربان مخرجاً ورسماً، وهذا ما سهل أمر التصحيف بينهما، ولأن لفظة [الجوف] كانت أشهر من (الجرف) لدى من كتبوا التاريخ؛ لالتصاقها بتاريخ [معين]، وقربها من سبأ سهل – أيضاً – ترجيح شهرتها على شهرة لفظة [الجرف]؛ فكتبوها [الجوف]؛ خصوصاً إذا علمنا أن هناك روايات كانت تقول إن الهمداني : (قد استدرك على خبر هجرة طيء بعد الأزد؛ بقوله : وعندي أن طيئاً خرجت قبل الأزد بدهر طويل ...)[2] .

وإذا كان الهمداني؛ قد استدرك على من قال بخروج طيء بعد الأزد ... فهذا يعني أن زمن خروجها – طيء – كان موغلاً، مما جعل تحديده مجهولاً، وإذا كان زمن خروجها مجهولاً، فمن باب أولى أن يجهل اسم المكان، ويصار إلى نطق المشهور يومها هو [الجوف]، والجوف شكلها قريب من لفظة [الجرف]، فليس غريباً أن يصار إلى لفظة [الجوف] . وعندي أن الموجة الأولى لخروج بعضٍ من بطون

---

(١) محمد بن مسعود الفيفي، تسجيلاً صوتياً .

(٢) الهمداني، الدافعة، ص ٢٣٤ .

طيء وفروعها، كانت مع خروج موجات القبائل العربية الأولى، في زمن تفرق قبائل عاد، أي مع خروج من سموا بالفينيقيين والكنعانيين، ومن كان معهم أو بعدهم، لورود ما يشير إلى أن : [جلهمة بن الخبيري ... كان من ضمن الوفد الذي أرسلته [عاد] إلى [مكة] ليستسقي لهم ... إلخ)[1] . ومعلوم أن [الخبيري، هو بطن من بطون طيء ... وما دام أنه كان في وفد عاد، فهو منهم، أو أنهم كانوا متجاورين معهم، [وجهلمة] – هو اسم لطيء، أي أنه كان منهم ...)[2] .

ومن كل ما سبق نستطيع أن نقول : (إن خروج طيء كان من وادي الجرف الذي حول فيفا وبني مالك – والعبادل وبني معين وبني ودعان والغمر ومنجد والريث والحشر وهروب، وكل ما حولهم، وأن آخر خروج لهم كان من وادي : (ضريب) بالجوف، مع أسامة بن لؤي بعد زمن تهدم السد ... وبعد رحيل جيرانهم الأزد ...) .

بدليل أن هناك بطوناً أخرى من بطون طيء كانت منتشرة في مواقع لا تبعد كثيراً عن (الجرف)، فهناك – مثلاً – : بنو عكوة (من ثعلبة بن جدعان، وقد كانوا يسكنون بموقع عكـــوة[3]، وهما جبلان قرب مصيدة، في بلاد بني الغازي، يقابلان الضلع الذي به : [الزرائب] في جبل بني حريص – (جبل امحشر – جبل الحشر)[4] موقع [عكوة] هذا، هو غير موقع [عكوة] التي تقع في أسفل [فيفا]، أي غرب [فيفا] وشرق مدينة صبيا – غور تهامة –، وهما جبلان أيضاً، وكلا الموقعين ذو خصوبة كبيرة جداً، يقول مؤرخ الجنوب محمد أحمد العقيلي عن [عكوة بني الغازي]، أو جبال بني حريص التابعة لجبال الحشر يقول : (هي من أرفع جبال منطقة جازان، وتجمع جبالها بين خصوبة التربة وتوفر المياه، في شكل عيون جارية وشلالات متدفقة، وبها تكثر خلايا النحل وتربيتها، وعسلها من أجود العسل ...)[5]

(١) ابن عاصم : الفاخر، ص ٨٢ وما بعدها، الواحدي، الوسيط في الأمثال، ص ١٠٤ .
(٢) شعر طيء، ١/٣٩٠
(٣) العقد الفريد، ٣/٣٩٩، وابن دريد، الاشتقاق : ٣/٩٩
(٤) المعجم الجغرافي، العقيلي، ص ٣٢٦ – ٣٢٧ .
(٥) المعجم الجغرافي، العقيلي، ص ١٧٩ .

أما [عكوة] – الثانية؛ فأرضها من أخصب أراضي المخلاف السليماني، وإذا اتجهت شرقاً، أو شمال شرق؛ حول حدود بني مالك وعسير، تجد موقع عتود ... وبه سكن عتود بن عنين الطائي؛ وهو موقع خصب، ومنه تجري مياه وادي عتود الممتد إلى البحر الأحمر عبر سراة عسير، وعلى مقربة منه – جنوب شرق – تقع جبال قيس، وكانت تسكنه فخوذ أو بطون من بني عتود يقال لهما : (القيسان، وهما قيس بن عتاب بن أبي حارثة؛ وقيس بن هرمة بن عتاب، وبني ظبيان ...)[1] وغيرها من مواقع هذه المنطقة التي سكنتها بطون متعددة؛ متفرعة من القبيلة – الأم – " طيء ".

وتلاحظ أن كل هذه المواقع تحيط بموقع وادي [جرف أو الجرف]، الذي كانت تسكنه قبيلة طيء – الأم – ... قبل خروجها من جنوب جزيرة العرب .

وحول هذا الوادي كانت تسكن مجموعة من القبائل؛ التي سبق أن اعتبرناها حلقة الوصل والربط، بين ألسنة أهل هذه المواقع في جنوب جزيرة العرب، وبين القبائل التي رحلت إلى شمال الجزيرة العربية وخارجها، وسميت بأسماء غير أسمائها كالكنعانية والآرامية وغيرهم؛ فمن ذلك – غير أزد السراة – قبائل سحار وجماعة، وهنا أكد على أن – قبائل سحار –، التي ورد ذكرها مع هذه القبائل – بالسين –، لا (بالصاد)؛ لأن التي [بالصاد] صحار، هي من ضمن القبائل التي توجد جهة عُمان؛ وذلك لأسباب كثيرة، منها : أن بطون قبائل (سحار) – بالسين – وجماعة، هي تنتشر عبر امتداد هذه المنطقة – التي نتحدث عنها بجازان – حتى جهات صعدة، إلى قرب حدود عُمان ... بل منهم بطون تحمل هذا الاسم إلى الآن في جهات العبادل، وبني ودعان وبني معين والغمر، وهكذا إلى جهات بني مالك وفيفا ... بل إن قسماً منهم يكونون جزءاً كبيراً من بنية سكان العبادل[2]، ثم إن مواقع هذه القبائل – سحار – هي أقرب إلى موقع طيء، سواء كانت (الجوف) – أو (الجرف)، من [صحار] عُمان، إذ هي بعيدة جداً عنها، واعتبار قبائل (سحار) المتواجدة في هذه المنطقة هي المقصودة بتوافق لهجتها مع لهجة قبائل (طيء) ومن خرج خارج الجزيرة أو شمالها، بل وتفسر لنا عدم صحة الرواية التي تقول : "إن

---

(١) شعر طيء، ٢٨، ٢٩، ١/٢٩، والعقيلي معجم، ص ٣٢١ – ٣٢٢ .

(٢) تسجيل مع – سلمان العبدلي – أحد أبناء العبادل .

السكان السابقين لسكنى بلاد (أجا وسلمى) كانوا يسمون (الصُحار)، وأن طيء قد تغلبت عليهم، وأخذت عنهم لغتهم ... وعلى هذا تكون لهجة طيء هي لغة (صُحارى) ... "[١] .

وأن الصحيح في هذا الاتفاق بين لساني القبيلتين؛ إنما جاء عن تجاور هذه القبائل حول موقع واحد، بل لو قلنا بغير هذا لوقعنا في حيرة؛ لاتفاق لهجة طيء مع قبائل الأزد، التي كانت تجاور طيء، كما رووا ذلك هم، وكذلك بلهجة القيوس - جبال قيس -، وقد رأينا آنفاً أن : [القيسان] هم أحد بطون عتود الطائية، التي كانت - أيضاً - تسكنان - بجبال قيس، أحد جبال هذه المنطقة وغيرها من قبائل حمير، كمراد وهمدان اللتان سكنوا هذه المواقع بعد رحيل طيء وأخواتها منها، بل ويفسر لنا الكثير مما التبس أمره على الكثير من المؤرخين عرباً ومستشرقين، حول اعتبار (الجرف) هي (الجوف)، ووجود سكنى كلا الأزدين قرب طيء؛ وذلك أن الأزد هما أزدان، أي أنهما كانتا قبيلتين تنتشران في مكانين واسعين؛ أي أن كل واحدة منهما كانت تمتد من مكان مقابل للآخر حتى يلتقيان مع بعضيهما، ولذلك كان كل فرع منهما يأخذ عموم المكان الذي يسكنه ... فهناك أزد - شنوءة - السرات، وأزد عُمان، تبعاً لاسم المكان؛ وإن كان الأب واحداً، ومعلوم أن منطقة عُمان، هي أقرب شهرة إلى الجوف، وإن كانت منطقة [الجرف] هي أقرب إلى [الجوف] جغرافياً، ولكن الشهرة غالبة كما يقولون؛ ولأن اسم عُمان ارتبط مع ذكر [الجوف]، لعلاقة معين بهما، أي لعلاقة الدولة المعينية بمدينة [ظفار] العمانية، والتي كانت من ضمن دولة [معين] كما قالوا عنهما ذلك ... ومن هنا نجد المؤرخين يتحدثون عن أزد عُمان أكثر من حديثهم عن أزد شنوءة - السراة - بل إن بعضهم قال: (ومن المشاكل الهامة التي تعترضنا؛ هو وجود قبيلتين تحمل اسم أزد، وهما أزد السراة شنوءة، وأزد عُمان ...)[٢] لذلك كان الأمر طبيعياً أن تكون لفظة [الجوف]أقرب إلى مداركهم من لفظة [الجرف]؛ لغلبة دلالة الأولى على إدراكهم، وجهلهم لدلالة الثانية

---

(١) ياقوت - المعجم - : ١/١٢٧، اللهجات العربية الغربية القديمة - رابين - ص ٣٤٢ .

(٢) اللهجات العربية الغربية القديمة، ص ١٠٥ .

... ومن كل ما سبق نستطيع أن نقول إن أزد شنوءة كانت هي الأقرب جواراً إلى مركز طيء – الجرف – سكناً؛ ولأن طيء كانت كثيرة الفروع، وأن بعضاً من تلك الفروع سكنوا أرض [الجوف]، أو أنهم : (امتدوا متوسعين في سكنهم – لكثرتهم – حتى حضرموت، وسكناهم في قصر [قشاقش] فـي وسطها، أو قصر [براقش] و [قينان] حتى وادي بهريق بيحان جنوب اليمن)[١] .

وهذا يعني أن [طيء] كانت تمتد ببطونها حتى [عُمان] ... وعلى هذا تكون [عُمان] داخلة في حدود المنطقة التي أشاروا إليها بأنها : (بقية لمنطقة قديمة محددة، كانت لهجاتها ترتبط بلهجات بعضها، بروابط وخصائص قوية ... وأن تلك الروابط تفسر لنا بطبيعة الحال الاشتراك في الأصل والموطن ...)[٢] .

وهذا يفسر لنا بعض أسباب التباس بعض المؤرخين، وادعائهم أن طيء أخذت لغة [الصحاريين] بتغلبها عليها ... ثم تشككهم في أمر [صحار] بقولهم : " ويوجد اسم (صحار) اسماً لبعض بلاد (عُمان)، ... كما يوجد في اليمن، بالقرب من صعدة، حيث توجد قبيلة تحمل هذا الاسم "[٣] .

وعندي، أن هذا التشكك لم يكن له أساس؛ لأن ما في عُمان، –صحار– هو [بالصاد] وما في اليمن [سحار] هو [بالسين] ... ومع ذلك نقول : إن هذا التشكك حصل لتوسع بطون طيء، وامتدادهم في سكناهم إلى [عُمان] وحضرموت وبيحان؛ لأن : صحار أو سحار، هي قبيلة واحدة، وكانت تنتشر بطونها عبر هذا الامتداد من [الجرف] و [الجوف] حتى عُمان، ويكون الاختلاف في [الصاد] و [السين] هو اختلاف نطق لهجات، وهذا وارد وموجود ولا عليه اختلاف، ثم إن ذلك –أيضاً– طبيعي؛ لأن هذا الامتداد كان يحوي –كما سبق– مجموعة من القبائل؛ على رأسهم – إضافة إلى طيء والأزديين وفروعها –، كانت تسكن معهم قبائل [قضاعة] – ذات البطون الكثيرة، بل ربما قد تكون أكثر من طيء والأزد مجتمعة، وهذا ما رواه

(١) صفة جزيرة العرب، الهمداني، ص ١٧٥ – ٢٠٦ .

(٢) اللهجات العربية القديمة – رابين – ص ٣٤٢ .

٣) صفة جزيرة العرب، الهمداني، ص ١١٩ .

التاريخ عنهم بقوله : (إن [صحار] كانت جزءاً من قضاعة، وأنهم كانوا يمثلون بعض فروع من قبائلها ...)[1] .

ومن هذا كله نخرج أن [الجوف] لم يكن هو المركز الرئيسي لسكنى طيء - الأم -، وإنما كانت امتداداً لسكنى مجموعة من بطونها انتشرت من [الجوف] التي كانت ترتبط [بالجرف] مركز سكنى طيء - الأم - إلى حضرموت فبيحان جنوب شرق؛ إلى صعدة شرقاً، فعُمان شمال شرق، متداخلة مع مجموعة من البطون والقبائل الأخرى التي كانت تشاركها سكنى هذه الامتدادات؛ لأنا لو قلنا بعكس هذا سنجد أن الكثير من القبائل التي كانت تشترك مع طيء في جل صيغها وخصائصها اللغوية؛ تخرج عنها؛ كقبائل أزد السراة، وأزد عُمان، وقضاعة وحمير ذات القبائل والبطون الكثيرة، وقبائل قيس وأمثالها؛ لأن بمجموع هذه القبائل وبطونها تتحد تلك المنطقة القديمة التي أشاروا إليها سابقاً ... كذلك ليس هناك فائدة تذكر لدراسة خصائص هذه القبائل، ومن ثم تفقد خاصيتها كحلقة مفقودة تربط خصائصها بخصائص لهجات القبائل التي سبقتها في رحلتها إلى شمال الجزيرة وخارجها، بخصائص من بقي منها جميعاً بهذه المواقع نفسها هذه المنطقة في جنوب الجزيرة العربية؛ والتي لا يزال سكانها إلى وقتنا الحاضر يتداولون تلك الخصائص اللغوية، كما لو كان الكثير من أولئك الراحلين يعيشون معهم إلى الآن، وعندي أن مما يؤكد سكنى طيء (بالجرف) أن هناك خاصية لسانية؛ لا زال الكثير من مؤرخي اللغات السامية - عرباً ومستشرقين - في حيرة من تشخيص نسبتها، وأظن أن قبائل موقع [الجرف] - سيكون عندهم الحل، وهذا الحل ينطلق من الخصائص الكثيرة التي يشترك في استعمالها قبائل مواقع : [الجرف] وإلى الآن، مع قبائل طيء وأخواتها - التي كانت تسكن هذه المواقع قديماً، فمن تلك الخصائص - مثلاً - خاصية [أم] ... فإلى الحديث عن خاصية (أم) ...

---

(١) المعجم - ياقوت - ٣/٣٦٨ .

(أم) ببين الاستعمال الطائي وقبائل الجرف :

وعن هذه الأداة [أم] واستعمالها كأداة للتعريف، فقد : "ذكرت مصادر متعددة أن استعمال [أم] أداة للتعريف؛ هي من مميزات لغة حمير؛ وقد ورد هذا الاستعمال في نقوش الهمداني ... ولكن وجود هذه الأداة – أم – في لهجة [طيء] يمنعنا من افتراض أنها قد نشأت في الحميرية، ثم انتشرت في لهجات القبائل العربية الأخرى ... وعلينا أن ننتظر حتى تتضح لنا العلاقة بين العناصر العربية في لهجة حمير، والعربية الغربية .

وعلى أي حال؛ فقد كانت الأداة في اللحيانية العربية؛ وهي اللغة "الأم : [هن]، ووجود هذه الأداة في الحميرية لا يكون دليلاً على كونها عربية غربية في الأصل "(1) .

وإذا كان المؤرخون في حيرة من أمر هذه الأداة [أم]، أحميرية هي، لوجودها في لهجاتها، ولذلك اعتبرها البعض من مميزاتها؟ - لكن هذا الرأي لا يعتد به من يرى أنها كانت مستعملة في كل اليمن من جنوبه حتى شماله ... وهذا طبعاً لا يتفق وواقع الأدوات التعريفية الأخرى، التي كانت تستعمل في مواقع كثيرة : (كالهاء، أو [ن، إن] أو [الواو] المنقلبة عن الهمزة التي توضع في آخر الكلمة، أو [أل] وغير ذلك، في حين نرى منهم من يمنع اعتبارها حميرية ... ولوجودها مستعملة في لهجة [طيء]، ومنهم -كما رأينا- من يفضل الانتظار حتى تتضح العلاقة بين الكثير من العناصر اللغوية بين الحميرية ولهجات القبائل الغربية الأخرى، والتي منها – طبعاً – طيء .

أم طائية لهذه الأسباب :

وعندي أن هذه الأداة : [أم] هي من أهم خصائص لهجة طيء [الأم]؛ وذلك لأسباب كثيرة، منها : أن هذه الأداة [أم] لا تزال مستعملة بكثرة في موقع وادي الجرف، الذي تقع حوله – الآن – قبائل فيفا وبني مالك وما حولهم، وهذا ما أثبتته

---

(1) اللهجات العربية الغربية القديمة – رابين – ص ٩٩ .

اللقاءات الميدانية في هذه المواقع، يقول أحد أبناء جبال فيفا : " ... وأداة التعريف في لهجة فيفا هي : (أم) التي تستعمل بدل : (أل) ..."[١] .

وإذا كانت مواقع وادي الجرف لا زالوا يتوارثون هذا الاستعمال إلى الآن، أفلا يؤكد استعمال من كان يسكن بهذه المواقع قديماً؟!!! ... وهم الطائيون، لأن هذا الاستعمال (أم)، وجدنا من كان يؤكد نسبته إلى قبائل (طيء)، ويستبعد استعماله لدى الحميرين بقوله : (إن الطمطمانية كانت عند بعض عشائر طيء، أي أنهم كانوا يعرفون بالألف والميم ...، ولعل في ذلك ما يدل على صحة ما ذهب إليه النسابون من أن طيء هي قبيلة يمنية، وكانت تعرف (بأم)، لأن حمير لم تكن تعرف بالألف والميم، وإنما كانت تعرف (بأن – ن)، التي تضعها في أخر الكلمة المراد تعريفها، لا في أولها)[٢]، وعلى هذا (فأم) هي طائية .

وإذا كان النسابون قد أخذوا هذا الاستعمال دليلاً على نسبة القبائل الطائية إلى اليمن، أفلا يكون هذا الاستدلال منهم كان لوثوقهم من أصالة استعمال (أم) في لسان طيء ...؟ .

وهذه الأصالة (أم) في اللسان الطائي، يؤكد حقيقة سكناها القديم بالمواقع التي لا تزال أحفاد من رحل منهم يستعملونها إلى وقتنا الحاضر، لأن طيء (الأم) رحلت من مركزها الرئيسي قديماً، وهو وادي الجرف بجنوب جزيرة العرب، ولم يبق منها إلا بعض العشائر المتفرقة هنا وهناك عن مركز سكنى أمها (طيء)، ولذلك رأيناهم يعيدون هذا الاستعمال إلى حمير، في الوقت الذي أكدوا فيه أن حمير (الأم) كانت تستعمل (إن – ن) في تعريف كلامها، ولو أنهم عادوا لما قالوه عن طيء في بداية حديثهم وتأملوه، لما وقعوا في هذه التناقضات والحيرة، ألم يقولوا : (انت

---

(١) لهجة فيفا – محمد بن مسعود الفيفي، ص ٨٨ .

(٢) العصر الجاهلي، شوقي ضيف، ص ٢٣ .

طيء تسكن الجوف أو – الجرف – من أرض اليمن، وهو اليوم محلة مراد وهمدان)[1] .

وإذا كانت المواقع التي كانت تسكنها طيء قبل رحيلها، قد أصبحت سكناً لقبائل مراد وهمدان، ومعلوم أن مراد وهمدان هما من مجموع القبائل التي كانت تنسب إلى حمير، أفلا يعني هذا أن استعمالهم (لأم) كان لاختلاطهم بأبناء المواقع الأصلية مع طول الزمن، أو حتى لتبعية المغلوب للغالب، مع طول الزمن واندماجهم مع من بقي من عشائر طيء، ولأن المنطقة أصبحت مع تكاثر الحميرين بها ورحيل من بقي من عشائر طيء، ظن من أرخ في وقتنا الحاضر من المؤرخين لهذه المنطقة، أن خاصية التعريف (بأم)، هي خاصية حميرية، لأنه لم يعد هناك ذكر للطائيين بها ... وهذا ما أوقع الكثير منهم –المؤرخين– في حيرة، ولكن وجود تعريف جل القبائل الحميرية بأداة هي : (إن – ن)، وكونها – أيضاً – هي الشائعة والغالبة في ألسنتهم، أكد عدم أصالة : (أم) في ألسنة من كان يعرف بها، وهم ينسبون إلى حمير في نسبهم، وهذا ما دعا الكثير من النسابين، أن يجعلها (أم) دليلاً على يمنية طيء ... وهذا الكلام ينطبق على كل المواقع الممتدة داخل اليمن، ووجد أنها كانت تعرف (بأم)؛ لأنا نعرف أن طيء – كما سبق – كان لها حضور إلى دخل حضرموت، وغرباً إلى بيجان وما حولها إلى عدن، وكل هذه المواقع أصبحت بعد رحيل الطائيين إلى حمير، وهذا يفسر لنا وجود الكثير من العناصر اللغوية التي وجدت مشتركة بين الحميرية، وبين لهجات القبائل التي أسموها بالعربية الغربية، ومنها طيء وبقية أخواتها، وهذا كله يؤكد لنا – أيضاً – أن (أم) كانت خاصية طائية، وسبق أن قلنا أن (أم) لا زالت مستعملة في ألسنة بطون وعشائر منطقة الجرف استعمالاً أصيلاً إلى وقتنا الحاضر، أفلا يؤكد هذا كله أن طيء –الأم– كانت تسكن مركز الجرف، ورأينا أن كل نُقُول التاريخ (رواية ونقوشاً) تؤكد أن كل الأمم

---

(١) المعجم – ياقوت – ١/١٣٠، المعجم – البكري – ٣/١٩٠ صفة جزيرة العـرب ص٣٢٤، الكامل لابن الاثير : ١/٣٥٤ .

التي سكنت منطقة الجرف لم تعرف كلامها بأي أداة غير (أم)، بعكس منطقة (الجوف) التي تؤكد الدراسات والنقوش أن كل من سكنوها من معين إلى أخرهم الحميرين، كانوا يعرفون كلامهم : (بأن – ن) .

وعلى هذا تكون منطقة الجوف هي من المواقع التي كانت تعرف(بأن–ن)، لا (أم)، لأن : (أم) خاصية (جرفية)، ومعلوم أن (طيء) كانت تسكن هذه المواقع (الجرف)، وثبت – كما سبق – أنها كانت تعرف (بأم)، (فأم) على هذا كله هي خاصية طائية، أما بعض ما يقوله بعض المستشرقين من أن (أم) في طريقها للاختفاء لدى البقية التي بقيت تستعملها بقلة – قولهم – أنها قد اختفت ولم تعد مستعملة في اليمن الوسطى؛ لأنا – قولهم – لم نجدها بين المادة التي نقلها لنا جويتين ومتفوخ[1]، وطبعاً هذا القول غير صحيح، لأن (أم)، لم تكن أصلاً مستعملة استعمالاً أصيلاً في المواقع التي أشاروا إليها، وإن وجدت قديماً لدى بعضهم، كما ورد، لأن ما ورد يعني أن وروده كان يدور في ألسنة البطون الطائية التي كانت تسكن في تلك المنطقة التي رحلوا إليها في أثناء امتداد القبائل الطائية التي وصلت حتى حضرموت وبيجان كما قلنا، ولكن برحيلهم لحوقاً بأمهم التي رحلت إلى شمال جزيرة العرب وخارجها، أدى ذلك إلى اختفائها من تلك المواقع نثراً لتظل متداولة فيما خلفوه من شعر، بقي يروى في تلك المواقع وخصوصاً شعر الزوامل، الذي حدا (بلاندبرج) لأن يقول : (أن هذا الاستعمال – يعني استعمالها في شعر الزوامل – يحمل على الظن أنه خاص بالصيغ الشعرية القديمة لا بالنشاط اللغوي)[2] وهذه الإشارة من (لاندبرج) تؤكد ما أشرنا إليه أنفاً، وهو أن من كان يستعمل تلك (الأداة) في كل كلامه شعراً ونثراً قد غادروا من تلك المواقع أما زواملهم التي كانت تردد في أيامهم فبقيت تتداول بين من صهروا إليهم وقاربوهم، وأصبحت بينهم وشائج قربى ورحماً، فظلت أشعارهم – زواملهم – تردد بينهم، تحمل ذكراهم بين ذوي

---

(١) اللهجات العربية الغربية – رابين –، ص :٧٥ .

(٢) اللهجات العربية الغربية، – رابين –، ص ٧٥ .

القربا، أما منطقة الجرف التي كانت وما زالت المقر الرسمي، لاستعمال (أم)، فقد بقي استعمالها في كل نشاطها اللغوي، شعراً كان ذلك، أو نثراً، كما لو أنها كانت في قديمها[1] .

وهنا حقيقة يجب أن نشير إليها، حتى لا يقع القارىء في حيرة مما أشرنا إليه، وهذه الحقيقة هي : إن قبائل طيء، ومواقع سكناها القديم – الجرف – الذي تسكن به قبل رحيلها، لم يكن استعمالهم : (لأم)، هو الاستعمال الذي انفطرت عليه ألسنتهم بداية، أي الاستعمال الذي ولدت عليه ألسنة طيء في مراكز سكناها في جنوب جزيرة العرب ....، لأن استعمالهم الذي انفطرت عليه ألسنتهم بداية كان هو الاستعمال الذي كانت عليه كل ألسنة قبائل العرب، وهو استعمال اللسان المبين – الفصيح – وهو أداة (أل) ... أما (أم)، فقد ولد استعمالها على ألسنتهم مع ميلاد تبلبل الألسن وبداية التباين والاختلاف بين ألسنة القبائل – كما سبق الحديث عنه – بدليل أن أحد أبناء فيفا، أحد المواقع التي كانت تابعة لسكنى طيء في منطقة الجرف، يقول: " إن شعر الزوامل من الألوان التراثية التي كانت تنشد في حفلات المناسبات كالزواج، والختان ... إلخ، مثل :

يا مرحباً قوم العبيدي لوقهم ولام   من شارخ الدمفرة والمجوة واللمزام

(وامَسْربهْ) و (أمْدَعر)

وأياقي أحقاف وامجلل ....)[2]

وفي هذا الشاهد تلاحظ استعمال (أم) في شعر الزوامل بكثرة، بل تلاحظ أمراً أخر، وهو استعمال الشاعر : (لأل) مع (أم)، وإن كانت (أم) أكثر وروداً واستعماله (لأل) مع (أم)، هو : إما لأن الشاعر كان متأخراً – معاصر –، وقالها (أل) متأثراً بلهجة القرآن الكريم – أم العربيات –، التي تعتبر (أل) من أهم خواصها، وهنا لا غرابة إن وردت على لسانه، وإما لأنه كان في طيء (التي كانت

---

(١) لهجات فيفا – مخطوط، ص : ١٣١ .

(٢) لهجات فيفا وفنونها الشعبية، محمد بن مسعود الفيفي – مخطوط –، ص : ١٣١ .

تسكن منطقة الجرف) بطون بقيت ألسنتها تحافظ على نطق الفصحى (أم كل اللهجات العربية) بين من تبلبلت ألسنتهم من البطون الطائية الأخرى، وهذا أمر يؤكده ما ذهب إليه الكثير من مؤرخي اللغات الساميات – والفصحى خصوصاً –، بقولهم : (... إن طيء قد لعبت دوراً هاماً في الحركة الأدبية التي نتجت عنها العربية الفصحى، لأن هذا ثابت من العدد الكبير للشعراء الطائيين الذين قَبِلَ اللغويون كلامهم مقياساً للصواب العربي ...)[1] وسيأتي الحديث عن هذا – إن شاء الله تعالى – .

ذي بين طيء ووادي الجرف :

ثم إن (أم)ليست هي وحدها التي تربط قبائل طيء بمنطقة وادي الجرف، بل هناك خصائص لسانية كثيرة اختص بها لسان طيء هي لا تزال تنطق في منطقة وادي الجرف، كما كانت تنطقها طيء وبعض ممن كان يجاورها، أو سكن في بعض مواقعها بعد رحيلها، إلى وقتنا الحاضر : (كذو – وذي)، التي سبق أن تحدثنا عنها قبل خاصية (أم)، وكذلك كيف كانتا تنتشران في قيفا والعبادل وبني ودعان وبقي مالك وغيرهم، – وأظن أن في هذا الاستعمال : (لأم) و (ذي) في هذه المنطقة قديماً وحديثاً رداً شافياً على من قال إنه : "... لا يفهم من أقوال علماء اللغة عن لغة طيء، إنها كانت ذات صلة بالعربيات الجنوبية؟ وأما ما ذكروه عن (ذي) التي نعتوها : "بذي الطائية، فليس لها صلة (بذ) – الواردة في العربيات الجنوبية، وإنما هي سمة خاصة بلهجة (طيء) التي هي من العربيات الشمالية، أو من مجموعة عربية (أل) في اصطلاحي الذي أطلقته على العربية الشمالية، لامتيازها بأداة التعريف (أل) عن بقية اللهجات العربية التي استعملت أدوات أخرى للتعريف، ولهذا فإن قبيلة طيء هي قبيلة عربية من القبائل المتكلمة لعربية (أل)، وإن عد النسابون نسبها من الجنوب ... "[2]، وطبعاً هذا القول غير مقبول، لأن قائله لم يستقص كل ما ورد عن العرب شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً، وإن وضع العاجزون أسباباً لذلك عللوا

---

(١) اللهجات العربية الغربية – رابين – ص ٣٤٣ .

(٢) المفصل – جواد علي –، ص : ٨/٥٩ .

بها عجزهم، وأيضاً – أن هذا القول لم يكن مبنياً على بحث ميداني – ولم يصل إلى هذه المنطقة التي نتحدث عن لهجاتها بجنوب جزيرة العرب، إذ لو أنه وصل إليها لسمع أنهم يقولون في فيفا وبعض ما حولها : " إن : (ذيَّ) أو (ذِ) يستعملونها موصولة للمفرد القريب ذكراً، كان ذلك أو أنثى، و (ذي) للمتوسط البعيد، ذكراً أو أنثى أيضاً، وهناك غير ذلك في فيفا في أماكنه، وإن كان قد سبقت الإشارة إليه[1]، أما في العبادل وبني ودعان والغمر فقد رأيناهم يستعملون : (نو)، وبعضهم يستعمل : (ذَيْ) أو (ذيًا) "[2] .

أما قضية (أل) فقد سبق أن رأينا آنفاً، كيف كانوا يستعملونها (أل) إلى جانب (أم)، إذن فقد صدق النسابون فيما ذهبوا إليه حول نسبة قبائل طيء إلى مجموعات قبائل جنوب العرب، وهذا التنوع في الاستعمال – في كل ما سبق – لا ينفي صدق نسبته إلى قبائل طيء، لأنا رأينا أن مؤرخي اللغات يقولون عنها : " إن في طيء توسعاً في اللغات"[3] وهي إشارة تعني أن لديهم – طيء – لهجات كثيرة، أو أن في كلامهم الكثير من الخصائص المحلية "[4]، ثم إن هذا التنوع في الصيغ لم يكن لدى قبائل طيء وحدها، بل كان لدى كل القبائل التي كانت تسكن في منطقة الجرف وكل ما حولها، كالأزد التي سبق تأكيدهم على مجاورتها لطيء في هذه المنطقة، سواء كان ذلك قبل سقوط سد مأرب أو بعده، بدليل أن من حل محل طيء بعد رحيلها كبطون مراد، التي قيل أنها أزدية[5]، وهمدان وحمير[6]، كان لديهم التنوع نفسه في الخصائص الذي كان لدى قبائل طيء، ومن هنا صار ذلك التداخل بين لهجات كل من كانوا يسكنون منطقة الجرف، بل مما يزيد الأمر يقيناً قولهم : إن حمير كانت

---

(١) محمد بن مسعود الفيفي، لهجات فيفا، ص : ٨٥ .

(٢) ميدانياً، محمد بن قاسم اللقبي العبدلي، سلمان العبدلي .

(٣) اللهجات العربية الغربية، – رابين – ص ٣٤٣ .

(٤) اللهجات العربية الغربية، – رابين – ص ٣٤٣ .

(٥) جمهرة أنساب العرب .

(٦) جمهرة أنساب العرب .

تنتشر حتى آخر جنوب جزيرة العرب التي ظهرت بها دولتها فيما بعد، وهذا يعني أنهم قد تواجدوا في كل المواقع التي كانت تتواجد بها بطون طيء في الكثير من مواقع سكناها، وهذا يفسر لنا الكثير من تعدد الخصائص اللغوية وتنوعها في اللسان الحميري واتفاقها مع الأزد وطيء في ذلك، وكذلك قضاعة، وجذام، ولخم، وسحار، وغيرها من القبائل التي قلنا إنها جميعاً في سكنى منطقة الجرف وما حولها، ومهما يكن فالواقع الميداني – الذي يجب أن يكون – سيكشف لنا الكثير من حقائق التاريخ التي حرفها من تسلطوا على التاريخ، أو أرادوا أن يطوعوه لأمانيهم الظالمة، ومن تلك الحقائق ما نجده من خصائص لغوية تتردد على ألسنة القبائل العربية المنتشرة – اليوم – داخل هذه المنطقة التي أشار إليها بعض مؤرخي الساميات – سابقاً –، ولكنهم لم يحددوا طبيعتها الجغرافية، ولكننا – بتوفيق الله تعالى وهديه – استطعنا من خلال تلك الخصائص اللغوية التي أوردها أولئك المؤرخون، حيث وجدنا أنها تنطبق بنسبة تسعين بالمائة على واقع منطقة الجرف – موقع بحثنا –، وقد أوردنا الكثير من خصائص قبائل هذه المنطقة، فوجدنا أنها تؤكد حقيقة الرابطة اللسانية بين ناطقيها وكل القبائل التي رحلت في موجات متعاقبة، سواء بقوا محافظين على أسمائهم الأصيلة كالمعينين أو السبئيين عموماً، وكل من دخل في تسميتهم، وقضاعة، ولخم، وجذام، وغصان، وطيء، والأزد، وحمير، أو من أولئك الذين غيرت أسماؤهم بعد رحيلهم، كالبابليين، والأشوريين، والكنعانيين، والعبريين، وغيرهم، ولذلك وجدنا أن هذه الرابطة ظلت قوية متواصلة، ولم تعدم عبر حلقات التاريخ قديمة وحديثة .

طيء داخل شمال الجزيرة وخارجها :

وتوضيحاً لما سبق من إشارات لحقيقة تلك الروابط القوية التي كانت تربط كل تلك القبائل التي كانت خارج جزيرة العرب، أو في شماله وسميت ببعض التسميات غير تسمياتها، أو بقيت على تسمياتها، وهي أصلاً كانت راحلة من جنوب جزيرة العرب، فمثلاً : قبيلة طيء التي سبق أن أسهبنا في الحديث عن ارتباطها بمنطقة وادي الجرف، نجد أنها كانت ذات حضور كبير في شمال جزيرة العرب

وخارجها، حتى أنهم قالوا : (... لقد كان طيء، هو الاسم الذي أطلقه السوريون والبابليون والفرس على أبناء الجنس العربي، مما يدل على أن بلادهم كانت قديماً من الاتساع بحيث شملت مناطق أكبر، مما شملت قضاعة بعدهم)[١] .

وهذا يعني أنهم كانوا على ارتباط قوي بكل القبائل التي سبقتهم إلى بلاد الشام والهلال الخصيب، فكما ترى أنهم كانوا على ارتباط بالبابليين والآراميين والعبرانيين والكنعانيين، ووجود قضاعة بعدهم في تلك المنطقة، يعني ارتباط القضاعيين بالطائيين في منطقتهم الأولى، التي كانوا يجاورون سكناها بجنوب جزيرة العرب، ولذلك نراهم لم يترددوا في مجاورتهم السكنى حينما لحقوا بهم أينما كان سكنهم، كما أن أولاد عمومتهم لم يترددوا في مجاورتهم سكناهم خارج جزيرتهم كما كانوا معهم في جنوبهم، كالرهاويين الذين سكنوا شمال العراق، وأطلق عليهم مصطلح السريانية . وقد رأينا أنهم يعودون لمذحج الحميرية، ومعلوم أن مذحج : هو مالك بن أود، وهو أخو طيء ... أما الأزد، فمعلوم أن قدمها ثابت وراسخ في تلك البلاد، بل نراهم يعتبرون لهجتها شاهداً مادياً على قدم تواجد الجنس العربي في تلك البقاع ... ألم يقولوا : " إن لهجة (أزد) هي ممثلة لمرحلة قديمة انقرضت من لهجات الصحراء السورية قبل (٣٢٨م)، بل ربما تكون الطبقة التحتية العربية التي مثلتها اللهجة النبطية، ولغة أمريء القيس المدونة في نقش النمارة، كلها بقية من اللهجات العربية الأقدم، شأنهما في ذلك شأن لغة الثموديين الذين كتبوا نقش الحجر، فمن المقبول أن نستنتج أن الخصائص التي تميزت بها لهجة الأزد عن بقية اليمن تكون راجعة إلى العربية الأقدم، وهذا يعني أن تكون الأزد من الفصائل العربية نفسها المستقرة التي تنتمي إليها حمير . ومن هنا فإن النسابين الذين يربطون بين الطائفتين، قد يكونوا على صواب "[٢] .

---

(١) اللهجات العربية الغربية القديمة – رابين – ص : ٣٤١ .

(٢) المرجع السابق .

وإذا كانت لهجة الأزد التي وجدت خارج جزيرة العرب، كانت تمثيل لمرحلة عربية قديمة انقرضت من لهجات الصحراء السورية، ألا يعني ذلك أن عربية تلك البقاع تعني أنها امتداد لعربية تلك اللهجات، التي قالوا بانقراضها، بدليل أنهم قد أثبتوا أنها كانت تمثل الطبقة التحتية للسان النبطي، الذي هو اللسان الآرامي، بدليل أنهم يعتبرون أن اللسان السرياني هو لسان آرامي، ورأينا أن اللسان العربي سمي بالسرياني كان يطلق على اللسان الرهاوي، ورأينا أنه لسان أزدي -كما سبق في مكانه بحمد الله تعالى-، إذن فهو اللسان الذي قالوا بانقراضه، ورأينا الحقيقة تقول أنه لم ينقرض، لأنه هو اللسان الأزدي نفسه، الذي قالوا عنه أنه تمثيل لذلك اللسان، وذلك بدلائل كثيرة، منها : أن الرهاويين الذين أسموا لسانهم بالسرياني، رأينا أنهم كانوا من قبائل مذحج الحميرية، والقبائل الحميرية، هم : " ... من نفس الفصائل العربية المستقرة – هناك – والتي تنتمي إلى الأزد الأم[١]، والأزد – بشهادتهم – هي ممثلة لمرحلة عربية قديمة[٢]، كذلك موغلة في قدمها، بدليل قولهم (ولسنا بحاجة إلى التأكيد على أنه ليس بين أيدينا جملة من لهجة قديمة فيما عدا الحميرية ...)[٣] " .

وإذا كان شأن الحميرية، هو شأن الأزدية في تمثيلها للمرحلة القديمة، أفلا يعني ذلك أن تلك اللهجة المنقرضة هي الآرامية نفسها، وإذا كانت الأزدية الحميرية هى الآرامية، فهذا يعني أن الارامية عربية، لأن الأزدية والحميرية هما من منطقة واحدة في جنوب جزيرة العرب، وكانتا مجارتين لطيء في الجنوب وخارج الجزيرة، وهذا يعني أن الأزد وحمير وطيء وقضاعة وأخواتها يمثلـون حلقة ربط قوية بين القبائل العربية الراحلة قديماً من جنوب جزيرة العرب، وبين القبائل العربية الراحلة قديماً من جنوب جزيرة العرب، وبين القبائل التي بقيت داخل الجزيرة جنوباً وشمالاً، شأنهم في ذلك شأن الثموديين الذين نقشوا نقش الحجر، وقد رأينا كيف كان

(١) اللهجات العربية الغربية القديمة – رابين – ص : ١١١ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) اللهجات العربية الغربية القديمة – رابين – ص : ٤١ .

الكثير من خصائصهم اللسانية حلقة وصل مع الكثير من خصائص اللهجات التي أطلقوا عليها أسماء غير أسمائهم العربية الأصيلة، وكذلك خصائص لهجات المواقع التي أكد التاريخ اللغوي من خلالها أنهم منها، ومنها – أيضاً – كانت هجراتهم إلى شمال جزيرة العرب وخارجها، ولا سيما العبرية والكنعانية، ومعلوم أن هجرة ثمود كانت مع هجرة الموجات الأولى التي خرجت من جنوب جزيرة العرب، وقد رأينا أن سكنى هذه القبائل المهاجرة، كانت حول سكنى قبائل طيء وأخواتها بجنوب جزيرة العرب قبل الهجرة، بل كانت داخل حدود المنطقة التي تسكنها طيء وأخواتها، وهي منطقة الجرف، كما وضح لنا ذلك من خلال بعض قبائل هذه المنطقة التي لازالت إلى الآن تُعَرِّف بالأداة : (ها–هـ)، جهة بني حريص، وآل حرب، وغيرهم من القبائل التي تقع داخل هذه المنطقة القديمة .

واستكمالاً لهذه الحلقة الواصلة من قبائل هذه المنطقة في وقتنا الحاضر، ومن خلال القبائل التي رحلت عنها وبقيت محافظة على أسمائها الأصيلة، كطيء وأخواتها؛ نحاول أن نقف عند بعض الخصائص – إضافة لما سبق – التي يمكن أن تجلي حقيقة هذا الربط أكثر .

خاصية التلتلة :

وذلك كخاصية التلتلة – كسر أحرف المضارعة – التي قالوا : " بوجودها في العبرية والآرامية الغربية (الرهاء) والأوجروتية، وفي لهجات قضاعة التي كانت تجاور المناطق الكنعانية، ومن أرض قضاعة انتشرت لهجات شرقي الجزيرة ووسطها .

ومما يلفت النظر – هنا – هو عدم ورود اسم اليمن بين اللهجات التي تستعمل حرف المضارعة مكسوراً، ولا يعني هذا بالضرورة، أنها لم تكن تكسره، أما عدم ذكر طيء بين هذه اللهجات، فهو قد يعني أن لهجة طيء قد كسرت حرف المضارعة متأثرة بلهجات قضاعة المجاورة لها "[1] .

---

(١) اللهجات العربية الغربية القديمة – رابين –، ص ١١٦ .

وهنا نلاحظ أن مؤرخي اللغات – اللهجات – السامية؛ يثبتون وجود خاصية التلتلة، في اللهجات التي أسموها بالعبرية والآرامية الغربية والأوجرونية ثم راحوا يوجدون العلل التي يوضحون بها كيف وصلت هذه الخاصية لتلك اللغات – اللهجات – التي أخرجوها من دائرة النسب العربي، فهي قد أخذتها تأثراً بالكنعانيين الذين كانوا يجاورونهم؛ لأنها ليست أصيلة في لسانهم، شأنهم شأن الطائيين – عندهم – الذين كانوا يجاورونهم في خارج جزيرة العرب، وحتى يؤكدون صدق ما ذهبوا إليه حول قضية تأثر قضاعة وطيء بمجاورة الكنعانيين خارج الجزيرة العربية وعدم أصالتهم في هذه الخاصية، راحوا ينفون استعمال هذه الخاصية – التلتلة – عن كل اليمن بقولهم : (وما يلفت النظر –هو– عدم ورود اسم اليمن بين اللهجات التي تستعمل هذه الخاصية)[1] .

وهنا نقف ونسأل : هل فعلاً كان هذا صحيحاً؟، أم أنه حق –في نظرهم– أرادوا به باطلاً؟ ...، لأنهم – قد سبق وأن أثبتوا أن علاقة طيء بشمال الجزيرة وخارجها – هو (عندهم) أقدم من علاقة القضاعيين، لقولهم : " ومع هذا فقد كان اسم طيء، هو الاسم الذي أطلقه السوريون والبابليون والفرس وغيرهم، على أبناء الجنس العربي هناك، مما يدل على أن بلادهم كانت قديماً من الاتساع بحيث شملت مناطق أكبر مما شغلت قضاعة بعدهم ... "[2] .

وإذا كان الأمر كذلك، فالصحيح أن يحدث العكس، أي أن تتأثر قضاعة بطيء لا العكس، ومع ذلك فهذا غير صحيح، لأن قضاعة وطيء كانتا تسكنان في منطقة متقاربة متجاورة في جنوب جزيرة العرب، قبل الرحيل إلى شمال الجزيرة وخارجها، ولست أدرى لم فعلوا ذلك؟ مع أنه أقرب إلى الشمول في عامة العرب، وأظن أنهم قد أوضحوا هذا حينما أثبتوا استعمال هذه الخاصية لدى العبريين والآراميين، وانتقاله لقضاعة تأثراً بالكنعانيين لمجاورتهم لهم، وأن ما فعلوه أرادوا من ورائه أن يقطعوا جذور هذا الاستعمال من جذور عروبته، وهذا لا يمكن تحقيقه لأنا لو عدنا[3] إلى المنطقة التي كانت تسكنها القبائل التي سميت بالكنعانيين قبـــــل

---

(١) اللهجات العربية الغربية القديمة – رابين –، ص ١١٦ .

(٢) المرجع السابق، ص : ٣٤١ .

(٣) – يرجع لكتابنا – الكنعانيون معينيون من جازان، الذي صدر عن فرع جمعيــة التــراث والثقافة بجازان في شوال ١٤٢٤هـ .

طيء، أو كانت تسكن معها قبل رحيلها – الكنعانية –، ثم انتشار الطائية بها، وهي منطقة الجرف، لوجدنا أبناء موقع فيفا وما حولها وجنوب شرق، كمنبه، وصعدة، وسحار، وجماعة، وحجور، والعبادل، وبني ودعان، والغمر، أنهم لازالوا إلى وقتنا الحاضر يستخدمون هذه الصيغة اللغوية – كسر حروف المضارعة – في لهجاتهم، حيث نجدهم : " ... يقولون : يكتب، يلعب، نكتب، تكتب – بكسر أحرف أول المضارع – "، وأظن أن الشعر خير شاهد في إثبات هذه القضايا اللغوية، يقول شاعرهم :[1]

فَأَحْسَيتُ في قلبي (جروسٍ) واللهَّايب   امَعْلام تاجيني وأنا في أرض غايب

كمها رجال (رايحة) فيما تقرب[2]

وفي هذا البيت أكثر من شاهد إضافة إلى ما استُشهد به لأجله، وهو كسر أول المضارع في (تقرب)، إذ فيه قلب حرف الحاء إلى (س) في (جروس) إذ تعني (جروح)، وفيه أيضاً : استعمال (أم) أداة للتعريف كما في (امعلام) أي الأخيار[3] .

وإذا كان هذا الاستعمال كان أصيلاً في المنطقة التي كانت تسكنها طيء وقضاعة قبل خروجهما إلى شمال الجزيرة وخارجها، أفلا يؤكد هذا أصالة هذه الخاصية في هاتين القبيلتين، وعدم تأثرها بغيرها، بدليل أنهما استمرتا جارتين حتى في غربتهما، ثم كيف يكون هذا الاستعمال طارىء في طيء وقضاعة، وهما من كبريات القبائل التي أسموا لهجاتها بالعربية الغربية، أي العربية التي كانت اللهجات الكنعانية جزءاً منها قبل خروجها إلى خارج جزيرة العرب[4]، وعلى هذا يكون الاستعمال في طيء وقضاعة أصيلاً كأصالته في الكنعانية، وليس تأثراً فيهما : (وعلى هذا نفترض أن العربية الغربية قد حافظت على الاتصال مع متكلمي الكنعانية)[5]، لأن اللسان الذي كان لدى الجميع، كان لساناً واحداً؛ ولذلك عاشوا

---

(١) أحد شعراء فيفا، (١٣٣٠-١٣٩٧هـ) .
(٢) لهجات فيفا – محمد الفيفي –، ص : ١٣٢ .
(٣) المرجع السابق، ص : ١٣٢ .
(٤) اللهجات العربية الغربية – رابين – ، ص : ٣٥٠ .
(٥) المرجع السابق .

متجاورين في غربتهم، كما كانوا متجاورين في موطنهم الأول – جنوب جزيرة العرب – .

وإذا كانت هذه الخاصية قد وجدت في قبائل هذه المنطقة – جنوب جزيرة العرب –، ووجدت كذلك في اللسان العبري والآرامي والكنعاني، أفلا يدعو ذلك إلى القول بأن تلك القبائل السامية كانت قبل رحيلها تسكن نفسها هذه المنطقة التي كانت تسكنها قبائل طيء وقضاعة وأخواتها؛ بدليل أنهم قد أشاروا – آنفاً – أن الكنعانية كانت جزءاً من لهجات هذه المنطقة قبل أن تنفصل عنها برحيلها إلى شمال الجزيرة، وإذا كانوا قد عمموا في إشارتهم عن ارتباط الكنعانية وأخواتها بعموم عربية القبائل الغربية، فقد سبق أن خصصوا أسماء بعض تلك القبائل بالذكر، مما يعني أنهم كانوا يعنون حقيقة ذلك الربط بأسماء تلك القبائل، وأن ألسنة الجميع كانت واحدة، كقولهم : في هذه الخلاصة الموجزة عن استعمال الاسم الموصول وتعدد صيغة، وإن كانت قد سبقت، ولكن الأمر استدعى حضورها هنا وهي قولهم : " ... تربط (ذو) اسم الموصول في الطائية ربطاً قوياً بين هذه اللهجة وبين عنصر أساسي واحد على الأقل من العناصر الأساسية في العبرية، ولما كانت (زو) العبرية بقية قديمة لا تستعمل إلا في لغة الشعر، فإنه من الممكن – إذا ما قبلنا نظرية الاختلاط – أن تشتق من جهة غير كنعانية، ولما كان من غير الممكن اعتبار هذه الكلمة مقترضة، فإن الصيغة يتحتم أن تكون راجعة إلى ما قبل عصر انفصال العربية الغربية عن اللغات الأخت الأخرى ولكن لهجة طيء هي الوحيدة من اللهجات العربية الغربية التي تحتفظ باسم الموصول على هذه الصورة، وفي الجنوب يكون اسم الموصول على صورة : (ذي)، وهي احتمال – ذات طبيعة مختلفة –، وخاصة إذا ما عرفنا وجود ما يشهد على وجود (ذو) قديمة في عُمان، وفي العربية الشرقية، والوسطى، نجد (الذي) وهي تدل على وجود (ذي) في مرحلة (ما) .

وبهذه الطريقة ترتبط العربية الشرقية بالآرامية التي نجد فيها (زي) المأخوذة عن (ذي)، وهي أقدم الصيغ التي حصلنا عليها، وهكذا يكون لدينا خط للتوزيع الجغرافي يربط بين الكنعانية والآرامية ربطاً واضحاً عن طريق الجزيرة العربية "[١]

---

(١) اللهجات العربية الغربية القديمة – رابين –، ص ٣٥٩ .

وهنا نلاحظ أنهم يؤكدون عدة نقاط منها : أن طيء هي إحدى كبريات القبائل الغربية، بل هي القبيلة – عندهم – التي ظلت تحتفظ بالخصائص اللسانية التي كانت تحتفظ بها العربية الغربية قبل أن تنفصل عنها بقية أخواتها وترحل من المنطقة التي كانت تجمعهم جميعاً ... لذلك هي عندهم تعد حلقة وصل قوية، تربط تلك اللهجات – الراحلة والباقية – ببعضها، وإذا كانت هي على هذه الصفة فكيف تكون قد أخذت صفة التلتلة بالتأثر عن قضاعة التي أخذتها –عندهم– تأثراً بالكنعانية لمجاورتها لها؟ .

كيف يكون هذا، وهو يقولون : أنهم وجدوا ما يربط العربية الغربية القديمة بلهجات – لغات – وجدوها خارج جزيرة العرب تحت أسماء مختلفة كالآرامية والكنعانية والعبرية، وغيرها ... وأن ذلك الرابط هو لهجة طيء وأخواتها – قضاعة، والأزد، وسحار، وعُمان، وحضرموت، والمهرة، والشمر؛ وذلك لكثرة الخصائص التي وجدت مستعملة لدى الجميع، (كذو) الموصولة التي وجدت في العبرية القديمة مستعملة في شعرها، والشعر هو من أصدق الشواهد اللسانية وأقواها، وكذلك خاصية (ذي) التي قالوا إنها من أقدم الصيغ التي حصلوا عليها مستعملة بين جل تلك القبائل، وبذلك يكونوا قد حصلوا على الحلقة التي تربط الكنعانية بالآرامية بلسان جزيرة العرب عموماً، والعربية الغربية – الجنوبية – وخاصة الكنعانية بطيء.

ضمير الغيبة المتصل بين الأزدية وأهل اللهجات الراحلة :

ولا يقف الأمر عند هذه الخاصية فقط، إذ هناك الكثير من الخصائص التي تؤكد حقيقة هذا الربط، كخاصية الضمير الغائب، الذي يأتي في الأزدية ساكناً وقبله كسره، (إماله)، وليست الأزد فريدة في هذا هناك، بل هو موجود لدى جل القبائل التي كانت تسكن تلك المنطقة القديمة داخل جزيرة العرب، كبعض بطون حمير وطيء وكلب – من قضاعة –، وعقيل، وهما من القبائل التي كانت تسكن في الامتداد الشرقي لهذه المنطقة، ولذلك كانت لهجتها شرقية – كما قالوا –، وإذا خرجنا خارج جزيرة العرب فسنجد أن استعمال هذا الضمير بهذه الصورة كان موافقاً

للقواعد التي جرت عليها الآرامية القديمة، ولذلك لن نخرج بنظرية محددة من دراسة التوزيع اللهجي لهذا الضمير في صورته المختصرة (هـ)، لأننا لا نعرف حركة الضمير في العربية الأقدم، ولكن الأماكن التي كان يستعمل فيها الضمير مختصراً تعطي انطباعاً بأنه بقية من منطقة قديمة محددة، وفي خارج جزيرة العرب لا يشبه هذا الضمير المختصر، إلا الضمير الآرامي الذي يكون في صورة كسرة طويلة مُمالة بعدها (ها) / ى ى هـ[1] .

وإذا كانت الأزد قد اتفقت مع الآرامية في استعمال ضمير الغيبة الذي يأتي بهذه الصورة؟ أفلا يعني هذا أن هذه القبائل التي سميت بالآرامية – بعد رحيلها – كانت من ضمن القبائل التي كانت تسكن هذه المنطقة، إن لم تكن هي أصلاً من ضمن قبائل الأزد، لأننا نعلم أن الأزد كانت من قبائل جنوب جزيرة العرب الكبار، وأن قبائلها لم تخرج من مواقعها دفعة واحدة، بل كانت على دفعات، وأن دفعاتها الأولى، كانت قبل انهيار السد بزمن بعيد جداً، أي أنها كانت تتزامن مع الفترات التاريخية التي قالوا بهجرة أوائل القبائل الآرامية فيها .

وهنا يعود بنا الحديث إلى قضية السريانية، التي قالوا إنها كانت تمثل اللسان الفصيح في الآرامية، ورأينا أيضاً أن السريانية – الآرامية – هي لهجة منطقة (الرها)، وأن الرها هى بطون مذحجية حميرية، ومذحج من كبار قبائل الأزد، وإذا كانت الآرامية والكنعانية كانت متفقة مع الطائية والأزدية وقضاعة وكل قبائل المنطقة القديمة، فهذا يعني أن هؤلاء الآرامين والكنعانيين كانوا من ضمن قبائل تلك المنطقة قبل رحيلهم، بدليل أن الطائيين والآزديين والقضاعيين لم يجدوا صعوبة في مخاطبة من سموا بالكنعانيين والآراميين؛ لأن لسانهم وخصائصهم كانت واحدة، بل كان استقبالهم لها – استقبال الأخ لأخيه –، نسباً وجواراً، وكانت تضمهم في جنوبهم

---

(١) اللهجات العربية الغربية القديمة – رابين –، ص ١١٣ – ١١٤ .

منطقة واحدة، وكذلك كانوا خارج جزيرتهم ولذلك لا نجد غرابة إذ قال لنا التاريخ : (إن الطائيين كانوا على علم بالسريانية علماً جيداً) [1] .

طيء والسريانية :

وعند هذه الإشارة التاريخية - نقف - ونسأل : هل كان علم الطائيين بالسريانية علم اكتساب وتأثر، كما سبق أن قالوا عن اكتسابهم خاصية كسر أول المضارع، تأثراً بقضاعة التي أخذتها تأثراً لمجاورتها للكنعانيين؟؟؟، والحقيقة أن علم الطائيين باللسان الذي سمي بالسريانية، كان علم فطرة وأصالة؛ لأن اللسان الذي سمي بالسرياني، رأينا أنه كان لسان قبائل الرها، والرها، هم مذحجيون حميريون، بل هم أزديو النسب ولسان الأزد - الأم - هو نفسه لسان طيء؛ لأن الأزد وطيء كانوا يسكنون منطقة واحدة بجنوب جزيرة العرب، ولذلك لم تكن قبائل طيء وحدها على علم باللسان الذي سمي سرياني، بل كل القبائل التي هاجرت من منطقة الجرف جنوب جزيرة العرب ... بدليل أن من قالوا باكتساب طيء اللسان السرياني، راحوا يتعللون بتعليلات أرادوا من خلالها تأكيد ما أرادوا فأثبتوا العكس؛ لأن هذا العكس هو الحقيقة، وذلك حينما قالوا : (... ولعل انتشار السريانية في العصر الجاهلي، كان واضحاً في الأزد إخوان طيء، التي هاجرت لهجرتهم)[2] .

إذن فليست طيء وحدها - عندهم - التي كانت على علم بالسريانية، بل يضيفون إليها قبائل الأزد، لأنهم وجدوا أن الأزد - أيضاً - كانت تجيد ما سمي بالسريانية، أيعني هذا أن الأزديين أخذوا اللسان السرياني من الطائيين، الذين اكتسبوه من السريان - مباشرة - لمجاورتهم لهم؟!!!، كيف تناسوا أن الرهاويين - أصحاب اللسان الذي سمي بالسرياني -، هم أصلاً أزديون؟..

وإذا سلمنا لهم واعتبرنا الطائين قد تعلموا السريانية بالجوار، حينما رحلوا إلى خارج جزيرتهم وجاوروا السريان، ومثلهم الأزديون الذي خرجوا معهم، لكن

---

(١) الجواليقي - العرب - ص : ٣٣٦ .

(٢) المسعودي التنبيه والإشراف، ص : ٧٨ - ٧٩ .

ما شأن بقية الطائيين والأزديين والجرهميين والحميريين، وسواهم الذين سكنوا مكة وما حولها، في علمهم بالسريانية أو العبرية، ولذلك راحوا يقولون بانتشار السريانية والعبرية في الجاهلية في جزيرة العرب، حتى إن عدوى هذا القول انتشرت بين بعض مؤرخي العربية الكبار، والحقيقة هي غير ما ذهبوا إليه تماماً إذ لم يتعلم الطائييون السريانية، ولم يكن هناك انتشار لشيء اسمه السريانية أو العبرية في مكة، وقد سبق أن بينا جزءاً من هذه الحقيقة آنفاً وقبل ذلك، ونضيف هنا أن الكثير من ألسنة بطون القبائل التي بمكة وما حولها، هي نفسها ألسنة البطون الأخرى التي واصلت هجرتها إلى بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام وفلسطين، وهناك أُطلقَ على ألسنتهم مصطلح السريانية والعبرية، ومعلوم أن من رحل ومن بقي يعود جميعهم إلى أصول أمهاتهم، التي هي طيء، والأزد، وقضاعة، وسحار، وجماعة، ولخم، وجذام، الذين كانوا يسكنون منطقة الجرف بجنوب جزيرتهم، ولذلك اشتبه الأمر على مؤرخي العربية من الإفرنجة الذين لم يكن لهم علم واسع بلهجات قبائل العرب عموماً، وخصوصاً لهجات قبائل منطقة – الجرف –، ولذلك كانت البطون التي بقيت محافظة على أسماء نسبها الأصلي في مكة أو خارج جزيرة العرب، كطيء، وقضاعة، وأزد وأخواتها هي عندهم تجيد السريانية والعبرية لمجاورتها البطون – أخواتها هناك الأخرى –، التي لم تعد تسمى بأسماء أخواتها هناك كالسريانية والعبرية ... إلخ، وإذا كان هذا الخروج التاريخي قد حصل من الإفرنجة فما حجة مؤرخي العربية من العرب الذين تابعوا الإفرنجة فيما قالوا، ومع هذا كله، نقول لا غرابة إن اتفقت ألسنة أولئك في نطقها، لأنها جميعاً من أرض منطقة واحدة كانت تضمهم في جنوب جزيرتهم، ولأن ألسنة جل تلك القبائل قد أخذ التبلبل اللساني يغزو ألسنتهم، بعد تشتتهم وتباعدهم عن بعضهم بعضاً داخل جزيرتهم، وبعد رحيل أكثرهم خارج جزيرتهم، الذي ضاعف من شدة ذلك التبلبل، حتى صار لكل قبيلة لهجتها الخاصة بها، وأن بقيت هناك بعض الخصائص العمومية التي ظلت تربط كل تلك

الألسن وتشدها ببعضها، حتى يهيء لها الله تعالى في كل فترة من كان يعمل على إظهار شيء من حقيقة أصالتها، سواء كان ذلك من بعض رؤساء قبائلها كما رأينا ذلك من خلال بعض المؤتمرات اللغوية التي كان يتداعى لها أولئك الرؤوساء الذين ظلوا ومن معهم من الأفراد محافظين على فصيح اللغة الأصلية التي انبثقت منها كل تلك الألسن التي تبلبلت، ورأينا – أيضاً – أن تلك المؤتمرات كانت تعد تهيئة وتمهيداً لظهور وعودة عموم الفصحى على كل الألسن على يد رسول أو نبي بعثه الله تعالى في تلك الفترات الزمنية، التي تعاد فيها صياغة اللغة من جديد فيظنه بعض المؤرخين تطوراً لغوياً، وقد سبق الحديث عن هذا مفصلاً، وهذا كله يعني أنه لم يكن هناك لسان اسمه سرياني أو عبري تعد كلغات مستقلة وقائمة بنفسها، وإنما حقيقتها لهجات أقوام رحلت من جنوب جزيرة العرب، بدليل ما وجدنا من لهجات الكثير من قبائل المنطقة السابقة الذكر بجنوب جزيرة العرب – منطقة الجرف –، وهو يتفق مع لهجات من رحل من هذه المنطقة، بل ويشهد بحقيقة عروبتها وجنوبيتها، بل إن الكثير من المواقع التي رحلت منها تلك القبائل قديماً، كما في جبال العبادل، وفيفا، ومنبه، وبني ودعان، وبني معين والحروب، وبني حريص، وبني مالك، والريث والقيوس، والحشر، ومنجد، وهروب، وصعدة، والنظير ورازح، والغمر، وسحار وجماعة وغيرهم كثير، لا يزال أهلها المتعاقبون فيها إلى الآن، إذا تحدثوا مع بعضهم، لا تفهمهم إلا بمترجم منهم، أو هدؤوا سرعة حديثهم، فستجد جل خصائصهم لا تخرج عن خصائص تلك اللهجات التي سميت بالسريانية والآرامية والعبرية والكنعانية .

وإذا كنا نحن في نهاية القرن العشرين، لا نفهم جل هذه القبائل – بهذه المواقع – إذا تحدثوا معنا بلهجاتهم الخاصة بهم، إلا إذا تحدثوا معنا بلسان الفصحى المتداول حالياً، أو هدؤوا من سرعة خطابهم، ومع ذلك فهم عرب، ومن أحفاد وأصول العروبة، على الرغم مما قاله الكثير من أساطين العربية في العصر

الحاضر، حول لهجات هذه القبائل، بل كاد يخرجها من دائرة النسب العربي، وقد نعذره – وإن كان لا يعذر[١] – لعدم وصوله إلى هذه المواقع، ومشافهة أهلها عن قرب، سواء كانوا مستشرقين، أو بعض الأخوة العرب كطه حسين وغيره، وهذا – أيضاً – يجعلنا نخفف من حدة النقد الذي يوجه إلى مؤرخي العربية القدامى، لعكس الأسباب التي توفرت للإخوة المعاصرين، وأيضاً شدة تأثرهم وتبعيتهم لغيرهم من مؤرخي السريانية والعبرية وغيرها مما سمى بالساميات، كابن خلدون الذي ينقل عن السهيلي : (أن لسان يعرب أبو جرهم الثانية، هو أول من تكلم بالعربية، وأنه أول من انعدل لسانه عن السريانية إلى العربية، وبه سمي العرب عرباً)[٢] .

وإذا كان يعرب هو أول من تكلم بالعربية، وأن لسانه كان قبل ذلك سرياني، إذن فمن أين جاءته العربية؟ وهل يعني هذا الانعدال اللساني ليعرب هو الميلاد الأول للعربية؟ وأنها قبل ذلك لم يكن لها وجود؟ وهل يعني –أيضاً– أن كل من كان داخل جزيرة العرب – جنوبها وشمالها – سريان وعبرانيين؟ وكيف يكون هذا، والتاريخ – كما سبق – يقول : (إن أبا جرهم الأولى التي سكنت مكة عند ميلاد نبي الله إسماعيل – عليه السلام – هو أول من كان ينطق العربية الفصحى، بعد زمن السفينة، ومعه كذلك عمليق – أبو العماليق – الذين سكن الكثير منهم حول مكة)[٣]، ثم كيف ينعدل لسان العرب من السريانية إلى العربية في مكة، وقد رحل إليها من عند أبيه – باليمن – قحطان، والذي يقول التاريـــخ عنه – أيضاً – : (أنه أول من تكلم بالعربية في عصره الذي ساده التبلبل؟) .

أفلا يتأثر يعرب بلسان أبيه – العربية –، ويكون لسانه هو لسان أبيه؟ تخرصات لا يقبلها التاريخ، لأن المنطق العقلي لا يقبلها، فما قالوه لا يخرج عن أن

---

(١) لأن الواجب وصولهم إلى هذه المواقع، والتعرف عليها عن قرب، لــسهولة المواصــلات وتقدم علم اللسانيات .

(٢) ابن خلدون، ٤٥/٢ .

(٣) الطبري : ٢٠٨/١ .

اللسان السرياني الذي انعدل عنه لسان يعرب، هو نفسه اللسان الفصيح، الذي كان يتحدث به قحطان وجرهم وعمليق، لكونه كان يمثل فصيح زمانهم الذي تبلبلت فيه معظم ألسنة القبائل العربية التي رحلت من جنوب جزيرة العرب إلى شمالها، بدليل أن هذا اللسان نفسه – السرياني – كان هو الأفصح بين جميع اللهجات التي سميت بالآرامية – عند مؤرخي اللغات السامية – وأنه هو نفسه لسان الرها المذحجية الأزدية، ومعلوم أن خزاعة هي من قبائل الأزد، وكانت خزاعة من ضمن القبائل المتواجدة حول مكة، وهذا يوضح أن اللسان الذي كان يتكلم به العرب في مكة، وقالوا عنه أنه السريانية، هو لسان خزاعة وأخواتها الأزدية، لأن ما سمي بالسريانية خارج جزيرة العرب، كان هو لسان الرها، والرهاء أزدية، ومعلوم – أيضاً – أن الأزد هي أخت طيء، وكان الكثير من بطونها –طيء– حول مكة أيضاً، فهل يعني هذا أن لسان طيء كان – أيضاً – سريانياً؟؟؟، وإذا كان لسان طيء فعلاً سريانياً، فكيف يتفق هذا وقولهم السابق : إن طيء قد اكتسبت السريانية لمجاورتها خارج الجزيرة العربية، وهنا نسأل : إذا كانت بطون طيء التي كانت خارج جزيرة العرب هي التي اكتسبت السريانية لمجاورتها لهم هناك، فما ذنب البطون التي كانت حول مكة بجعل لسانها سريانياً؟ منطق لا يقبله العقل، لأن الحقيقة المنطقية تقول : إن ما قالوه يؤكد أن لسان طيء كان هو العربية الفصيحة، والتي هي – أيضاً – لسان الأزد التي منها الرها المذحجية، وإلا كيف يفسر لنا أولئك المتخنلقون القول " بصفاء لغة قبيلة جرم، التي كانت تسكن الساحل الشمالي في منطقة الحجاز، سواء كانت هي – جرم – طيء أو من قضاعة، حتى إن الأصمعي نفسه يقول : (وجرم من فصحاء العرب، وفي رواية أخرى : (أفصح الناس) "[1] .

وإذا كانت جرم – إحدى فروع طيء – كانت هي من أفصح العرب، ألا يعني أن الأم – قبيلة طيء – كانت هي أيضاً من فصحاء العرب؟، كيف لا والتاريخ

---

(١) الكامل للمبرد : ٢/٣٢٣، البيان والتبيين – الجاحظ – : ٣/٢١٣، العقد الفريد – ابن عبد ربه، ٢/٤٧٦ .

اللغوي يقول : (لقد امتازت طيء بالفصاحة) [1] وأنها لذلك – طيء – قد لعبت دوراً كبيراً في بناء الفصحى في مكة[2] .

وإذا كانت – جرم العربية – وأخواتها قد شهد التاريخ بفصاحتهم وخلوص عربيتهم، فكيف يكون أحد آبائهم سرياني اللسان . بل أحد الذين نُسب إلى أبيهم اللسان العربي؟ وهنا نعود إلى بعض المستشرقين الذين أبوا إلا السير على سنن أجدادهم الذين شوهوا التاريخ، لنسألهم عن كيفية تفسيرهم لما قاله التاريخ اللغوي عن طيء – الأم – وبعض فروعها – جرم –، أي القول السابق، يقول (رابين) عن ما قاله التاريخ عن لغة جرم وطيء وأخواتها، الذين كانوا يقيمون في مكة وحولها : (... من المحتمل أن يكون هؤلاء القوم قد تكلموا لهجة من نوع غريب قد تكون قريبة من العربية الأولى بمقدار بعدها عن العربية التي نعرفها، ومن المحتمل أنهم قد تكلموا عربية سليمة، لأنهم قد تعلموا العربية كما صورتها القواعد النحوية، ومن هنا التزموا بالصواب النحوي، كما يحدث مع كل أجنبي يتعلم غير لغته، وبالتالي لا يكون أي من صفات اللهجات غير اللهجات) [3] .

هذا مختصر ما قاله، وبالطبع هو يمثل وجهة نظر أكثر المستشرقين، ألا تلاحظ كيف يتلاعب بالحقائق، ظناً منه أنه بهذا يستطيع تضييع الحقيقة، وإثبات ما يريدون الوصول إليه، لأن ما قاله يعد اعترافاً ضمنياً وأن تلاعب بألفاظه، لأن اللهجة التي أشار إلى أنها كانت لهجة غريبة هي نفسها اللهجة التي سبق أن أشار إليها غيره، أنها السريانية التي انعدل عنها لسان يعرب، لكنه حينما وجد أن القوم أنفسهم كان فيهم من كان يتكلم الفصحى بين المتبلبلي الألسن، عاد يقول : ربما تكون تلك اللهجة الغريبة هي أقرب إلى العربية الأولى، أي اللسان الذي كان يتكلمه القوم إبان تبلبل الألسن، إذن فالعربية الأولى هي السريانية بعينها، لا العكس، لأن من كان

(١) ابن يعيش، ص : ٢٤٦ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) اللهجات العربية الغربية القديمة – رابين –، ص ٥٢ – ٥٣ .

يتكلمها كان يتكلم الفصيح، ومن هنا لم يكن التزامهم لهذا الفصيح، لكونهم تعلموه ممن هم ساكنون معهم، بل لأنه التزام فطري فيهم .

وهنا نسأل : إذا كانت تلك القبائل قد تعلموا العربية في تلك الفترة، لكونهم أجانب عنها؟ سواء من كان منهم خارج جزيرتهم، أو من كان منهم بداخلها ولاسيما من كانوا حول مكة؟، إذن فما هو لسانهم الأصلي الذي فطروا وتربوا عليه؟ .

فإذا كانوا في جزيرتهم العربية، وفي خارجها قد تعلموا السريانية، فما هو لسانهم الأصلي يا ترى؟، أليس هذا تخبطاً؟، ألا يدل هذا التخبط على أن ما أسموه باللسان السرياني، والعبري، هو نفسه لسان عربي، لأنهم قالوا عنه : (أنه قد يكون قريباً من العربية الأولى) .

إذن فتلك اللهجة العربية، هي العربية الأولى، أي اللهجة التي تصور العربية في بداية تبلبلها الأول، بدليل أن أناس تلك الفترات الأولى كان يوجد فيهم من بقي محافظاً على اللغة السليمة، وكان يتكلمها، وكان يفهم خطاب من كان قد تبلبلت ألسنتهم معه، أو حوله، وليس ذلك مع قبيلة (جرم) وحدها، بل في كل من ورد عنهم جملة : (أنه كان أول من تكلم بالعربية) – كما سبق –، ومن هنا كانت لهجات تلك الألسن المتبلبلة قريبة من عربيتنا التي نعرفها اليوم، ومنطقة الجرف خير شاهد، وهذا يؤكد أن ألسنة من رحلوا خارج جزيرة العرب كان أغلبه من قبيل هذه العربية الأولى، بدليل أن أحفاد البطون التي هاجرت إلى خارج جزيرة العرب، حينما وفد إليهم أحفاد البطون التي كانت بمكة يؤكدون هذه الحقيقة، فخالد بن الوليد حينما وصل إلى الحيرة – بالعراق – إبان بداية الفتوح الإسلامية، سأل سادة تلك البطون هناك بقوله : " .... ويحكم!!!، ما أنتم؟!!!، أعرب!!!، فما تنقمون من العرب؟، أو عجم أنتم، فما تنقمون من الإنصاف والعدل!!!، فقالوا له : بل عرب عاربة، وأخرى متعربة، فقال : لو كنتم كما تقولون : لم تحادونا وتكرهون أمرنا؟!!!، فقالوا له : ليدلك على ما نقول : أنه ليس لنا لسان إلا بالعربية!!!، فقال صدقتم[1]، فتكلم خالد

(١) الطبري : ٣/٣٦١ .

معهم بالعربية، وتفاهم معهم بلسانهم العربي، وأيدهم في أن لسانهم - هـذا - هـو اللسان العربي، الذي لا لسان لهم غيره .

وبهذا اللسان كان يتكلم ملوك الحيرة، ويسمعون الشعر، ويخاطبون الوفـود وأتباعهم، وبه كانوا ينظمون أشعارهم ولم يجدوا صعوبة في التفاهم مع أحد، ولـم يجد أهل مكة ولا غيرهم، ممن يأتي الحيرة صعوبة في التخاطب والتفاهم معهم، لا في زمان أجدادهم، ولا في زمان خالد - رضي الله تعالى عنهم - ولا بعده ولا قبله، لأن الكل عربي، بل يقال أنهم قالوا : حينما سألهم خالد :ما أنتم؟ أعرب؟!!!، قالوا: (قوم من العرب، نزلنا إلى قوم من العرب قبلنا) (١) .

وإذا كانت الأقوام التي نزل إليهم خالد بن الوليد يؤكدون أنهم كـانوا عربـاً عاربة، ونزلوا إلى أقوام قبلهم كانوا أيضاً - هم - عرب عاربة، إذن فلم يكن هناك لسان اسمه سرياني بين تلك الأقوام، إذ لو كان هناك شيء من هذا لقالوه، وهذا يؤكد أن تلك التسمية - سرياني - كانت غريبة التداول بين العامة لعدم وجوده حقيقة، لأن العامة تحاكي دائماً الجذور الأصلية، وتؤكد ما قاله الكثير مـن المـؤرخين حـول التسمية بالسريانية : من أنها مصطلح أطلقه اللسان اليوناني على ألسنة تلك اللهجات التي كان يتعامل معها في فترة من الفترات، ويقصد به ألسنة السوريين، أما أن يكون لساناً لقوم يحملون تلك التسمية -سريان- فهذا وهم قصد به التشويش ولي الحقـائق لأهداف في نفس من أشاعوا ذلك، لأن هذا اللسان -كما رأينا- كـان لبطـون مـن العرب سكنوا منطقة كانت تسمى الرها، بين بلاد النهرين وسورية، وهم من الرهاء إحدى بطون مذحج الأزدية، وعلى هذا فلا الجرميون كانوا قد تعلموا الفصحى، لأن لسانهم القديم كان هو العربية الأولى في مكة، ولا بقية إخوتهم الذين رحلوا إلى بلاد الشام وبلاد النهرين تعلموا السريانية لمجاورتهم السريان، لأن لسانهم القـديم كـان الفصحى الأولى، ولسان الجميع هو العربية - الأم - سواء كانوا في مكة أو خارج جزيرتهم، وإن تحدث بعضهم بألسنة الفترات التي تبلبلت فيها ألسنة بعض القبائل -

---

(١) المرجع السابق : ٣/٣٧٥ .

كما سبق – أو تحدث بعضهم بلسانهم الأصلي الذي ظلوا محافظين عليه فالكل : (عرب نزلوا إلى أقوام عرب قبلهم)[1]، ألم يسم بعضهم اللسان المتبلبل بالعربية الأولى، ولذلك كانت مفاجأة الكثير ممن أرخوا الساميات، حينما وجدوا اتفاق خصائص لهجات الأقوام الذين كانوا في مكة، مع خصائص لهجات من كان خارج جزيرتهم، لذلك راحوا يتخبطون في إطلاق التسميات على اللهجات، ما بين سريانية، إلى عبرية، أو كنعانية، أو آرامية وآكادية، وآشورية وبابلية وغير ذلك من التسميات، التي لم يكن لها واقع إلا في خيالات من وضعها وأتباعهم، لأن الحقيقة تقول : الكل لسان عربي، كما أن الجنس لهم لهم جميعاً عربي، ولذلك كان لسان أهل مكة يمثل مزيج ألسنة كل القبائل العربية التي انتقلت إلى مكة من جنوب جزيرة العرب، وهذا ما سيكون الحديث عنه في الفصل التالي لهذا بإذن الله تعالى .

فإلى الفصل الأخير بمشيئة الله تعالى .

(١) اللهجات العربية الغربية القديمة – رابين –، ص ٥٢ – ٥٣ .

الفصل الثامن
اللسان المكي والتأثير الجنوبي

١) القبائل الجنوبية وتأثيرها في اللسان المكي

٢) التأثير النطقي النقي

٣) التأثير الكتابي

٤) نطق مشترك لبعض الحركات

٥) نطق مشترك لبعض الحركات بين أهل اللسان المكي ومواقع البحث

٦) الفتحة الطويلة وأصالة عروبتها

٧) اللسان المكي صورة مستنسخة من ألسنة القبائل الجنوبية الغربية

التأثيـــر النطقـــي :

قلنا إن اللسان المكي كان عبارة عن مزيج من ألسنة القبائل الذين انتقلوا إلى مكة من جنوب الجزيرة عند طفولة نبي الله إسماعيل – عليه السلام –، والذين عنهم رضع عربيته – العربية الأولى – قبل أن يُلهم العربية المبينة، كما أخبر عن ذلـك رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وأشهر تلك القبائل هم : جـرهم والعمـاليق وطيء والأزد – ممثلة في خزاعة وأخواتها –، وقضاعة وغيرهم من بطون حـذام ولخم – إن صح ذلك عنهم –، وهذه القبائل هم : – أيضاً – من أطلق على ألسنتهم حيناً سرياني وحيناً عبري، وحيناً آخر العربية الأولى، بدليل أن العربية المبينة، التي ألهمها نبي الله إسماعيل – عليه السلام –، والتي أصبحت لسان أهل مكة فيما بعـد، هي خلاصة مزيج ألسنة تلك البائل، التي مثّلت خلاصة ألسنتها اللسان العربي الأم، قبل التبلبل، وكما مثّل هذا اللسان، لسان نبي الله إسماعيل – عليـه السـلام – بعـد الإلهام في زمنه والأزمنة التالية له مثلها – أيضاً – لسان رسول الله محمد – صلى الله عليه وسلم – ، لكونها لسان أبيهم إبراهيم وجميع الأنبياء والرسل جميعاً علـيهم السلام، بها نزلت كتبهم السماوية، لذلك وجدنا أحد المستشرقين يقول : " ... أما أنـا فإني أعتبر نصوص المصحف العثماني، هي – تمثيلاً حقيقاً – للغة محمد –صـلى الله عليه وسلم– ، ولكنني أعتقد أن طريقة نطقه كانت متـأثرة بـبعض خـصائص الوسط اللغوي الذي عاش فيه، وهي خصائص قد انبثقت من لغة قد انقرضـت "(١)، وإذا كانت لغة القرآن الكريم هي لغة محمد –صلى الله عليه وسلم– ، لأنهم وجـدوا أن طريقته – صلى الله عليه وسلم – هي تماماً نطق الكتاب الذي أنزل عليه – صلى الله عليه وسلم – فهذا يعني أن نطق محمد –صلى الله عليه وسلم– هو نطق كل من كان في مكة ومن حولها ؛ وهذه حقيقة، لأنه شيء يطابق الواقع، لأنه نطق الوسـط اللغوي الذي كان – صلى الله عليه وسلم – يعيش فيه، ومعلوم أن لسان الوسط الذي كان يعيش فيه محمد – صلى الله عليه وسلم – وقت نزول الوحي، هو وسط اللسان

---

(١) اللهجات العربية الغربية القديمة – رابين –، ص ٢٦ .

المكي وكل ما حوله، ألم يرد أنه - صلى الله عليه وسلم - ولد في مكة، ونشأ في مرحلة التلقين اللغوي في ديار بني سعد عند مرضعته حليمة السعدية رضي الله تعالى عنها، واللغة التي لقنها، هي نفسها اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، وهذا يعني - أيضاً - أن خصائص لسان ذلك الوسط، الذي نطق به محمد - صلى الله عليه وسلم - يعتبر شهادة بعروبة اللسان الذي كان في مكة ومحيطها، ألم يقولوا : (إن خصائص ذلك الوسط، هي خصائص قد انبثقت من لغة قد انقرضت)، وإذا سألت أولئك المستشرقين أنفسهم، كيف يكون ذلك؟!!! قالوا : (... لأن واقع العربية الأدبية التي استعملها - صلى الله عليه وسلم - وقومه في مكة والمدينة، ولهجة الحديث في مكة، كانت تبدو وكأنها مراحل انتقالية من العربية الغربية إلى العربية الفصحى)[1]، إذن فلغة محمد - صلى الله عليه وسلم - وقومه في مكة، هي فعلاً : خلاصة مزيج ألسنة تلك القبائل التي وفدت إلى مكة إبان نشأة نبي الله إسماعيل - عليه السلام - بها، ورضعه منها طفلاً - عليه السلام -، وإذا كان ذلك المزيج هو اللسان الذي انبثقت خصائصه من العربية المبينة، إذن فقد كان ذلك المزيج لساناً عربياً أصيلاً، بدليل أنهم أسموه بالعربية الأولى، ولم يسموه سريانياً أو عبرياً، لأنه لسان القبائل العربية الغربية، التي قالوا عنها : أنها مراحل انتقالية للعربية المبينة التي أصبحت هي لسان محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وكل من كان في مكة أو حولها، بل وأكدوه بقولهم : (ومما يستحق الذكر أن أغلب القبائل التي ذكرت لهجاتها مع لهجة قريش، هي لهجات القبائل العربية الغربية)[2] .

ومعلوم أن تلك القبائل هي : طيء والأزد - بقسميها - وجرهم، وقضاعة، ولخم، وجذام، وسحار، وهمدان وغيرهم من قبائل تلك المنطقة -منطقة الجرف- التي كانت تسكنها هذه القبائل، أو من كان قبلهم من القبائل التي سميت بالكنعانية أو الآرامية، والعماليق، وغيرهم من القبائل التي كانت تسكن الامتداد الشرقي، والشمال

---

(١) اللهجات العربية الغربية القديمة - رابين -، ص ٢٧ .

(٢) اللهجات العربية الغربية القديمة - رابين -، ص ٥٨ .

الشرقي لهذه المنطقة، ولذلك كانت خصائص هذه القبائل اللسانية تتفق نطقاً وصياغةً – إلا فيما ندر – مع اللسان المكي، وإذا كانت قبيلة جرهم من أهم قبائل ذاك المزيج الذي انبثقت منه خصائص الفصحى المبينة، فكيف يكون لسانهم بعد ذلك عبرياً أعجمياً – كما هو عندهم –؟ إلا إذا كانت العبرية كانت لهجة عربية غربية – أو شرقية –؟، وهذه هي الحقيقة، لأن جرهم كانت لهجتها من أهم اللهجات التي كانت تكثر ألفاظها في القرآن الكريم[1]، وهذا يعني أيضاً – أن لسان جرهم كان عربياً فصيحاً كفصاحة ذلك المزيج الذي انبثقت منه الفصحى، والذي قالوا عن إحدى قبائله جرم : (... إن جرم كانت تمثل صفاء اللغة العربية بين القبائل العربية التي كانت حول مكة)[2]، وإذا كانت ألسنة هذه القبائل تعد مرجعية للعربية الفصحى عند المستشرقين، فكيف يقولون بعد ذلك : إن لسان جرهم الذين كانوا حول مكة، كان لساناً عبرياً؟!!!، ولسان طيء كان لساناً سريانياً، لأن القبائل العبرية – كما سبق – قد رحلوا من المواقع نفسها التي رحلت منها جرهم، وهذا يعني أنهم كانوا من عرب القبائل الجنوبية التي ترتبط بمحيط قبائل المنطقة الغربية – منطقة الجرف –، ولذلك كان اتفاق خصائصهم اللسانية، حتى إن ولفنسون وهو يتحدث عن أدوات التعريف في الساميات يقول : " في السبئية كانت (إن–ن) في آخر الكلمة والسريانية (ه) في نهاية الكلمة، وفي العبرية وبعض اللهجات العربية البائدة، حرف (هـ) أو (ه) (و) ... "[3].

وهنا نلاحظ ولفنسون يضع العبرية والسريانية، وبعض من سماهم بالعربية البائدة في دائرة واحدة، وهذا يعني أن كل من كان في هذه الدائرة كانوا في منطقة واحدة، وهذا ما يعني اتفاق خصائصهم وصيغهم، وإذا كانوا قد أطلقوا على الجرهمية أنها بائدة، فقد أطلقوا هذا نفسه على العبرية – كما سبق –، وهذا – أيضاً – كله يؤكد أن كل من كانوا في تلك الدائرة، كان جميعهم عرباً، بل تراهم يؤكدون

---

(١) المرجع السابق، ص : ٣٠ – ٣١

(٢) المرجع السابق، ص : ٣١ .

(٣) تاريخ الساميات، ص ٢٣ – ٢٤ .

هذه الحقيقة بما يدلل على أن العبرية لا يمكن أن تتضح أو يفهم الكثير من صيغها ومفرداتها إلا من خلال لهجات قبائل هذه المنطقة في جنوب جزيرة العرب، ولذلك قالوا : (أنهم – المستشرقون – قد لاحظوا أن العبرية تشترك مع السبئية في اصطلاحات كثيرة غير معروفة – في الفصحى – في العربية، كما توجد وجوه شبه قوية بين كلمات حبشية وعبرية(١)، ولا يمكن أن نفسر تلك المصطلحات إلا من خلال لهجات قبائل هذه المنطقة، وإلا ماذا يعني قولهم : (إنهم على معرفة كاملة بلهجة قبيلة طيء، إحدى كبريات قبائل تلك المنطقة، ومع ذلك لا يجدون تفسيرات لكثير من مفردات هذه القبيلة، إلا إذا هم رجعوا إلى المعادل العبري – القاموس العبري – الذي عالج دراسة الكثير من تلك المفردات علاجاً كافياً في كتاب مليلاه(٢).

فكيف لا تكون العبرية بعد ذلك هي إحدى لهجات منطقة جرهم والمهرة وما امتد منها غرباً وشرقاً، والتي منها طيء وأخواتها، كيف لا تكون كذلك، وما لم يفهموه في العبرية، يرجعون لفهمه وتفسيره إلى السبئية، والعكس كذلك، ألم يقولوا : (... إن الكثير من الألفاظ الموجودة في العبرية هي مقترضة من العربية الجنوبية، وخاصة تلك التي تتصل بالحياة المستقرة(٣)، كقولهم : إن (أيم) تعني شيطان في العربية الجنوبية(٤)، وأن لفظة : (أميمم) تعني (مارد) في العبرية عصر ما قبل التاريخ(٥)، وأن لفظة (بعل) تعني (سيد) في العربية الجنوبية، كذلك هي في العبرية والمهرية، إلا أن العين والباء مفتوحتان فيهما (بعل)(٦)، وموجودة بالفتح والإسكان إلى الآن في لهجات العبادل وفيفا وصعده وكل ما حولهما(٧)، ونجد لفظة (تلْم) وهي المحراث الذي يحرث الأرض، وهذه اللفظة نجدها في العبرية، ولهجات فيفا.

---

(١) المرجع السابق .
(٢) اللهجات العربية الغربية – رابين – ص : ٦٠ – ٦١ .
(٣) الطبري : ١/١٠٤ .
(٤) السابق، ص : ٦١ .
(٥) الرسالة – أبو عبيدة –، ص : ١٥٥، البيضاوي : ٢/٢٧٧ .
(٦) رابين، ص : ٦١ .
(٧) محمد قاسم اللغبي وسلمان العبدلي – تسجيلاً –، وكذلك محمد الفيفي .

والعبادل، وبني معين، وبني حريص، ومنبه، وسحار، وجماعة، وصعدة، وجل اللهجات الجنوبية[١] .

ولا يقف الأمر عند هذه الإيجابيات التي تثبت حقيقة عروبة تلك القبائل التي سميت بأسماء هَدِفَ من ورائها إخراجها عن عروبتها، في حين عروبتها ثابتة لهم، بدليل أن الخصائص والميزات التي زعموا أنها : اختصت وانفردت بها لهجات العبرية والسريانية، وأنها لا توجد – أي تلك الخصائص – إلا في السبئية وأخواتها، بل حتى ما قالوا بوجوده في العبرية وأخواتها خارج جزيرة العرب، ولا يوجد مثله في السبئية وأخواتها : كقولهم : " يوجد بالعبرية صيغتان للماضي الأولى : هي العادية : مثل كتب وأمر . والثانية : مشتقه من المضارع مع إضافة (واو) العطف، مثل : (ويكتب ويأمر) وحيث، وحيث هي تدل على استمرارية كتب وأمر – مثلاً – وهذه الصيغة هي قديمة جداً، فقد كانت معروفة في البابلية القديمة، وكذلك في الكنعانية العتيقة، وربما كانت هي القنطرة التي تصل بين صيغة الماضي العادية، وصيغة المضارع، وليس لهذه الصيغة أي أثر في اللغات الأخرى كالعربية والسبئية والحبشية والآرامية "[٢] .

وإذا أردنا أن نقف عند هذه الإشارة التي أرادوا بها التأكيد على استقلالية العبرية، وكونها لغة قائمة بنفسها، وهذا غير صحيح، لأنهم قد ردوا على أنفسهم فيما قالوه، فقد قالوا : (إن هذه الصيغة لم تكن في العبرية القديمة وحدها، بل كانت في البابلية القديمة، والكنعانية العتيقة)، وإذا كانت هذه الصيغة – التي أشاروا إليها – قد وجدت في هذه اللغات – اللهجات – فهذا يعني أنها قد وجدت أيضاً – في ألسنة المواقع التي رحلت منها قبائل تلك اللغات – اللهجات – في الجنوب، وقد رأينا أن بتلك المواقع كانت معين، وسبأ وأخواتها، إذن فقد وجدت تلك الصيغة في ألسنة هذه

---

(١) لهجات فيفا، ص : ٩٣ .

(٢) تاريخ الساميات – ولفنسون –، ص ٢١ – ٢٢ .

القبائل، لأن تلك من هذه وهذا بشهادتهم هم، حينما قالوا : (إن الكنعانية العتيقة - نفسها - قد انفصلت عن العربية الغربية، وصارتا لغتين مختلفتين)[١] .

إذن فالكنعانية عربية، وهذا يعني أن هذه الخاصية هي خاصية عربية، وما دامت هي خاصية عربية، ووجودها في العبرية، يؤكد أن العبرية هي أيضاً عربية، وعدم وجودها في السبئية، لا يعني عدم عربيتها، لأن وجودها في أخوات السبئية يؤكد عروبتها، وهذا يؤكد أن الكنعانية والعبرية والبابلية والآرامية كن جميعاً لهجات عربية، تعود للهجات قبائل المنطقة الجنوبية الغربية، والقبائل الجنوبية الشرقية، لوجود تلك الخاصية المشتركة بينهما جميعاً، فإذا كانوا قد أرادوا بتلك الصيغة استمرارية المعنى : " فهذه قرية (العرافة) إحدى قرى (خبان) بجنوب شرق جزيرة العرب، لا زالوا إلى الآن يقولون (بد أقول لك) ويقصدون : (قلت لك)، وكذلك جهة صنعاء وجوارها، يقولون : (زدْ قمتْ) ويقصدون : (قمت)"[٢]، بل هناك من صيغ المضارعة والمقصود بها استمرارية المضي الكثير، فهناك من هذه الصيغ لكنها تزيد هنا بسبقها ببعض الحروف والأدوات، وهناك صيغ مضارعية ترد في لهجات مواقع منطقة الجرف وامتداداتها - كل منطقة البحث -، صيغ ترد بنفسها دون أن تسبقها أي حروف أو أدوات، ويراد بها استمرارية الماضي، وبشهادة أهل تلك المواقع، كهذا الشاهد الشعبي، من شعر فيفا بقول شاعرهم :

فأحسيت في قلبي (جروسٍ) واللهايب

معلام تاجيني وأنا في أرض غايب

كمها رجالٍ (رايحة) فيما تقرب........)[٣]

يقول محمد بن مسعود الفيفي معلقاً : (جروس) مقصود بها (جروح) أبدلت (الحاء سيناً)، وهذا وارد في لهجات فيفا وما حولها، (معلوم) - أي الأخبار - بإبدال (أل) التعريف (أم) (رايحة) - أي ذاهبة -، بصيغة المضارع، والمقصود بها

---

(١) اللهجات الغربية - رابين -، ص ٣٥٠ .

(٢) لهجات اليمن قديماً وحديثاً، أحمد اشرف الدين، ص ٧٣ - ٧٤ .

(٣) لهجات فيفا - مخطوط - محمد بن مسعود الفيفي، ص : ١٣٢ .

الماضي القريب، ثم عن : (رايح – رايحة)، هي صيغة فعلية مضارعيه للماضي القريب، في لهجة فيفا، وليس مقصوداً بها الصيغة المشتقه من الفعل، أي صيغة اسم الفاعل المعروفة في الفصحى، وإن كانت كذلك في بعض الصيغ، مثل : (تقرب) هي وإن كانت صيغة مضارعية، إلا أن المقصود بها في هذا الشاهد : الماضي المستمر القريب[1]، إذن فلهجات منطقة الجرف تؤكد حقيقة الرابطة القوية بين ألسنة ساكنيها قديماً وألسنة القبائل التي رحلت عنها وسميت بأسماء أخرى كالكنعانية والسريانية والعبرية وأخواتها، حتى الخصائص اللغوية التي حاولوا أن يخصوا بها العبرية أو السريانية دون لهجات أهل هذه المواقع قديماً، فإن الباقي منها إلى الآن أثبت عكس كل ما قالوه – أي المستشرقين وتلاميذهم –، لأن كل ما قالوه لم يثبت أمام الشواهد، سواء كانت شعرية أو نثرية، لأن ألسنة تلك القبائل الراحلة ظل نطقها يمثل فترات بداية تبلبل الألسن في جنوب بلاد العرب – التي هم منها –، حين رحيل تلك القبائل منها، وعلى هذا تكون العبرية القديمة، هي لسان بعض قبائل جرهم – الأولى – والمهرية، التي خرجت في تلك الفترات، فترات بداية التبلبل، وقد تكون من القبائل التي كانت مجاورة لجرهم والمهرة – كما سبق –، وتكون السريانية – أيضاً – كما سبق هي لسان بعض قبائل الأزد – ما تناسل منها – في تلك الفترات وما بعدها، أو قبلها إلى الفترات التي كانت تسبق التوحد اللساني، لألسنة القبائل الكبار وأكثر بطونها، التي كانت تحصل مؤننة بتطور الفصحى على لسان نبي يظهر، بدليل أن خلاصة ألسنة تلك القبائل – الجرهمية، والأزدية، الطائية والعماليق وغيرها – كانت هي البنية الأساسية التي انطلقت من خلالها الفصحى المبينة على لسان نبي الله إسماعيل – عليه السلام –، فكيف بعد هذا تكون الفصحى قد بنيت على ألسنة أعجمية؟!!!، كيف يكون هذا وعلماء التاريخ اللغوي يقولون : إن أكثر اللهجات التي وردت ألسنتها في القرآن الكريم، بعد قريش، هي : لهجات أصحاب تلك الخلاصة، التي انطلقت منها الفصحى، لذلك قالوا : (إن للغة قريش النصيب الأوفر في القرآن

---

(١) لهجات فيفا – مخطوط – محمد بن مسعود الفيفي، ص : ١٣٢ .

الكريم، وإن كانت تليها – في هذه الوفرة – هي : جرهم، حمير، هذيل، كنانة، تميم قيس، عيلان، ثم أهل عمان – أزدعمان- وأوشنوءة، وطيء خثعم، فلخم، فمذحج، فمدين، وعفان، وحضرموت، وبني حنيفة، وخزاعة، وأشعر، وبنو عامر، وكندة، وسبأ والعمالقة، ومزينة، وسعد العشيرة، وأهل اليمن)[١]، أفلا يؤكد هذا وحده هذا اللسان المبين، وأن أسس بنيته لم تكن لأي لسان غير اللسان الجنوبي، وأن بنية اللسان المكي لم تكن إلا للسان الجنوبي، فحمير : " على الرغم مما قيل – بعدم فهم لسانها – إلا أنه قد ورد أن النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – : (كان يحب الكلمات اليمنية، كما روي : أن زيد بن ثابت – رضي الله تعالى عنه – كان مع النبي –صلى الله عليه وسلم– ، وكان يملي عليه –صلى الله عليه وسلم – كتاباً ، فدخل رجل فأمره النبي – صلى الله عليه وسلم – بالتوقف عن الكلام، قائلاً : (انط) ومعناها بالحميرية (اسكت) "[٢]، وهذا يعني أن اللهجات الحميرية كانت معروفة عند جل المكيين، وهذا يؤكد حقيقة وجود الصيغ والمفردات الجنوبية في اللسان المكي، الذي كان الأساس في اللسان – الذي سمي – الحجازي، لأن من كان لسانه رمزاً لذلك اللسان، قالوا إن : (طريقة نطقه – صلى الله عليه وسلم- كانت متأثرة بخصائص الوسط اللغوي الذي يعيش فيه ....)[٣] . ومعلوم إن الوسط الذي كان يعيش فيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هو مكة، على هذا تكون لغة مكة ممثلة لكل ألسنة العرب، شماله وجنوبه، وشرقه وغربه، وخصوصاً اللسان الجنوبي، وهو لسان القرآن الكريم نفسه، لقولهم : (أن نصوص المصحف العثماني هي تمثيلاً حقيقياً للغة – صلى الله عليه وسلم –) "[٤] .

ورأينا أن لغة محمد – صلى الله عليه وسلم – كانت هي خلاصة ذلك المزيج – اللهجي – المنصهر داخل الأرض المكية، أي المزيج الذي (انبثقت

---

(١) اللغات في القرآن الكريم، بن حسنون، ص : ٦٥ – ٦٦ .

(٢) لسان العرب : ٢٠/٢٠٦ .

(٣) اللهجات الغربية العبرية – رابين – ص : ١٠٢ – ١٠٣ .

(٤) رابين، ص ١٠٣ .

خصائصه من خصائص لغة قد انقرضت)[١] . أي – لغة إسماعيل – عليه السلام – التي درست، كما أشار إليها حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – السابق، ولذلك كانت الكلمات اليمنية – الجنوبية الحميرية – في السور المكية أكثر منها من السور المدنية[٢] .

وإذا كانت الحميرية – الجنوبية – قد وجدت في القرآن الكريم، الذي وصفه من أنزله – سبحانه وتعالى – أنه : (لسان عربي مبين) فهذا يعني أن الحميرية عربية أصيلة، شأنها في العروبة شأن أخواتها : الجرهمية التي دعيت بأنها عبرية، والأزدية التي دعيت أنها سريانية، وكذلك الطائية التي كانت كالحميرية في شهرتها في اللسان المكي، لذلك رأينا الكثير من مشاهير الصحابة – رضي الله عنهم – خصوصاً المكيين – كانوا يعتمدون على لهجات طيء في تفسيرهم للكثير من آي الذكر الحكيم،وأحاديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كاعتمادهم على الحميرية سواء، بل إن منهم من كان يتحدث بالطائية : فقد تحدث ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – بلغة طيء، فقد سئل عن قتل المحرم الحيات، فقال : لا باس بقتله الأفعو، ولا بأس بقتله الحدو[٣]، وقد اعتمد – رضي الله تعالى عنهما في تفسير قوله تعالى – في سورة يوسف : فلما رأينه أكليرنه ...) على لغة طيء، والتي تعني لفظة (أكبرنه) فيها : معنى الحيض[٤]، وكذلك ما ورد في أحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، كقوله : (يتعاقبون عليكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار)، فقد قالوا : إن لهجة هذا الحديث قد وردت بلهجة طيء، وهي تثنية الفعل وجمعه، وقد أسموها بلغة أكلوني البراغيث، وقد أوردوا كثير من ألفاظ القرآن الكريم والحديث التي فسرت بلسان طيء[٥]، وهذا كله يؤكد أن لسان طيء كان لساناً رئيسياً في لغة أهل

---

(١) اللهجات العربية الغربية، ص : ١٠٣ .

(٢) اللهجات العربية الغربية، ص : ١٠٣ .

(٣) شعر طيء وأخبارها : ١٥-/١ .

(٤) اللسان، مادة : (كبر) .

(٥) شعر طيء وأخبارها، ص ١٨٣ – ١/١٨٤

مكة توارثاً، شأنها في ذلك شأن الحميرية والأزدية وغيرها من لهجات تلك القبائل التي كانت ألسنتها الحجر الأساسي في بناء اللسان القرشي – المكي – الذي أصبح يعرف بلسان محمد – صلى الله عليه وسلم –، وبه – أيضاً – نزل القرآن الكريم .

التأثير الكتابي :

وليس هذا فحسب، هو ما يؤكد أثر ألسنة تلك القبائل في بناء اللهجة –اللسان المكي– القرشية في بناء صيغها ومفرداتها فقط، بل سنرى أن ذلك الأثر قد تجسد حتى في طرق رسمها وكتابتها للحروف، لدرجة أصبح فيها قلم تلك القبائل قلماً رئيسياً في كتابة المصحف الشريف وقراءاته، فمن ذلك ما ورد عن طيء، إحدى قبائل تلك الخلاصة التي قامت عليها القرشية – المكية – قولهم : "كان للطائيين نُظُم خاصة بالكتابة ورسم الحروف، فقد كانوا يرسمون ما آخره (هاء) (تاء) مفتوحة، فيكتبون : (نعمة) التي أصل كتابتها بـ (الهاء)، (نعمت) أي تاء مفتوحة، وعلى رسمهم هذا جرى كتابة (نعمت) في القرآن الكريم، موافقة لرسم كتابة طيء "[1] . ومثلها كلمة : (رحمت – سنت – شجرت – بقيت وغيرها في المصحف الشريف كثيراً) . وقد سبق أن رأينا أن هذا الرسم الكتابي ونطقه لا يزال متداولاً في – منطقة البحث نفسها – المنطقة التي كانت تسكنها قبائل طيء، وهي منطقة الجرف وما حولها، والذين لا زالوا يقولون في : بقرة – بقرت – ونعمت – وقد وجدنا هذا في بعض مواقع العبادل وبني ودعان وآل محمد والغمر، وبني معين، وبعض بطون فيفا، وبني حريص والنظير ومنبه، وغيرهم كثير في هذه المنطقة .

وليست قبيلة طيء وحدها – من منطقة الجرف – التي ظهر أثر قلمها في القلم المكي الذي كتب به المصحف الشريف، بل هناك قبائل حمير التي قال فيها الهمداني : " إن كتبة حمير، يكتبون بحذف الألف إذا وقعت في وسط الكلام، وقفاهم

---

(١) مجلة الفيصل، عدد : ٧٦، سنة ١٩٨٣، ص : ١٢

المسلمون في كتابة المصحف الشريف :حيث طرحوا (ألف) الرحمن والإنسان ... إلخ "[1] .

أما الأزد، فهي ذات التأثير الكبير نطقاً وكتابةً في المكية خصوصاً، والحجازية عموماً، فمثلاً لو عدنا لبعض الصيغ التي كتبت في المصحف الشريف بطريقة أشعلت خلافاً شديداً بين علماء اللغة ومؤرخيها – حول عربيتها – قديماً وحديثاً، إذ هناك من يجعلها عربية خالصة، وعلى هذا المذهب الكثير من علماء العربية، في حين نجد منهم من كان يعتبرها غير عربية، متابعاً في ذلك بعض مؤرخي الساميات من غير العرب، والذين انقسموا حول تلك الصيغ، إذ منهم من كان يعتبرها سريانية، وبعضهم يعتبرها عبرانية، وسبب ذلك الخلاف هو عدم وقوف أكثر – إن لم يكن جلهم – العلماء على تحديد الأصل المكاني وناطقيه، لأن الرسم الكتابي لأي كلمة هو تمثيل لنطق تلك الكلمة لدى ناطقيها، فلو أنهم حددوا ناطقي تلك الصيغ لبانت لهم حقيقة أصول تلك الصيغ، فمثلاً : لو عدنا لبعض ما سبق أن وقفنا عنده من تلك الصيغ، التي أعدنا أصولها لناطقيها لوضحت – أيضاً – حقيقة أصولها الكتابية، كلفظة : (صلاة وحياة وزكاة) التي رسمت في المصحف الشريف (بالواو) : (صلوة – حيواة – زكوة)، وغيرها كثير، وهذا النطق رسمه الكتابي موجود بعينه في منطقة الجرف إلى الآن –كما سبق قوله– .

بل إن هذه الطريقة في النطق والرسم الكتابي هي ليست قاصرة على الأسماء فقط، كما ظن أولئك العلماء، بل حتى صيغ الأفعال وجدت بها، فلو عدنا للمصحف الشريف، فسنجد الكثير من صيغ الأفعال التي كتبت على طريقة نطق قبائلها، من ذلك مثلاً قوله تعالى : (ما نشؤا[2]–يَتَفَيَّؤُا[3]–تَفْتَؤُا[4]–تَظْمَؤُا[5] ...) وهناك الكثير

---

(١) مجلة الفيصل، العدد ٧٦، سنة ١٩٨٣م، ص : ٨٢ .

(٢) سورة هود، آية : ٨٣ .

(٣) سورة النحل، أية : ٤٨

(٤) سورة يوسف، أية : ٨٥ .

(٥) سورة طه، أية : ١١٩ .

من هـذه الـصيغ الفعليـة التـي جـاءت كتابتهـا علـى نطـق تلـك القبائـل – الجرفية – ثم إن هذه الصيغ التي ارتبطت كتابتها بنطقها، حينما تبحث وتستقصي تجد أنها عربية خالصة – ولا شك في ذلك –، لأن هناك من علماء اللغة القدامى من صرح بحقيقة عروبتها، بل وجدناه يشير إلى الجهة التي جاء منها هذا النطـق، وإن كانت إشارة عامة إلا أنه استطاع أن يرشد إلى جهة أصلها، وكان علـى البقيـة أن يحددوا خصوصيتها المكانية ولم يكن هذا المستشرق هو البادىء في الإشارة إليهـا، وإن كانت إشارة عمومية، فقد سبقه في الإشارة أحد مشائخ علماء اللغة القدامى، وهو الشيخ ابن جني في كتابه سر الصناعتين، بقوله : "... إن الكلمات التي كتبـت فـي المصحف الشريف (بالواو) مثل :(صلوة – زكوة – حيوة) وأخواتها هي عربية، لأن نطقها (بالواو) موجود في اليمنية "[1] وقد نقل عن المستشرق (برافمان) الذي نقـل هذا الخبر عن ابن جني :قوله (معلقاً) "ونحن نقطع أن ابن جني كان يعني أن هـذا النطق كان يمنياً لمعرفته بكيفية نطقها من خلال معرفته بعلم التجويد "[2]، أما رابين المستشرق، فيقول : (ولذا نستنتج أنه كان يعني أن هذا النطق هو نطق يمنيه) " .

وإذا كان ذلك النطق يمنياً، فهذا يعني أن الكتابة – أيضاً – كانت يمنية، وقد سبق أن حددنا المنطقة التي كانت تنطق هذا النطق وأمثاله تحديداً (جغرافيـاً) فـي جنوب جزيرة العرب، بل وجدنا القبائل التي كانت تسكن في تلك المنطقة وامتدادها الجغرافي – كطيء والأزد – (أزد السراة) وأخواتها كما سبق وهو ما لـم يـستطع تحديده مؤرخو العربية القدماء والمحدثون – أيضاً – عرباً كـانوا أو مستـشرقين، الذين تحدثوا عن طريقة النطق والكتابة اللذان سبقت الإشارة إليها، قولهم : (... وقد تشير هذه الطريقة التي لم يلتزم بها إلا قلة من المتكلمين الذين قد يكونوا من جيـل أسبق، أو من أبناء منطقة جغرافية بعينها)[3]، وقد سبق أن قلنا أنها منطقة القبائـل الغربية .

---

(١) اللهجات العربية الغربية، ص : ٢٠٤ .

(٢) المرجع السابق، ص : ٢٠٤ .

(٣) المرجع السابق، ص : ٢٠٤ .

وإذا كنا قد رأينا أن العربية المكية، ومنها الحجازية قد قامت على مزيج تلك القبائل الغربية، فلا نستغرب إذا وجدنا من المستشرقين من يقول : " وتدل الكتابة القرآنية – وهي لا شك تعكس نطق الحجاز وقت النزول – على أن فتحة النصب والتنوين بعدها كانا ينطقان في ذلك الوقت فتحة طويلة (اا) وتكون لهجة أزد قد فعلت مع الضم والجر ما تفعله لهجة الحجاز مع النصب عند الوقف"[(١)] .

فهل يعني أن ما فعلته لهجة الأزد، هو تقليد لما فعلته الحجازية أو العكس وهنا يجيب على هذا الاستفسار علماء العربية بقولهم : " أن أزد (السراة) لم تحتفظ – فقط – بالفتحة الطويلة – علامة للنصب عند الوقف – بل احتفظت بضمة الرفع وكسرة الجر طويلتين كذلك، فكانوا يقولون : هذا زيدو ... "[(٢)] .

على هذا تكون الأزدية هي الأساس الذي قامت عليه الحجازية، وتكون الحجازية في هذا متأثرة نطقاً وكتابةً بالأزدية وأخواتها من اللهجات الغربية؛ لأن "الفتحة الطويلة (اا) الشبيهة بالضمة الطويلة (نونو) توجد ببعض اللهجات الحديثة بجنوب جزيرة العرب، ولهذه اللهجات علاقة بالعربية الغربية ... "[(٣)]، وهذا يؤكد عروبتها وموضع منطلقها القديم، حيث إن اللهجات الجنوبية التي أشار إليها المستشرق رابين هي اللهجات التي تتمركز الآن في نفس المواقع التي هاجرت منها قديماً قبائل الأزد وأخواتها من اللهجات الغربية، بل هي نفس المنطقة التي هاجرت منها القبائل العربية التي غيرت أسماؤها إلى اسم الآرامية والسريانية وغيرها، فإذا وجدت مثل هذه الصيغ – نطقاً وكتابةً – في تلك اللهجات فهي ولاشك أن الحجازية – عندهم – أنبتت (أساساً) على ما سمي بالآرامية ومنها (السريانية)، و(الكنعانية)، و(العبرية)، لأن : ما حدث في الأزدية كان مرتبطاً بما جرت عليه العادة في النقوش النبطية، عندما كانت تكتب الأعلام العربية دائماً (بواو) في آخرها، ومن النبطية

---

(١) سيبويه ، الكتاب : ٢/٣٠٧، ابن يعيش المفصل، اللهجات الغربية – رابين –، ص٩ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) اللهجات الغربية – رابين –، ص ١٩٣ .

انتقل ذلك إلى الحجازية، أو أنه انعكاس للغة النبطيين، كما يرى جويدي"[١] . وإذا كان – جويدي – قد قال ذلك، فجويدي نفسه يقول – أيضاً – (إن هذه الطريقة من الكتابة متأثرة بألف التفخيم الحجازية)[٢] .

وإذا كانت تلك الصيغ في القرآن الكريم كانت تبعاً لألف التفخيم الحجازية، فهذا يعني أن تلك الصيغ كانت صيغاً أزدية طائية ... إلخ[٣]، لأن الحجازية – كما سبق – قامت على الأزدية وأخواتها، لكون متكلمي الحجازية عندهم : (كانوا عرباً يتكلمون لهجة يمكن أن نسميها بالعربية الأقدم) [٤] .

وخير من كان يمثل تلك اللهجة الأقدم عندهم هي الأزدية[٥]، لأنهم يعتبرون: (الطبقة التحتية العربية التي مثلتها اللهجة النبطية، ولغة الملك امرىء القيس المدونة في نقش النمارة، بقية من اللهجات العربية الأقدم، شأنهما في ذلك شأن لغة الثموديين الذين كتبوا نقش الحجر، ولذلك نستنتج أن الخصائص التي تميزت بها لهجة أزد عز بقية لهجات اليمن، كانت راجعة إلى العربية الأقدم .

وهذا يعني أن تكون أزد من نفس الفصائل العربية المستقرة التي تنتمي إليها حمير، ومن هنا فإن النسابين الذين يربطون بين الطائفتين على صواب)[٦].

وإذا كانت الأزدية وأخواتها تعد خصائصها اللغة الأقدم، أفلا يعني هذا صدق ما ذهبنا إليه حول : أن اللسان الجنوبي كان هو الأساس في بنية اللسان المكي القرشية الحجازية، بدليل ما سبق أن قالوه عن (ألف التفخيم)، التي كتبت بها بعض الصيغ في المصحف الشريف كانت : (مكي نهاية ص ٣١) مدونة منذ القدم بكتابة الفتحة الطويلة (واوًا) لا ألفاً، وذلك كما في (صلوة، وزكوه، وحيوة ...) إلخ، وهذه الكلمات قد كتبت جميعاً بالواو في أقدم النصوص المخطوطة، وفي أغلب النسخ القرآنية[٧] .

---

(١) اللهجات الغربية – رابين، ص : ١٠٩ .
(٢) جويدي، ٧/٤٢٥ .
(٣) جويدي، ٧/٤٢٥ .
(٤) جويدي، ص : ١٩٤ .
(٥) المرجع السابق، ص : ١١١ .
(٦) اللهجات العربية الغربية – رابين –، ص ١١١ .
(٧) المرجع السابق، ص : ١٩٠ – ١٩١ .

وإذا كانت ألف التفخيم من خصائص تلك اللغة القديمة، وسبق أن رأينا أن خصائص الأزدية كانت تمثل اللغة القديمة، وسبق أن رأينا أن خصائص الأزدية كانت تمثل اللغة القديمة، إذن فخاصية ألف التفخيم هذه هي من خصائص الأزدية، والأزدية – هيَ – من قبائل العربية الغربية، وهذا يعني أن هذا سبب رئيسي لكتابة هذه الألف (واواً)، في (صلوة – زكوة) لأنها – الألف – أصلاً ممالة على الواو، وهذا يؤكد أن عروبتها خالصة، ولذلك لا نفترض أن هذه الحركة (وو) غير عربية، أو أنها مأخوذة عن (الضمة في الكلمات الآرامية : صلوتا)، لأن الآرامية نفسها عربية أزدية خالصة – كما سبق في السريانية – وهذا كله يؤكد ما سبق أن قلناه حول المكية – لغة القرآن الكريم – وبنائها على الأزدية وأخواتها، وهي حقيقة يؤكدها – أيضاً – نطق النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – ومحيطه الذي نزل فيه القرآن الكريم، المحيط الذي تجلت فيه الكثير من الخصائص الكتابية والنطقية، والآتية إليه من تلك القبائل – العربية الغربية – وعلى ذلك يكون رسم تلك الكلمات في المصحف الشريف، رسم عربي خالص، بل ويؤكد عروبة اللهجات التي تنسبت إليها تلك الصيغ الكتابية، سواء سميت تلك اللهجات سريانية أو آرامية، أو عبرية، أو كنعانية؛ لأن أصول تلك اللهجات المهاجرة لا زالت شاخصة – موقعاً وإنساناً –، حتى وإن حاول المستشرق رابين أن يشكك في تلك العروبة بقوله : (... ومع هذا فينبغي أن نضيف أن الكلمتين – صلوة وزكوة – بفتح الواو – تمثلان الصيغة التي تنبني عليها الأسماء التي من هذا النوع في السامية الأم، وسيكون هناك احتمالان :

أ – إما أن تكون الواو الواقعة بين فتحتين (وَ) بقية في اليمنية .

ب – أو أنها صارت فتحة طويلة كما هي في الفصحى ... "[1] .

ورغم هذا الإثبات – عند رابين – المقصود به النفي؛ لأنه إثبات مبني على الشك والتردد، لأن الفصحى – عندهم – أخذت الفتحة الطويلة من الآرامية – السريانية – كما سبق قولهم : " والذي نعلمه أن زكاة مقترضة من الآرامية، وكذلك

---

(١) اللهجات العربية الغربية – رابين –، ص : ١٩٣ – ١٩٤

حياة، فيحتمل –أيضاً– أن تكون مقترضة "[1] . وقد رديفا على ذلك سابقاً، أما قولهم: (لوجودها في اليمنية) فأيضاً لا يقصدون به إثبات عربيتها ليمنيتها، لأنهم أتبعوا ذلك بقولهم : (فلوجودها في أمها السامية) .

ورغم ذلك ما استطاعوا إخراجها من عروبتها، لأنهم وجدوا أن العربية الغربية تمثل الأصول القديمة للسامية القديمة[2] .

ولذلك وجدنا رابين يؤكد أن الفتحة الطويلة وتغييرها إلى ضمه طويلة، أو العكس، أو الفتحة القصيرة إلى طويلة، أو الكسرة، حسب ما تتطلبه المعاني، هي خاصية من خصائص العربية الغربية – منطقة – : (ومع هذا فإن هذا التغيير مطرد في اللغات العربية الجنوبية الحديثة، ونظراً لتغيير الفتحة الطويلة إلى ضمة طويلة نصف ضيقة، موجود بإطراد في الكنعانية والآرامية الغربية، ولهجة الحجاز، فقد يحدونا هذا لأن نفترض أن هذا التغيير في اللغات الجنوبية الحديثة قد انتقل إليها عن طريق العربية الغربية أما الواسطة في هذا الانتقال : فلابد أنها كانت اللهجة اليمنية القديمة)[3] .

وإذا كانت اليمنية القديمة كانت هي المؤثر في العربية الغربية، التي كانت – أيضاً – هي البنية الأساسية في اللهجة المكية خصوصاً، والحجازية عموماً، فكيف تكون بعد ذلك تلك الطريقة الكتابية وحركاتها النطقية التي وجدت في رسوم المصحف الشريف والسنة المطهرة ومن أنزل عليهم، هي آتية إليها من الآرامية والكنعانية وأخواتها، والكنعانية – وأخواتها – قد انفصلت من العربية الغربية[4]، لذلك رأينا اطراد تلك الحركات –السابقة الذكر– في الكنعانية وأخواتها، والحجازية لأنها – الحركات – أساساً موجودة في العربية الغربية، التي كانت تمثل – أمها - اليمنية القديمة، التي اعتبروها – المستشرقون – السامية القديمة – كما سبق – .

---

(١) اللهجات العربية الغربية – رابين –، ص : ٦٧ – ٦٨ .

(٢) اللهجات العربية الغربية – رابين –، ص : ٢٠٠ – ٢٠١ .

(٣) اللهجات العربية الغربية – رابين –، ص : ٦٦

(٤) اللهجات العربية الغربية – رابين –، ص : ٣٥٠

وهذا يفسر لنا حقيقة ماهية اللغة التي انقرضت[١]، وكانت تمثلها لغة محمد - صلى الله عليه وسلم -، ونصوص المصحف العثماني، أي خصائص الوسط اللغوي الذي عاش فيه محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وهو مكة وما حولها، وهذا يعني أن تلك اللغة المنقرضة هي اليمنية القديمة، بدليل - إضافة لما سبق - أنهم قالوا عن اللهجات الحجازية : (إنها لم تكن لهجة غربية خالصة، ولكنها تأثرت تأثراً كبيراً بنفس اللهجات التي نشأت عنها العربية الفصحى) [٢] .

وإذا سألتهم عن اللهجات التي نشأت عنها الفصحى، قالوا : (والواقع أن العربية الأدبية التي استعملها محمد - صلى الله عليه وسلم - في مكة وفي المدينة، ولهجة الحديث في مكة - أيضاً - فتبدو وكأنها مراحل انتقالية من العربية الغربية إلى العربية الفصحى) [٣]، ومعلوم أن القبائل الغربية، هي قبائل جنوبية قديمة، وعلى هذا تكون اليمنية المقصودة هي لهجات هذه القبائل وما حولها، بدليل قولهم : (إن النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - كان يحب استعمال الكلمات اليمنية) [٤] .

بل إن وجود هذه المفردات في العربية الشمالية هي حقيقة واقعة، تبين أن أهل مكة إن لم يكن محمد - صلى الله عليه وسلم - كانوا يعرفون الكثير من لهجات اليمن[٥]، ولذلك رأيناهم حينما تحدثوا عن تأثر محمد - صلى الله عليه وسلم - وأهل مكة باليمنية القديمة قالوا : (وقد سبق أن ذكرنا مثلاً لنطقه - صلى الله عليه وسلم - باليمنية - الحميرية - : (ليس من أمبر امصيام في امسفر) [٦] ومعلوم لدى الجميع أن بقايا حمير كانوا من ضمن القبائل الغربية، الذين كان لهم تأثير كبير في اللسان المكي، وعلى هذا تكون اليمنية القديمة هي السامية الأم بعينها، ولذلك

---

(١) المرجع السابق، ص : ٢٦ .

(٢) المرجع السابق، ص : ٢٦ .

(٣) المرجع السابق، ص : ٢٧ .

(٤) المرجع السابق، ص : ٢٣ .

(٥) المرجع السابق، ص : ٢٣ .

(٦) اللهجات العربية الغربية - رابين -، ص : ١٠٢ .

رأيناهم حينما تحدثوا عن ضمير الخطاب والتكلم المتصل–التاء–، ونطقه (كـــاف)، قالوا : " والحق أن (كو) ضميراً للمتكلم، هي بكل تأكيد من أقدم العناصر الـــسامية المقطوع بها وأنها بناءً على هذا لابد أن تكون قد وجدت في اللغة الأم التي تـــشأت عنها العربية، وبقاؤها في الحميرية قد يكون راجعاً لقـــدمها، – لأن هـــذه اللغـــة – (الحميرية) قد احتفظت بكثير من الخصائص القديمة، بل هناك بقايـــا كثيـــرة مـــن الحميرية القديمة، وبقاء مثل هذه الصيغ الغربية في العربية التي نعرفها في الأماكن الأخرى يعتبر أقوى دليل على صدق نظريتنا عن اللغة الحميرية وكونها قد احتفظت بكثير من الخصائص القديمة ... "[1] .

وإذا كانت الحميرية قديمة، واحتفظت بالصيغ التي انبثقت من العربية القديمة التي انقرضت، فهذا يؤكد أن تلك العربية القديمة هي التي سميت بالسامية القديمـــة، لأن كل ماهو موجود يؤكد عربية تلك اللغة المسماة بالسامية، بل إن الخصائص التي وجدت في الحميرية كنطق الضمائر السابقة وغيرها مما سبق وما سيأتي بـــإذن الله تعالى، يؤكد أن الطبيعة التي وجدت عليها الحميرية – نطقاً وكتابةً – تمثل الفتـــرة التي نشأت فيها اللهجات المتبلبلة، وهي الفترات التي بدأت فيهـــا هجـــرات القبائـــل العربية إلى خارج جزيرتها العربية، بدليل توافق هذه الخصائص بين من بقي داخل الجزيرة العربية من تلك القبائل وبين من رحل إلى خارجها، وبين من رحل وبقـــي محافظاً على تسميته الأصلية هناك وبين من غيرت تسمياتها كالكنعانية والآراميـــة والعبرية والبابلية وغيرها، بل إن هذه الفترات هي نفسها الفترات التي أشاروا إليها بانفصال الكنعانية وأخواتها عن العربية الغربية، ولذلك كانت الحميرية وأخواتها هي أصدق صورة للعربية القديمة – فترات التبلبل –، داخل جزيرة العرب وخارجها، بل هي العربية التي يحلو لمؤرخي الساميات تسميتها بالسامية .

ولم تكن الحميرية وحدها من اللهجات الغربية التي احتفظت بخصائص اللغة القديمة، بل رأيناهم يقولون : (إن الخصائص التي تميزت بها لهجة أزد عن بقيـــة لهجات اليمن كانت راجعة إلى العربية الأقدم، وهذا يعني أن تكون أزد مـــن نفـــس

---

(١) اللهجات الغربية العربية القديمة – رابين – ص ٣٠١ .

القبائل العربية المستقرة التي تنتمي إليها حمير، شأنها في ذلك شأن لغة الثمـوديين الذين كتبوا نقش الحجر) [١] .

وإذا كان شأن اللسان الثمودي كان هو شأن الأزدية – وأخواتها – في تمثيل اللغة القديمة، فهذا يفيد تواصل أصول العربية، وعمق تجذرها – فصيحة ومتبلبلـة، ويعني – أيضاً – أنهما لم ينقطعان في أي زمن من الأزمان، سواء من بقـي مـن القبائل والبطون داخل جزيرتهم أو من خرجوا عنها .

وإذا كان احتفاظ لهجة الأزد بتلك الخصائص، راجعاً للعربية الأقدم، وأن من تلك الخصائص المحتفظ بها – الفتحة الطويلة، والكسرة والضمة الطويلتين –، أفـلا يعني ذلك حقيقة عروبة هذه الحركات نطقـاً وكتابـةً، وذلـك لعروبـة ناطقيهـا – على أقل تقدير –، سواء كانوا في منطقتهم الأصلية بجنوب جزيرة العرب أو في الأماكن التي انتقلوا إليها في وسط الجزيرة أو شمالها أو خارجها، كمـا فـي بـلاد النهرين والشام وفلسطين وغيرها، ولذلك قالوا – هم – بتوافـق خـصائص هـذه اللهجات، وخصوصاً الأزدية والطائية مع اللهجات الراحلة، خصوصاً تلـك التـي جعلوا لها أسماء غير أسمائها، كقولهم :"وفي الشمال تتغير الفتحة الطويلـة – ذات النبر – إلى ضمه نصف ضيقة طويلة (وو)، وهو أمر معروف فـي كنعانيـة تـل العمارنة، وفي العبرية، والفينيقية، والسريانية الغربية، حيث تنطق الفتحة الطويلـة (اا) كالضمة (وو) في تغير الفتحة التي تطول بتأثير الضم إلى ضمة نصف ضـيقة (توتو) في أسلوب القراءة العبرية في فلسطين الشمالية "[٢] .

وهذا التوافق لا يعني – أيضاً – أن العربية قد أخذتها من تلك اللهجات التي سميت بغير أسمائها كالكنعانية وأخواتها، لأنهم قد سبق أن قالوا عـن أصـل تلـك الكلمات التي بها مثل تلك الحركات ونطقها : (ولما كانت هـذه الكلمـات عربيـة خالصة، فإنه لا يمكن أن نفترض أن هذه الحركات غير عربية، أو أنها مأخوذة عن الضمة الطويلة في الكلمات الآرامية) [٣]، ولهذا السبب كتبت الألـف فـي صـلوة

---

(١) اللهجات العربية الغربية – رابين –، ص : ١١١ .

(٢) اللهجات العربية الغربية – رابين –، ص : ١٩٤ – ١٩٦ .

(٣) اللهجات العربية الغربية – رابين –، ص : ١٩١ – ١٩٢

وزكوة بالواو، لأن الألف (اا) في هذه الكلمات ممالة إلى الواو)، وليس هذا فحسب، بل حتى الحجازية التي قالوا بتأثرها بالكنعانية والآرامية وأخواتها نراهم يقولون عن طريقة كتابة : (صلوة وزكوة) – بها – : (إن تلك الطريقة من الكتابة – هي أصلاً – متأثرة بألف التفخيم الحجازية، لأن العرب الذين كتبوا بها كانوا يتكلمـون لهجـة يمكن أن نسميها بالعربية الأقدم، وفي النقوش العربية الأقدم الأصلية) [١] . بل نصوا على مواقع أهلها الأصلية بقولهم : (والفتحة الطويلة (اا) الشبيهة بالضمه الطويلـة (تونو) توجد في بعض اللهجات الحديثة بجنوب جزيرة العـرب؛ لأن لهـا علاقـة باللهجات العربية الغربية) [٢] .

وهذا التوافق حتى مع المواقع الأصلية بجنوب جزيرة العـرب، ألا يؤكـد عروبتها جميعاً – سواء من بقي أو من رحل – حتى من غيرت أسـماؤها وبعـدت هناك، كذلك لا يعني أنها قطعت عن أصولها وعروبتها، بل حتى ذلك الذي قالوه عما وجدوا فيه من تناقض بين ناطقي اللهجات الغربية داخل جنـوب جزيـرة العـرب وشمالها، وجدنا مثله – وأكثر منه – في أصول تلك القبائل في مواقعها، كما سبقت الإشارة، فقد رأينا : (آل محمد) من قبائل العبادل – الآن – والغمـر والكعـوب، وبعضاً من فيفا لا زالوا ينطقون تلك الكلمات كما كانت أصولها – في هذه المواقـع قبل رحيلها – تنطقها قبل آلاف السنين – بالواو –[٣] .

نطق تلك الحركات ومواقع البحث :

في حين وجدنا بطون اللغوب والأيتام وهم من العبادل وبقية العبادل، وبنـي معين، والجوابر، وبني حريص، ينطقون تلـك الكلمـات بـدون – واو –، وهـذا لا يعني أن هناك تناقضاً في النطق، بل يعود لطريقة نطق كل قبيلة من قبائل تلـك المنطقة ذات المواقع المتعددة – بالمرتفعات الجنوبية الغربية – وسـهولها بجنـوب جزيرة العرب، ولذلك لم يكن غريباً أن وجدنا مثل هذا في نطق القبائل الراحلة إلى

---

(١) اللهجات العربية الغربية – رابين –، ص : ١٩٤ – ١٩٦ .

(٢) المرجع السابق، ص : ١٩٣ .

(٣) تسجيلاً ميدانياً من مواقع البحث كما سبق .

خارج جزيرة العرب، لأن تلك البطون – هناك – هي أصلاً من هذه المواقع بجنوب الجزيرة العربية، وقد أشار مؤرخو اللغة لمثل ذلك بقولهم : " وقد لوحظ في الخط السرياني القديم مثل هذا الخلل، فقد وجدت الواو في (معنو)، ونجد في بعضها مثل (وائل) دون (واو) رغم وجودها (الواو) في نقوش سيناء "(١) .

وهذا وأمثاله يؤكد أن السريانية – وأخواتها – لهجة نابعة من حظيرة هذه اللهجات، وإن تسمت بغير أسمائها الأصلية، سواء كانت في موطنها الأصيل بجنوب جزيرة العرب، أو في غير موطنها، ولذلك لم يكن وجود (الواو) في نطق بعض تلك القبائل أو عدم وجودها في نطق بعضها تناقضاً، كما ادعى من لا علم لهم بذلك من مؤرخي هذه اللهجات، بل كان ذلك لا يخرج عما امتازت واختصت به هذه اللهجات، ولهذا كانوا هم الأدرى بمدلولات تلك الكتابات ومداليلها، لأنهم كانوا يعلمون متى يلحقون هذه – الواو – عند الكتابة، ومتى لا يلحقونها، سواء كان ذلك مع الأسماء أو مع الأفعال، ولم يكن ذلك عن جهل بحقائقها، حتى يكون ذلك تناقضاً منهم لأن ذلك لا يمكن أن يكون منهم، لأن أحفادهم قد أجمعوا أن كتاب الله عز وجل قد نزل بلسانهم نطقاً وكتابةً، فهل كان صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حينما كتبوا مثلاً كلمة (ربا) في أكثر من سبعة مواضع في القرآن الكريم (بالواو) منها خمس مرات في سورة البقرة، وواحدة في سورة آل عمران، والسابقة في سورة النساء، ولكنهم في الموضع الثامن كتبوها –بالألف– في سورة – الروم –، رغم أنها جميعاً وردت في مواقع نصب وجر، فهل يعني ذلك أنهم كانوا يجهلون ما يكتبون – حاشاهم أن يفعلوا ذلك –، لأن كل ما فعلوه لم يكن منهم، بل كان الأمر في ذلك توقيفاً ممن نزل عليه – صلى الله عليه وسلم – القرآن الكريم، والذي لا ينطق عن الهوى، رغم أن الخصائص اللغوية التي كتب ونطق بها كانت خصائص انبثقت من لغة عربية قديمة، كان يمثلها نطق من نزل عليه القرآن الكريم نفسه – صلى الله عليه وسلم – ، وكذلك كان لسان محيطه الذي عاش فيه – كما سبق ذلك –، وهذا

---

(١) اللهجات العربية الغربية – رابين –، ص : ١٠٨–١١٠ .

يعني أن تلك الخصائص كانت عربية أباً وبيئة؛ لأن أبوتها لم تأت من جنس غير جنسها، ولم تكن أجنبية وافدة من بيئة غير بيئتها، وهذه شهادتهم :(والواقع أن العربية التي استعملها – صلى الله عليه وسلم – في مكة، وفي المدينة، ولهجة الحديث في مكة تبدو وكأنها مراحل انتقالية من العربية الغربية إلى العربية الفصحى) [١]، أي العربية التي نزل بها القرآن الكريم نفسه .

وليس هذا فحسب بل حتى الجسر – الواسطة – الذي عبرت عليه تلك الخصائص اللغوية في كل مراحلها الانتقالية من العربية الغربية إلى المكية الحجازية، لم يكن هذا الجسر غريباً وافداً، بل كان عربياً أصيلاً في عروبته التليدة وبشهادتهم – أيضاً – (أما الواسطة في هذا الانتقال فلابد أنها كانت اللهجة اليمنية القديمة) [٢] . وهذا يعني أن المهم أن نعرف كيف كانت الفتحة الطويلة تنطق في هذه اللهجة لعل في ذلك ما يوصلنا لحقيقة نسبها وأصالتها، وهذا يعني أن نرجع لبعض الإشارات التي سبقت لبعض مؤرخي اللغات من عرب ومستشرقين لنرى كيف كان موقفهم من الفتحة التي أسموها بالطويلة؟ .

الفتحة الطويلة وأصالة عروبتها :

وحينما عدنا لما سبق أن قاله أولئك المؤرخون وجدنا جل ما قالوه يشير إلى عروبة جل الخصائص التي وجدت في القرآن الكريم – نطقاً وكتابةً – هي خصائص عربية، ومنها خاصية ما سمي بالفتحة الطويلة، فمثلاً ما صرح به ابن جني، وهو أحد أساطين العربية ومؤرخيها، يقول : (إن الكلمتين – صلاة وزكاة – ومعها – حياة – كانتا تنطقان – بالواو – في اليمنية)[٣] .

وبناءً على هذه الشهادة – العربية – لابن جني قطع بعض المستشرقين بصدق عروبتها اليمنية، بقولهم : (ونحن نقطع بأن ابن جني كان يعرف كيف نطقت تلك الكلمات وذلك من معرفته بعلم التجويد)[٤] .

---

(١) اللهجات الغربية، ص : ٢٧ .

(٢) المرجع السابق، ص : ٦٦ .

(٣) سر الصناعتين، لابن جني .

(٤) اللهجات الغربية – رابين –، ص : ٦٧ .

إذن فهذا شبه إجماع من مؤرخي اللغة عرب وإفرنجة على عروبة نطق تلك الفتحة في العربية، وذلك لوجود المرجعية التي استند إليها في إجماعهم وتلك المرجعية هي علم التجويد، وهو العلم الذي يشهد الجميع بعروبتها .

وإذا كان بعضهم – أي مؤرخي اللغات – قد وقفوا حائرين متسائلين عن الكيفية التي كانت تنطق بها الفتحة في اللهجة اليمنية، أي اللهجة التي منها انتقلت إلى لهجات الكنعانية، والآرامية، العبرية ... فهذا شيخ من شيوخ العربية يجيب على مثل تلك التساؤلات مجلياً لنا الكثير الكثير مما أثير حول أصالتها العربية، وطبيعة نطقها، وهو الشيخ عبد القاهر الجرجاني الذي يقول عنه أحد الباحثين المعاصرين : (وهكذا ينتهي عبد القادر إلى أن الخاصية الأساسية للحركات هي صفة المد، وتلك صفة تميزها عن الصوامت، وهذه الصفة يعبر عنها الدرس الحديث بحرية مرور الهواء عند النطق بالحركات دون الصوامت، وهذه الصفة تنطبق على الحركات طويلها وقصيرها، ولم يكتف عبد القاهر في التوضيح بهذا، بل أشار إلى نقاط أخرى درج القدماء على مناقشتها، من ذلك – مثلاً – أن عبد القاهر تعرض لنوع آخر من الحركات التي جمعت كلها تحت ما سمي : بالإمالة ومن هذه الحركات :

أ – الفتحة المشوبة بالكسرة.

ب – ألف المد، حين تمال فتصبح مشوبة بنوع من الكسر .

ج – ألف الإمالة : التي جنحت إلى الياء وتشبثت بها، فصارت كأنها حرف آخر

د – ألف التفخيم : وهي التي يسري فيها شيء من الضمه . ولميلها إليها كتبت (بالواو) في : الصلاة – زكاة – صلوة – زكوة، أو لميلها إلى (اليا) كتبت (بالياء) في نحو : (فقضاهن) (فقضيهن) واستطرد عبد القاهر في عدد من الأصوات يأخذ بعضها بشبه بعض، ويكسي عليها ظرفاً من مذاقته فيتولد من ذلك فروع وصل بها إلى أربعة عشر، ثم صنفها ورأى أن : (ستة منها مستحسنة، يوجد منها في التنزيل، والشعر الفصيح)، (وأما الثمانية الأخرى : فمستقبحه، لا يوجد بها في التنزيل، ولا في الكلام الفصيح)، ومن هنا : فأغلب الظن أن هذه الحركات هي

أثـــار لهجية، سمعت عن العرب، وحاول رجال الأصوات تصنيفها بحسب فهمهـــم، وحكموا بأن بعضها : صائغ مقبول، لوجودها في القرآن الكريم والكـــلام الفـــصيح، وبعضها الآخر مستقبح أو رديء، وإن كان مسموعاً من بعض العرب) [١] .

في هذا النص تلاحظ أن الشيخ الجرجاني يشير إلى أن كتابة ألف التفخـــيم – الفتحة الطويلة –، مرتبط أمرها بحالة نطقها، وأن نطقها – أيضاً – مرتبط بآثار لهجية، أي أن نطق تلك الحركات يختلف من قبيلة إلى أخرى، بل قد نجده يختلـــف بين بطون القبيلة الواحدة، لاختلاف مواقع سكنى تلك البطون، فكيف يكون الأمر مع تعدد القبائل واختلافها بعداً وقرباً، ورغم أن النطق يرتبط باختلاف ألسنة ناطقيه، إلا أنه – النطق – محكوم بخصوصية المقـــصود وعموميتـــه، ولـــذلك رأينـــا الـــشيخ الجرجاني بين لنا، كيف أن العرب لـــم تكـــن تنطـــق كـــل ألـــف تفخـــيم شـــديدة –الفتحة الطويلة– (واواً)، بل هم يفعلون ذلك إن هم حسوا فيهـــا شـــيئاً مـــن ضـــم المخارج، ولذلك قال : " إن سرى فيها شيء من الضمة، ولميلهـــا إليهـــا : كتبوهـــا (واواً) كما في (صلوة – زكوة)، أما إن هم حسوا فيها ميلاً إلـــى الخفـــض، فـــإنهم يميلونها إلى مخارج الخفض، فيكتبونها : (ياءً)، كما في (فقضاهن–فقضيهن)"[٢] .

ولهذا كله كانوا يطلقون عليه : (الإشمام)، وهو موجود في كتب اللغة والنحـــو، إذن فليست كل ألف تفخيم تكتب واواً، بل الأمر محكوم بخصوصية المعنـــى المقـــصود وعموميته، بدليل أن كتبة المصحف الشريف لم يكتبوا كلمة (مانشاء) – بالنون – في أول نشاء – إلا برسم واحد، رغم أنها لم ترد إلا مرتان – أو ثـــلاث – بـــالنون – الأولى : في سورة (هود)، وقد كتبت هكذا : {قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ } [٣]، والثانية : في سورة الإسراء، وقد كتبت هكذا : {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ

---

(١) علم اللغة : البدراوي زهران، ص ٨٢ – ٨٣ .

(٢) علم اللغة : البدراوي زهران، ص ٨٢ – ٨٣ .

(٣) سورة هود، آية : ٨٧ .

لِمَنْ نُرِيدُ } [١] . وحينما تتأمل مدلول : (مانشاء)، في الآيتين، تجده يختلف تماماً؛ لأن المشيئة في آية الإسراء تعود لضمير المتكلم (نا) والمتكلم هو الله سبحانه، أي المشيئة الإلهية، أما في الآية الثانية، فالمتكلم هو قوم نبي الله شعيب –عليه السلام–، وأظن –والله تعالى أعلم– أن المقصود في الآية هو تفخيم فعلهم وقولتهم لنبي الله شعيب – عليه السلام – أي تشنيعه، فدل الكتبة – كتبة المصحف الشريف – على ذلك بما ينسبه عليه، فقلبوا ألف (نشاء)، – واواً – حركة طويلة، ولأن التفخيم له مدلول صوتي، وهو – المد –، والمد يعني تجسيم المعنى المدلول عليه بالتفخيم، والاستمرار في ذلك المدلول، لهذا رأينا الصحابة – رضوان الله عليهم – الذين كتبوا المصحف الشريف، كانوا يكتبون لفظ : (الربا) بالواو في سبعة مواضع، وبالألف في موضع واحد، وما ذلك إلا للمعنى الذي لا يمكن أن تؤديه اللفظة لو كتبت بغير الواو، في المواضع التي كتبت فيها واواً، وحينما جاءوا للموضع الأخير الذي في سورة الروم، ورأوا أن كتابتها بالواو، لا تؤدي ما أدته في المواضع السابقة لم يكتبها به، بل كتبوها بالألف، وهذا كله ينطبق على كتابة (التاء) مفتوحة حيناً، ومربوطة أخرى، وهي في عمومها لا تخرج عن آثار لهجية عربية قديمة، سمعت عن ناطقيها الذين كانوا ينطقونها كلٌ حسب المدلول المعنوي الذي يريده، لذلك كان يحرك نطقه بالصورة التي تلائم مقصوده، لذلك رأينا الشيخ عبد القاهر الجرجاني في نهاية حديثة كان لا يتفق مع الكثير من لغويي العرب، سواء كانوا سبقين له، أو من معاصريه الذين كانوا يستقبحون الكثير من طرق نطق الحركات عند بعض القبائل، ويحكون باستبشاعه، لذلك رأيناه يرد عليهم بقوله : (ومن هنا فأغلب الظن أن هذه الحركات آثار لهجية سمعت عن العرب، وحاول رجال الأصوات تصنيفها حسب فهمهم، وحكموا بأن بعضها سائغ مقبول لوجودها في القرآن الكريم والكلام الفصيح، وبعضها مستقبح أو رديء، وإن كان مسموعاً من بعض العرب) [٢] .

---

(١) سورة الإسراء، أية : ١٨ .

(٢) علم اللغة : للبدراوي زهران، ص ٨٢ – ٨٣ .

وهنا نلاحظ أن من حكم باستقباحها لم يكن حكمه حكماً علمياً، لأنه بني حكمه على عدم فهمه لها، وهذا يعني أن استقباحهم لها لا يخرجها عن نسبها العربي، بل عروبتها ثابتة بفهم أهلها الباقين، في مواقعهم الأصلية، بوطنهم الأصلي، ويفهم كل من شافهم وعايشهم، أو نقل عنهم، بل ونؤكد أن من سموا بالسريانيين أو الآراميين أو الكنعانيين أو العبرانيين، لم يكونوا مؤثرين في الحجازية، ولا متأثرين بها، لأنهم كانوا منها، أي من الذين سبق أن هاجروا من نفس المواقع التي هاجرت منها تلك البطون التي استقرت في مكة المكرمة، أو في سواها من بقاع الحجاز ونجد وبقية جزيرة العرب، أو خرجوا إلى خارجها وسكنوا في بلاد النهرين وفلسطين والشام وغيرها . بدليل أن لو أنا رجعنا إلى بعض مواقع تلك المنطقة التي بجنوب جزيرة العرب لوجدنا كلا الأمرين : ما استحسن نطقه، وما استقبح موجودين بها الآن، فمثلاً لو ذهبنا إلى بعض مواقع جبال فيفا، وطلبنا من بعضهم – الآن – أن ينطق لنا لفظي : صلاة – وزكاة، لوجدناه ينطق ألفها نطقاً مفخماً، ممالاً إلى (الياء) لا إلى (الواو)، فيقول : (صلية – زكية) [1]، وإذا سألتهم عن سبب ذلك قال : (هكذا تلقيناها كابرً عن كابر)– سماعاً منهم–، في حين نجد بعضهم ينطقها نطقاً عادياً : (صلاة – زكاة)، أما إن انتقلنا إلى بعض مواقع جبال العبادل وما حولها وخصوصاً : آل محمد، والغمر، وبني ودعان، وبني معين – الجوارب –، فسنجدهم يميلون في جل نطقهم إلى التفخيم المشرب الضم، سواء كان مع الألف أو مع غيرها، فالصلاة هي عندهم : (الصلوة) وكذلك الزكاة هي : (الزكوة)[2]، بل نجد ميل – أهل هذا الموقع – إلى الضم – أكثر – حتى في نطق ضمائر الغيبة – المتصلة –، المسبوقة بكسرة أو (ياءً) ساكنة، لذلك نجدهم يقولون : (عليه – به) بضم (الهاء) حركة قصيرة[3] . وهذا النطق – بعينه – وجدناه في اللهجة الحجازية : " فقد كانوا يقولون : (بعلامة

(١) مشافهة – مع – محمد بن مسعود الفيفي .

(٢) مشافهة وتسجيلاً مع – محمد بن قاسم اللغبي العبدلي – العبادل .

(٣) علي بن يحي جابر العبدلي، أحد مشايخ العبادل .

ولغلامهم) بضم (الهاء) "[(١)]، وبلهجتهم هذه جاء في القرآن الكريم : {وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}[(٢)]، وقد قرأ قراد الحجاز : (فخفسفنا به وبداره الأرض)، بضم (الهاء) في الكلمتين "[(٣)] .

إذن فكلا الأمرين – الاستحسان والاستقباح – كانا موجودين في لهجات العرب – قديمها وحديثها –، وهذا يؤكد أن كل ما جاء في القرآن الكريم – نطقاً وكتابةً –، إنما هو عربي نسباً وجنساً، ولا يمكن أن يكون مقترضاً من لهجات – لغات – غير عربية، كتلك التي سميت سريانية، وآرامية، وكنعانية، أو عبرية، لأن أصوله العربية، لا زالت موجودة في مواقعها بجنوب جزيرة العرب ووجوده في القرآن الكريم، يؤكد أصالة عروبة تلك اللهجات، التي نسب إليها من سريانية وغيرها، وإن حاول البعض أن ينتحلوا لها أسماء غريبة عليها وعلى أرضها، لأن خصائص الألفاظ والصيغ التي وجدت في القرآن الكريم – نطقاً وكتابةً – وقالوا بعدم عروبتها، رأيناهم يقولون عنها أنها خصائص العربية القديمة، والتي منها تكون اللسان المكي الذي نطق به محمد – صلى الله عليه وسلم –، وبه نزل القرآن الكريم، وسبق أن رأينا أن جل تلك الخصائص قد تمثلت في ألسنة القبائل التي أسموها بالقبائل الغربية، كطيء، والأزد، وسحار، وجماعة، وقضاعة، وجذام، وبعضا من الشرقيين – خاصة القديمة –؛ كجرهم، والعماليق، والمهرة، وغيرهم، سواء من سكن من فروعهم مكة والحجاز، أو من وصل منهم إلى بلاد النهرين والشام وفلسطين .... إلخ، ولذلك نجد أن أي خاصية من تلك الخاصيات التي أشاروا إليها، تجد الكل يشتركون في نطقها، وقد سبق أن أوردنا الكثير من شواهد تلك الخصائص وربطها بناطقيها داخل جزيرة العرب وخارجها، كهذه الخاصية؛ خاصية نطق بعض الأفعال مثل : (بقى – وفني – رضى)، بفتح الحرف الأخير في كل منها، هذه الخاصية يقولون عنها أنها : " ... قد أجمع اللغويون على أنها خاصية بنطق قبيلة

---

(١) الكتاب – سيبويه – ٢/٣٢١ .

(٢) سورة الفتح، آية : ١٠ .

(٣) المحتسب – ابن جني، ص ٥٧ .

طيء، ولغة طيء : هي فتح كسرة كل فعل ثلاثي معتل اللام، مكسور العين مثال (رضا)، بضم الراء، بمعنى (رضي)، مبني للمجهول، لأنهم يكرهون مجيء (الياء) بعد الكسرة، فيفتحون ما قبلها لتنقلب (ألفاً) [1]، أي : (تغيير الياء) المفتوحة بعد الكسرة إلى فتحه طويلة "[2] .

وهذه الخاصية اللغوية لم تكن قاصرة على طيء وحدها، بل كانت موجودة في كل القبائل التي كانت تسكن في تلك المنطقة، وكما رأينا : أن هذه القبائل – أو فروعها – كانت تؤثر بخصائصها في كل القبائل التي تنتقل إلى المسكن بجوارها، كذلك كانت – هذه القبائل – حينما سكنت بعض فروعها في نجد : كمزينة – والتي هي فرع من قضاعة –، وجدنا هذه الصيغة – السابقة الذكر – في شعر بعض شعرائها : (كالشاعر الطفيل الفنوى وغيره)[3]، وحينما سكنت بعض منها – أيضاً – أرض الحجاز : (رأينا لهجة الخطاب الحجازي قد ضمت مثل هذا التغير وكذلك قبيلة (حارث) وهي فرع من طيء – أيضاً –، وقد أثرت فيمن حولها[4]، فقد استعمل الطفيل الفنوى كلمة (نهى)، بفتح الياء بعد كسرة[5]، واستعمل امرؤ القيس –وهو من أقدم الشعراء المعروفين–، في أحد أبياته صيغة : (بانات)[6] وقد فسرت بأنها صورة لنطق (بانيات)، ورغم أن هذه الصيغة هي صيغة طائية، إلا أنها قد استعملتها العرب في كلامها تأثراً بطيء، مما يعني أن لهجة طيء قد لعبت دوراً ملحوظاً في نشأة العربية الفصحى، لأن هذه الصيغة الطائية قد أصبحت منذ بدء الشعر القديم صيغة مقبولة باعتبارها بديلاً محلياً فصيحاً للصيغة غير الطائية[7] . وهذا التغير الصوت لم

---

(١) شعر طيء وأخبارها، ١٥٢ – ١/١٥٣ .

(٢) اللهجات العربية الغربية القديمة – رابين – ص : ٣٤٦ .

(٣) اللهجات الغربية – رابين –، ص : ٣٤٨ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) سيبوية : ٢/٣١٧ .

(٦) سيبوية : ٢/٢٩ .

(٧) اللهجات الغربية – رابين – ص ٣٤٩ .

يكن قاصراً على لهجة طيء وحدها، بل كان يشمل كل القبائل الغربية ومن حولها، سواء من بقى منهم في مواقعهم بجنوب جزيرة العرب، أو رحل قبل رحيل طـــيء كأولئك الذين سموا بالكنعانيين، وقضاعة وغيرهم، ولذلك رأينا استعمالها ينتشر في النصف الشمالي الغربي من جزيرة العرب، وقد تكون لهجة الحجاز قد ضمت مثـــل هذه الصيغة (بقى) : (ب أق أأ)، ولكنها حولتها إلى : (بقـــى) (ب أ ي ي)، وهـــذا يتضمن تغيراً في الحركة كان شائعاً – أيضاً – في اللهجات العربية الغربيـــة وفـــي اللغة الكنعانية؛ حيث نجد الصيغة العبرية (ب و و ن أ أ هــ)، وفي رأيـــي : أن هذا التغير الصوتي يفرض علينا تفسيراً لصيغة الماضي المذكر المفرد في الكلمـــة العبرية (ب أ أ ن أ أ هــ) وكان المتوقع أن تكون هذه الكلمة (ب أ ن أ أ) وهي من (ب أ أ ن) على طراز الكلمة : (ق أ ب أ أ) بمعنى (قال) والكلمة : (ل أ ق أ أ) بمعنى أخذ، وهما موجودتان في نقوش تل العمارنة .

أما بقية صيغ الماضي المسند لغير المفرد الغائب المذكر والتي تنتهي بـــــ (ياء)، فقد تصرفت في العبرية بنفس هذه الطريقة المضطردة الموجودة فـــي هـــذه النقوش، مثل : (ب أ ن ي ت ي) و (ل أ ق ي ت ي)، وليس هناك ما يبرر أن تكون جميع الأفعال صالحة للبناء للمعلوم، إذا كانت مسندة إلى الغائـــب المفـــرد دن غيره .

أ – وقد كان هناك قانون صوتي يقتضي أن تتغير الفتحة الطويلة إلـــى ضـــمة طويلة، وكان مقتضاه أن تتحول (ب أ ن أ أ) والتي أصلها : (ب أ ن ي أ) إلى (ب أ ن و و) .

ب – أما سبب عدم تحولها فقد فسرته الكتب النحوية التي بين أيدينا بأنه محاكـــاة لصيغ لم يحدث فيها هذا التغير؛ لأن هذا القانون قد توقف نشاطه قبل وجود الصيغة (ب أ ن أ أ)، وفي العبرية كذلك صيغ أخرى منها (يـــاء) تعتبـــر ساكناً لا حركة، مثل : (بو و ح ي ي أ أ هــ) وقد تكون هذه قد نـــشأت عن المحاكاة .

ج – ولكن قد تكون من ناحية أخرى استعمالاً خاصاً بمنطقة (ما) تتكلم العبرية، ولم يحدث فيه تغير صوتي، أو أن تكون عنصراً غير كنعاني، وإذا قبلنا الفكرة القائلة بأن العبرية هي : لغة مختلطة العناصر .

وعلى أية حال، فإنه يمكن إرجاع هذا التغير الصوتي إلى العصر الكنعاني، وذلك لأنه بالضرورة قد حدث في الماضي المفرد المذكر، وفي مؤنث الوصف بعد أن توقف تغير الفتحة الطويلة، إلى ضمة طويلة . أي على وجه القطع، بعد أن انفصلت العربية الغربية والكنعانية إحداهما عن الأخرى، وصارتا لغتين مختلفتين .

وعلى هذا فمن الواجب أن نفترض أن العربية الغربية – على الأقل – قد حافظت على الاتصال مع متكلمي الكنعانية، وذلك حتى يحدث فيها التغير الصوتي الذي حدث في هذه اللغة، وليس هنا مجال دراسة النتائج التاريخية لهذا خاصة وأنها تتعلق بجزء من تاريخ العربية لا نعرف عنه شيئاً على الإطلاق(١) .

وهنا نلاحظ أن هذه الخاصية اللغوية – أو ما يسميه مؤرخو الساميات من غير العرب – بالقانون الصوتي، لم تكن قاصرة على لهجات القبائل الغربية ممثلة في قبيلة طيء، بل انتشرت في قبائل أخرى تأثرت بها في وسط الجزيرة العربية، وشرقها وشمالها، بل نراهم يبشرون لوجودها في ألسنة قبائل سبق وأن نزحت إلى خارج جزيرة العرب، ومن نفس المواقع التي عرف أهلها بالقبائل الغربية، ثم أطلقت عليها – بعد نزوحها – أسماء غربية غير أسمائها الأصلية التي كانت تسمى بها في مواقعها التي نزحت منها، كالكنعانيين والآراميين والعبرانيين، بل وكل القبائل التي كانت هناك، مما يؤكد وحدة أصالتها العربية جميعاً، لوحدة أصالة موقعها بجنوب جزيرة العرب، وهذا كله يعني وحده أصالتها اللسانية جميعاً، سواء كانوا في مواقعهم الأولى بجنوب جزيرة العرب، أو خارج جزيرتهم أو في وسطها، كما كانت ذلك في مكة المكرمة، والحجاز، ونجد، بدليل أن كل هذه التأثيرات اللغوية، وجدنا أنها تؤكد

---

(١) اللهجات العربية الغربية – رابين –، ص ٣٤٦ – ٣٤٨ – ٣٥٠ .

أن ذلك المزيج اللغوي الذي سبق أن حصل في مكة من لهجات تلك القبائل العربية التي سميت بالغربية، كان الأساس الذي انطلقت منه الفصحى المبينة .

وعلى الرغم من المسافة التي كانت تفصل بين من بقي من تلك القبائل الراحلة بمواقعها الأصلية في عمق جنوب جزيرتها، وبين من رحل منهم، ظل الجميع يحافظون على كل الروابط التي تربطهم، وعلى قوة الاتصال ببعضهم، كما ورد ذلك – كما رأينا آنفاً – مع تلك اللهجة التي سميت بالكنعانية، بدليل أن ما كان يحصل داخل جزيرة العرب لدى من سموا بالقبائل الغربية، رأيناه يحصل مع أولئك الذين سموا بالكنعانيين خارج جزيرتهم وهم منهم، فالتغير الصوتي الذي بالكنعانية وجد بعينه في ألسنة بقية القبائل التي سميت بالغربية، لذلك قالوا:(وعلى هذا فمن الواجب أن نفترض أن العربية الغربية – على الأقل – قد حافظت على الاتصال مع متكلمي الكنعانية، حتى يحدث فيها التغير الصوتي الذي حدث في اللغة الأخرى)(١).

وهذه المحافظة على الروابط اللسانية، رغم البعد الذي فسر بالانفصال بين تلك القبائل الراحلة ومواقعها لم يقتصر على من سموا بالكنعانيين وحدهم، بل شملت كل القبائل التي رحلت، ولذلك رأيناها – أي تلك المحافظة اللسانية – صريحة مع اللسان الذي سمي بالعبرية، – لأن العبرية من الكنعانية كما سبق – وهذا ما صرح به مؤرخو الساميات في مواقع كثيرة، كهذا التصريح : " ويلاحظ أن المضارع العبري المشتق من جذور تماثل الجذور العربية، يكون حرف المضارعة فيه مكسور إذا نقل إلى العلمية مثل : (إسماعيل، وإسحاق)، ولذا يمكن القول بأن العبرية في مرحلة (ما) لم تغير صيغة الماضي فحسب، بل غيرت كذلك صيغة المضارع (يأتي اللام) فكسرت حرف المضارعة فيه، إذا كان متعدياً، كما كسرته إذا كان لازماً، وهذا يؤيد ما قاله ابن مالك في ألفيته، وإذا صح ما قلنا فسيكون أمامنا مثال لشبه

---

(١) المرجع السابق .

قريب بين العربية الغربية والعبرية في عملية تطورية حدثت على القطع بعد انفصال اللغتين – اللهجتين – واستقلال كل واحدة عن الأخرى "[١] .

ويستمر هذا المستشرق في حديثه المقارن بين لهجات العربية الغربية وأخواتها التي رحلت عنها إلى خارج جزيرة العرب وسميت بأسماء أخرى كالكنعانية، والعبرية، والآرامية وغيرها، يمضي في مقارنته موضحاً الإشارة التي سبقت أنفاً، فيقول : "فقد قال الطائيون (مت) بكسر الميم في (مت) بالضم[٢]، كما قالوا (مادمت) بكسر الدال في (مادمت) بضمها[٣]، وقد استعمل الشاعر الطرماح (مت) بالكسر، وفي الحجازية كان المضارع – في حدود ما نعرف – يموت ويدوم، بينما كان في الطائية (يمات – ويدام) "[٤] .

ويرى بروكلمان : " أن الألف في (يمات) قد عادت إليها بالمحاكات "[٥]، مع أن جميع اللهجات السامية تستعمل الصيغة ذات (الواو) ولكن من المحتمل أن اللهجات العربية الغربية هي أكثر قدماً من سواها قد احتفظت بالصيغة القديمة ذات الألف .

ولا تزال هذه الصيغة القديمة تستعمل في عديد من اللهجات، ولهذا فمن الغريب أن نجد عالماً من العلماء الثقات – مثل اللحياني – يقول : بأن هذه الصيغة (بقيت) بفتح القاف عند طيء، وذلك في نظير الصيغة الشائعة (بقيت) بكسرها، وقد جسدت صيغة الفتح في بيت ينسب إلى شاعر طائي غير معين، وهو :

لم تلق خيل قبلها ما لقيت من غبر هاجرةٍ وسير مسعد[٦]

---

(١) اللهجات العربية الغربية – رابين –، ص ٣٦٥ .

(٢) الجمهرة : ٢/٢٩ .

(٣) الجمهرة : ٣/٤٨٥ .

(٤) الجمهرة : ٣/٤٨٥ .

(٥) بروكلمان : ١/٦٠٨ .

(٦) اللسان : ٤/١٨٤ .

ثم يأتي بعد ذلك تعليق مفاده أن معنى هذا : أن (لقيت) بالكسر لهجة طيء، وهذه الصيغة الفعلية لابد وأن تكون قد حفظت بالمشافهة والسماع؛ لأنه ليس هناك ما يمنع من أن تنطق بالفتح، وهناك شبه غريب بين هذه الحالة واللفظ العبري الذي لم يرد سواه (ح أ أ س ي أ أ هـ) الذي نواجه نفس الصعوبة في تفسيره، والفعل (قلي) (ق أ ل أ أ) أو(ق أ ل أ أ) بمعنى يكره يكون مضارعه في لهجة طيء (يقلى) يكره يكون مضارعة في لهجة طيء (يقلي) (ي أ ق ل أ أ) أو(ي أ ق ل أ أ)[1]، والشاهد الذي ورد على يقلي بالإمالة، (ي أ ن ل أ أ) في اللسان مجهول النسب .

أما الفعل في صورة (يقلي) بكسر اللام : فقد ورد في قصيدة لأبي محمد الفقعسي، وهو من قبيلة أسد التي تجاور طيء، ويمكن تفسير هذه الصيغة بأن قلي (ق أ ل أ أ) الطائية مأخوذة عن : قلي (ق أ ي ي أ)، وهذه الصيغة قد ثبت وجودها في الفصحى، ومع هذا فإن ابن مالك يقول : (بأن الجميع فيما عدا طيء، كانوا يكسرون في صيغة المضارع يائي اللام، إذا لم تكن عين المادة ساكناً حلقياً)[2] . ولا أستطيع أن أفهم من هذا النص، سوى أن يكون : (حيث يقول آخرون (بني) (ب) (ن أ أ) يبني (ي أ ب ن ي س)، يقول الطائيون : بني (ب أ ن أ أ) يبني (يِ أ ب ن أ أ) بالإمالة، أو كما جرى الاستعمال الغربي – القبائل الغربية – بني (ب أ ن أ ي) يبني (ي أ ن أ ي) بحركة مزدوجة . وليس غرابة في هذا كما يبدو للبعض، وذلك لأن في العبرية بقايا لمثل هذا السلوك العام للفعل اللازم[3] .

وبعد هذا العرض السريع ألا ترى معي أن لهجات القبائل العربية الغربية تعتبر صورة مستنسخة لكل ما كان في اللهجات التي رحلت من نفس المواقع التي عرف أهلها فيما بعد بالقبائل الغربية، وعرفوا هم – أي الراحلون – بأسماء مختلفة، كالكنعانيين، والعبريين، والآراميين، صورة في كل صيغهما ودلالاتهما، بل حتى في جذور المواد اللغوية والتغييرات الصوتية تجدها واحدة، تجد أن جل ما يقال عن

---

(١) اللسان : ٢٠/٥٩، والسيوطي شرح الشواهد والمغني، ص : ٨٣ .

(٢) التسهيل – ابن مالك –، ص ٧١ .

(٣) اللهجات العربية الغربية – رابين –، ص ٣٦٢ – ٣٦٥ .

اللهجات الغربية، يقال عن العبرية وأخواتها، كقولهم – إضافة لما سبق –، (ولهـذا فمن الغريب أن نجد عالماً من العلماء الثقات – مثل اللحياني – يقول عـن صـيغة (بقيت) أنها كانت بفتح القاف عند طيء، لأن الصيغة الشائعة بكسرها، ثم يأتي بعـد ذلك تعليق لبعضهم يقول : " إن (لقيت) بالكسر هي لهجة طائيـة، وهـذه الـصيغة الفعلية لابد وأن تكون قد حفظت بالمشافهة والسماع، لأنه ليس هناك ما يمنع من أن تنطق بالفتح، وهذا القول عند علماء العربية من العرب عن هذه الصيغ، نجد الكثير من المستشرقين من يقول عنه : (وهناك شبه غريب بين هذه الحالة واللفظ العبري الذي لا يرد سواه (ح أ أ س أ أ ي أ أ هـ) الذي نواجه نفس الصعوبة في تفسيره".

إذن فهذا الاتفاق والمشابهة بينهم ليست مصادفة؛ لأن المصادفة قد تكون في أمر أو أمرين، لا في كل شيء، حتى في التغيرات الصوتية الناتجة عن الحركـات، لما نعلم أنه قد يقع الاختلاف في النطق الحركي داخل أفخاذ بطون القبيلة الواحدة، ثم ما نجده قد يقع في الجذور والصيغ، وإذا جارينا هم وقلنا أن ذلك ربما قـد يكـون ناشئاً عن كون الجميع أتين من لغة أم قديمة كانت تجمعهم، فإذا قلنا بـذلك مـثلهم، سنجد أنفسنا قد بعدنا عن الحقيقة، لأنا رأيناهم يقولون في مواقع كثيرة إن لهجـات هذه القبائل تمثل اللغة العربية الأقدم، وقد استعرضنا شواهد وبراهين ذلك في أماكنه، وإذا كانوا قد قالوا بمثل ذلك، فهاهم يقولون – هنا – إن بروكلمان كان يرى : " أن (ألف) صيغة (يمات، يموت) قد عادت إلى الطائية بالمحاكاة، مع أن جميع اللهجات السامية تستعمل الصيغة ذات الواو، ولكن من المحتمل أن اللهجات العربية الغربيـة وهي أكثر قدماً من سواها قد احتفظت بالصيغة القديمة ذات الألف، ولا تزال تستعمل هذه الصيغة القديمة في عديد من اللهجات الدارجة " .

وعلى هذا تكون اللهجات العربية الغربية – الجنوبية – هي الأكثـر قـدماً، ولذلك نراها لا تزال تحتفظ بصيغ أمها القديمة التي كانت تمثلها، وقد رأينا كيـف – أنا – لا نورد صيغة من تلك الصيغ إلا ورأينا فروع هذه القبائـل خـارج جزيـرة

العرب تشاركها في استعمالها، لدرجة أن مؤرخي اللغة العربية من العرب الذين قالوا : " بأن جميع العرب ما عدا طيء كانوا يكسرون صيغة المضارع (يأتي اللام)، إذا لم تكن عين المادة ساكناً حلقياً " .

وهنا يرد أحد المستشرقين بقوله : (لا أستطيع أن أفهم لهذا النص أي معنى سوى أن يكون حيث يقول آخرون : بني (ب أ ن أ أ)، يبني (ي أ ب ن أ ي)، بحركة مزدوجة . وهنا نسأل هذا المستشرق : ولماذا! لا تستطيع أن تفهم ذلك القول منهم؟ أجاب : (لأنه ليس هناك ثمة غرابة في ذلك كما يبدو للبعض، لأن في العبرية بقايا لمثل هذا السلوك العام للفعل اللازم، ومن المفروض أن يكون كل هذا النقل من صيغ مأخوذة من جذور قديمة "(١) .

وإذا كانت اللهجات العربية الغربية – بشهادتهم – هي أكثر قدماً من سواها قد احتفظت بالصيغ القديمة، وكل ما في العبرية من صيغ، هو يتفق مع اللهجات العربية الغربية، مما يعني أن العبرية هي عربية، ومن نفس اللهجات الغربية، فإذا كانت الجذور واحدة في اشتقاقها، والصيغ واحدة في تراكيبها، وكل ما يجري في العربية الغربية من تغييرات في الصيغ نجده ماثلاً في العبرية وأخواتها، فكيف لا تكون تلك اللهجات هي من جنس العربية الغربية؟!!، بدليل أن صيغة (لقيت) التي وجدت عند العبريين والكنعانيين بنفس الاستعمال وجدناها الآن في لهجات المواقع التي كانت تسكنها القبائل التي سميت بالكنعانيين والعبرانين، قبل رحيلهم إلى خارج جزيرة العرب، وكذلك وجدناهم الآن يستعملون كل هذه الصيغ بنفس الاستعمال الأنف الذكر عند طيء والعبريين والكنعانيين، فقبائل آل عبيد إحدى قبائل مواقع جبال فيفا، لا زالت ألسنتهم تنطق صيغة : (لقيت) بالفتح إلى الآن، في حين تجد مجموعات من قبائل فيفا نفسها منهم آل طلحة، وأغلب سكان العذر والنفيعة وبعض من جهات جبل منجد – أيضاً –، لا زالت ألسنتهم في مواقعهم وهي من جهات القبائل الغربية، تنطق صيغة : (لقيت) بالكسر(٢) أفلا يؤكد هذا عروبة كل القبائل التي كانت تنطق بالكسر والفتح، سواء سميت بالعبرية، أو الكنعانية، أو الطائية، أو غير ذلك، إذ ليس هذا وحده ما يشير إلى هذا التأكيد فحسب، بل هناك حقائق كثيرة

---

(١) اللهجات الغربية – رابين –، ص ٣٦٥ .

(٢) لهجات جبال فيفا وما حولها، محمد بن مسعود الفيفي، تسجيل .

سبق استقراؤها من بداية هذا البحث إلى هنا، كاتفاق أصوات الحروف وعددها، واستخدامها نطقاً وكتابةً، أو في قلبها أو إبدالها، أو أعلاها، وغير ذلك كثير جداً، ألم يمر بنا – سابقاً – أن الكثير من المواقع التي أجرينا على ألسنتها تطبيق الكثير من الصيغ التي اعتبرناها الحلقة المفقودة بين تلك من هذه، كقلبهم حرف الهمزة على أشكال مختلفة عند النطق، كقلبها عيناً، أو ياءً، أو هاءً، ... إلخ، ورأينا، تمثل هذا بكثرة – قديماً – في قبائل طيء، وأزد –بقسميها–، وقضاعة والفروع، الخ، فمثلاً قلبها –هاءً– إضافة لما سبق، لو أننا عدنا بني معين والجوابرة، وبني حريص، وبعض من مواقع جبال العبادل لوجدناهم يقلبون الهمزة – هاءً –، في أول الكلام وحيناً سلمان – الأشرف –، وإحدى عمائر قبيلة العميريين – ويعرفون بآل حسن شريف – نجدهم يقلبون همزة (إن) في حالة التوكيد إلى : (هاء) كقولهم : (لا تلين بانت، هنت قوي) [١]، أي (لا تخف إنك أنت الأقوى)، ويقولون في : (إلا أنك ...) (هلا هنت) [٢] في حين آخر نجد آخرين في جهات فيفا نفسها، من يقلب الهمزة : (ياءً)، فيقولون في : (أنهم كرماء – بهم كرماء) [٣]، ومثل هذا كثير في جهات النظير والغمر وما حولهم، وهذا القلب والتغيير سبق أن رأيناه ماثلاً بكثرة في لهجات قبائل طيء، وهي من كبريات القبائل التي كانت تسكن وتنتشر في أكثر هذه المواقع – مواقع القبائل القريعية –، وإذا انتقلنا إلى الحدود الشمالية لجزيرة العرب أو خارجها، وجدنا مؤرخي السامية يقولون إن : (أداة التأكيد الطائية هي (هـن)، تقابل – أيضاً – (هن) التوكيدية في العبرية، كما أن هناك مقابلة أخرى وهي (إن الشرطية العربية و (ء ي م) العبرية، وبالنسبة للعربية الجنوبية (هـ م)، والآرامية (هـ ي ي ن)[٤] .

وهنا نلاحظ كيف اتفقت هذه الأدوات نطقاً واستعمالاً لدى كل القبائل التي خرجت من هذه المواقع إلى شمال جزيرة العرب أو خارجها، سواء بقيت على أسمائها الأصلية كالطائيين أو الجذاميين والقضاعيين، أو المعينيين، أو من غيرت

---

(١) لهجات جبال فيفا وما حولها، محمد بن مسعود الفيفي، تسجيل .

(٢) لهجات فيفا – تسجيلاً – مع محمد بن مسعود الفيفي، ومحمد بن قاسم اللغبي .

(٣) المرجع السابق .

(٤) اللهجات الغربية – رابين – ص : ٧٧ .

أسمائها كالكنعانيين والعبريين والآراميين .... إلخ، وقد رأينا أن هذا الاتفاق لم يكن في هذه الأدوات فقط، بل رأينا هذا الاتفاق يتجلى في الكثير من الخصائص والصيغ والتغيرات الصوتية، والحروف – قلباً وإبدالاً ونطقاً – ... إلخ، أفلا يؤكد هذا الاتفاق عربية تلك اللهجات، وكونها من مواقع هذه المنطقة التي كانت سكنى لكل تلك القبائل، قبل رحيلها، لأنا نعلم أنها جميعاً قد هاجرت من جنوب جزيرة العرب عموماً، وإن كانت كل المواقع التي أشرنا إليها، كفيفا، والعبادل، وبني معين، والغمر، وبني مالك، والقيوس، والحشر، وهروب، ومنجد، والريث، والنظير، وغيرها، هي المكان الحقيقي الذي انطلقت منه تلك القبائل، سواء من سموا بالكنعانيين أو الآراميين أو الفينيقيين، أو مجموعة القبائل التي دخلت في محيط من سموا بالعبرانيين – فيما بعد –، كالعمونيين والمؤابيين والأدوميين وغيرهم، فالجميع كانت تربطهم روابط نسب ودين ولغة[1]، ورأينا أن تلك الرابطة النسبية هي العروبة، وفيما سبق براهين كافية لذلك، ومن أراد الاستزادة من هذه الأدلة والبراهين فما عليه إلا أن يصل إلى هذه المواقع، التي إن وصلها وعاش بين أهلها الطيبين، وتنقل بين جبالها ذات الأشجار الوارفة، وشلالاتها الهادرة الجميلة، وجوها الساحر، فإنه واجد الكثير من الأدلة التي تمحو شكه، والبراهين التي تثبت يقينه، فهل من مجيب؟!!، أفتراني قد وفقت في صياغة هذه الدراسة المجملة التي أسميتها " بطاقة دعوة للمختصين القادرين على التمام؟!! " .

---

(١) مقارنة الأديان : ٤٣ – ٤٤ – ١/٤٥ .

الخاتمـــــــــــة

وقبل أن أغلق قلمي، وأدفع بأوراق هذه البطاقة الدعوية، سألت نفسي سؤالاً، أردت أن أختم به هذا العمل الميداني الشاق المضني، نعم الشاق لما عانيته من متاعب نفسيه شيبتي في سن الشباب، متاعب جسدية أدخلتني عالم الشيخوخة مبكراً، وكيف لا يكن الأمر كذلك **وخمسة وعشرونَ عاماً من العمر قد التهمها هذا العمل الشاق**، فهل كان المحصول يساوي المبذول على أقل تقدير؟ والإجابة الصحيحة لهذا – طبعاً – لا تأتي مني، وإنما تأتي من العالم المختص؛ لأن ما أستطيع قوله لا يخرج عن تصور مبني على ما حصلته وجمعته طيلة فترة العمل الميداني مشافهة وتسجيلاً، ثم دراسة وتحليلاً، ومن هنا أستطيع القول بناءً على كل ما سبق أن هذه الدراسة مهمة جداً للغة العربية وتاريخها، إن **أتبعت بدراسات أوسع وأعمق** منها من قبل علماء مختصين **يأتون إلى مواقع هذه المنطقة أما إن هي** – هذه الدراسة – ماتت بخروجها، ولم تلق الاهتمام الكافي، فلا فائدة ترجى؛ لأن الأمر سيبقى على ما كان عليه قبل خروجها.

وحتى لا أطيل على أخي القارئ، أعود لأوجز له بعضاً مما جعلت به هذه الدراسة الصغيرة من فوائد كثيرة جداً، نوجزها في بعض المعطيات التي قد تعطيه تصوراً كافياً – بإذن الله تعالى – منها:

أننا نستطيع تحديد **بداية نشأة اللهجات القديمة في العربية الأم**، وتأكيد عربية ما سمي منها باللغات السامية، بل وتأكيد حقيقة لهجتيها، وأنها لم تكن في حقيقتها لغات مستقلة، بل هي لهجات انبثقت من اللسان العربي الأم في فترات **التوحد اللغوي** التي كانت تحصل للغة العربية الأم عبر مراحل تاريخها الزمني الطويل الموغل في قدمه، وتأكيد عروبة الساميات، والتي منها ما سمي بالكنعانية، تتأكد – أيضاً – لدينا عروبة اللغة الهيروغليفية – المصرية –، وذلك في خلال (من الاختزال) الذي عرفت به – الهيروغليفية – قديماً، هذا الفن وجدناه جزءاً لا يتجزأ من ألسنة مواقع هذه المنطقة بجنوب جزيرة العرب قديماً (نقوشاً) وحديثاً في ألسنتها نطقاً، مما يؤكد أهلية أهل هذه المواقع لهذا الفن قديماً وحديثاً، ويعني – أيضاً – من

عرفوا به خارج جزيرة العرب أنهم خرجوا من هذه المواقع، لأن الكتابة – أصلاً – هي تالية للنطق، أي أن الناطق يكتب ما ينطق ووجوده نطقاً الآن، ونقشاً قديماً، يؤكد تلك الأهلية له، لا سيما أنا وجدناه في المواقع التي تأكد لدينا أن من سموا بالكنعانيين كانوا بها – كما سبق ذلك – ومنها كان رحيلهم إلى خارج جزيرة العرب، خصوصاً أرض مصر، وما وجد بمصر من نقوش –كتابات الهيروغليفية – نسبت إلى مجموعات قبلية قيل أنهم كنعانيون[١]، وإذا صحت هذه النسبة، فهذا يعني أن القلم الهيروغليفي كنعاني، وكنعانيته تؤكد عروبته الجنوبية، بدليل الكتاب الذي ظهر أخيراً – في مصر – بعنوان : (الهيروغليفية تفسر القرآن الكريم) لمؤلفه سعد عبد المطلب العدل، وفيه نلاحظ أن مؤلفة يعمد (لأن يأتي برأي جديد في تفسير الحروف المقطعة في معاني أوائل بعض السور القرآنية، وأنها تدل على معاني في اللغة الهيروغليفية، وربطه بلغة القرآن الكريم له دلالات كبيرة جداً، لأن القرآن الكريم نزل (لسان عربي مبين)، وإن صح ما أشار إليه هذا الباحث مع ما سبق أن أشرنا إليه عن فن الاختزال، فإنه يعني أن الهيروغليفية لا تخرج عن كونها لهجة عربية انبثقت رأساً من العربية الأم – قديماً –، في بدايات أزمنة التوحد الأولى، أو أنها نشأت من اللهجة التي سميت بالكنعانية، وهي طبعاً عربية، وذلك إبان رحيل بعض الأفواج إلى مصر – من الكنعانيين – عند خروجهم من الجزيرة العربية .

وفي ربطها – أيضاً – بالقرآن الكريم إشارة إلى إمكان تحديد البدايات التاريخية لنشوء اللهجات العربية الأولى من العربية الأم، لاسيما وقد وجدنا بقايا لتلك اللهجات القديمة في مواقع هذه المنطقة التي كانت إلى ما قبل خمس وعشرين سنة منطقة معزولة ومغلقة، وخصوصاً على الغرباء، فهل آن الأوان لفعل ما يجب فعله حيال هذا الأمر، لاسيما وأن هذا الجانب ما فتيء مؤرخو اللغة العربية يشيرون لعدم وجوده، ويتلهفون لمعرفته وحصوله، ومن فوائد هذا البحث – كما أراها – تحديده للمواقع التي خرجت منها أفواج الهجرات الأولى من لدن من سموا

---

(١) ولفنسون .

بالآكاديين، والفينقيين، والكنعانيين، والعبريين، والآراميين، إلى من سموا بالطائيين، والجذاميين، واللخميين، وغيرهم، تم توضيح الأسماء الحقيقية لكل من أبدلوا أسماء أنسابهم الأصلية بأسماء صفاتهم كالكنعانيين والفينقيين وغيرهم[١] .

ومن معطيات هذا البحث الدعوة لإعادة النظر في الكثير من الدراسات التي جرت حول ترجمات وتفسير الكثير من نقوش اللهجات التي سموها لغات كالآرامية والكنعانية كقولهم : إن الآرامية كانت تعرًف بالواو (ه) في آخر الكلمات في حين وجدنا أكثر المواقع التي ثبت لدينا أنها كانت تسكن بمجموعات من سموا بالآراميين، ووجدنا في نقوشهم قديماً، وفي نطق ألسنتهم حديثاً – الآن أن الواو التي في آخر الكلمة، هي في لهجات أهل هذه المواقع هي ليست أداة للتعريف، لأنها إما أن تكون ناتجة لإشباع حركة ضم؛لأن نطق أهل هذه المواقع يمتاز بالضم في غالب الحركات لذلك تجد ظاهرة الإشباع غالبة على حديثهم، فزيدُ، عندهم :(زيدو) والبر (برو)، وإما لأنهم : ينطقون (الهاء) واواً، خاصة في ضمائر الغيبة المتصلة، فبيتة هي في نطقهم : (إيتو)، و يده هي (يدو) كذلك (الياء) تقلب ألف مثل : عليه هي (علاه)، ومعلوم أن (الألف) المتطرف في العربية حتى الفصحى يجوز أن تقلب (واواً) وعلى هذا تكون (الواو) التي قالوا عنها – في الآرامية القديمة – هي ليست كذلك – تعريفية –، وإنما هي لا تخرج عن واحد مما سبق الإشارة إليه، لأنا وجدنا شاعرهم يقول : (وفي الجبل يشبح بها بيت برزبو)[٢] وقول الأخر : (وإبليس – مرسوم – وقيدو من حديد)[٣] .

أما تعريف كلمهم، فقد وجدناهم – أي هذا الموقع بالذات – يعرفون (بالألف) في أول الكلمة، ولا ينطقونها صريحة، وإنما ينطقونها نطقاً خفيفاً جداً بحيث لا يسمعها إلا المنصت المدقق، فكلمة (البيت) ينطقونها هكذا (ابيت)، وطبعاً هم لا يكتبونها وإنما السامع يدرك ذلك عنهم عند نطقهم، وحينما سألنا بعضهم هل يعني

---

(١) محمد الفيفي، لهجات فيفا – مخطوط –.

(٢) المرجع السابق، ص : ١٠٣ .

(٣) المرجع السابق، ص : ١٠١ .

ذلك عدم وجود (ل) بعد الألف (أل) فأجابنا[١] أن هذا غير صحيح بل (اللام) موجودة، ولكن الناطق منهم يدمج (اللام) في الهمزة (الألف) دمجاً لا يستطيع السامع تمييزه إلا بدقة متناهية، وهذا ما رأيناه – الدمج – في ضمير الخطاب (أنت) ونطقهم لها : (أت) أو : (أك) بدمج ودفع (النون) في (الألف والتاء)، وهذا ما يجعلنا نُعيد ما سبق أن قلناه في المقدمة وشددنا على وجوده إن أريد المضي في إنجاز دراسة لهجات هذه المواقع في جنوب جزيرة العرب، ألا وهو وجود المعامل اللغوية الحديثة، ثم إن التعريف في لهجات هذه المواقع لا يقتصر على ما سبق آنفاً، بل هناك طرق متعددة وكثيرة للتعريف في هذه المواقع سبق أن تعرضنا للكثير منها داخل هذه الدراسة فليرجع إليه.

وحتى لا أطيل أقول إن هناك معطيات كثيرة جداً قد دونت في هذا البحث بحمد الله تعالى، نعتبرها مهمة جداً للدراسات اللغوية، ولاسيما ما يرتبط منها بجوانب القصور الكثيرة في نواحي التاريخ اللغوي لكثير من قضايا التاريخ اللغوي، كتاريخ المفردة العربية، وأصالتها في بيئة الناطقين بها قديماً وحديثاً ككلمة : (طست) التي أخرجوها من محيط اللسان العربي وحكموا بفارسيتها لا لشيء لأنهم لم يجدوا لها شيوعاً ولا تداولاً – إن صح قولهم ذاك – في محيط القبائل الست التي أخذوا من لسانها ما استطاعوا جمعه، ومن ثم صكوا به صكاً أن ما جمعوه هو وحده ما يمثل كل لسان العرب من شمال جزيرة العرب إلى جنوبها، ومن شرقها إلى غربها، ثم دونوا بصكهم الجائر : لا يجوز تجاوز ما بداخل هذا الصك، مع أن كلمة (طست) هي عربية تاريخاً ونسباً، ولست أدري كيف حكموا على الجوهري بأنه قد وهم حينا حكم بعربية كلمة : (طست) بل حتى صاحب القاموس لم يسلم من حكمهم عليه بالوهم حينما أكد – أيضاً – القول بعربيتها – طست– رغم أن الجوهري لم يحكم بعروبة اللفظة إلا بعد أن أعادها إلى أصل تاريخي، وذلك حينما ذكر أن عروبتها جاءتها من أصلها الطائي، في حين وجدنا من حكم بفارسيتها لم يحتكم إلى

---

(١) محمد بن قاسم اللغبي – جبال العبادل – اللغوب .

دليل منطقي، بعكس الجوهري الذي أعادها إلى أصل تاريخي، بدليل لو أنا رجعنا إلى مواقع قبائل طيء التي خرجت منها بجنوب جزيرة العرب إبان خروجها فسنجد الكثير من هذه المواقع – منطقة البحث – لا يزالون إلى الآن : (طس – طش) بدون (تاء) – طست – كما في مواقع جبال فيفا[1] التي يوجد حولها موقع وادي الجرف جرفاً، أي الموقع الذي كانت تتمركز به سكنى قبائل طيء قديماً، وإذا سألتهم عن التاء قالوا لك هكذا سمعناها من آبائنا في حين تجد بعضهم، – لا سيما المتعلمين منهم – يؤكدون لك أن هذه (التاء) وضعت في النطق بدلاً لسببين الكلمة الثابتة (طسس) وهذا لأن العرب كانت تكره توالي الأمثال في نطقها للكلام، لذلك تقوم حيناً بالحذف، وحيناً تبدل الحرف الثاني بحرف أقرب إليه مخرجاً، ومعلوم أن (التاء) هي أقرب إلى (السين) مخرجاً، وهذا بعينه ما أشار إليه صاحب القاموس لتأكيد أصالة مادة الكلمة لغوياً[2]، وليس هذا ما يؤكد النسب الطائي لكلمة (طس)، بل هناك براهين كثيرة جداً، منها أن كلمة (طس – طشت) قد وردت على لسان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– في الكثير من الأحاديث الشريفة، لاسيما أحاديث المعراج، كما في قوله –صلى الله عليه وسلم– حينما وجد ملك الملك إزرائيل –عليه السلام– أن بين ركبتيه إناءً كبيراً يشبه الطست أو الطشت، به صورة للدنيا وما حوت... إلخ وهذا يؤكد طائيتها، لأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يتحـدث باللسان المكي، ومعلوم أن قبائل طيء كانت من أكبر القبائل الجنوبية –الغربية– التي كان لها الدور الأكبر[3] – إلى جانب أخواتها من القبائل الجنوبية – في بنية الفصحى المكية بشهادة أكثر علماء اللغة من عرب ومستشرقين، أضف أن طيء أيضاً من القبائل العربية الغربية – الجنوبية – التي قامت عليها لسان نبي الله إسماعيل – عليه السلام – ولسان إسماعيل – عليه السلام – هي نفسها لسان نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم–، كما أشار رسول الله نفسه –صلى الله عليه وسلم– هذا في رده على

---

(١) محمد بن مسعود الفيفي، تسجيل .

(٢) يوجد عن هذا تفصيل كاف داخل البحث .

(٣) القاموس المحيط، ١/١٥٢ .

عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، حينما سأله عن كيفية تكليمه لوفود القبائل بألسنة لا يفهمها وهو مثله قرشي، فأجابه : (هي لسان بني إسماعيل – كادت أن تدرس – فنزل بها جبريل – عليه السلام – فحفظنيها ... إلخ، وأيضاً ما ورد عن حبه – صلى الله عليه وسلم – أن يتحدث في كلامه بالكثير من الألفاظ التي قالوا عنها أنها حميرية)، وهناك أمور كثيرة جداً تبرهن وتؤكد عروبة كلمة طست ولاسيما ورودها مادة، وصيغة، ونطقاً، ونسباً، وهذا وغيره يجعلنا نؤكد أن ما سبق إليه الجوهري حول عروبة هذه الكلمة وغيرها، وليست كلمة طست وحدها التي تتأكد عروبتها من خلال لهجات هذه المنطقة، بل هناك أمور كثيرة من هذا وغيره تدعونا لأن تكون هناك مراجعات ودراسات كبيرة للهجات مواقع هذه المنطقة البكر بجنوب جزيرة العرب – منطقة هذا البحث –، قديماً وحديثاً، وكذلك نقوشها وآثارها، وطبيعتها وهنا أعود لأختم هذه الخاتمة بما سبق أن قلناه في مقدمة هذه الدراسة، أني لأرجو أن يكون هذا البحث بطاقة دعوة للباحثين المختصين، ممن يهمهم أمر هذه اللغة وبالله العون والتوفيق، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وصحبه أجمعين.

الملاحق

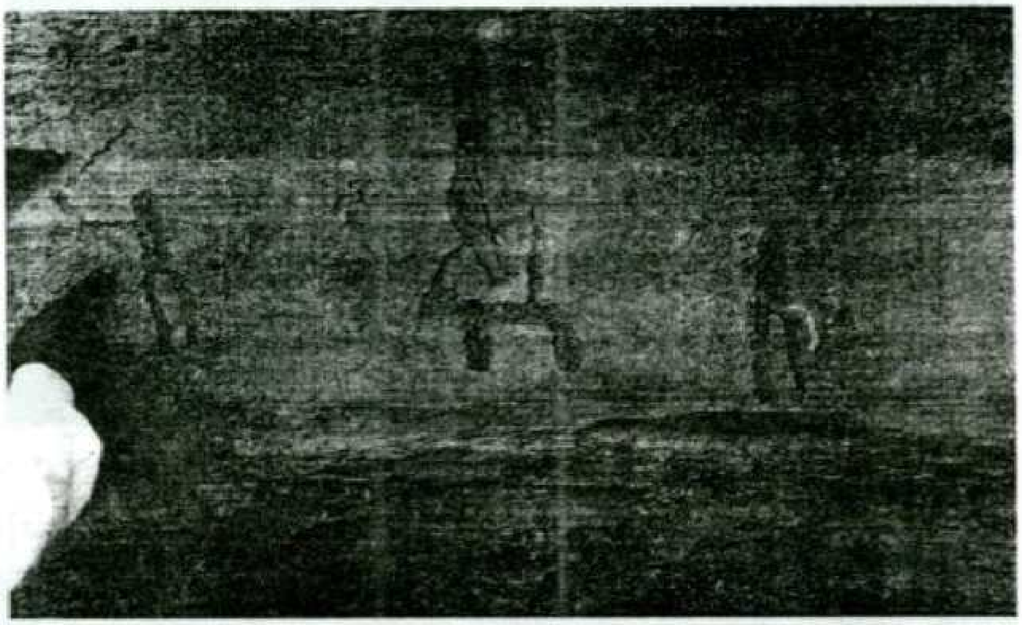
أ) بعض الكلمات والجمل بالنطق العبدلي

١	إلى أين أنت ذاهب	سوانك اميد	مع ملاحظة نطق الدال (ميد) كأنها (تاء) مع وقوف مقطوع على التاء
٢	إلى أين أنتم ذاهبون وأيضاً إلى أين أنتما ذاهبان	شوانكم اميد	هذه الجملة تنطق هكذا في حالة الجمع وحالة التثنية لأنهم لا ينطقون المثنى
٣	هم عندي	بهم التياني	حالة جمع التذكير
٤	ما هذا ؟	مهو ذ ية	في حالة الاستفسار عن شيء قريب
٥	ما ذلك ؟	مهو ذيهنة	في البعد
٦	انظر إلى هذا	اشبح سذيهنه	في حالة القرب المفرد
٧	انظر إلى هؤلاء	اشبح سهلتيهنه	في حالة الجمع القريب
٨	انظر إلى اولئك	اشبح سهلتينهل	في حالة الجمع البعيد
٩	انظر هذا	اشبح سذيه	في حالة الإفراد بدون إلى
١٠	انظر إلى ذلك	ذوك اشبح سذيهيه	في حالة البعيد المفرد
١١	هن ذهبن	بهن هشن	في حالة جمع الانثا
١٢	أسرع	تلاوت	
١٣	تعال	تع	تلاحظ أنهم قد حذفوا حرفين ، وهذا لا يدخل في الترقيم وإنما قد يدخل في النطق
١٤	استابيك	هي ظرف زمان بمعنى الوقت الذي يكون بين الصبح والظهير	أي الغداة
١٥	انظر إلي	اشبح سي	
١٦	انظر إلى أعلى	اشبح سراك	
١٧	انظر إلى أسفل	اشبح استنا	
١٨	أمام / أمامي / ظرف	سيالي	

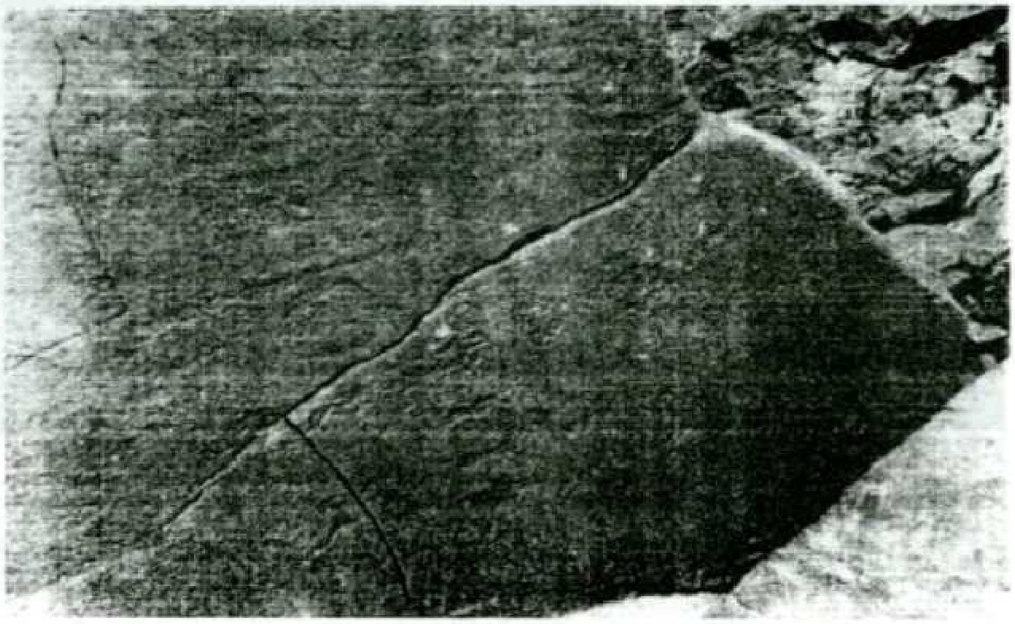
١٩	تخي أنك دكتور	تهاول مهلك دكتور	تهاول موجودة بنفس المعنى في هذه اللهجة في القاموس المحيط ٤/٧٦
٢٠	أنا أوريك	أني أمد لك	جملة تقال عندما يكون الأمر فيه وعد ووعيد
٢١	هو الذي تسبب لي أو و الذي اعتدي على	هاو تحنش لي	
٢٢	أنا ريد أن أحكي لك حكواية	اني ميد احزوي لك حزاويت	مع ملاحظة ان الكاتب قد نطقت هنا وكأنها زاي
٢٣	ازم	امسك / إلزم	لاحظ أن اللام قد ادغمت في الميم ،ونطقت ميماً ، ولم تحذف كما قد يظن السامع
٢٤	أنت خربان	باك ممحون / ممحوك	وهنا تلاحظ أن حرف القاف نطقت وكأنها كاف
٢٥	أنا ما منك فائدة	مك متحقدنا	انظر كيف نطقوا الضمير (أنت) هنا (مك) وفيما قبلها (باك)
٢٦	هيا نسرع	هيا نوخف	
٢٧	قشر لي هذه البرتقالة	جلغ لي تي برتكانت	
٢٨	أنا أتمناها	بدي بوها	
٢٩	أنا اشتقت إليها	اجويتلا	
٣٠	من الذي يشتري خبز ؟	ذيهو يتشر خبز؟	
٣١	هل يتساوى الصغير والكبير	ها ويتساوى وسنوشي	يلاحظ أن النطق لحرف السين هنا ينطق بين السين والشين
٣٢	فيه فلوس كثيرة	بو هو زلط باسل	
٣٣	لا ليس كذا	لا ما هو كيني	
٣٤	وجهك مثل الدجاجة	وجهك مهل دجاجت	
٣٥	نفسي سيارت	لبيتة سيارت	

ب) ملحق الصور

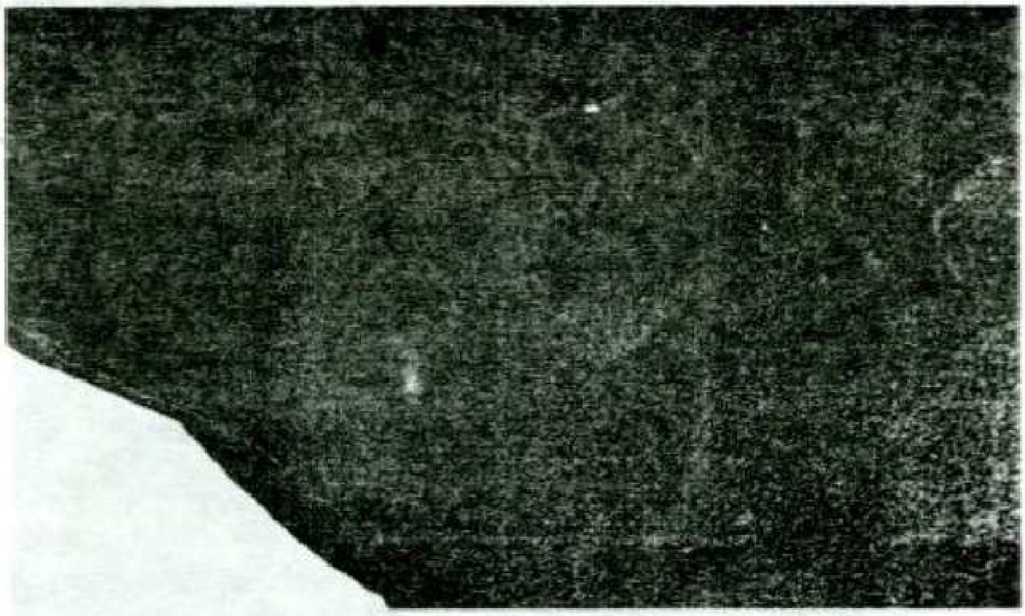
١) مجموعة من صور النقوش التقطناها من مواقع البحـث، مـن جبلـي القهـر والحشر من المنطقة الجنوبية(جازان) (من ١/٤)



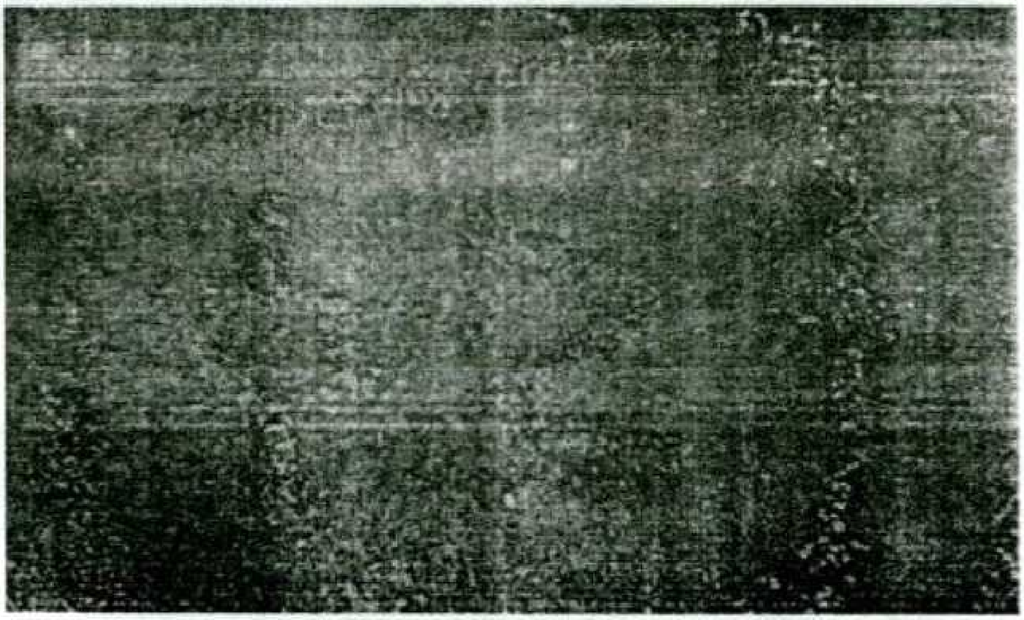
صورة رقم (١)



صورة رقم (٢)



صورة رقم (٣)



صورة رقم (٤)

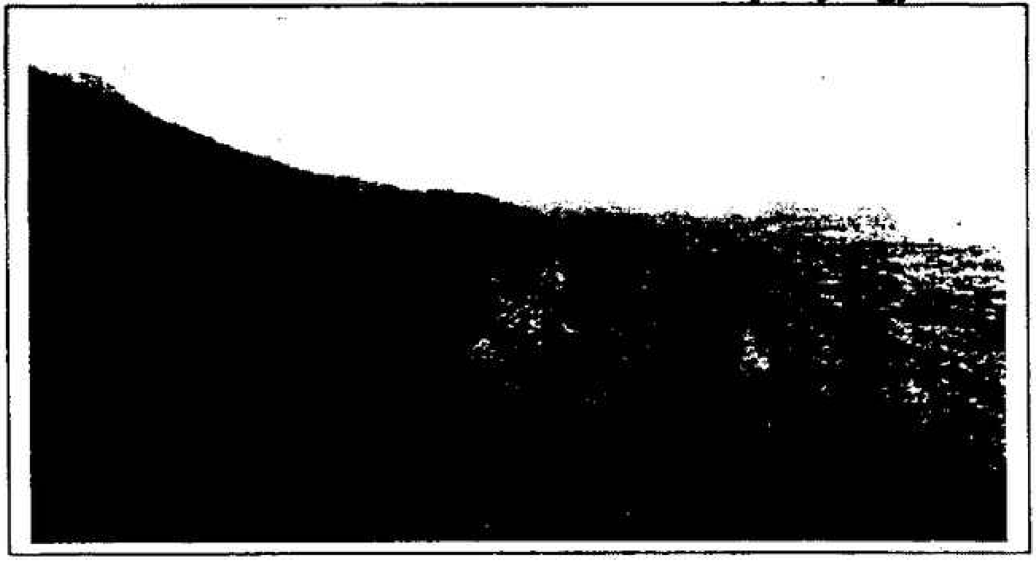
٢) مجموعة من الصور التي أخذت للموقع وما حوله، من(٥/٨):

- الصورة رقم (٥) أخذت لصخرة منصوبة داخل أحد المعابد مكتوب عليها بالمسند (خي امتاب)،و حينما سألنا أحد الشيوخ الذين كانوا معنا أجاب: "إن الكتابة التي عليها تعني، أن من كان يذنب من أهل هذه المدينة يأتي و يقف أمام هذه الصخرة و يعترف بذنبه، و يطلب التوبة و الصفح عما ارتكب، و تفسير الكتابة حرفيا، هو: (أن "خي" ، تأخذ مدلول خي الجمل الذي يوضع فوق ظهره و يحمل عليها الأحمال، و (امتاب) أي مكان التوبة (و المعنى كله هو (المكان الذي يتحمل الذنب عنك ويتوب عليك و قد ترجم الأخ محمد بن مسعود الفيفي خط المسند المكتوب عليها، لأنه يجيد قراءته و كتابته.



صورة رقم (٥)

- الصورة رقم (٦) توضح موقعا أثريا؛ بالمعبد القائم بأعلى الجبل ـ كما ستوضحه الصورة الثانية .... وتوضح كذلك الطبيعة الساحرة و الجمال الخلاب حول الموقع. و نلاحظ إلى أسفل من الخلف من بعيد تظهر مساكن القبائل الآن، حول آثار المدينة القديمة، وبالقرب من المعبد بعض مساكن القائمين عليه قديما.



صورة رقم (٦)

- صورة رقـــم (٧) ـ و هما يوضحان بقايا آثار مقبرة، و بقايا قبور كثيـــرة منتشرة بـــداخلها و تلاحظ قدمي أحد أبناء بني معين الذين كانوا معنا في أثناء تجوالنا، و ترددنا على هـــذا المـــوقع.



صورة رقم (٧)

صورة رقـــم (٨) و تلاحظ فيها بقايا ، سور المدينة المدمر، و تلاحظ في الصـورة كذلك أحد شيوخ بني معين يقف و جزء من الـــسور، خلفـــه و داخله يظهر جزء من موقع المدينة الجميـــل، و هـــو مـــن الـــشيـــــوخ المعمرين.



صورة رقم (٨)

أولاً : المقابلات والتسجيلات والمساهمات :

١- الأستاذ : عبد العزيز علي بن عبد العزيز الهويدي / عضو مجلس إدارة نادي جازان الأدبي ، وكيل إمارة منطقة جازان المساعد ، كان له بعد الله عز وجل، فضل تسهيلات التنقل وإعطاء التوجيهات لتسهيل ما نريد من مقابلات وتسجيلات صوتية وخطية مع مشائخ ومحافظي الإقليم الجبلي بمنطقة جازان .

٢- الشيخ : علي بن يحي جابر العبدلي / أحد مشائخ جبال العبادل ، منطقة جازان ، تمت معه مقابلة شخصية ، وتسجيلات صوتية متعددة .

٣- الشيخ : علي بن حسين الكبيشي / شيخ فخذ آل خالد بني مالك ، منطقة جازان ، تمت معه عدة اتصالات هاتفية وتسجيلات صوتية ، وقد أجرى لنا عدة مقابلات مع كبار السن من قبيلته سجلها لنا على أشرطة كاسيت .

٤- الأستاذ : محمد بن مسعود الفيفي ، وهذا كان له دور كبير في ترجمة لسان قومه وأكثر المحيطين بجبل فيفا ، إضافة لتصويره لنا الكثير من صفحات مؤلف له بعنوان لهجات فيفا - مخطوط - إضافة لعدة جلسات ومقابلات وتسجيلات صوتية وخطية تمت معه .

٥- الأستاذ : محمد بن قاسم اللغبي العبدلي ، كان طالباً - عندي - بالقسم العلمي بثانوية معاذ بن جبل بمدينة جيزان ، تمت معه عدة جلسات ومقابلات وتسجيلات صوتية وخطية ، إضافة إلى عدة رحلات قمنا بها معه إلى موقعة الجبلي بجبال العبادل ، وقام فيها بدور المترجم للسان قومه من قبائل اللغوب بالعبادل .

٦- الأستاذ : سلمان اللغبي العبدلي ، وهو أحد المعلمين بمدارس جبال العبادل تمت معه في منزله عدة جلسات وتسجيلات صوتية وخطية ، وكذلك أجرينا عده مقابلات مع آخرين في منزله ، منها تلك التي أجريناها مع الشيخ علي بن يحي بن جابر العبدلي .

٧- الأستاذ : مفرح الريثي / أحد أبناء جبال الريث بمنطقة جازان واحد المعلمين بمدارسها ، تمت معه عدة اتصالات هاتفية وتسجيلات صوتية متعددة ، وكذلك أجرينا عدة مقابلات وتسجيلات صوتية مع مجموعات كثيرة من الطلاب الريثيين الذين يدرسون بكلية المجتمع بمدينة جيزان ، وكذلك بعض طلاب جبال هروب ، ومنجد ، وسلي ، وقيس ، إضافة إلى الكثير من طلاب هذه المواقع ، وهم يدرسون بكلية المعلمين بمدينة أبي عريش بمنطقة جازان .

٨- الأستاذ : أحمد الجابري / أحد أبناء الجوابر ، قبائل بني معين ، تمت معه عدة مقابلات شخصية ، واتصالات هاتفية ، وتسجيلات صوتية متعددة .

ثانياً :كتب المصادر والمراجع :

١- القرآن الكريم

٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة جمال للنشر ، بيروت / لبنان.

٣- تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف المصرية، الرابعة ١٩٧٧م.

٤- تفسير بن كثير، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، نخبة من العلماء، دار الفكر.

٥- تفسير الكشاف، أبي القاسم جار الله محمود ابن عمر الزمخشري، مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر، الأخيرة ١٣٨٥ – ١٩٦٦م.

٦- تفسير مفتاح علوم الغيب أو التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان.

٧- تفسير أبي السعود، أبو السعودي ابن محمد الصمادي الحنفي، عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة ، مطبعة السعادة.

٨- تفسير فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، مصطفى البابي الحلبي ، مصر، ط٢ ، ١٩٨٣م.

٩- تفسير البيضاوي، الشيخ محمد أحمد كنعان، دار لبنان للطباعة ، بيـــروت، الطبعة الرابعة.
١٠-تفسير الإمام النسفي، عبد الله أحمد النسفي، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان، ١٩٨٨م.
١١-تفسير الإمام أحمد مصطفى المراغي، الشيخ أحمد مصطفى المراغي، دار إحياء التراث العربي، ط٢ ، ١٩٨,٥.
١٢-تفسير الجصاص لأحكام القرآن، لأبي بكر الجصاص، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان، الأولى.
١٣-تفسير أحكام القرآن، ابن العربي، دار السبيل ، بيروت.
١٤-إعجاز القرآن، للباقلاني أبي بكر، مطبعة البأبي الحلبي وأولاده ، مصر.
١٥-دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليـــه محمـــود محمـــد شاكر، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ١٣٧٥هـــ.
١٦-الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، مصطفى البأبي ، مـــصر، الطبعة الثالثة ١٩٥١م.
١٧-صحيح البخاري، البخاري، تعليق محمـــود محمـــد شـــاكر، دار الجبـــل ، بيروت.
١٨-فتح الباري بشرح البخاري، الإمام الحافظ أحمد بـــن علـــي ابـــن حجـــر العسقلاني، محمد فؤاد عبد الباقي محب الدين الخطيب قصي محب الـــدين الخطيب، دار الريان للتراث، ط٢ ، ١٩٨٨م.
١٩-صحيح مسلم بشرح النووي، النـــووي، دار الكتـــاب العربـــي، بيـــروت، ١٩٧٨م.
٢٠-سنن الإمام الترمذي، للترمذي ، أبي عيسى محمد ابن عيسى، عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر ، بيروت، ط٢ ، ١٩٨٣م،
٢١-عمدة القارئ، بدر الدين أبي محسن محمود ابن أحمد العيني، دار الفكـــر ، بيروت،

٢٢-سنن ابن ماجة، لابن ماجة، محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة التراث العربي ، القاهرة، ١٩٥٢م
٢٣-سنن النسائي، النسائي
٢٤-مجموعة فتاوى ابن تيمية، ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، تصوير الطبقة الأولى ١٩٧٨م
٢٥-دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي، محمود حسن ربيع ، المدرس بالأزهر الشريف، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأخيرة ، ١٩٧١م
٢٦-نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر ، بيروت.
٢٧-سبل السلام، محمد الكحلاني ، محمد بن إسماعيل الكحلاني، مكتبة الرسالة الحديثة.
٢٨-مسند زيد، زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، منشورات دار مكتبة الحياة.
٢٩-الجامع لأصول التاج في أحادي الرسول صلى الله عليه وسلم، الشيخ منصور علي ناصف، دار الفكر العربي بيروت ، لبنان، ط٤ ، ١٩٧٥م
٣٠-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني
٣١-دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان، ط٥ ، ١٩٨٧م.
٣٢-المشكل في غريب القرآن، ابن قدامة.
٣٣-المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، أ . ي . ونسنك، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الدعوة، ط ٢.
٣٤-تاريخ الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف المصرية، ط٤.
٣٥-الكامل في التاريخ، ابن الأثير / علي بن أبي الكرم حمد بن محمد، دار الفكر العربي ، بيروت، ١٩٧٨م.

٣٦-البداية والنهاية، ابن كثير، دار الفكر ، مكتبة المعارف ، بيروت، ط٢ ، ١٩٧٤م.
٣٧-مروج الذهب، لأبي الحسن المسعودي، مطبعة، بمصر، ط٤.
٣٨-نهاية الأرب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية ، وزارة الثقافة المصرية، دار الكتب ، مصر.
٣٩-المقدمة وتاريخ العبر، ابن خلدون، تحقيق حجري عاصي، دار الهلال ، بيروت، ١٩٨٣م.
٤٠-جمهرة أنساب العرب، ابن حزم.
٤١-المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، د / جواد علي، دار العلم للملايين بيروت ، مكتبة النهضة ، بغداد، ط١، ١٩٧١م.
٤٢-تاريخ اليمن قبل الإسلام، محمد يحي الحداد.
٤٣-اليمن ماضيها وحاضرها، د / أحمد فخري.
٤٤-التاريخ العربي القديم، فؤاد حسن.
٤٥-أخبار طيء وأشعارها قبل الإسلام وبعده، جمع وتحقيق ودراسة د / فو فهمي السنديوني، دار العلوم والنشر ، الرياض، ط١ ، ١٩٨٣م.
٤٦-الإكليل، لأبي الحسن أحمد بن يعقوب الهمداني، محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي ،ط١ ، ١٩٧٩م.
٤٧-صفة جزيرة العرب، لأبي الحسن.
٤٨-مختارات من نقوش يمانية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تحقيق ومراجعة لجنة من العلماء، مكتبة الإيمان ، مصر، الطبعة ١.
٤٩-قصص الأنبياء، ابن كثير، دار الفكر ، بيروت.
٥٠-قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، دار الفكر ، بيروت.
٥١-عرائس المجالس، ابن كثير، دار الفكر.
٥٢-المواهب اللدنية، أحمد محمد القسطلاني، تحقيق صالح أحمد محمد الشامي،
٥٣-المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان، الطبعة ١ ، ١٩٩١م.

٥٤-الإصابة في حياة الصحابة، شهاب الدين أحمد علي الكناني العسقلاني، دار الكتاب العربي.
٥٥-الأم والرسالة، الإمام الشافعي.
٥٦-اليهود في العالم القديم، أ - د / مصطفى كمال عبد العليم، أ - د / سيد فرج راشد، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت
٥٧-مقارنة الأديان، د / أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، ط٥ ، ١٩٧٨م.
٥٨-الحضارات السامية القديمة، ستبينو موسكاتي، ترجمة د / سيد يعقوب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م.
٥٩-شمس العلوم، نشوان الحميري.
٦٠-تاريخ اللغات السامية، أ. ولفنسون، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان.
٦١-الكتابات العربية والساميات، د / رمزي بعلبكي.
٦٢-الكتاب والخطوط العربية، تركي عطية الجبوري، مطبعة بغداد ، بغداد، ١٩٨٤م
٦٣-تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان، ط٤ ، ١٩٧٤م.
٦٤-تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان.
٦٥-تاريخ آداب العرب، جرجي زيدان، القاهرة.
٦٦-تاريخ آداب العرب، بروكلمان، القاهرة، ١٩٥٩م.
٦٧-تاريخ التطور الديني، أحمد زكي بدوي، مطبعة المجلة الجديدة.
٦٨-التطور في الفنون، توماس مونرو ج١، ترجمة / أبو درة، الهيئة المصرية، ١٩٧١م.
٦٩-الفن والمجتمع عبر التاريخ، أرنولد هاوزر ، ترجمة / فؤاد زكريا، دار الكتاب العربي للطباعة.

٧٠-تاريخ الفن القديم، د / شمس بن فارس ود / سلمان عيسى الخطاط، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، مطبعة الجامعة ، بغداد.

٧١-أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية، الأب سهيل قاشا، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ط١ ، ١٩٩٨م.

٧٢-معجم الحضارات السامية، هنري س . عبودي، جروس بـرس، الطبعة الأولى،

٧٣-١٩٨٨.

٧٤-الحضارة الفينيقية في إسبانيا، د – بولي بروكفيتش تسيركين، ترجمة د / يوسف ابن فاضل، جروس برس، الطبعة ١ ، ١٩٨٧م.

٧٥-قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة د / زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة، ط٢ ، ١٩٦٣م.

٧٦-أثر الحضارة العربية، العقاد، دار المعارف ، مصر، ط٢ ، ١٩٦٣م.

٧٧-أثر الثقافة العربية، العقاد، المكتبة الثقافية ، القاهرة، ١٩٧٤م.

٧٨-أبرو الأنبياء، العقاد، المكتبة الثقافية ، القاهرة.

٧٩-كتاب الكنز، محمد بدر.

٨٠-علوم البابليين، مرجريت روثن، ترجمة د/ يوسف حبي، وزارة الإعلام ، بغداد.

٨١-حضارة وادي الرافدين بين السومريين والساميين، د / أحمد سوسة، وزارة الإعلام ، بغداد، ١٩٨٠م.

٨٢-السومريون، صموئيل نوح، ترجمة فيصل الوائل، بغداد.

٨٣-تاريخ الخط العربي، محمد طاهر الكردي، المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكيني، ط١ ، ١٩٣٩م.

٨٤-الملخص لتاريخ العرب واليهود، د / أحمد سوسة، وزارة الإعلام ، بغداد، ط٢.

٨٥-قضية التاريخ القديم، سيد أحمد الناصري، المكتبة الثقافية ، القاهرة، ١٩٧١م.
٨٦-مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، طه باقي، دار البيات ، بغداد ، طبعة بيروت، ١٩٧٤م.
٨٧-بلاد ما بين النهرين، ليو اوبنهايم، ترجمة سعدي فيضي، وزارة الإعلام ، دار الحرية ، بغداد، ١٩٨١م.
٨٨-حضارة بابل وآشور، جوستاف لوبون، ترجمة حمود خير، القاهرة، ١٩٧٤.
٨٩-معجم قبائل العرب، لكحالة.
٩٠-سبائك الذهب، لأبي الفوز محمد أمين البغدادي، دار إحياء العلوم ، بيروت.
٩١-معجم ما استعجم، البكري.
٩٢-معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر بيروت، ١٩٧٧م.
٩٣-المعجم الجغرافي، محمد بن أحمد عيسى العقلي، نادي جازان الأدبي، ط٢.
٩٤-القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الحلبي وشركاه للتوزيع ، القاهرة،
٩٥-لسان العرب، ابن منظور، دار لسان العرب ، بيروت ، لبنان.
٩٦-تاج العروس، مرتضى الزبيدي، المطبعة الخيرية ، مصر، ١٩٧٠م.
٩٧-المخصص، ابن سيدة علي بن اسماعيل، أشرف علي، بولاق ، القاهرة، ١٣٢١هـ.
٩٨-المحكم.
٩٩- الخصائص، ابن جني أبي الفتح عثمان، محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، ١٩٥٦م.
١٠٠- الصناعتين، لأبي هلال العسكري.

١٠١- أسرار اللغة العربية والعلاقات بين الألفاظ والمعـاني، محمد سـرحان ، المدرس بكلية اللغة العربية ، الرياض، المطبعة السلفية ومكتباتها ، مصر، ط٥ ، ١٩٥٨م
١٠٢- الدامغة، لأبي الحسن الهمداني.
١٠٣- البيان والتبيين، للجاحظ، عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٥٠م
١٠٤- الوسيط في الأمثال، للواحدي.
١٠٥- مجمع الأمثال، للميداني/ لأبي الفضل أحمد بن أحمد ابن إبراهيم.
١٠٦- محمد ابو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧٩م
١٠٧- مغني اللبيب، ابن هشام، محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة.
١٠٨- الصاحبي، أبي الحسن بن فارس ابن زكريا، السيد أحمد صـقر، مطبعـة البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة.
١٠٩- زهر الأدب والثمر والألباب، أبي اسحاق إبراهيم ابـن علـي الحـصري القيرواني، علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البـابي الحلبي وشركاه، ط٢.
١١٠- الاشتقاق، ابن دريد.
١١١- العصر الجاهلي، شوقي ضيف.
١١٢- مقاييس اللغة، أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، عبد السلام هارون،
١١٣- محمد الحلبي، ط٢ ، ١٩٧٢م.
١١٤- التنبيه والإشراف، المسعود.
١١٥- الفاخر، ابن عاصم.
١١٦- لهجات القبائل العربية الغربية، عبد الرحم أيوب، ذات الـسلاسل للطباعـة والنشر ، الكويت.
١١٧- العربية القديمة ولهجاتها، عادل مجاد مسعود مريخ.
١١٨- لهجات اليمن القديمة والحديثة، أحمد حسين شرف الدين.

١١٩- ملامح في فقه اللهجات العربية من الآكاديـة والكنعانيـة حتـى السبئية والعدنانية، د/ محمد بهجت القبيسي، دار شمال ، دمشق ، سـورية، ط٢ ، ٢٠٠٠م

١٢٠- اللغة الآكادية، كابلس.

١٢١- مفتاح اللغة المصرية القديمة، زكريا أنطون، مكتبـة مـدبولي ، القـاهرة، ١٩٩٧م

١٢٢- المفصل ابن يعيش، المطبعة الأميرية ، مصر.

١٢٣- لغة آدم، محمد رشيد ناصر ذرق، جروس برس ، طرابلس ، لبنان، ط١ ، ١٤١٥هـ.

١٢٤- العقد الفريد، ابن عبد ربه، أحمد أمين وآخرين، القاهرة، ١٩٥٣م.

١٢٥- المقتضب، لأبي العباس المبرد، أ . د / محمد عبد الخالق عظيمة، القاهرة، ١٩٦٨م

١٢٦- احافير فلسطين، البرايت.

١٢٧- المزهر في علوم اللغة، جلال الدين السيوطي، محمد ابو الفضل إبـراهيم وآخرين

١٢٨- القاهرة، ١٩٩٨م.

١٢٩- شرح الكافية، ابن الحاجب شرح رضي الدين الاسـترابادي، دار الكتـب العلمية بيروت ، لبنان.

١٣٠- الكتاب، سيبوية، عبد السلام هارون، الهيئة المـصرية العامـة للكتـاب ، القاهرة، ١٩٨٨م.

١٣١- شرح الشواهد، السيوطي.

١٣٢- التسهيل، ابن مالك.

١٣٣- الكامل في اللغة والأدب، أبي العباس المبرد.

١٣٤- الرسالة، أبو عبيدة.

١٣٥- اللغات في القرآن الكريم، ابن حسنون.

١٣٦- المغني، ابن قدامة.

١٣٧- سر الصناعتين، ابن جني.

١٣٨- علم اللغة، البدراوي زهران.

١٣٩- الهيروغليفية تفسير القرآن الكريم، سعد عبد المطلب العدل، مكتبة مدبولي، ط٢ ، ٢٠٠٢م.

١٤٠- ما ينصرف وما لا ينصرف، أبو إسحاق الزجاج، هدي محمود قراعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة التراث الإسلامي ، القاهرة ١٩٧١م.

١٤١- فقه اللغة المقارن، إبراهيم السمرائي، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان، ١٩٨٣م.

١٤٢- دخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، سباتينو موكاتي أنفاردأو لندورف /انطون شيتلر / فلرام فون زوون، ترجمة وتقديم د / مهدي المخزومي، د / عبد الجبار المطلبي، عالم الكتب ، بيروت.

١٤٣- في للهجات العربية، د / إبراهيم انيس، مطبعة الأنجلو المصرية، ط٦ ، ١٩٨٤م.

١٤٤- العربية في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك، د / رمضان عب التواب، مكتبة الخانجي، ١٩٨٠م.

١٤٥- فقه اللغة العربي، د / لويس عوض، سيناء للنشر، ط٢ ،١٩٨٠م.

١٤٦- أسرار اللغة، د / إبراهيم أنيس، مطبعة الأنجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٧٨م.

١٤٧- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، الأزهر ، مصر، ط٦ ، ١٩٥٤م.

١٤٨- التطور النحوي للغة للغة العربية، المستشرق / ج - برجشتراسر، المركز العربي للبحث والنش، طبعة مصورة عن ط ١٩٢٩م.

١٤٩- الجينات والشعوب واللغات، لويجي لوقا كافالي، سفورزا / ترجمة أحمد مستجير، مطابع إدارة المطبوعات والنشر ، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م.

١٥٠- مطابع إدارة المطبوعات والنشر ، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م.

١٥١- علم اللغة، د /محمود حجازي، المكتبة الثقافية ، القاهرة، ١٩٧٠م.

١٥٢- المنجد، لويس معلوف اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت، ط٥.

١٥٣- لهجات العرب، أحمد تيمور، المكتبة الثقافية ، مطابع الهيئة المصرية ، القاهرة، ١٩٧٣م.

١٥٤- الأغاني، أبي الفرج الأصفهاني، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ١٩٤٥م.

١٥٥- الأمالي، ابن الشجري، حيدر آباد ، الهند، ١٩٤٩م.

١٥٦- أمالي المرتضي، المرتضي، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب،١٩٥٤م.

١٥٧- أمالي القالي، أبي القالي.

١٥٨- أمالي اليزيدي، أبي عبد الله بن العباس اليزيدي، حيدر آباد ، الدكن، ١٣٦٧هـ.

١٥٩- خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، تحقيق / عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٨٩م.

١٦٠- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك وبهامشة الصبان، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة.

١٦١- شرح التصريح على التوضيح، الشيخ خالد الأزهري، القاهرة، ١٣٥٢هـ.

١٦٢- فصول في فقه العربية، د / رمضان عبد التواب، دار المسلم، القاهرة، ١٩٧٩م.

١٦٣- مجالس العلماء، الزجاجي، تحقيق أ / عبد السلام هارون، مطبعة المدني ، القاهرة، ١٩٥٥م.

١٦٤- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين، القاهرة، ١٣٨٦هـ.

١٦٥- المقرب، ابن عصفور، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري عبد الله الجبوري، مطبعة الصافي ، بغداد، ١٩٧١م.
١٦٦- البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي، مطبعة السعادة ، القاهرة، ١٩٥٣م.
١٦٧- فقه اللغة وأسرار العربية، أبي منصور إسماعيل الثعالبي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.
١٦٨- أساس البلاغة، الزمخشري، القاهرة، ١٩٢٢م.
١٦٩- الأصمعيات، الأصمعي، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ، ١٩٥٥م.
١٧٠- المفضليات، أبي عباس الضبي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة، ط٢ ، ١٩٥٢م.
١٧١- شرح عيون الأخبار، ابن قتيبة، القاهرة، ١٩٢٥م.
١٧٢- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الجوهري، تحقيق مجموعة من العلماء بإشراف الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٧م.
١٧٣- تهذيب الألفاظ، ابن السكيت الخطيب التبريزي أبو زكريا يحي بن علي، نشر ضمن كتاب كنز الحفاظ، المطبعة الكاثولوكية ، بيروت، ١٩٥٦م.
١٧٤- المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة ، دار الكتب المصرية، ط٢ ، ١٩٦٩م
١٧٥- تاج اللغة وصحاح العربية، أبو إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار،
١٧٦- دار العلم للملايين ، بيروت، ط٢ ، ١٩٧٩م.
١٧٧- السريانية بين اللغات العامة وفصيح العربية، إبراهيم السامرائي، ضمن مجموعة دراسات عربية وإسلامية أهداها إلى د / إحسان عباس ، تحرير وداد القاضي، بيروت ، منشورات الجامعة الأمريكية، ١٩٨١م.
١٧٨- المهذب فيما وقع في القرآن الكريم من المعرب، جلال السيوطي، تحقيق عبد الله الجبوري، بيروت ، دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٢م.

١٧٩- كلام العرب، د / حسن ظاظا، بيروت ، دار النهضة العربية، ١٩٧٦.
١٨٠- نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالهـا، الكرملـي / أنـستاس، القـاهرة، ١٩٣٨م.
١٨١- التلخيص في أسماء الأشياء، أبو هلال العسكري، تحقيق / عـزت حـسن، مجمع اللغة العربية ، دمشق، ١٩٧٠م.
١٨٢- دراسات في تأصيل المصريات والمصطلح، ابن كمـال باشـا، تحقيـق / صادق قنيبي، دار الجيل ، بيروت ، لبنان.
١٨٣- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيم أحمد العباسي، مصر، ١٩٦٧.
١٨٤- النجوم الزاهرة، محمد حسني العامري، مصر، ١٣١٤هـ.
١٨٥- الأعلام، للزركلي خير الدين.
١٨٦- الكتاب القديم والجديد.
١٨٧- جدة والكنعانيون بفرسان، عبد الرحمن محمد الرفـاعي، نـشر مجموعـة حلقات في ملحق الأربعاء، جريدة المدينة، ٢٠٠٢م.
١٨٨- الكنعانيون معينيون من جازان، عبد الرحمن محمد الرفـاعي، إصـدارات فرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بجازان، ١٤٢٤هـ.
١٨٩- لهجات فيفا، محمد بن مسعود الفيفي، مخطوط.
١٩٠- مجلة الهلال، العدد ٢٣، دار الهلال، ١٨٩٨.
١٩١- مجلة الفيصل، العدد ٧٦، ١٩٨٣.
١٩٢- مجلة العربي، العدد ٦، ١٩٦٧.
١٩٣- مجلة العربي، العدد ١٤٥، ١٩٧٠.
١٩٤- مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، العدد ٣، ١٩٧٢.
١٩٥- لغة قريش، مختار سيدي الغوث، منشور نادي الريـاض الأدبـي، ط١ ، ١٤١٢هـ.

١٩٦- أسد الغابة في حياة الصحابة، عز الدين ابن الأثير الجزري، محمد إبراهيم البنا محمد أحمد عاشور محمود عبد الوهاب، دار الشعب ، مصر.

١٩٧- جمهرة رسائل العرب، أحمد زكي صفوت، البابي الحلبي ، مصر، ط١ ، ١٩٣٧م.

١٩٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الفكري الحنبلي الدمشقي، عبد القادر الأرناؤطي ، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت.

١٩٩- السيرة النبوية، ابن هشام، طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل ، بيروت، طبعة جديدة.

٢٠٠- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجمع اللغة العربية ، مصر، ١٩٦٠م.

٢٠١- أوضح المسالك، ابن هشام، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دار الكتاب العربي، ط٥ ، ١٩٦٦.

٢٠٢- الجمل في النحو، الزجاجي، د / علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، دار الأمل ، أربد ، الأردن، ط٢ ، ١٩٨٦.

٢٠٣- التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، ط١ ، ١٩٨٨.

٢٠٤- شرح الأزهار، أحمد بن يحي المرتضي، مكتبة غمضان ، صنعاء ، اليمن.